موسوعة
خزائن العلوم الإسلامية
في ضوء القرآن والسنة

الفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الثامن

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية

فِي ضَوْءِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

للفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولي

١٤٤٧هـ-٢٠٢٦م

الجـــزء الثامن

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٢٧١-٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

الجزء الثامن

ويشتمل على المباحث التالية:

٤٨- خزائن الدنيا والآخـــرة

٤٩- خزائن الطاعات والمعاصي

٥٠- خزائن الكبائر والصغائر

٥١- خزائن الربح والخسارة

٥٢- خزائن الحسنات والطاعات

٥٣- خزائن السعادة والشقاوة

٥٤- خزائن الحياة والموت

٥٥- خزائن الثواب والعقاب.

٥٦- خزائن النواهي الشرعي

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر: ٥ – ٦] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٤٨-خزائن الدنيا والآخرة

وتشتمل على ما يلي:

١- فقه الدنيا والآخرة.

٢- قيمة الدنيا والآخرة.

٣- فقه حب الدنيا .

٤- فقه الحياة العالية.

٥- أحوال الخلق في الدنيا .

٦- فقه الغربة

٧- فقه الحياة والموت

٨- فقه درجات الآخرة

٩- طبقات الخلق في الآخرة .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٤٨-خزائن الدنيا والآخرة

القسم الأول

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٤٨-خزائن الدنيا والآخرة

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

١- فقه الدنيا والآخرة

قيمة الدنيا :

وصف الله الحياة الدنيا بالدنيا ؛ لانحطاط مرتبتها ، ولسبقها على الآخرةِ في الزمن ، ولقصر مدتها بالنسبة للآخرة ، ولدنو مرتبتها بالنسبة للآخرة : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

والدنيا لها سقف محدود ، فمهما كنت غنيًا وجيهًا فليس لك من الأكلِ إلا ما تملأ به معدتك ، وليس لك من الثياب التي ترتديها إلا ما لبست ، ولن تستطيع أن تنام إلا على فراش واحد ، ولن تستطيع أن تجلس إلا في مكان واحد في وقت واحد .

أما العمل للآخرة فمطلق لا سقف له ، فاعمل ما شئت من الأعمال الصالحة من الصلاةِ ، والصيامِ ، والحجِ ، والأذكارِ ، والأدعية ، وغيرها من أعمال البرِ ، والإحسان : كالدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، وهذه هي الباقيات الصالحات :﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الكهف:٤٦] .

والآخرة بالنسبة إلى الدنيا كالأصلِ بالنسبة إلى الفرع ، وكالجسمِ بالنسبة إلى الظل ، فكل ما في الدنيا فلا بد له في الآخرةِ من أصل ، وكل ما في الآخرة فلا بد له في الدنيا من مثال .

ففي العالم العلوي: عالم الروحانيات، عالم الأضواء والأنوار ، والبهجة والسرور.

والروحانيات : هم الملائكة ، وهم مختلفون في الكمال ، والنقصان ، فخلق الله من بينهم واحدًا هو أشرفهم ، وأكملهم ، وأعظمهم ، وجعل جميع ما سواه في طاعته ، وتحت أمره ، ونهيه ، وهو جبريل ﷺ الذي قال عنه ربه : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[التكوير: ١٩ – ٢١]

وخلق الله تعالى في العالم السفلي مخلوقات عظيمة ، واصطفى منهم الإنسان ، واصطفى من بني آدم شخص واحد ، هو سيد أشخاص هذا العالم ، وأكملهم ، وأعلاهم ، ليكون كل ما سواه في طاعته ، وتحت أمره ، ونهيه وهو محمد ﷺ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

فجبريل مُطاعٌ في العالم العلوي ، ومحمد ﷺ مُطاعٌ في العالم السفلي ، وبين المُطاعينِ ملاقاة بأمر الرب سبحانه .

فالمُطاع في عالم الأرواح هو المصدر ، والمُطاع في عالم الأجسام هو المظهر ، والمصدر هو الرسول الملكي الذي يتلقى الأوامر من ربه ﷻ ، ويوصلها إلى الرسول البشري ، وبهما يتم أمر السعادة والفلاح في الدنيا

والآخرة : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وكمال حال الرسول البشري في الدعوة إلى الله ، وإلى دينه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وكمال أمته بإتباعه، والاقتداء به : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠].

ومن قام بالعمل الكامل ، نال الثواب الكامل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢].

والدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب ، ولا بد لكل عامل من ثواب أو عقاب ، بحسب عمله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

والدنيا دار أولها عناء ، وآخرها فناء ، وحلالها حساب ، وحرامها عقاب ، من استغنى بها فُتِن ، ومن افتقر فيها حزن ، والدنيا قد أدبرت ، وآذنت بوداعٍ ، والآخرة قد أقبلت ، وأشرفت باطِّلاعٍ ، والدنيا مضمار الخلق ، فمن عمل فيها خيرًا وجده ، ومن عمل شرًا وجده : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

والجزاء في الآخرة من جنس العمل : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة: ٦ - ١١] .

والسباق غدًا في الآخرة ، ومن لم ينفعه الحق ضره الباطل ، ومن لم يستقم على الهدى مال به الهوى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

والدنيا وقتها محدود ، والآخرة وقتها مطلقٌ غير محدود ، وشهوات الدنيا محدودة ، وشهوات الآخرة مطلقة غير محدودة ، ودنيا كل أحدٍ بقدر عمره ، وعمره فيها مجهول لا يدري متى يموت ، ورزقك فيها بقدر ما قسم الله لك ، لا بقدر جهدك : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٞ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف:٣٢] .

فكل مخلوق أمره الله ﷻ بعبادته ، وقسم له رزقه ، كميةً ، ونوعيةً ، ومكانًا ، وزمانًا : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾[هود:٦] .

أما الآخرة فعمرها مطلق ، وعمرك فيها مطلق ، والنعيم فيها على قدر عطاء الخالق ، والرابح حقًا من استعمل الدنيا ، وما وهبه الله ، في سبيل الوصول

إلى رضوان الله ، والجنة : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى عن الأنبياء ، والرُسل : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

والدنيا دار الغرور ، فكل من كفر بالله ، وعصاه ، إنما غرته الحياة الدنيا ؛ لأن الدنيا دار الغرور ، تغر الجاهل فيشتغل بشهواتها ولذاتها ، عن موجبات الجنة من الإيمان ، والأعمال الصالحة : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

فالجنة حُفت بالمكارة ، وما يُدخِل الجنة فيه تكاليف شاقة على من لم يهده الله : ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧ ﴾ [الروم:٦-٧] .

والرجل يكون عزيزًا مُطاعًا في الدنيا ، فإذا أسلم كان من عامة الناس ، وكذلك أوقات التكاليف الشرعية من صلاة ، وصوم يفضلون عليها لذات الدنيا ، وشهواتها التي تُشغِل الإنسان عن معاده كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾[الأنعام:١٢٩-١٣٠] .

والدنيا من الناحية المادية بستان عظيم ، زينه الله بأنواع الزينة ابتلاءً واختباراً للناس كما قال سبحانه : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾[الحج:٥-٧]

وقال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾[الكهف:٧-٨] .

والدنيا من الناحية المعنوية بستان عظيم زُينت بخمسة أشياء :

علم العلماء .. وعدل الأمراء .. وعبادة العُباد .. وأمانة التجار .. ونصيحة المحترفين .

فجاء إبليس بخمسة أعلام فأقامها بجنب هذه الخمس :

جاء بالحسد فركزه في جنب العلم ، وجاء بالجور فركزه بجنب العدل ، وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة ، وجاء بالخيانة فركزها بجنب الأمانة ، وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر: ٥ – ٦] .

فاحذر الشيطان ، وأغلق تلك الأبواب عنه ، لئلا يُفسِد عليك دنياك ، وأخراك : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس: ٦٠ – ٦٢]

والله ﷻ إذا أعطى عبده من الدنيا ، فينبغي أن يبتغي بها ما عند الله بالإحسان ، والصدقات ، وسائر الأعمال الصالحة ، ولا يقتصر على مجرد نيل الشهوات واللذات ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا ، بل يُنفق لآخرته ، ويستمتع بدنياه استمتاعًا لا يضر به دينه ، ولا يضر به آخرته ، فيأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ويعطي للدين بقدر الطاقة ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وإقامة دين الله في الأرض يحقق الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة على السواء ، لا افتراق بين دينٍ ، ودنيا ، ولا افتراق بين دنيا ، وآخرة ، فهو منهج واحد للدنيا والآخرة للدين والدنيا كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[المائدة:٦٥-٦٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

فالإيمان والتقوى كما يكفل لأصحابه جزاء الآخرة بثواب الجنة الحسن، كذلك يكفل لهم صلاح أمر الدنيا، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا

﴿ تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ ﴾[فصلت: ٣٠ – ٣١] .

فليس هناك طريق مستقل لحسن الجزاء في الآخرة ، وطريق آخر مستقل لحُسن الحياة في الدنيا ، إنما هو طريق واحد ، من ربٍ واحد ، ومن كتابٍ واحد تصلح به الدنيا والآخرة : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ [النحل:٨٩] .

فإذا تنكبت الأمة هذا الطريق المستقيم ، فسدت الدنيا ، وخسرت الآخرة : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

وهذا الطريق هو الإيمان والتقوى ، التي علامتها تحقيق المنهج الإلهي في النفس ، وفي الحياة الدنيا، وبذلك تصلح الحياة الدنيوية والحياة الأخروية.

إن المنهج الإيماني للحياة لا يجعل الدين بديلًا عن الدنيا ، ولا يجعل سعادة الآخرة بديلًا عن سعادة الدنيا ، ولا يجعل طريق الآخرة غير طريق الدنيا : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾[النحل: ٩٧] .

لقد افترق طريق الدنيا ، وطريق الآخرة ، في تفكير كثير من الناس ، بحيث اعتقدوا أنه لا سبيل للالتقاء بين الطريقين ، والطرفين ، فعلى الإنسان إما أن يختار طريق الدنيا ، فيُهمل الآخرة من حسابه ، وإما أن يختار طريق الآخرة ، فيهمل الدنيا من حسابه ، ولا سبيل للجمع بينهما في تصورٍ ، ولا واقع ،

وهذا ضلال مبين ، غر به الشيطان أكثر الخلق : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء: ٣٨] .

فالذي يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

هو الذي يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

وهو الذي يقول : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك:١٥] .

وقد ساعد على هذا الفهم الناقص أن واقع الناس في هذا الزمان يوحي بهذا ، وحقاً إن أوضاع الحياة الجاهلية الضالة البعيدة عن الله ، وعن منهجه في الحياة اليوم ، تُباعد بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة ، وتُلزم واقعاً على الذين يريدون البروز في الدنيا ، والكسب في مضمار المنافع الدنيوية ، أن يتخلوا عن طريق الآخرة ، ويتحللوا من الدين والأخلاق ، والآداب التي يحض عليها الدين .

وفي الوقت نفسه تُلزم الذين يريدون النجاة في الآخرة أن يتجنبوا تيار هذه الحياة الدنيا ، وأوضاعها القذرة ، والوسائل التي يصل بها الناس في مثل هذه الأوضاع إلى البروز في المجتمع ، والكسب في مضمار المنافع ، لماذا ؟ .

لأنها وسائل لا يمكن أن تكون نظيفة ، ولا مطابقة للشرع ، والدين ، والخلق ، ولا مرضية لله سبحانه ، ورأت الأمة هذه ضربة لازب فلا مفر منه ، ولا سبيل إلى اللقاء بين طريق الدنيا والآخرة عند كثير من الناس : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠] .

ورأت هذا كله ليس بصحيح ، فالعداء بين الدنيا والآخرة ، والافتراق بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة ، ليس هو الحقيقة التي لا تقبل التبديل ، إنما ذلك عارض ناشئ من انحراف طارئ ، وسلوك الطريق المعوج ، واستبعاد سلوك الصراط المستقيم : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

والله ﷻ يقول : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

فالأصل في الحياة الإسلامية التي جاء بها الشرع ، أن يلتقي فيها طريق الدنيا ، وطريق الآخرة ، وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى صلاح الدنيا كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

وأن يكون الإنتاج ، والنماء ، والوفرة في عمل الأرض ، هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة ، كما أنه المؤهل لرخاء هذه الحياة الدنيا ، وأن يكون الإيمان ، والتقوى ، والعمل الصالح ، هي أسباب عمران هذه الأرض ، كما أنها هي وسائل الحصول على رضوان الله ، وثوابه الأخروي ، ويكون ذلك إذا تم تحقيق منهج الله في الأرض ؛ لصلاح الدنيا ، والدين : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ

زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] .

هذا المنهج وحده هو الذي جعل العمل حسب أمر الله عبادة ، وهو الذي جعل الخلافة في الأرض وفق شريعة الله فريضة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

فالخلافة في الأرض عملٌ وإنتاجٌ يتم به تنفيذ أوامر الله في إصلاح الدنيا ، والآخرة ، ويُعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة وفق منهج الله وشريعته طاعة ينال العبد عليها ثواب الآخرة ، ويظفر بخيرات الدنيا التي سخرها له ربه : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾[لقمان:٢٠ – ٢١] .

فالإنسان الذي لا يفجر ينابيع الأرض ، ولا يستغل طاقات الأرض ، والكون المسخر له ، يُعتبر عاصياً لله ، ناكلًا عن القيام بالوظيفة التي خلقه الله لها ، تاركًا للأسباب التي جعلها الله سبباً لصلاح دنياه ، كما أن التارك لفرائض وأركان الإسلام يكون عاصياً لربه ، ناكلًا عن امتثال أوامره التي جعلها الله سبباً لإصلاح دنياه ، وآخرته .

فالذي يترك أسباب الكسب والمعيشة ، يكون معطلًا لرزق الله الموهوب للعباد ، جافيًا عنه ، راضيًا بما يلقمه الناس من فضلاتهم ، ويقف ذليلًا بأبوابهم ، وقد ترك الباب الذي فتحه الله له ، ليكسب الدنيا والآخرة ، وينشغل في معاشه عن أوامر الله وطاعته ، وهكذا يخسر الآخرة ؛ لأنه خسر الدنيا ، وقد أمرنا الله ﷻ بالقيام بأسباب الكسب للدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

٢- الخزانة الثانية

قيمة الدنيا :

هذا الدين وسط يجمع بين العمل للدنيا ، والعمل للآخرة في توافقٍ وتناسق ، فلا يفوِّت على الإنسان دنياه لينال آخرته ، ولا يفوِّت عليه آخرته لينال دنياه : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾[النساء:١٣٤] .

فسعادة الإنسان وشقاوته بيده واختياره : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإسراء: ١٨ - ٢١] .

والدين الإسلامي يُلزم الفرد أن يبذل أقصى طاقاته الجسمية والعقلية في العمل والإنتاج ، وأن يبتغي بالعمل والإنتاج وجه الله ، فلا يظلم ، ولا يغدر ، ولا يغش ، ولا يخون ، ولا يأكل من سُحت ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل ، ولا يسرق ، ولا يختلس ، ولا يحتكر ، مع الاعتراف لله بالملكية ، وأداء حق الفقراء في ماله في حدود ما فرض الله ﷻ .

والإسلام يُسجل للفرد عمله في هذه الحدود وفق شرع الله ، عبادة يجزيه عليها بالبركة في الدنيا ، وبالجنة في الآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى :﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[فصلت:٤٦] .

ويربط المنهج الإسلامي بين العبد وربه ، رباطًا أقوى بالشعائر التعبدية التي يفرضها الله عليه ، يستوثق بهذا الرباط من تجدد صلته بالله في اليوم الواحد خمس مرات بالصلاة ، وفي كل حين بكثرة الذكر لله ﷻ ، وفي العام الواحد ثلاثين يوماً يصوم رمضان ، وفي العمر كله يحج بيت الله الحرام ، وفي كل موسم أوفي كل عام بإخراج الزكاة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

ومن هنا نعلم قيمة الفرائض التعبدية في الإسلام ، إنها تجديد للعهد مع الله على الارتباط والالتزام بمنهجه الكلي للحياة ، وهي قربى إلى الله يتجدد منها العزم على النهوض بامتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وهذا هو المنهج الذي يريده الله ، يُنظِم أمر الحياةِ كلها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

وكذا يتجدد معها الشعور بعون الله ومدده على حمل التكاليف التي يتطلبها النهوض بهذا المنهج الكلي العظيم المتكامل ، والتغلب على شهوات الناس ، وعنادهم ، وانحرافهم ، وأهوائهم ، حين تقف في الطريق .

وليست الشعائر التعبدية من صلاةٍ ، وذكرٍ ، وصيامٍ ، وحجٍ ، وزكاةٍ ، ونحوها أمورًا منفصلة عن شئون العمل والإنتاج ، والتوزيع والإنفاق ، إنما الإيمان ، والتقوى ، والشعائر التعبدية شطر المنهج المُعين على أداء شطره الآخر : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧] .

إن الإسلام لا يُقدم الآخرة بديلًا عن الدنيا ولا العكس ، إنما يقدمهما معًا في طريقٍ واحد ، وبجهدٍ واحد ، ولكنهما لا يجتمعان معًا في حياة الإنسان إلا إذا اتَّبع منهج الله وحده في الحياة : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢ – ١١٣] .

وكذلك الإسلام لا يُقدِم الإيمان ، والعبادة ، والصلاح ، والتقوى بديلًا عن العمل ، والإنتاج ، والتحسين ، في واقع الحياة المادية ، وليس هو المنهج الذي يَعِد الناس فردوس الآخرة ، ويرسم لهم طريقه ، بينما يدع الناس أن يرسموا لأنفسهم الطريق المؤدي إلى فردوس الدنيا .

فالعمل ، والإنتاج ، والتنمية ، وتحسين واقع حياة الناس ، واستغنائهم عن غيرهم ، وكسبهم حسب أمر الله ، وحسب توجيه شرعه ، ذلك وظيفة ، وفريضة الخلافة في الأرض : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون:٥١] .

وقال الله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك:١٥] .

وقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

إن العملَ ، والإنتاج ، واستغلال خيرات الأرض ، والتنمية في جميع المجالات ، وتحسين واقع حياة الناس ، حسب أمر الله ، ذلك وظيفة ، وفريضة للخلافة في الأرض، والإيمان ، والعبادات ، والصلاح ، والتقوى ، تمُثل الضوابط ، والدوافع ، والحوافز ، لتحقيق منهج الله في الحياة حسب أمر الله، ورسوله، وهذه وتلك مؤهلات والفردوس الأرضي، والفردوس الأخروي، الفردوس الدنيوي، والفردوس الأخروي معًا .

والطريق هو الطريق ، ولا تصادم بين الدين ، وبين الحياة الواقعية المادية ، وأمر الله في هذه وهذه كله عبادة يتقرب بها العبد إلى الله ، فالدين يستغرق ، ويشمل حياة الإنسان كلها كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

ولكن الناس لما ابتعدوا وشردوا عن منهج الله وشرعه ، واتخذوا لهم مناهج أخرى مُعادية لمنهج الله ، جاء هذا الفِصام النكد بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة ، في حياة الناس ، وبين العمل للدنيا ، والعمل للآخرة ، وبين العبادة الروحية ، والإبداع المادي ، وبين النجاح في الدنيا ، والنجاح في الحياة الأخرى ، حسب أمر الله ، وذلك فكرٌ أضل به الشيطان كثيرًا من الناس : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

وقال الله تعالى :﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة:٨٥] .

وبسبب هذا الفصل جاء الشقاء والألم على الطرفين :

فمن أقبل على الدنيا ، وترك الدين ، يعيش في قلق وحيرة ، وشقاء قلب ، وذلك من جراء خواء قلوبهم من طمأنينة الإيمان ، وبشاشته ، إذ هم آثروا إطراح الدين كله ، على زعم أن هذا هو الطريق الوحيد للعمل ، والإنتاج ، والنجاح ، في الحياة : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة:٥٥] .

وهؤلاء إن ملئوا جيوبهم بالأموال إلا أنهم يصارعون الجوعة الفطرية إلى عقيدة تملأ القلب ، ولا تُطيق الفراغ ، والخواء ، وهي جوعة لا يملؤها إلا الإيمان بالله الذي يُولد الطمأنينة :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد: ٢٨-٢٩] .

وقال الله تعالى :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام:٨٢] .

وهم يؤدونها كذلك قلقًا ، وحيرة ، وشقاء قلب ، إذا هم حاولوا الاحتفاظ بعقيدة في الله ، وحاولوا معها مزاولة الحياة ، وكسبها على غير منهج الله .

فتصادم العقيدة الدينية ، والخلق والسلوك الديني ، مع الأوضاع والقوانين المخالفة لمنهج الله ، يحصل بسبب ذلك الشقاء ، والتعب : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[الإسراء:٢٢] .

وقال الله تعالى :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

والبشرية اليوم تعاني ما تعاني من ذلك الشقاء ، فقد صَوَّر لها الأعداء أن الدين لله ، وأن الحياة للناس ، يفعلون فيها ما يشاءون ، وتؤدي البشرية هذه الضريبة الفادحة الخاسرة ، ضريبة الشقاء ، والقلق ، والحيرة ، والخواء ؛ لأنها لا تهتدي إلى منهج الله الكامل ، الذي لا يفصل بين الدنيا والآخرة ، بل يجمع بينهما ، ولا يُقيم التناقض والتعارض بين الرخاء في الدنيا ، والرخاء في الآخرة بل يُنسِق .

ولا تخدعنا ظواهر كاذبة في فترة موقوتة ، حينما نرى أممًا لا تؤمن بالله ، ولا تتقي ، ولا تُقيم منهج الله في حياتها ، وهي موفورة الخيرات ، كثيرة الإنتاج ، عظيمة الرخاء ، إنه رخاء موقوت حتى تفعل السُنن الإلهية الثابتة فعلها الثابت ، وحتى تظهر آثار الفِصام النكد بين الإبداع المادي ، والمنهج الرباني : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٨] .

وقد حصل ذلك وظهر في صورٍ شتى ، ظهر في سوء التوزيع في هذه الأمم ، مما يجعل المجتمع حافلًا بالشقاء ، والأحقاد ، والخوف ، والرعب وهذا بلاء على رغم الرخاء : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

وظهر هذا في الانحلال النفسي ، والخلقي ، وظهر في القلق العصبي ، والأمراض المنوعة التي اجتاحت العالم ، وبخاصة أشدها رخاءً ، مما يهبط بمستوى الذكاء ، والاحتمال ، ويهبط بعد ذلك بمستوى العمل والإنتاج .

وظهر كذلك في الخوف الذي تعيش فيه البشرية كلها من الدمار العالمي المتوقع كل لحظة ، والذي يحصل الآن في كل لحظة ، وقد بدت بوادره ، وهو خوف يضغط على أعصاب الناس ، فيصيبهم بشتى الأمراض العصبية .

ولم ينتشر الموت بالسكتة ، وانفجار المخ ، والانتحار ، كما انتشر في أمم الرخاء التي حُرِمت أو حَرَمت نفسها من نعمة الإيمان .

وأخيرًا يؤدي هذا الفصل بين الدين والدنيا في النهاية إلى الهلاك ، والدمار للأمم ، والشعوب : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة : ٣٨ - ٣٩] .

٣- الخزانة الثالثة

حقيقة الدنيا والآخرة

إن اتخاذ منهج للآخرة من عند الله ﷻ ، واتخاذ منهج للدنيا من عند الناس ، في حياةٍ واحدة ، ومجتمعٍ واحد ، كل ذلك يؤدي إلى التصادم المؤدي إلى الهلاكِ ، والدمارِ ، والاضطراب ، فلإقامة ديننا ودنيانا ، نمتثل أمر واحد وهو الله الواحد القهار : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فدين الله ﷻ يقوم على الإيمان ، والتقوى ، وإقامة منهج الله في الحياة ، والقيام بالعمل والإنتاج للنهوض بالخلافة في الأرض ، وإذا اجتمعت هذه الأمور تحقق شرط الله لهذه الأمة ، فأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم في الدنيا ، وكُفِّرت عنهم سيئاتهم ، ودخلوا جنات النعيم في الآخرة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[المائدة:٦٥-٦٦] .

فالأساس هو الإيمان، والتقوى، وتحقيق المنهج الرباني في الحياة الواقعية، وهذا يتضمن في ثناياه العمل والإنتاج، وسهولة استقامة الحياة، فضلًا على

أن للصلة بالله مذاقها التي يسعد بها المرء في حياته : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨- ٢٩] .

والله تبارك وتعالى غني عن العالمين ، فالإيمان ، والتقوى ، والعبادة ، والصلة بالله ، وإقامة شريعة الله في الحياة ، كل ذلك ثمرته للإنسان ، والحياة الإنسانية : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى :﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

وإذا شدد المنهج الإسلامي على هذه الأسس والأصول ، فليس هذا معناه أن الله سبحانه يناله شيء من إيمان العباد ، وتقواهم ، وعبادتهم له ، وتحقيق منهجه في الحياة ، أو أن الله محتاج إلى ذلك ، ولكن لأن الله جل جلاله رءوف رحيم ، يعلم أنه لا صلاح للبشرية ، ولا فلاح لهم إلا بهذا المنهاج الإلهي الذي يسعدون به في الدنيا ، والآخرة : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

والله ﷻ له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، ونحن عبيده ، وليس علينا إلا امتثال أوامره فيما يُصلِح ديننا ، ودنيانا ،

وفيما يُصلِح دنيانا ، وآخرتنا : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا ، فَلا تَظَالمُوا ، يَا عِبَادِي ! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي ! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي ! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي ! إِنَّكُمْ تخُطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي ! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي ! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا ، عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي ! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي ! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبحر ، يَا عِبَادِي ! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

فشرط الله ﷻ قائم ، والطريق إليه معروف ، والوفاء بالشرط سهل لو كانوا يعقلون .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

والحياة في الإسلام ليست هذه الفترة القصيرة التي تمُثل عُمر الإنسان ، ولا هي هذه الفترة المحدودة التي تمُثل عُمر الأمة من الناس ، كما أنها ليست هي هذه الفترة المشهودة التي تمُثل عُمر البشرية في هذه الحياة الدنيا ، بل الحياة واسعة تمتد طولًا في الزمان ، فتشمل فترة الحياة الدنيا ، وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها ، وعظمتها ، ونعيمها إلا الله ، وفترة الدنيا بالنسبة إليها كساعة من نهار .

وتمتد الحياة في المكان فتُضيف إلى هذه الأرض التي نعيش عليها دارًا أخرى : جنة عرضها كعرض السماء والأرض ، ونارًا تسع الكثرة من جميع الأجيال التي عمرت وجه الأرض في الدنيا كما قال سبحانه : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد:٢١].

وتمتد في العوالم فتشمل هذا الوجود المشهود إلى وجود مُغيب لا يعلم حقيقته كلها إلا الله ، ولا نعلم نحن عنه إلا ما أخبرنا الله به من أحوال اليوم الآخر .

وتمتد الحياة في حقيقتها فتشمل هذا المستوى المشهود في الحياة الدنيا ، وإلى تلك المستويات الجديدة العالية الفائقة في الحياة الأخرى في الجنة ، وبعكس ذلك في النار : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾ [التوبة: -٦٨] .

إن الرغبة في الآخرة لا تعني إهمال الدنيا ، وتركها بلا جهد ؛ لتحسينها ، وإصلاحها ، وتركها للطغاة ، والمفسدين ، تطلعًا إلى نعيم الآخرة ، وإنما الدنيا مزرعة للآخرة ، والجهاد في الحياة الدنيا ؛ لإصلاح هذه الحياة ، ورفع الشر والفساد عنها ، ورد الاعتداء والظلم عن أهلها ، وتحقيق الخير ، والعدل للناس جميعًا ، كل ذلك هو زاد الآخرة : ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة:١٩٧] .

والدينُ ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

والمسلم إنما يزاول هذه الحياة الدنيا ، وهو يعلم أنه أكبر منها وأعلى ، ويستمتع بطيباتها أو يزهد فيها ، وهو يعلم أنها حلال في الدنيا ، خالصة له يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وألوان الحياة في الآخرة لا يعلمها إلا الله : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف:٧١- ٧٢] .

ومذاقات النعيم في الآخرة ليست مثل مذاقات هذه الحياة الدنيا ، ولا تساوي الدنيا بالنسبة إليها جناح بعوضة ، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق : ٣٥] .

ويجاهد المسلم لترقية هذه الحياة ، وتسخير طاقاتها وقواها ، وهو يعرف أن هذا واجب الخلافة حين استخلفه الله فيها : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة : ٣٠ -٣٢] .

ويكافح الإنسان الشر ، والفساد ، والظلم ، محتملًا الأذى ، وهو إنما يُقدم لنفسه في الآخرة ، إنه يعلم من دينه أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وأن ليس هناك طريق للآخرة لا يمر بالدنيا ، وأن الدنيا صغيرة زهيدة مؤقتة ، ولكنها من نعمة الله التي يُجتاز منها إلى نعمة الله الكبرى في الآخرة .

والله تبارك وتعالى كما اجتبى الرسل ، وأرسلهم لهداية البشرية ، كذلك هو سبحانه اجتبى هذه الأمة ، وأعطاها مهمة الإشراف على الحياة البشرية ، وقيادتها بالدين إلى القمة السامقة ، الذي يزين حياتها ، ويُجملها في الدنيا والآخرة ، ووعدهم على ذلك الجنة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧] .

وقد أمرنا الله ﷻ بإقامة الدين ، ونهانا أن نكون عبيدًا للدنيا ، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك فركبوها ولم تركبهم ، وعَبَّدوها لله ، ولم تستعبدهم ، وقاموا بالخلافة عن الله فيها بكل ما تقتضيه الخلافة عن الله من تعمير ، وإصلاح ، ولكنهم كانوا يبتغون في هذه الخلافة وجه الله ، ويرجون الدار الآخرة ، فسبقوا أهل الدنيا في الدنيا ، ثم سبقوهم كذلك في الآخرة ، والدنيا ، وما فيها من النعيم ، بالنسبة للآخرة لهو ولعب، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠] .

وقال ﷻ : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأنعام:٣٢] .

والإنتاج المادي النافع وفق منهج الله من مقومات خلافة الإنسان في الأرض بعهد الله ، وشرطه .

والاستمتاع بالطيبات منها حلال يدعو إليه الإسلام ، ولكنه لا يعتبرها هي القيمة العُليا التي تُهدر في سبيلها خصائص الإنسان وأخلاقه ، وأوقاته كما تعتبرها المجتمعات الجاهلية المُلحدة والمُشركة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾[محمد: ١٢] .

فما أبعد ما بين الدارين ؟

دار يمكن أن تُطمس وتُحصد في لحظة كما قال سبحانه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ

نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤]

ودار النعيم والسلام التي نعيمها لا يزول ، والناس فيها مخلدون كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] .

إن للجهد في هذه الأرض ثمرته ، سواء تطلع صاحبه إلى أفق أعلى ، أو توجه إلى منافعه القريبة ، وذاته المحدودة ، فمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ، فعمل لها وحدها ، فإنه يلقى نتيجة عمله في هذه الدنيا ، ويتمتع بها كما يريد في أجلٍ محدود ، ولكن ليس له في الآخرة إلا النار ؛ لأنه لم يُقدِم للآخرة شيئًا ، ولم يحسب لها حسابًا .

فكل عمل الدنيا يلقاه في الدنيا ، ولكنه باطل في الآخرة ، وحابط لا يقام له وزن، كما قال سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[هود:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ

وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء:١٨-٢٢] .

ونحن نشهد في هذه الأرض أفرادًا وأممًا تعمل لهذه الدنيا ، وتنال جزاءها فيها ، ولدنياها زينة ، وانتفاخ ، وهذه سنة الله في هذه الأرض ، وهؤلاء يمكن أن يعملوا نفس ما عملوه ، ونفوسهم تتطلع إلى الآخرة ، وتراقب الله في الكسب ، والمتاع ، فينالوا زينة الحياة الدنيا لا يبخسون منها شيئاً ، وينالوا كذلك متاع الحياة الأخرى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

إن العمل للآخرة لا يقف في سبيل العمل للدنيا ، بل إنه هو هو مع الاتجاه إلى الله فيه ، ومراقبة الله في العمل لا تُقلل من مقداره ، ولا تُنقِص من آثاره ، بل تزيد وتُبارِك الجهد ، والثمر ، وتجعل الكسب طيبًا ، والمتاع به طيباً ، ثم تُضيف إلى متاع الدنيا متاع الآخرة .

إن من أراد أن يعيش لهذه الدنيا وحدها ، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التي يعيش فيها ، فإن الله يجعل له حظه من الدنيا حين يشاء ، ثم تنتظره في الآخرة جهنم عن استحقاق ، مذمومًا بما ارتكب ، مدحورًا بما انتهى إليه من عذاب : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإسراء : ١٨] .

فأهل الدنيا لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض ، يتلطخون بوحلها ، ورجسها ، ودنسها ، ويستمتعون فيها كالأنعام ، ويستسلمون فيها للشهوات ، والنزغات ، ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدي بهم إلى جهنم : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

أما الذي يريد الآخرة ، فلا بد أن يسعى لها سعيها ، فيؤدي تكاليفها ، ويُقيم سعيه لها على الإيمان ، والتقوى ، ثم يلقى التكريم في الآخرة ، جزاء السعي الكريم في الدنيا : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[الإسراء:١٩] .

إن الحياة للأرض ، والحياة للدنيا ، حياة تليق بالديدان ، والحشرات ، والزواحف ، والهوام ، والوحوش ، والأنعام ، وسائر الحيوان .

أما الحياة الآخرة فهي الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله ، على أن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله ، وعطاء الله لا يحظره أحد ، ولا يمنعه : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[الإسراء:٢٠] .

والتفاوت بين الناس في الدنيا ملحوظ ، بحسب أسبابهم ، وأعمالهم ، واتجاهاتهم ، فكيف يكون التفاوت بين الناس في الآخرة التي الدنيا بالنسبة لها كقطرة من بحر : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[الإسراء: ٢١] .

فمن شاء التفاوت الحق ، ومن شاء التفاضل الضخم ، ومن شاء الدرجات العالية ، فهو هناك في الآخرة ، حيث الرقعة الفسيحة ، والآماد الأبدية ، والنعيم الفائق ، والقصور الفاخرة : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين:٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد: ٢١] .

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

والدنيا لها وظيفة ، والآخرة لها وظيفة، فالدنيا دار الإيمان والعمل الصالح ، والآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا صغيرة ناقصة، والآخرة كبيرة كاملة ، فيها كمال النعيم ، وكمال العذاب .

والدنيا فانية زائلة ، والآخرة دائمة باقية ، والدنيا مكان اجتماع الخلق كلهم، المؤمن ، والكافر ، والمطيع ، والعاصي ، أما في الآخرة فيتفرقون : المؤمنون في الجنة ، والكفار والعصاة في النار : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم:١٤-١٦] .

ولهؤلاء نعيم ، وخلود بلا موت ، ولهؤلاء عذاب ، وخلود بلا موت .

٤- الخزانة الرابعة

٢- قيمة الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنعام:٣٢] .

وقال الله تعالى :﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى: ١٦ – ١٧

الدنيا مكان الطاعات ، ومهبط الرسالات ، وزمان الأعمال الصالحة ، وفيها بيوت الله ، ومواطن الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وفيها ساحات الجهاد في سبيل الله، وفيها الآيات الدالة على عظمة الله، وقدرته، وعظمة أسمائه ، وصفاته وأفعاله من سماءٍ، وأرضٍ، وجبالٍ ، وبحارٍ، ونباتٍ، وحيوانٍ ، وإنسٍ وجانٍ ، وليل ونهار ، وحياة ، وموت : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الروم:٢٢]

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

والمذموم من الدنيا كل حركة مخالفة لمنهج الله كالمعاصي ، والسيئات ، والذنوب ، وكفران النعم ، وما أشغل الإنسان عن طاعة الله ورسوله من الأموال ، والأشياء ، والأشخاص ، والأعمال كما قال سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ

﴿وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾ [آل عمران:١٤] .

فسبحان من خلق هذا الملك العظيم الذي يسبح بحمد ربه : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ ﴾[لقمان : ١٠ – ١١] .

وجميع ما على وجه الأرض جعله الله زينة لهذه الدار ، وفتنة للناس واختبارًا من مآكل لذيذة ، ومشارب مختلفة ، وملابس طيبة ، ومياه ، وبحار ، وجبال ، وأنهار ، وزروع ، وأشجار ، وثمار ، ورياض ، وأزهار ، وذهب ، وفضة ، وخيل ، وإبل ، ونحو ذلك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ ﴾[الكهف:٧] .

وخلق الله ذلك كله ليبلوا خلقه أيهم أحسن عملًا ، فاغتر بزخرف الدنيا وزينتها من نظر إلى ظاهر الدنيا دون باطنها ، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم ، وتمتعوا بها تمتع السوائم ، وغفلوا عن ربهم ، ومعرفة شرعه ، والعمل به ، والدعوة إليه ، فهؤلاء يتمتعون في الدنيا قليلًا ، فإذا ماتوا عاقبهم الله بالنار : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٨] .

وأما من نظر إلى باطن الدنيا ، وعلم المقصود منها ومنه ، فإنه يتناول منها ما يستعين به على ما خُلق له ، ويجعل الدنيا منزل عبور ، لا محل حبور ، فيبذل جهده في معرفة ربه ، وتنفيذ أوامره ، وعبادته ، وإحسان العمل

الموصل إلى جنته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠] .

فهذا بأحسن المنازل عند الله ، وهو حقيق منه بكل كرامة ، ونعيم وسرور ، حيث نظر إلى باطن الدنيا ، حين نظر المغتر إلى ظاهرها ، وعمل لآخرته حين عمل البطال لدنياه ، فشتان ما بين الفريقين ، والمنزلين، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة: ١٨ – ٢٠] .

والله ﷻ جعل لكل شيء زينة ومقصدًا ، فالنبات له زينة ، وهي الأوراق ، والأزهار ، ولكن المقصد الحبوب ، والثمار ، والثياب لها زينة وهي الألوان ، والتفصيل ، ولكن المقصد ستر العورة .

وكذلك الدنيا زينة ، وكل ما عليها زينة ، والمقصد الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والدنيا كلها زينة ، والمقصد الآخرة ، وكل من نسي المقصد تعلق بالزينة : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف:٧-٨] .

وقال الله تعالى :﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنعام:٣٢] .

إن الأنبياء والرسل ، وأتباعهم ، يشتغلون بالمقاصد ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وأهل الدنيا يشتغلون بالزينات ، واللهو ، واللعب ، ويغفلون عن المقصد ، والله أمرنا أن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونُعطي للدينِ وللآخرة بقدر الطاقة ، وإذا تعارضت في حياتنا الزينات والأشياء مع المقصد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إلى الله ، قدمنا ما يحب الله ، وهو عبادته ، وطاعته ، وطاعة رسوله ﷺ ، والجهاد في سبيله ، ونشر دينه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨] .

وقد خلق الله الجن والإنس ، لعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وهذه الدنيا مكان تكميل محبوبات الله من الإيمان ، والأعمال الصالحة ، ومحبوبات الله ﷻ هي أنواع عبادته ، وهي مقصودة من خلقه كما قال سبحانه : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ

وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥] .

- **مراحل حياة الإنسان :**

خلق الله الإنسان ، وجعله يمر بمراحل ، وأزمنة ، وأمكنة ، وأحوال ، وينتهي بالخلود في دار القرار إما في الجنة ، أو النار

وهذه المراحل التي يمر بها الإنسان هي :

الأولى : بطن الأم : ومدة الإقامة فيها تسعة أشهر ، والحكمة من البقاء فيها هذه المدة أمران : تكميل خلق الأعضاء الداخلية ، وخلق الأعضاء الخارجية ، والإنسان في هذه المرحلة غير مُكلف .

الثانية : دار الدنيا : والإقامة فيها أكثر من الإقامة في بطن الأم ، والحكمة من البقاء فيها تلك المدة أمران : تكميل الإيمان ، وتكميل الأعمال الصالحة ، وإذا أكمل العبد لله فيها ما يحب ، أكمل الله له في الآخرة ما يحب ، ثم يخرج من الدنيا مع عمله إلى الدار التي تليها : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[المؤمنون :١٢- ١٦] .

الثالثة : دار البرزخ : وهي القبر ، والقبر أول منازل الآخرة ، ويبقى فيه الإنسان حتى يكتمل موت الخلائق ، وتقوم الساعة ، وهو على المؤمن روضة من رياض الجنة ، وعلى الكافر حفرة من حفر النار ، يبدأ فيه الجزاء ، ثم ينتقل منه إلى دار الخلود ، إما في الجنة أو النار .

الرابعة : الدار الآخرة ، وفيها الإقامة المطلقة ، والنعيم المطلق للمؤمنين ، والعذاب الأليم للكافرين .

والحكمة من خلق هذه الدار تكميل الشهوات ، والملذات للمؤمنين ، جزاء أعمالهم الصالحة ، وعقوبة الكفار والظلمة بأشد أنواع العذاب على حسب أعمالهم السيئة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

وقد بين الله ﷻ قيمة الدنيا بالنسبة للآخرة ، وقيمة الآخرة بالنسبة للدنيا في كثير من آيات القرآن ، والسنة النبوية ، ليزهد الإنسان في الدنيا ، ويرغب في الأخرة فقال سبحانه : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢٠-٢١].

فالدنيا بالنسبة للآخرة كالذرة بالنسبة للجبل ، وكالقطرة بالنسبة للبحر ، والدنيا فانية ، والآخرة باقية .

وقد بَيَّن الله ورسوله قيمة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة بيانًا شافيًا في آياتٍ كثيرة من كتاب الله ﷻ ، وفي سنة الرسول ﷺ ، كما يلي :

أولًا : قيمة الدنيا الذاتية :

بَيَّنها الله سبحانه بقوله : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر:٥].

ثانياً : قيمة الدنيا بالمساحة

بَيَّنها النبي ﷺ بقوله : « مَوْضِعُ سَوْطٍ أحدكم فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .أخرجه البخاري[1] .

ثالثاً : قيمة الدنيا بالنقد

بَيَّنها النبي ﷺ كما قال جابر : رضي الله عنه مرَّ رَسُولَ الله ﷺ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّكُمْ يحب أنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ فَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : « أتحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ » . قَالُوا: وَالله ! لَوْ كَانَ حَيّاً كَانَ عَيْبًا فِيهِ ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ : « فَوَالله ! لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ » .أخرجه مسلم[2] .

رابعاً : قيمة الدنيا بالوزن

بَيَّنها النبي ﷺ بقوله : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » . أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح[3] .

خامساً : قيمة الدنيا بالكيل

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٢) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢/ ٢٩٥٧) .

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٢٠).

بَيَّنها النبي ﷺ بقوله : « وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ (وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ) فِي الْيَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ » . أخرجه مسلم[1] .

سادساً : أما قيمة الدنيا الزمنية :

فقد بَيَّنها الله ﷻ بقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[التوبة:٣٨] .

إن جميع ما أوتيه الخلق من الذهب، والفضة، والطير، والحيوان، والأمتعة، والنساء، والبنات، والبنين، والمآكل، والمشارب، والجنات، والقصور، وغير ذلك من ملاذ الدنيا، ومتاعها، كل ذلك متاع الحياة الدنيا، وزينتها، يتمتع به العبد وقتًا قصيرًا ، محشوًا بالمُنغصات ، ممزوجاً بالمُكدرات التي هي من رحمة الله ، حتى لا يلهو الإنسان بها في الدنيا، ويشتغل بها عن طاعة ربه ، فهذا المتاع يتزين به الإنسان زمانًا يسيرًا ، للفخر والرياء ، ثم يزول ذلك سريعًا ، ويعقبه الحسرة ، والندامة : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[القصص:٦٠] .

فما عند الله من النعيم المقيم ، والعيش الهني ، والقصور ، والسرور ، خير وأبقى في صفته ، وكميته ، وهو دائم أبدًا ، فهل يستفيد الإنسان من عقله ؟ ليعلم أي الدارين أحق بالإيثار ؟ ، وأي الدارين أولى بالعمل لها ؟ .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٨٥٨).

فإذا كان العقل سليمًا ، والقلب صافيًا ، آثر الآخرة على الدنيا ، وما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[القصص:٦١] .

فهل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها ، قد عمل على وعد ربه له بالثواب الحسن الذي هو الجنة ، وما فيها من النعيم العظيم ، فهو لاقيه بلا شك ؛ لأنه وعد من كريم صادق الوعد ، لعبد قام بمرضاته ، وجَانَبَ سخطه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

فهل يستوي هذا ، ومَنْ متَّعه الله متاع الحياة الدنيا، فهو يأخذ فيها ، ويعطي، ويأكل، ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم ، فقد اشتغل بدنياه عن آخرته، واشتغل محبوبات نفسه ، عن محبوبات ربه ، لم ينقد لرب العالمين، ولم يهتد بسنن سيد المرسلين، فلم يقدم لنفسه خيراً ، وإنما قدم على ربه بما يضره : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

فليختر العاقل لنفسه ما هو أولى بالاختيار ، وأحق الأمرين بالإيثار : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١ – ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى :﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ ﴾[التوبة:١٠٩] .

وقال الله تعالى :﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ ﴾[الملك:٢٢] .

٥- الخزانة الخامسة

٣- فقه حب الدنيا :

حب الدنيا يقتضي تعظيمها ، وهي حقيرة عند الله ، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقَّر الله ، والدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر كما قال الرسول : ﷺ « الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » . أخرجه مسلم[1] .

ومن أحب الدنيا صيرها غايته ، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله وسائل إليه ، وإلى الدار الآخرة ، فعكس الأمر ، وقلب الحكمة ، فانعكس قلبه ، وانعكس سيره إلى وراء ، وسار في الظلمات ، وترك طريق الهدى ، والنور : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾ [الإسراء:٧٢] .

ومحبة الدنيا تعترض بين العبد ، وبين فعل ما يعود عليه نفعه في الآخرة ؛ لاشتغاله عنه بمحبوبه .

وعلامة حب الدنيا الفرح بمن يُعطيك صلة ، والكره لمن يأخذ منك عطاء .

وعلامة حب الآخرة أن تفرح بمن يأخذ منك عطاءً أكثر ممن يُعطيك صلة ؛ لأن الناس يحبون من يُعمر لهم ما يحبون ، فمن يعطيني يَعمر دنياي ، والذي يأخذ مني يَعمر آخرتي ، فميزان كل امرئ في نفسه، فانظر من تكون.

والناس في حب الدنيا مراتب :

فمنهم من يشغله محبوبه من الدنيا عن الإيمان ، وشرائعه : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ [مريم:٥٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١/ ٢٩٥٦).

ومنهم من يشغله عن الواجبات التي تجب عليه لله ، ولخلقه ، فلا يقوم بها ظاهرًا ، ولا باطنًا .

ومنهم من يشغله حبها عن كثير من الواجبات ، والسنن .

وأقل درجات حب الدنيا ، أنه يُشغل عن سعادة العبد ، وهو تفريغ القلب لحب الله ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لعبادته : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

ومحبة الدنيا تُضر بالآخرة ولا بد، كما أن محبة الآخرة تُضر بالدنيا، ومحبتها تجعلها أكبر هَمٍّ للعبد .

ومُحب الدنيا أشد الناس عذابًا بها، وهو معذب في دوره الثلاث:

يُعذب في الدنيا بتحصيلها، والسعي فيها، ومنازعة أهلها .

ويُعذب في البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه، وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدًا، فيعمل فيه الهم، والغم، والحزن، والحسرة في روحه ما تعمل الديدان، وهوام الأرض في جسمه .

ومعذبٌ في الآخرة بنار جهنم كما قال سبحانه : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد: ٣٤] .

ومن أحب الدنيا ، وآثرها على الآخرة ، فهو من أسفه خلق الله ، وأقلهم عقلًا ، إذ آثر الظل الزائل على النعيم الدائم ، والدار الفانية على الدار الباقية ، وباع حياة الأبد في أرغد عيش ، بحياة إنما هي أحلام ، ونوم ، فالدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وهي دار ظعن ليست بدار إقامة : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

مَنْ صح في هذه الدنيا هرم ، ومن استغنى فيها فُتن ، وطغى ، تُذل من أعزها ، وتُفقر من جمعها ، وهي كالسُم يأكله من لا يعرفه ، وفيه حتفه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٥- ٦] .

وصاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور ، أشخصته إلى مكروه ، السار فيها غذاء ضار ، وقد وُصِلَ الرخاء منها بالبلاء ، وجُعل البقاء فيها إلى فناء ، فسرورها مشوب بالحزن ، وصفوها فيه كدر ، وعيشها فيه نكد ، وليس لها عند الله قدر ولا وزن .

وقد عُرضت الدنيا على النبي ﷺ فأبى أن يقبلها ، وكره أن يحب ما أبغض الله ، أو يرفع ما وضع ربه ، فزوى الله الدنيا عن الأنبياء ، والمرسلين ، والصالحين اختيارًا ، وبسطها لأعدائه اغترارًا : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥] .

فيظن المغرور بها ، القادر عليها ، أنه أُكرم بها ، وشرفه الله بمُلكه لها ، ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه ، وأنه وهو سيد الخلق لم توقد النار في بيته الشهر والشهرين ، فقطع حبالها ، وأغلق أبوابها ، وزهد بسلعتها : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨] .

حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وما سكنت الدنيا في قلب عبد إلا ابتلي بشغل لا ينفك عناؤه ، وأمل لا يدرك منتهاه ، فالدنيا طالبة مطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا ، حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة ، حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه .

والعاقل من رضي بيسير الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بيسير الدين مع سلامة الدنيا .

وشهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة ، وسوف يجد الإنسان عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة ، والدين والقبح ، ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها ، واستحالت إلى رجيع قذر .

ومَثَل اشتغال أهل الدنيا بنعيمها ، وغفلتهم عن نعيم الآخرة ، مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة في البحر ، فأمرهم الملاَّح بالنزول لقضاء الحاجة ، وحذرهم الإبطاء ، وخوَّفهم ذهاب السفينة ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته ، وبادر إلى السفينة ، فأخذ أوسع الأماكن وألينها ، وأحسنها ، وأوفقها لمراده .

ووقف بعضهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارها ، وثمارها العجيبة ، ويعجبه حُسن أحجارها ، وصفاء مياهها ، وأصوات طيورها ، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة ، فأسرع فلم يجد فيها إلا مكانًا ضيقًا يجلس فيه .

وأكب بعضهم على تلك الأحجار الحسنة ، والأزهار الجميلة ، فحمل منها ما حمله ، فلما جاء لم يجد في السفينة موضعًا ، فحمله على عنقه ، وندم على أخذه ، ثم ذبلت الأزهار ، وتغيرت ريحها ، وآذاه نتنها .

وهام بعضهم في تلك الفياض ، ونسي السفينة ، وأبعد في نزهته .

فهو تارة يشم الأزهار، وتارة يأكل من الثمر، وتارة يعجب من تغريد الطيور ، وجريان الأنهار ، وهو مع ذلك خائف من سبع يخرج ، أو شوكة تدخل في قدميه ، أو غصن يجرح بدنه ، أو يخرق ثيابه .

فمن هؤلاء من لحق السفينة ، ولم يلق فيها موضعاً ، فمات على الساحل ، ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع وهو غافل .

ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك .

فهذا مثال أهل الدنيا ، واشتغالهم بحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم موردهم ، وعاقبة أمرهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر:٥- ٦] .

والعبد في هذه الدنيا مهاجر بعمله إلى ربه ، والدنيا فانية زائلة ، وهي كظل شجرة ، والعبد فيها مسافر ، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف استراح تحتها ، ثم راح وتركها ، فلا يحسن به أن يبني تحتها دارًا ، ولا يتخذها قرارًا ، بل يستظل بقدر الحاجة ، ثم يواصل السير إلى ما يريد كما قال النبي ﷺ : « مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » . أخرجه الترمذي وابن ماجه بسندٍ صحيح[1] .

والدنيا وما فيها من النعيم بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها كالقطرة بالنسبة إلى البحر ، وما في الدنيا من الأموال ، والأشياء لا يساوي شيئًا بالنسبة لما في الآخرة من النعيم .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٧٧)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٤١٠٩).

قال النبي ﷺ : « وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ ؟ » . أخرجه مسلم[1] .

ومهما كان في الدنيا من النعيم فبقاؤها محدود ، وبهجتها قليلة ، وهي سريعة الزوال، كما قال سبحانه : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد:٢٠] .

لذا فمن رحمة العزيز الكريم أن أمرنا سبحانه بالمسابقة إلى الآخرة ، والمسارعة إلى الأعمال الصالحة، كما قال سبحانه : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١].

وقال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وكل إنسان في هذه الدنيا في إحدى منزلتين :

فهو إما في منزلة الإيمان ، والتقوى ، والإصلاح ، وعمارة الآخرة بالأعمال الصالحة .

وأما في منزلة الكُفر ، والفساد ، والأكل ، والشره ، وعمارة الدنيا الفانية ، والغفلة عن الآخرة : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الروم:٦- ٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٨٥٨).

فالإنسان إن لم تجده يعمل في هذه ، فستجده يعمل في الأخرى ، وبين الرجلين في العمل كما بين الكوكب الغارب في الأفق ، والطالع منه ، وبين ذلك منازل متفاوتة : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:١٨- ٢٠] .

والدنيا كالبحر الذي لا بد للخلق كلهم من ركوبه ، ليقطعوه إلى الساحل الذي فيه دورهم ، وأوطانهم ، ولا يمكن قطعه إلا في سفينة النجاة، وسفينة النجاة هي طاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

وقد أرسل الله ﷻ الرسل ، لتعرف الأمم باتخاذ سفن النجاة، وتأمرهم بعملها وركوبها، فنهض الموفقون ، وركبوا السفينة ، فوصلوا إلى محبوبهم، ومرادهم، ونجوا من عدوهم .

وأما الحمقى من الناس فاستصعبوا عمل السفينة وركوبها، وقالوا نخوض البحر ، فإذا عجزنا قطعناه سباحة ، وهم أكثر أهل الدنيا الذين خاضوا البحر ، فلما عجزوا أخذوا في السباحة ، حتى أدركهم الغرق ، وصار حظهم شقاء الأبد .

فهؤلاء الذين يعرضون على النار ويوبخون هناك كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٠] .

فمن اطمأن إلى الدنيا ، واغتر بلذاتها ، ورضي بشهواتها ، وألهته طيباتها عن السعي للآخرة ، وتمتَّع بها تمتُّع الأنعام السارحة ، فهي حظه من الآخرة ، وسينال على ذلك أشد العقوبة ، لتكبره عن الحق ، وقول الباطل ، والعمل بالباطل ، والكذب على الله ، والإعراض عن دين الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[يونس:٧-١٠] .

والدنيا متاع الغرور ، كم قتلت ؟ ، وكم خدعت ؟ ، وكم أهلكت من البشر ؟ .

مثل الدنيا كمثل حب قد نثر على وجه الأرض ، وجُعلت كل حبة في فخ ، وجُعل حول ذلك الحب حب منثور ، فجاءت إليه الطيور :

فمنها من قنع بالجوانب ، ولم يرم نفسه في وسط الحب ، فأخذ حاجته ، ومضى وسلم ، ومنهم من حمله الشره على اقتحام معظم الحب ، ووسط الحب فوقع في الفخ .

وقد انهمك كثير من الناس في الدنيا ، وصاروا يقصدونها ، ويتهافتون فيها تهافت الفراش في النار ، لما يُرى من صورتها ، وزينتها ، وزخرفتها .

قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٢٦)، ومسلم برقم: (١٧/ ٢٢٨٤)، واللفظ له .

وكل واحد في هذه الدنيا ضيف ، وماله عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مؤداة ، والجزاء من جنس العمل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:٦-٨] .

والدنيا كمثل رجل هيأ دارًا وزينها ، ووضع فيها من جميع الآلات ، ودعا الناس إليها ، فكلما دخل ضيف أجلسه على فراش وثير ، ووضع بين يديه أواني فاخرة ، فيها من كل ما يحتاج إليه من الطعام والشراب ، وأخدمه عبيده ، ومماليكه .

فعرف العاقل أن ذلك كله متاع صاحب الدار وملكه وعبيده ، فاستمتع بتلك الآلات ، والضيافة مدة مقامه في هذه الدار ، ولم يُعلِق قلبه بها ، ولم يحدث نفسه بتملكها ، بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده الضيف .

يجلس حيث أجلسه ، ويأكل ما قُدم له ، ولا يسأل عما وراء ذلك ؛ اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه ، وما يفعله مع ضيوفه ، فدخل كريمًا ، وتمتع كريمًا ، وفارقها كريمًا ، ورب الدار غير ذام له .

وأما الأحمق فحدث نفسه بسكنى الدار ، وحوز تلك الآلات إلى ملكه ، وتصرف فيها بحسب شهوته وإرادته ، فتخير المجلس لنفسه ، وجعل يبدل ، وينقل الآلات من مكان إلى مكان ، ويغير ما شاء ، وكلما قدَّم إليه صاحب الدار شيئًا حدث نفسه بملكه ، واختصاصه به دون غيره ، ورب الدار يشاهد ما يصنع ، وكرمه يمنعه من إخراجه من داره ، حتى إذا ظن أنه قد استبد بتلك الآلات ، ومَلَك الدار ، وتصرف فيها تصرف المالك الحقيقي ، واستوطنها واتخذها دارًا له ، أرسل إليه مالكها عبيده ، فأخرجوه

منها إخراجًا عنيفًا ، وسلبوه كل ما هو فيه ، ولم يصحبه من تلك الآلات شيء .

وحصل على مقت رب الدار ، وافتضاحه عنده، وبين مماليكه، وحشمه، وخدمه، فيا لها من عبرة لمن كان له عقل يعقل به، أو سمع يسمع به : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

ومثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا ، فلا يزال يشرب حتى يقتله الماء المالح .

والدنيا كالظل للإنسان ، لا يمكن أن يدركه ولو مشى الدهر كله .

والله ﷻ خلق الدنيا ، ليبتلي بها العباد ، ولينظر من يركن إليها فتقتله ، ومن يطيع الله ، ويتبع هداه فيها ، فيسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

٦- الخزانة السادسة

٣- فقه حب الدنيا :

الله ﷻ خلق الدنيا ليبتلي بها العباد ، ولتكون مظهرًا لأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ودليلًا على كمال قدرته ، وعظمته ، ولينظر من يركن إليها فتقتله ، ومن يطيع الله فيها ويتبع هداه فيسعد في الدنيا والآخرة .

ومَثَل ذلك كمثل ملك بني دارًا ، لم ير الناس ولم يسمعوا بمثلها ، فلا أحسن ، ولا أوسع ، ولا أجمع لكل ملاذ النفوس منها ، ونصب إليها طريقًا ، وبعث داعيًا يدعو الناس إليها ، وأقعد على الطريق امرأة جميلة قد زُينت بأنواع الزينة ، وأُلبست أنواع الحلل والحلي ، تشويقًا للناس إليها ، وجُعل لها أعوانًا وخدمًا ، وجُعل تحت يدها ويد أعوانها زادًا للمارين السائرين إلى الملك في ذلك الطريق ، وقال لها ولأعوانها : من غض طرفه عنك ، ولم يشتغل بك عني ، وابتغى منك زادًا يوصله إليّ فاخدميه ، وزوديه ، ولا تعوقيه عن سفره إليّ .

ومن مد إليك عينه ، ورضي بك ، وآثرك عليّ ، فسوميه سوء العذاب ، وأوليه غاية الهوان ، واستخدميه ، واجعليه يركض خلفك ركض الوحش ، ومن يأكل منك فاخدعيه به قليلًا ثم استرديه منه ، واسلبيه إياه كله ، وسلطي عليه أتباعك وخدمك ، وكلما بالغ في محبتك ، وتعظيمك ، وإكرامك ، فقابليه بضد ذلك ، حتى تتقطع نفسه عليك حسرات : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

وإنما الدنيا كحوض كبير مُليء ماء ، وجُعل موردًا للأنام ، والأنعام ، فجعل الحوض ينقص من كثرة الوارد ، حتى لم يبق منه إلا كدر في أسفله ، قد بالت فيه الدواب ، وخاضته الناس ، والأنعام .

فما أسرع زوال الدنيا ، ألا وإن الدنيا قد آذنَت بِصَرم ، وَوَلّت حَذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء .

وإذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يحمي الإنسان مريضه من الطعام والشراب ، ومن أهان الدنيا ، كرمت عليه الآخرة ، ومن أكرم الدنيا وأهلها هانت عليه الآخرة وأعمالها ، وحب الدنيا أصل كل خطيئة ، والنساء حبائل الشيطان ، والخمر جماع كل شر .

والمال فيه داء كثير ، إن سلم صاحبه من الفخر والخيلاء والطغيان ، لم يسلم من أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله ﷻ ، وأداء حقوقه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا ، فجميع الأمم المُكذبة للرسل ، والأنبياء ، إنما حملهم على كفرهم ، وتسبب في هلاكهم ، حب الدنيا : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٣٤ - ٤١] .

ورسل الله ﷻ لما دعوا الكفار إلى الإيمان ، ونهوهم عن الشرك ، والمعاصي التي كانوا يكسبون بها الدنيا ، حملهم حبها على مخالفتهم ، وتكذيبهم : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ

ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

وحب الدنيا يوقع العبد في الشُبهات ، ثم في المكروهات ثم في المحرمات ، وطالما أوقع في الكفر ، والهلاك .

قال النبي ﷺ : « أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللهِ ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ » . متفق عليه[1] .

وخطيئة آدم ﷺ كان سببها حب الخلود في الدنيا ، وذنب إبليس سببه الكبر ، وحب الرئاسة التي محبتها شر من محبة الدنيا وشهواتها ، وبسببها كفر فرعون وهامان وجنودهما، وكفر أبو جهل وقومه ، واليهود ، وغيرهم .

والزهد في الدنيا ، والرئاسة فيها ، هو الذي عمر الجنة بأهلها ، وحب الدنيا ، والرئاسة هو الذي عمر النار بأهلها ، فالدنيا خمر الشيطان ، والسكر بحب الدنيا أعظم من السُكر بشرب الخمر بكثير ، وصاحب هذا السكر لا يفيق منه إلا في ظلمة اللحد .

وأقل ما في حب الدنيا أنه يُلهي عن ذكر الله وطاعته ، ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾[الزمر:١٥] .

وإذا لهى القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان ، فأزعجه إلى كل معصية ، وصرفه حيث أراد : ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم:٨٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٥٨)ورقم: (٤٠١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩٦١).

والزُهد في الدنيا ليس بتحريم الحلال ، ولا إضاعته ، ولكن الزُهد فراغ القلب من حب الدنيا لا فراغ اليدين منها فإن الله جعل الدنيا سببًا لتكميل زاد الآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

والرغبة في الدنيا أصل المعاصي الظاهرة ، والمعاصي الباطنة ، فهي أصل معاصي القلب من الحسد والكبر ، والفخر ، والخيلاء ، والتسخط ، والتكاثر ، فهذا كله من امتلاء القلب بحبها ، لا من كونها في اليد .

وامتلاء القلب بها ينافي الشكر لله ، ورأس الشكر تفريغ القلب لله منها ومن غيرها : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

والسعادة كلها في طاعة الله ﷻ ، وعبادته وحده لا شريك له ، والأرباح كلها في معاملته ، والمحن ، والبلايا ، كلها في معصيته ومخالفته ، فليس للعبد أنفع من شكره ، والتوبة إليه : ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٣- ١٤] .

فله الحمد على ما أعطى وما منع ، وله الحمد على كل حال : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية:٣٦- ٣٧] .

فسبحان ربنا الغفور الشكور الذي يُطاع فيشكر ، وطاعته من توفيقه ، وفضله ، ويُعصى فيحلم ، ويغفر ، ومعصية العبد من ظلمه وجهله ، يتوب إليه فاعل القبيح فيغفر له ، حتى كأنه لم يكن قط من أهله : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزمر:٥٣] .

والدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان ، وفيها حظ له ، وهي الأرض وما عليها ، فإن الأرض مسكن الآدمي ، وما عليها مطعم له ، ومشرب ، وملبس ، ومنكح ، ومركب ، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله تبارك وتعالى ، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح : ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾[البقرة:٢٩] .

وقد وضع الله في الطباع تَوَقان النفس إلى ما يُصلحها ، ويسعدها من مأكولٍ ، ومشروبٍ ، وملبوسٍ ، وغير ذلك من الشهوات التي هي من حاجة النفس البشرية ، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به شرعًا يُمدح ، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنفه الشره وقع في الذم ، فليس للشره في تناول الدنيا وجه ؛ لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى ، ويُشغل العبد عن طلب الأخرى ، فيفوت المقصود : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾[مريم:٥٩] .

ولا وجه كذلك للتقصير في تناول الحاجة ؛ لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها ، فالطريق السليم هي الوسطى ، وهي أن يؤخذ من الدنيا ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك ، وإن كان مشتهى ، فإن إعطاء النفس ما تشتهي عون لها ، وقضاء لحقها ، فهذا مما يُنشطها للخير ، فلا يمنعها منه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾[البقرة:١٧٢] .

وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة ، فذلك حظ مذموم ، والزُهد فيه يكون ، ومن ركن إلى الدنيا ، أحرقته بنارها ، فصار رمادًا تذروه الرياح .

والعاقل يرى أن نقصان بدنه، ودنياه، ولذته ، وجاهه، ورئاسته، إن زاد في حصول ذلك، وتوفيره عليه في معاده، كان رحمة به، وخيرًا له، وإلا كان حرمانًا وعقوبة على ذنوب ظاهرة، أو باطنة، أو ترك واجب ظاهر، أو باطن، فحرمان خير الدنيا والآخرة، مُرتب على هذه الأربعة : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧].

وإذا أصبح العبد ، وأمسى ، وليس همه إلا الله وحده لا شريك له ، تحَمّل الله سبحانه حوائجه كلها ، وحمل عنه كل ما أهمه ، وفرّغ قلبه لمحبته ، واستعمل لسانه بذكره ، واستخدم جوارحه لطاعته ، وعمر أوقاته بامتثال أوامره : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١] .

وإذ أصبح العبد وأمسى ، والدنيا همه ، حمّله الله همومها ، وغمومها ، ووكله إلى نفسه ، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ، ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم ، وقضاء أشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الملك: ٢٢] .

والحياة الدنيا لعب ولهو حين تُعاش لذاتها ، مقطوعة عن منهج الله فيها .

والذي يجعلها مزرعة للآخرة ، فالإيمان ، والتقوى ، في الحياة الدنيا ، هو الذي يُخرجها عن أن تكون لعبًا ولهوًا ، ويطبعها بطابع الجد ، ويرفعها عن مستوى المتاع الحيواني الرخيص ، إلى مستوى الخلافة الراشدة المتصلة

بالملأ الأعلى كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾[محمد:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢ – ٤] .

والذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ، ليس راجعًا إلى زمانها الذي هو الليل والنهار ، المتعاقبان إلى يوم القيامة ، فإن الله جعلهما خِلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الفرقان:٦٢] .

وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا ، الذي هو الأرض بجبالها ، وسهولها وبحارها ، وبرها ، وجوها ، فليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا التي جعلها الله لبني آدم مهادًا ، وسكنًا ، ومعاشًا ، وفراشًا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك:١٥] .

وليس الذم راجعًا إلى ما أودع الله فيها من الجبال ، والبحار ، والزروع ، والأشجار ، والمعادن ، والبهائم ، فهذه كلها خلقها الله لمنافع العباد : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة:٢٩] .

وليس الذم راجعاً إلى ما في الدنيا من تغير الأحوال من حرٍ ، وبردٍ ، وصيفٍ ، وشتاءٍ ، وليلٍ ، ونهارٍ ، ونورٍ ، وظلامٍ ، إنما ذلك جعله الله ﷻ لمصالح العباد ، وعبرة يتذكر بها الإنسان ربه الذي يقلب الليل ، والنهار : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾[النور:٤٤] .

فذلك كله نعمة من نعم الله على عباده ، ينتفعون به ، ويعتبرون به ، ويستدلون به على وحدانية الله ، وقدرته : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾[ق:٦-١٠] .

وإنما المذموم من الدنيا هو حركة الإنسان المخالفة لمنهج الله عز وجل في الحياة : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣ – ١٢٦] .

ليس الذم الوارد في القرآن والسنة للدنيا راجع إلى زمانها ، ولا إلى مكانها ، ولا إلى ما وضع الله فيها من الجبال والبحار ، والزروع والأشجار ، والمعادن وغيرها ، وليس كذلك راجع إلى ما في الدنيا من تغير الأحوال من حر وبرد ، وليل ونهار ، فذلك كله من نعم الله على عباده ، ينتفعون به ، ويعتبرون به ، وإنما الذم راجعٌ إلى أفعال بني آدم الواقعة على غير منهج الله ورسوله من كفرٍ وشرك ، وبدعٍ وضلال ، وسوء أخلاق ، وسرقةٍ وظلم ، وقتلٍ وفساد ونحو ذلك مما لا يحبه الله ولا رسوله : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

فالدنيا لها حالتان :

تارَّة تكون فتنة تُلهي صاحبها عن الله والدار الآخرة ؛ فهي مذمومة من هذا الوجه ، وتارَّة تكون زادًا للآخرة وعونًا للإنسان ، للاستقامة على الدين ، فهي بهذا نعمة محمودة ، ونعم المال الصالح للرجل الصالح .

والإنسان محتاجٌ إلى الدنيا ، فهي مطية الآخرة ، ومحتاجٌ إلى الدين ، لتكون حياته طيبة .

وكما يحتاج الإنسان إلى ركوب سفينة حينما يدخل البحر ، فيركب مدَّة يسيرة ؛ لينجو من الأمواج ، حتى يصل إلى الساحل ، وهكذا المسلم يحتاج إلى الدين ما دام حيًا ، فيؤمن بالله ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، مدَّة يسيرة ؛ لينجو من الغرق في بحر الكفر ، والشهوات والشبهات ، والكبائر والمحرمات ، والمكروهات والضلالات ، ويستمر على ذلك ، حتى يصل إلى الآخرة بسلام ، فبقاء الإنسان في الحياة الدنيا بسيط كأنه راكبٌ سفينة من الساحل إلى الساحل الآخر .

والله حكيمٌ عليم خلق الدنيا ، وزينها ، وأسكننا فيها ، وحذرنا منها ، وخلق الآخرة ، وزينها بكل شيء ، ودعانا إليها ، ورغبنا فيها كما قال سبحانه : ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء:٧٧] .

فالدنيا وقتها قصير ، وأمرها حقير ، وكبيرها صغير ، وغاية أمرها يعود إلى الرياسة والمال ، وغاية ذي الرياسة أن يكون كفرعون الذي أغرقه الله في

اليم انتقامًا منه ومن جنوده : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف:٥٥] .

وغاية ذى المال أن يكون كقارون الذى خسف الله به وبداره الأرض ، لما آذى نبي الله موسى ﷺ ، وجحد فضل مَنْ رزقه وهو الله ﷻ : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[القصص:٨١] .

ولو أن الدنيا وما فيها ألقيت في مُلْك واحد من أهل الجنة لا تساوي حلقة ترمى في ميدان كبير ، ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ومن الحمق أن يملك الإنسان التطلع إلى الدنيا والآخرة معًا ، وإلى ثواب الدنيا وثواب الآخرة معًا ، ثم يكتفى بطلب الدنيا ، ويضع فيها همه ، ويعيش كالحيوانات والدواب والشياطين : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾[النساء:١١٧- ١٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٩] .

فهذا الإنسان بينما هو يملك أن يعيش كإنسان ، فالإنسان يملك أن يعيش كإنسان ؛ قدم يدب على الأرض ، وروح ترفّ في السماء ، وكيان يتحرك وفق أمر الله في هذه الأرض : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾[النساء:١٣٤] .

وقد نهى الله ﷻ نبيه ﷺ أن يمد عينيه إلى ما متع به أهل الدنيا فيها ؛ فتنة لهم واختبارًا ، وأخبره أن رزقه الذي أُعد له في الآخرة خير وأبقى من هذا الذي مُتعوا به فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾[طه : ١٣١] .

وأخبر سبحانه أنه آتى رسوله ﷺ السبع المثانى والقرآن العظيم ، وذلك خير وأفضل مما متع به أهل الدنيا في دنياهم كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[الحجر:٨٧ – ٨٨] .

وبناء الدنيا بالأموال والأشياء ، وبناء الآخرة بالإيمان والأعمال الصالحة ونعمة الدنيا التي تعين على طاعة الله ، ويعف بها الإنسان نفسه عن غيره ، ويواسي بها إخوانه المحتاجين، هي للمؤمن أصلاً : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف: ٣٢] .

٧- الخزانة السابعة

٣- فقه حب الدنيا

الله ﷻ خلق الدنيا والآخرة ، وبين منزلة الدنيا ووظيفتها ، وبين منزلة الآخرة ووظيفتها: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال ﷻ : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

وقال ﷻ : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦] .

فالدنيا حياة مؤقتة ، يجب تعميرها بالإيمان والتقوى ، والأعمال الصالحة ، والآخرة حياةٌ مؤبدة ، ينتظرها المؤمن ، وينعم فيها بالجنة ورضوان ربه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، ومفسد للدين من وجوه :

أحدها : أن الله لعنها وأبغضها ومقتها إلا ما كان له فيها ، ومن أحب ما لعنه الله ومقته وأبغضه ، فقد تعرض لغضبه ومقته ولعنته .

الثاني : أن حب الدنيا يقتضي تعظيمها ، وهي حقيرة عند الله ، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقّر الله .

الثالث : أن العبد إذا أحب الدنيا صيرها غايته ، وتوسل إليها بالأعمال والطاقات التى جعلها الله وسائل إليه وإلى الدار الآخرة ، فهذا عَكَس الأمر ، وقَلَب الحكمة ، وتردى في السفول ، وهذا الذي قال الله عنه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[هود:١٥-١٦] .

والدنيا فى الحقيقة لا تذم لذاتها ، وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبد فيها ، وهي قنطرة أو معبر إلى الجنة أو النار : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

ولكن لما غلبت عليها الشهوات والحظوظ والغفلة ، والإعراض عن الله والدار الآخرة ، فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها ، وهو الغالب على اسمها ، صار لها اسم الذم عند الإطلاق .

وإلا فالدنيا مبنى الآخرة ومزرعتها ، ومنها زاد الجنة ، وفيها اكتسبت النفوس الإيمان ، ومعرفة الله ، ومحبة الله ، وذكره ، وابتغاء مرضاته ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وخير عيش يناله أهل الجنة ، في الجنة إنما كان بما زرعوا فيها ، وفيها مساجد الله وبيوته ، وهي مهبط وحيه ، وبيوت عبادته ، ومصلى ملائكته ، ومتجر أوليائه ، وفيها اكتسبوا رحمة الله ، وربحوا فيها العافية ، وفيها قرة العيون ، وسرور القلوب ، وبهجة النفوس ، ولذة الأرواح بذكر الله ، ومعرفته ، وعبادته ومحبته ، والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والأنس به ، ولذة مناجاته ، والإقبال عليه ، وفيها كلام الله ووحيه وهداه : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[النور:٣٦-٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾
[البقرة: ٢١ – ٢٢] .

فالإيمان بالله ، والطاعة لله ورسوله ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، أفضل ما في هذه الدار ، ودخول الجنة ، والنظر إلى وجه الله جل جلاله ، وسماع كلامه ، والقرب منه ، والفوز برضاه ، أفضل ما في الآخر : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥ ﴾[القمر:٥٤- ٥٥] .

ففي الدنيا أفضل الأسباب ، وفي الآخرة أفضل الغايات ، فهذا أفضل ما في هذه الدار ، وهذا أفضل ما في الدار الآخر .

وقد بين الله ﷻ أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وأن الباقيات الصالحات، وهى الأقوال والأعمال الصالحة التى يبقى ثوابها ، ويدوم جزاؤها ، خير ما يؤمله العبد ، ويرجو ثوابه ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ ﴾[الكهف:٤٦] .

وحذر الله ﷻ عباده أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكره ، وأخبر أن من فعل ذلك فهو الخاسر حقيقة ، لا من قَلَّ ماله وولده في الدنيا كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾[المنافقون:٩] .

فالأموال والأولاد وإن كانت نعمة من الله ، فهي فتنة كذلك ، لا تقرب الخلق إلى الله ، وإنما يقربهم إليه الإيمان والتقوى ، وطاعة الله ﷻ كما قال

سبحانه : ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] .

ولما كانت تلك أحوال الدنيا الفانية ، وتلك أحوال الدار الآخرة الباقية ، فقد حذر الله عباده من آفات هذه الدار الدنيا بقوله : ﴿ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [الضحى:٤] .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، واجعل الجنة هي دارنا وقرارنا ، يارب العالمين .

- **فقه الدنيا :**

الدنيا هي حياتنا هذه التي نعيش فيها ، وهي قبل الآخرة .

والحياة في هذه الدنيا تنقسم إلى أربعة أقسام :

حياةٌ حيوانية .. وحياةٌ سبعية .. وحياةٌ إبليسيه .. وحياةٌ ملكية .

الحياة الأولى : الحياة البهيمية ، فالكفار يعيشون عيشة الحيوانات والبهائم فقط : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان:٤٤] .

وقال الله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

والحياة الثانية : الحياة السبعية ، فيكون الإنسان فاسدًا ومفسدًا كالسباع التي تفترس من دونها كحال الطغاة والظلمة من البشر : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[القصص:٤] .

والحياة الثالثة : حياةٌ إبليسيه ، فالمؤمن من جنود الرحمن ، والكافر من جنود الشيطان : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

فالله يأمر بكل خير ، والشيطان يأمر بكل شر :﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾

[النساء: ١١٧ – ١٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٧] .

والحياة الرابعة : هي الحياة الأعلى ، وهي الحياة الملكية ، بأن يكون الإنسان كالملائكة في تعبدهم كما قال الله عنهم : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

وقال الله تعالى عنهم : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:٢٠].

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

والدنيا سُميت دنيا ؛ لأنها أدنى من الآخرة لأنها قبلها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[الضحى:٤] .

وأنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة ، فموضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[النساء:٧٧] .

وقال النبي ﷺ : « لمَوْضِعُ سَوْطٍ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيها » . متفق عليه[1].

والله ﷻ جمل الدنيا بما على هذه الأرض من الزينات امتحانًا وابتلاءً : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾[الكهف:٧-٨] .

ومن رأى من الدنيا ما يعجبه ، وخاف أن تتعلق نفسه بذلك فليقل : « لبيك إن العيش عيش الآخرة » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٠) ، ومسلم برقم (١٨٨١).

فالنفس مجبولةٌ على محبة الشهوات التي تُشغل عن عبادة الله فلينهض العبد بنفسه عن شهوات الدنيا الزائلة إلى شهوات الآخرة الباقية ويصرفها لطلب نعيم الآخرة بذلك الدعاء : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) ﴾[آل عمران:١٤-١٧] .

والتجارة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : تجارة الدنيا ، وهذه التجارة قد تُنجي من العذاب الأليم ، وقد تكون سببًا للعذاب الأليم ، فمن كسبه مغصوب أو ربا ، أو لا يُزكي أمواله ، يكون ماله عذابًا عليه يوم القيامة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) ﴾[التوبة:٣٤- ٣٥] .

وقد تُنجي هذه التجارة من العذاب الأليم كما قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) ﴾[البقرة:٢٧٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٠٩٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٠٤).

القسم الثاني : تجارة الآخرة ، وتكون هذه التجارة بالإيمان والعمل الصالح ، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ؛ لإبلاغ دين الله .

وهذه التجارة رابحة قطعًا ، وثواب هذه التجارة النجاة من العذاب الأليم ، ودخول الجنة ، ومغفرة الذنوب ، وبهذه التجارة ينال الإنسان كل ما يريد من الخير ، وينجو مما يخاف من الشر ، ويسعد في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[الصف:١٠-١٤] .

فالدنيا دار الإيمان والعمل ، فمن عمل صالحًا أثابه الله الجنة ، ومن عمل ضد ذلك أدخله الله النار : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد: ١٢] .

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

فالدنيا دار العمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب ، والآخرة لا تصلح للمفاليس ، ولا تصلح للفقراء لأنه ليس فيها إرفاقٌ ، ولا عارية ، ولا صدقة ، ولا خلة ، ليس فيها للإنسان إلا ما قدم من عملٍ صالحٍ أو فاسد في

الدنيا : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم : ٣٩ – ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

والله ﷻ قد عد بعض الأعمال التي ظاهرها الجد ، ومن ورائها آثارٌ مفيدة ، من قبيل اللعب واللهو ، إذا خلت من الدين ، وأشغلت عن الله والدار الآخرة ، كما وصف الله الدنيا باللعب واللهو كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

وقال ﷻ : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام:٧٠] .

والسعي الجاد في تحصيل الدنيا وملاذها وشهواتها ، إنما هو من الكفار لعبٌ ولهوٌ لا يستفيد منه الكافر في آخرته : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ

لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٨] .

أما المسلم فسعيه في الدنيا وكسبه ، وسيلةٌ يستعين بها على عبادة الله وطاعته ، وإقامة حكمه في الأرض ظاهرًا وباطنًا ؛ بل لو اشتغل بنافلة أو تلاوة قرآن أو ذكرٍ ، حتى خرج وقت الصلاة المفروضة ، فهذا مذموم ، فكيف لو اشتغل بمحرمٍ أو مكروه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣- ٧٤] .

وقال الله تعالى :﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى :﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

٨- الخزانة الثامنة

٣- فقه حب الدنيا

الله سبحانه هو الحكيم العليم ، خلق الدنيا والآخرة ، وبين الحكمة من خلقهما ، وماذا يجب على العبد فيهما .

فحقيقة الدنيا زمنًا أنها قبل الآخرة : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى:٤] .

وحقيقة الدنيا وصفًا أنها ناقصة منتهاها الفناء والذبول ، فيوم سرور ، يعقبه يوم حزن فلابد فيها من الكدر والتعب .

والدنيا على اسمها دنيا في كل شيء ، والإنسان يؤثر الحياة الدنيا ، لأنها عاجلة ، والإنسان خلق من عجل ، ويحب ما فيه العجلة ؛ لأنها خلق من عجل ، ولكن الآخرة خيرٌ من الأولى في كل شيء .

قال الله تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٦-١٧] .

وقال الله ﷻ : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى:٤] .

وقال ﷻ : ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقد عُرضت الدنيا على النبي ﷺ فدفعها بحذافيرها كما قال النبي ﷺ : « مَالِي وَلِلدُّنْيَا ، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرْكَهَا » . أخرجه الترمذي [١] .

وقال النبي ﷺ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» . أخرجه البخاري [٢].

ثم عُرضت الدنيا على أصحابه ﷺ من بعده .

فمنهم من سلك سبيله ، ودفعها عنه وهم قليل : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠] .

ومنهم من استعرضها وقال : ما فيك ؟ فقالت : فيَّ الحلال والمشتبه ، والمكروه والمحرم ؛ فقالوا لها : هاتي حلالك ، ولا حاجة لنا فيما عداه .

ثم تعرضت الدنيا لمن بعدهم ، فطلبوا حلالها فلم يجدوه ، فطلبوا مكروهها ومشتبهها فقالت : قد أخذه من قبلكم ، فقالوا : هاتي حرامك فأخذوه ، نسأل الله السلامة والعافية ، فطلبه من بعدهم فقالت : هو فيه فتحملوا على تحصيله منهم بالرغبة والرهبة ، فلا يمد فاجر يده إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى منه قد سبقه إليه ، والكل مسئولٌ عما أخذت يداه فما أشد الحساب عليه : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ:٤٠] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٧٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٣).

وقال الله تعالى :﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

- **حقارة الدنيا :**

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك الدنيا والآخرة ، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي ، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة ، وله ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات والأرض ، وله غيب السماوات والأرض ، وله خزائن السماوات والأرض ، وله جنود السماوات والأرض ، وله ميراث السماوات والأرض : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

هو سبحانه الحكيم العليم الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، يعطي الدنيا لهوانها وحقارتها من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الآخرة إلا لمن يحب ، فما يناله المسلمون والمهتدون يوم القيامة خيرٌ مما يجمعه الناس في الدنيا من الحُطام : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقد بين الله ﷻ حقارة الدنيا ، وعظم شأن الآخرة ، ولشدة حقارة الدنيا جعلها الله مشتركةً بين المؤمنين والكافرين ، ولعظمة شأن الآخرة جعل الله ما فيها من النعيم خاصٌ بالمؤمنين دون الكافرين : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأعراف: ٣٢] .

والحكمة في اشتراك المؤمن مع الكافر ، في نعيم الدنيا ، كراهة أن يكون الناس أمة واحدة متفقة على الكفر ، فلولا ذلك لأعطى الله زخارف الدنيا كلها للكفار ، ولكن لشدة ميل القلوب إلى زهرة الدنيا ، وحبها لها ، جعلها الله برحمته مشتركة بين المؤمنين والكافرين غنيًا وفقيرًا ، ولو أُعطي ذلك النعيم للكفار وحدهم ، لحملت الرغبة في الدنيا جميع الناس على أن يكونوا كفارا ، والله لا يريد ذلك كما قال سبحانه :﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف:٣٣-٣٧] .

وما أعطاه الله الكفار من المال ، ونعيم الدنيا ، فليس ذلك لكرامتهم عليه ، فإن الله جعل هذه النعم لأوليائه المؤمنين ؛ ليستعينوا بها على طاعته كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وإنما أعطى الله الكفار النعم ، لاستدراجهم عقوبة لهم على كفرهم : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤ ﴾[لقمان:٢٢-٢٤] .

وقال الله تعالى :﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ ﴾[البقرة:١٢٦] .

وقال الله تعالى :﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨ ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٨] .

فالدنيا وسيلةٌ لا غاية ، إن مشيت عليها حملتك ، وإن وضعتها فوق رأسك قتلتك : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾[الأعلى: ١ – ١٩] .

٤ - فقه الحياة العالية

أحسن حياة ، وأجمل حياة ، وأطهر حياة ، وأفضل حياة هي حياة الأنبياء والرسل والمؤمنين : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧] .

وقال ﷻ عن الأنبياء والرسل : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء:٦٩- ٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنعام:٩٠] .

والوحي حياة الروح ، كما أن الروح حياة البدن كما قال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى:٥٢] .

وسمي الوحي روحًا ، لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح بالإيمان والعلم والهدى ، وهي روح معرفة الله سبحانه ، وتوحيده ، ومحبته ، وعبادته وحده لا شريك له .

ومن فقد هذه الروح فَقَدْ فَقَدَ الحياة النافعة في الدنيا والآخرة .

أما فى الدنيا فحياته حياة البهائم ، وله المعيشة الضنك ، وأما في الآخرة فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيا : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤] .

ولكل عبد روحان :

روح يحيي بها الله قلب من شاء من عباده بالإيمان .

وروح يحيا بها البدن .

وقد جعل الله الحياة الطيبة لأهل معرفته ومحبته والإيمان به وعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

فالحياة الطيبة حياة القلب ، ونعيمه ، وبهجته ، وسروره ، بالإيمان بالله ، ومعرفته ومحبته ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

فلا حياة أطيب من حياة صاحبها ، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة ، تبعته حياة الجوارح ، فإنه ملكها ، وهي منقادة له : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال النبى ﷺ : « أَلا وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفقٌ عليه[1] .

والحياة الطيبة تكون في الدور الثلاث :

في دار الدنيا .. ودار البرزخ في القبور .. ودار القرار في الجنة .

والمعيشة الضنك تكون كذلك في الدور الثلاث :

في دار الدنيا .. ودار البرزخ .. ودار القرار في النار .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾[الانفطار: ١٣ - ١٤] .

فكل من جمع بين الإيمان والعمل الصالح أحياه الله حياة طيبة في الدنيا بطمأنينة قلبه ، وسكون نفسه ، ورَزَقه رزقًا طيباً من حيث لا يحتسب .

وجزاه فى الآخرة بالجنة ، وما فيها مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨-٢٩] .

وقال ﷻ عن أهل الجنة : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩)،واللفظ له .

مراتب الحياة

الحياة ضد الموت ، ومراتب الحياة عشر :

المرتبة الأولى : حياة الأرض بالنبات، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النحل:٦٥]

المرتبة الثانية : حياة النمو والاغتذاء ، وهذه الحياة مشتركة بين النبات والحيوان والإنسان الذي يعيش بالغذاء كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

المرتبة الثالثة : حياة الحيوان المغتذي بقدر زائد على نموه واغتذائه ، وهي إحساسه وحركته ، وهذه الحياة فوق حياة النبات ، وهي متفاوتة ، وتقوى وتضعف فى الحيوان الواحد بحسب نوعه ، فالأسد أقوى من النملة .

المرتبة الرابعة : حياة الحيوان الذي لا يتغذي بالطعام والشراب كحياة الملائكة ، وحياة الأرواح بعد مفارقتها لأبدانها ، فإن حياتها أكمل من حياة الحيوان المغتذي ، ولهذا لا يلحقها كلال ، ولا فتور ، ولا نوم ، ولا إعياء كما قال سبحانه عن الملائكة : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٠].

المرتبة الخامسة : حياة العلم من موت الجهل .

فالجهل موت لأصحابه ، والجاهل ميت القلب والروح ، وإن كان حى البدن ، فجسده قبر يمشى به على وجه الأرض .

وإذا كانت الحياة هى الحس والحركة وملزومهما ، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان ، ولم تتحرك له ، كانت ميتة حقيقة .

المرتبة السادسة : حياة الإرادة والهمة .

فضعف الإرادة والطلب من ضعف حياة القلب ، وكلما كان القلب أتم حياة كانت همته أعلى ، وإرادته ومحبته أقوى ، كما قال سبحانه من المؤمنين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[المؤمنون: ٦١] .

وأخس الناس حياة أخسهم همة ، وأضعفهم محبة وطلباً ، وحياة البهائم خير من حياته : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٩] .

وحياة القلب : بدوام الذكر لله ، وفعل الطاعات وترك الذنوب .

فكما جعل الله حياة البدن بالطعام الطيب ، وتجنب الخبيث ، جعل حياة القلب بدوام ذكر الله ، والإنابة إليه ، وامتثال الأوامر ، و اجتناب الذنوب والمعاصي : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢ – ٤] .

والغفلة الجاثمة على القلب ، والتعلق بالرذائل والشهوات ، يضعف هذه الحياة ، ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت .

وعلامة موت القلب ، إذا كان لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكرًا ، ولا يرغب في الطاعات ، ولا يبالي بالمحرمات .

والمؤمن حقًا هو الذي يخاف موت قلبه لا موت بدنه ، فأكثر الخلق يخافون موت أبدانهم ، ولا يبالون بموت قلوبهم ، ولا يعرفون من الحياة إلا الحياة الطبيعية ، وذلك من موت القلب والروح : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

وإذا مات المؤمن موته الطبيعي ، كانت بعده حياة روحه بتلك العلوم النافعة ، والأعمال الصالحة ، والأحوال الفاضلة التي حصلت به بعد موته .

المرتبة السابعة : حياة الأخلاق العالية ، والصفات المحمودة ، التي هي حياة راسخة للموصوف بها كما قال سبحانه عن النبي ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] .

فحياة من قد طُبع على الحياء والعفة ، والجود والسخاء، والمروءة والوفاء ، والبر والصدق ونحوها ، أتم من حياة من يقهر نفسه ، ويغالب طبعه ، حتى يكون كذلك ، وكلما كانت هذه الأخلاق فى صاحبها أكمل ، كانت حياته أقوى وأتم ، وأحسن وأجمل ، وثوابه أعظم وأكبر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

والحياء مشتق من الحياة ، وأكمل الناس حياة أكملهم حياء ، فإن الروح إذا ماتت لم تحس بما يؤلمها من القبائح ، فلا تستحي منها ، وقد قال النبي

ﷺ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » . أخرجه البخاري[1] .

وكذلك سائر الأخلاق الفاضلة تابعة لقوة الحياة ، وضدها من نقصان الحياة ، لذلك كانت حياة الشجاع أكمل من حياة الجبان ، وحياة السخي أكمل من حياة البخيل ، وحياة الذكي الفطن أكمل من حياة البليد الغافل .

ولهذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكمل الناس حياة ، حتى إن قوة حياتهم تمنع الأرض أن تبلي أجسادهم ؛ لكمال أخلاقهم وتقواهم ، فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

المرتبة الثامنة : حياة الفرح والسرور وقرة العين بالله ﷻ :

وحول هذه الحياة يدندن الناس كلهم ، وأكثرهم قد أخطأ طريقها ، وسلك طرقًا لا تفضي إليها ، بل تقطعهم عنها إلا أقل القليل .

وحرمها أكثرهم ، وسبب حرمانهم إياها ضعف العقل والبصيرة .

وهذه المرتبة أعلى مراتب الحياة ، ولكن كيف يصل إليها من عقله سبي في بلاد الشهوات ، وأَمَله موقوف على اجتناء اللذات ، وسيرته جارية على أسوأ العادات ، ودينه مستهلك بالمعاصي والمخالفات .

وهمة المحب وطاعته تتكرر وتتزايد ، حتى تستقر ، وينصبغ بها قلبه ، وإذا تعلقت روحه بحبيبه عمل بما يحب ، فهو يتقرب إلى ربه ، حفظًا لمحبته له ، واستدعاء لمحبة ربه له .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٦٩).

فيتقرب إلى ربه بأنواع التقرب إليه :

فقلبه للمحبة ، والإنابة ، والتوكل ، والخوف ، والرجاء ، والتعظيم .

ولسانه للذكر ، والحمد ، وتلاوة كلام حبيبه ، وجوارحه للطاعات ، فهو لا يفتر عن التقرب من حبيبه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

فَيَشرع المحب أولًا في التقرب بالأعمال الصالحة الظاهرة ، ثم يترقى من ذلك إلى حال أقرب من ذلك ، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكليته بروحه وعقله وبدنه .

ثم يترقى من ذلك إلى حال الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، فيتقرب إليه حينئذ من باطنه بأعمال القلوب من المحبة ، والإنابة ، والتعظيم ، والإجلال ، والخوف ، والخشية ، والتوكل ، والرجاء ، فينبعث حينئذ من باطنه الجود ببذل الروح ، والجود في محبة حبيبه بلا تكلف ، فإذا وجد المحب ذلك ، فقد ظفر بحال التقرب وسره وباطنه ، وإن لم يكن يجده فهو يتقرب بلسانه وبدنه وظاهره فقط : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك: ١٢] .

ووراء هذا القُرْب قرب آخر ، عبَّر عنه أقرب الخلق إلى الله ، رسول الله ﷺ بقوله فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « يَقُولُ اللهُ ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ

إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي ، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » . متفق عليه . (١)

وكلما ذاق العبد حقيقة التقرب ، انتقل إلى ما هو أعلى منه .

والقرب في هذه المراتب قربٌ حقيقي كما يليق بجلاله ، وعلو شأنه ، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه ، والعبد في الأرض : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢﴾ [الملك:١٢] .

وملاك هذا الأمر ، التقرب والانبعاث بالكلية إلى الحبيب وما يحب ، ولا يزال العبد رابحاً على ربه أفضل مما قدم له .

وهذا التقرب بقلبه وروحه وعمله يفتح عليه ربه بحياة لا تشبه ما الناس فيه من أنواع الحياة ، ومن لم يظفر بهذه الحياة العالية ، فحياته كلها هموم وغموم ، وآلام وحسرات : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ [الشعراء:٢١٣] .

فإن كان ذا همة عالية ، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، فإن همته فيها لا ترضى بالدون ، وإن كان مهينًا خسيسًا فعيشه كعيش أخس الحيوانات : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢﴾ [محمد:١٢] .

المرتبة التاسعة : حياة الأرواح بعد مفارقتها الأبدان :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٧٠) ، ومسلم برقم: (٢٦٧٥)، واللفظ له.

وخلاصها من هذا السجن وضيقه ، فإن من ورائه فضاءً وروحًا ، وريحانًا وراحة، ونسبة هذه الدار إليه كنسبة بطن الأم إلى هذه الدار أو أدنى من ذلك.

ويكفي في طيب هذه الحياة مرافقة الرفيق الأعلى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، ومفارقة الرفيق المؤذي النكد ، الذى تنغص رؤيته ومشاهدته الحياة ، فضلاً عن مخالطته وعشرته ، وهو الشيطان : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

والنفس لإلفها هذا السجن الضيق النكد زماناً طويلاً تكره الانتقال منه إلى ذلك البلد ، وتستوحش إذا استشعرت مفارقته .

ولعمر الله إن من سافر إلى بلد العدل والأمن ، والخصب والسرور ، صبر في طريقه على كل مشقة .

ومن قدم على الملك وجاءه بما يحبه أكرمه ، ومن جاءه بما يسخطه عاقبه عليه : ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٦] .

٩- الخزانة التاسعة

٤- فقه الحياة العالية

المرتبة العاشرة : الحياة الدائمة الباقية بعد طي هذا العالم ، وذهاب أهلها إلى دار الحيوان الأبدية .

وهي الحياة التي شمر إليها المشمرون ، وسابق إليها المتسابقون ، وسارع إليها المسارعون ، والتي يندم من فاته الاستعداد لها : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفجر:٢٤-٣٠] .

والحياة السابقة كالنوم بالنسبة لهذه الحياة الباقية .

وإذا كانت حياة أهل الإيمان والعمل الصالح في هذه الدار حياة طيبة ، فما الظن بحياتهم في البرزخ ، وقد تخلصوا من سجن الدنيا وضيقها ؟ ! !

فما الظن بحياتهم فى دار النعيم المقيم الذى لا يزول ، وهم يرون وجه ربهم ﷻ بكرة وعشيًا ويسمعون كلامه كما قال سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ » .متفقٌ عليه[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٤)، ورقم: (٧٤٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١١/ ٦٣٣).

فأعلى أنواع الحياة وأجملها وأعظمها ، هي الحياة الدائمة الباقية ، في جنات النعيم كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وكل ما قبل هذه الحياة هي أسبابٌ لها ، والحياة السابقة كالنوم بالنسبة لهذه الحياة .

وسبب تخلف النفس عن طلب هذه الحياة الباقية ، وتعلقها بالحياة الفانية أمور :

الأول : ضعف الإيمان بالله ، وضعف اليقين على وعد الله ووعيده ، فالإيمان هو روح الأعمال ، وهو الباعث عليها ، والآمر بأحسنها ، والناهي عن أقبحها : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: ٦- ٨] .

وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه ، وتكون طاعة صاحبه ومعصيته كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة:٩٣] .

الثاني : جثوم الغفلة على القلب :

فإن الغفلة نوم القلب ، ولهذا نجد بعض الناس أيقاظًا في الحس ، نيامًا في الواقع ، فتحسبهم أيقاظًا وهم رقود ، ضد حال من يكون يقظان القلب ، وهو نائم : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧] .

فالقلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن .

ولكمال هذه الحياة كان لنبينا ﷺ الذي تنام عيناه ، وقلبه يقظان النصيب الأكبر ، ولمن أحيا الله قلبه بمحبته ، وإتباع رسالته ، وحسن عبادته لله ﷻ .

فالغفلة واليقظة يكونان في الحس والعقل والقلب ، فمستيقظ القلب وغافله كمستيقظ البدن ونائمه .

والمقصود أن الغفلة هي نوم القلب عن طلب هذه الحياة التي لا خطر لها ، وهي حجاب عليه ، فإن كُشف هذا الحجاب بالذكر ، وإلا تكاثف حتى يصير حجاب معاص وذنوب صغار تبعده عن الله ﷻ .

فإن بادر إلى كشفه ، وإلا تكاثف حتى يصير حجاب كبائر توجب مقت الرب تعالى له وغضبه ولعنته .

فإن بادر إلى كشفه ، وإلا تكاثف حتى يصير حجاب بدع عملية يعذب فيها نفسه ، ثم بدع قوليه اعتقاديه تتضمن الكذب على الله ورسوله .

فإن بادر إلى كشفه ، وإلا تكاثف حتى يصير حجاب شك وتكذيب يقدح في أصول الإيمان ، ثم يتمكن منه الشيطان ، ويعده ويمنيه ، وتستولي عليه النفس الأمارة بالسوء : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء: ١١٧ – ١٢١] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

ومن ظفر به الشيطان ، وغلبته نفسه الأمارة بالسوء ، ظفر سلطان الطبع والشهوات بسلطان الإيمان والأعمال في قلبه وبدنه .

فلما تم أسره وسجنه ، وتولى الشيطان تدبير المملكة ، استخدم جند الشهوات ، وأرسلها فيها ، فأسخط الله ، وعصى الرحمن ، وأطاع الشيطان واتخذ حجابًا من الهوى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

فإذا اجتمعت هذه العساكر على القلب من ضعف الإيمان ، وقلة الأعوان ، والغفلة ، والإعراض عن ذكر الرحمن ، مع طول الأمل المفسد للإنسان كيف تكون حاله ؟ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

فلا بدَّ للعبد من المجاهدة والتضحية بما يملك ، لتحصيل الإيمان وتقويته ، وتحسين الأعمال وتنويعها ، فإذا اجتمع للعبد قوة الإيمان ، وحسن الأعمال ، فتلك الحياة العالية التي دعا إليها الرسل ، وهي الموصلة برحمة الله إلى الحياة العليا في الجنة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى :﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

والحياة العالية لها علامات ، والحياة السافلة لها علامات .

أنواع الحياة العالية

الحياة العالية ثلاثة أنواع :

الحياة الأولى : حياة العلم من موت الجهل .

ولهذه الحياة ثلاثة أنفاس :

نَفَس الخوف .

ونَفَس الرجاء .

ونَفَس المحبة .

فنفس الخوف ، مصدره مطالعة الوعيد، ومطالعة ما أعد الله لمن آثر الدنيا على الآخرة ، وآثر المخلوق على الخالق، وآثر الهوى على الهدى ، وآثر الغي على الرشاد وآثر ما تحبه النفس على ما يحبه الرب : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

ونَفَس الرجاء ، مصدره مطالعة وعد الله ، وحسن الظن بالرب تعالى ، ومطالعة ما أعد الله لمن آثر الله ورسوله والدار الآخرة ، وحكَّم الهدى على الهوى ، والوحي على الآراء ، والسنة على البدعة والعادة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

ونَفَس المحبة ، مصدره مطالعة أسماء الله وصفاته وأفعاله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

ومشاهدة نعم الله وآلائه ، وفضله وإحسانه : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

فإذا ذكر العبد ذنوبه ، تنفس بالخوف ، وإذا ذكر رحمة ربه ، وسعة مغفرته وعفوه ، تنفس بالرجاء ، وإذا ذكر جمال ربه وجلاله وكماله وإحسانه وإنعامه ، تنفس بالحب لله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

والإنسان بسبب الجهل ، يظن أن سعادته وقيمته بما في يده من الأموال والأشياء ، وبما وصل إليه من الجاه والمنصب ، والله ﷻ بعث الأنبياء ليبينوا للناس أن السعادة بالإيمان والأعمال الصالحة فقط : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟

وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

فأسباب السعادة في الداخل ، وكذلك أسباب الخسران في الداخل .

وبصلاح القلوب ، تصلح الدنيا والآخرة .

وبفساد القلوب تفسد الدنيا والآخرة ، وإذا فسدت القلوب ، فسدت الأعمال ، ثم كان الخسران : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦] .

وإذا صلحت القلوب ، صلحت الأعمال ، ثم كان الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

وجميع الأنبياء والرسل بعثهم الله بالإيمان والأعمال الصالحة التي تحقق السعادة في الدنيا والآخرة لكل إنسان ، ولكل مجتمع ، ولكل أمة، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وعلاقة القلوب بالله نور وهداية وسعادة ، وعلاقة القلوب بغير الله ظلمة واضطراب ، وعذاب وضلال وفساد : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله تعالى :﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة باستعمال القلب والبدن ، وكل عضو من أعضاء الإنسان للدين ، ويتعلم طريقة استعمالها من النبي ﷺ ، الفكر واللسان ، والسمع والبصر ، واليد والرجل وهكذا : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[الأحزاب:٢١] .

١٠- الخزانة العاشرة

أنواع الحياة العالية

الحياة العالية ثلاثة أنواع :

الحياة الثانية : حياة جمع القلب على الله ، والتوجه إليه سبحانه .

فالقلب لا سعادة له ، ولا فلاح ولا نعيم ، ولا فوز ولا لذة ، ولا قرة عين إلا أن يكون الله وحده هو غاية طلبه ، ونهاية قصده ، ووجهه الأعلى هو كل بغيته : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

ولهذه الحياة القلبية ثلاثة أنفاس :

نفَس الاضطرار .

ونَفَس الافتقار .

ونَفَس الافتخار .

فنفس الاضطرار ، يكون بانقطاع أمله مما سوى الله ، فيضطر حينئذ بقلبه وروحه ، ونفسه وبدنه ، إلى ربه ضرورة تامة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥] .

فهذا النفَس نَفَس مضطر إلى ما لا غنى عنه طرفة عين وهو الله ﷻ وحده : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم:٤٢] .

وقال الله تعالى :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

فهذا النفَس نَفَس مضطر إلى ربه الذي لا غنى عنه طرفة عين .

وضرورته إليه من جهة كونه ربه ، وخالقه ، وفاطره ، وهاديه ، وناصره ، وحافظه ، ورازقه ، ومعينه ، ومعافيه ، والقائم بجميع مصالحه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

ومن جهة كونه معبوده ، وإلهه ، وحبيبه ، الذي لا تكمل حياته ، ولا تنفع إلا بأن يكون الله وحده أحب شيء إليه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر :١٣-١٤] .

وأما نَفَس الافتقار : فهو من نوع نَفَس الاضطرار ، وكأن نَفَس الاضطرار يقطع الخلق من قلبه ، ونَفَس الافتقار يعلق القلب بربه .

وأما نَفَس الافتخار : فهو نتيجة هذين النَّفَسَين ؛ لأنهما إذا صحا للعبد ، حصل له القرب من ربه ، والأنس به ، والفرح به ، وبالخِلَع التي خلعها ربه على قلبه وروحه ، مما لا يقوم لبعضه ممالك الدنيا بحذافيرها .

فالعبد دائمًا يفتخر بسيده ، ويكبره ، ويعظمه ، ويحمده ، ويشكره في كل مجلس ، والحر الغافل يفتخر بما يملك من الأموال والأشياء ، والمناصب

والجاه كما قال إبراهيم ﷺ مثنياً على ربه : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:٧٧-٨٩] .

وقال ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٨]

فحينئذ يتنفس نفسًا آخر ، يجد به من اللذة والراحة والانشراح ما يشبه نَفَسَ من جُعل فى عنقه حبل ليُخنق به حتى يموت ، ثم كُشف عنه هذا الحبل ، فتنفسَ نَفَسَ من أُعيدت عليه حياته ، وتخلص من أسباب الموت ، فكيف يكون فرحه وأنسه .

والعبودية تنافي الافتخار ، لكن العبد هنا لا يفتخر بما يملك ، ويختال على بني جنسه ، بل هو فرح وسرور ، لا يمكن دفعه عن نَفْسه بما فتح عليه ربه ، ومنحه إياه ، وخصه به ، وأولى ما فرح العبد به فضل ربه عليه ، فإنه تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، ويحب الفرح بذلك ؛ لأنه من الشكر لله ﷻ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] .

ومن لا يفرح بنعمة المنعم لا يعد شكورًا ، فهو افتخارٌ بما هو محض منَّة الله ونعمته على عبده ، لا افتخار بما يملك العبد ، فهذا هو الذي ينافى العبودية لا ذاك .

الحياة الثالثة : حياة الوجود :

وهى حياة بالحق ، وهى حياة الواجد الذي وجد ربه .

وحياة الواجد أكمل مما قبلها ، لشرفها وكمالها بموجدها ، وهو الحق سبحانه ، فمن حُبى بوجوده ، فقد فاز بأعلى أنواع الحياة .

وحقيقة الحياة : الحياة بالرب تعالى ، لا الحياة بالنفس ، وأسباب العيش كما قال سبحانه فى الحديث الإلهى : « مَنْ عَادَى لى وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْب ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِي بشَىْءٍ أحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَألَنِى لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِى لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْس المُؤْمِن، يَكْرَهُ المَوْتَ وأَنَا أكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » . أخرجه البخاري .[1]

وبهذا يشهد العبد تفرد الرب تعالى بالربوبية والإلهية ، والتدبير والقيومية ، فيعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، فلا يُثبت لسواه قسطًا في الربوبية ، ولا يجعل لسواه حظاً في الإلهية ، ولا في القيومية ، بل يفرده سبحانه بكل ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

وهذا النَّفَس يورثه الاتصال بربه في كل وقت ، بحيث لا يبقى له مراد غيره ، ولا إرادة غير مراده الديني الذي يحبه ويرضاه ، فيتوجه إلى الواحد الأحد ، ويستغني به عن كل أحد ، لأنه القادر على كل أحد ، الغني عن كل أحد الذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

والمال والبنون حرث الدنيا ، والإيمان والعمل الصالح حرث الآخرة ، وقد يعطي الإنسان أحدهما ، وقد يحرم منهما ، وقد يجمعهما الله لأقوام .

وأَشْكر العباد أحبهم إلى الله ، وأقربهم إليه : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾[التغابن:١٧] .

فأقرب العباد إلى الله الملائكة ، وهم درجات ، وما منهم أحد إلا له مقام معلوم كما قال سبحانه عنهم : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾[الصافات:١٦٤]. فلكل واحد من الملائكة مقام معلوم ، وعمل مرسوم ، وأعظمهم وأشرفهم إسرافيل وجبريل وميكائيل .

وإنما علو درجتهم ، لأنهم في أنفسهم كرام بررة : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التحريم:٦] .

وقد أصلح الله بهم الأنبياء والرسل ، والبلاد والعباد ، وهم أشرف المخلوقات ، ويلي درجتهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فهم أخيار ، وقد هدى الله بهم سائر الخلق ، وأعلاهم رتبة محمد ﷺ الذي

أكمل الله به الدين ، وختم به النبيين : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، فهم صالحون فى أنفسهم ، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق ، ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه وأصلح من غيره .

ثم يليهم الحكام الذين يحكمون بالعدل بين الناس ؛ لأنهم أصلحوا دنيا الخلق ، كما أصلح العلماء دينهم .

ثم يلي العلماء والحكام ، المؤمنون الصالحون الذين أصلحوا دينهم وأنفسهم فقط ، فلم تتم حكمة الله بهم ، بل فيهم وما عدا هؤلاء همج رعاع : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء:٦٩-٧٠] .

وقال الله ﷻ عمن سواهم ، وفيمن سواهم ، من الكفار والمشركين والمنافقين : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢] .

وقال الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

إن ثمرة جهد الإنسان على الأشياء يجعل لها قيمة ، فالطائرة والسيارة وما فيهما من المنافع ، نتيجة جهد الإنسان على الحديد .

وكل سلعة تزداد قيمتها بقدر ما فيها من الصفات .

وكذلك الإنسان قيمته بإيمانه وصفاته ، لا بنسبه وأمواله ، فالإنسان كلما اجتهد على أوامر الله ، وجاءت فيه الصفات ، صارت له قيمة عند الله ، وتعلو درجته عند الله بقدر ما يحمل من الإيمان ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾[طه:٧٥-٧٦] .

وإذا أراد الإنسان أن يعرف قيمته عند الله فلينظر بماذا أقامه ؟، وكم من الوقت يقضيه مع ربه ؟

فينظر هل هو ممن يجمع الحسنات ، وينوع الطاعات ، ويحفظ الأوقات بذكر الله وعبادته ؟ أم هو مشغول عن ذكر الله وعبادته بجمع الأموال والحطام ، والتمرغ في الشهوات ، وإضاعة الأوقات ، فيما يغضب الله ، فاللهم : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة : ٦-٧] .

اللهم أرنا الحق حقًا ، وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا ، وارزقنا اجتنابه .

وبمقدار الإيمان والتقوى وبمقدار البذل والتضحية، وبمقدار الأخلاق العالية، تعلو قيمة الإنسان عند الله في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤] .

والكافر لا قيمة له عند الله ؛ لخلو قلبه من الإيمان ، وقعوده عن العمل الصالح ، وخلوه من الصفات الطيبة ، فلا قيمة له في الآخرة ، لكن في الدنيا يأخذ قيمة مؤقتة بحسب ما عنده من الصفات .

والله ﷻ جعل الفوز والفلاح ، والسعادة والنجاة ، في الدنيا والآخرة ، بامتثال أوامر الله سبحانه على طريقة النبي ﷺ ، في العبادات ، والمعاملات ، والمعاشرات ، والأخلاق : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

أما الأموال والأسباب فالله ﷻ يعطيها من يحب ومن لا يحب ، ولكن لا يعطي الله الدين إلا من يحب .

والله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، والأنبياء كإبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، أفلحوا في الدنيا والآخرة مع قلة الأسباب أو عدمها .

ونمرود وفرعون وقارون وأمثالهم من الكفار خسروا في الدنيا والآخرة ، مع وجود الأسباب من الملك والمال وغيرها : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإسراء:٢٠ - ٢١] .

وقد خلق الله الإنسان للأبد ، فهو إذاً خلق ليبقى أبد الآباد ، ولكنه يمر بمراحل وأمكنة وأزمنة ، ثم ينتهي بالخلود في الجنة أو النار ، وهو في كل ذلك يستفيد من خزائن الله في الدنيا والآخرة .

أما بقية المخلوقات فيأتي عليها يوم يُقضى عليها فيه ، ثم تنتهي إلا ما شاء الله بقاءه كالعرش والكرسي والجنة والنار ونحوها : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الرحمن:٢٦-٢٧] .

وكما خلق الله فى الأرض الاستعداد لإنبات الزروع والأشجار ، فكذلك خلق الله في الإنسان الاستعداد للعمل ، وإيصال المنافع إلى غيره .

وقد خلق الله الإنسان ليقوم ويتزين بالإيمان والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، ولم يخلقه ليستكثر من الأموال ، والأشياء ، والشهوات : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥] .

فإذاْ شَغَلَ الإنسان نفسه بهذه الأشياء عن ربه المنعم الذي وهبه إياها ، فالله يسلطها عليه ، ويجعلها سبباً فى شقائه وهلاكه ، وخسارته فى الدنيا والآخرة إن لم يتب : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة: ٥٥] .

فالله ﷻ خلق الإنسان لمقصد عظيم ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة إليه ، وجعل ما في السموات وما في الأرض في خدمته ، ووفر له الأرزاق ؛ ليتمكن من أداء وظيفته ، وجعل الدنيا له كالدابة ؛ إن ركبها حملته إلى الآخرة ، وإن حملها قتلته وعذبته :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقد خلق الله كل شيء لحكمة ومقصد ، فالطعام للأكل ، والماء للشرب والهواء للتنفس ، والحديد لمنافع الإنسان ، وكذلك خلق الله الإنسان لحكمة ومقصد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له

ومن اجتهد على شيء ظهرت نتيجته ، فقد اجتهد الإنسان على الحديد مثلًا فأخرج منه آلاف المصنوعات والآلات ، والسيارات والقطارات ، والطائرات و الأوانى وغيرها من المنافع

وكذلك الإنسان إذا اجتهدنا عليه بالدعوة ، ظهر فيه بإذن الله الإيمان والأعمال الصالحة ، والصفات العالية ، وظهر فيه من المنافع له ولغيره ما لا يحصيه إلا الله فى العبادة ، والدعوة ، والتعليم ، وحسن المعاملات والأخلاق :﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة:١٣٨].

فالدعوة إلى الله تثمر أهل الصفات : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

هذه من ثمرات الدعوة التي تُكسب الإنسان هذه الصفات التي يحبها الله : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان:٦٣-٦٤] .

والحياة النافعة إنما تحصل للعبد بالاستجابة لله وللرسول كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

فمن لم تحصل له هذه الاستجابة ، فلا حياة له ، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

وأكمل الناس حياة أكملهم استجابة لله ورسوله ، فكل ما جاء عن الله ورسوله هو الحياة ، ومن فاته جزء منه ، فاته جزء من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب استجابته ، والحياة الطيبة في الجنة ، مبنية على كمال الحياة الطيبة في الدنيا فاستقم كما أمرت : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٤٨-خزائن الدنيا والآخرة

القسم الثاني

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

١ - الخزانة الأولى

٤ - فقه الحياة العالية

كل إنسان مضطر إلى نوعين من الحياة :

الأولى : حياة بدنة ، التى يدرك بها النافع والضار ، ويؤثر ما ينفعه على ما يضره ، ومتى نقصت فيه هذه الحياة ، ناله من الألم والضعف بحسب ذلك .

الثانية : حياة روحه وقلبه ، التي يميز بها بين الحق والباطل ، والغي والرشاد ، والهدى والضلال : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢] .

وتفقد هذه الحياة قوة التمييز بين النافع والضار ، وقوة الإيمان ، وقوة الحب للحق ، وقوة الكراهة للباطل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] .

وكما أن الإنسان لا حياة له حتى ينفخ فيه الملك من روحه ، فيصير حياً بذلك النفخ ، فكذلك لا حياة لروحه وقلبه حتى ينفخ فيه الرسول البشري ﷺ من الروح الذي ألقي إليه ، وهو الوحي كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى:٥٢] .

فالحياة والاستنارة موقوفة على أمرين :

نفخة الرسول الملكي .

ونفخة الرسول البشري .

فمن أصابه نفخ الرسول الملكي صار حيًا حياة عامة ، ومن أصابه نفخ الرسول البشري ، حصلت له الحياة الخاصة ، وهي حياة الإيمان والتقوى ، وحصلت له الحياتان ، وجمع الله له بين الحياة والنور .

ومن حصل له نفخ الملَك دون نفخ الرسول البشري ، حصلت له إحدى الحياتين ، وفاتته الأخرى كما قال سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وقد جعل الله ﷻ لكل إنسان حياتين :

١- حياة تبدأ من بطن أمه ، وتنتهي بالموت .

٢- وحياة تبدأ بعد الموت عند البعث ، إلى حياة لا نهاية لها .

المؤمن في الجنة ، والكافر في النار .

وأعلى أنواع الحياة حياة الأنبياء والمرسلين ، والتي هي خالصة لامتثال أوامر الله ﷻ وطاعته وعبادته ﷻ ، والدعوة إليه ، وكمال التوكل عليه ، ثم يليهم أتباعهم وورثتهم ممن سار على هديهم ، واقتفى أثرهم .

- **فتوحات القلب :**

القلب إذا خلا من الاهتمام بالدنيا ، والتعلق بما فيها من مال أو رئاسة أو صورة ، وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل الإيمان ، والتأهب للقدوم على الله ﷻ ، فذلك أول فتوحه وتباشير أنواره : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات:١٧] .

فعند هذا يتحرك قلب المؤمن لمعرفة ما يحبه الله ويرضاه فيفعله ، ويتقرب به إليه ، وما يسخطه منه ، فيجتنبه ، وهذا عنوان صدق إرادته ، فكل من

أيقن بلقاء الله ، وأنه سائله ، لا بدَّ أن يتنبه لطلب معرفة معبوده ، والطريق الموصل إليه ، وما له بعد القدوم عليه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فإذا تمكن العبد في ذلك ، فُتح له باب الأنس بالخلوة والوحدة ، فذلك يجمع عليه قوى قلبه وإرادته ، ويسد عليه الأبواب التي تفرق همه ، فيأنس بالله و، يستوحش من الخلق : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

ثم يفتح له باب حلاوة العبادة ، فلا يكاد يشبع منها ، ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب ، ونيل الشهوات ، فإذا دخل في الصلاة ودَّ أن لا يخرج منها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[المؤمنون:١-٣] .

ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله فلا يشبع منه ، وإذا سمعه هدأ قلبه كما يهدأ الصبي إذا أعطي الحلوى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وقال الله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧-١٨].

ثم يفتح له باب شهود عظمة الله المتكلم به ، وعظمة جلاله وكماله وصفاته بحيث ينسيه ذلك كل ما سواه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف:٥٤] .

فيأنس بربه ، ويستوحش من غيره لما يراه من كمال أسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الجميلة ، وعظمته وكبريائه وعظيم نعمه وإحسانه : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:٢٢-٢٤] .

ثم يفتح له باب الحياء من الله ، وهو أول مشاهد المعرفة ، وهو نور يقذفه الله فى القلب يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي الله ﷻ ، فيستحى منه فى جميع أحواله ، ويُرزق عند ذلك دوام المراقبة للرقيب ، ودوام التطلع إلى الملك العلى العظيم الأعلى ، كأنه يراه ويشاهده فوق سماواته ، مستويًا على عرشه ، ناظرًا إلى خلقه ، سامعًا لأصواتهم ، فعند ذلك تزول عنه هموم الدنيا وما فيها ، فهو فى وجود ، والناس فى وجود آخر ، هو فى وجود بين يدي ربه ووليه ، ناظر إليه بقلبه ، والناس في حجاب عالم الشهادة في الدنيا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ [الملك:١٢].

ثم يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية ، فيرى تصريف وتدبير جميع الكائنات والمخلوقات بيد الله العزيز الجبار سبحانه ، فإن استمر على حاله واقفًا بباب مولاه ، لا يلتفت عنه إلى غيره ، وأنه لم يصل بعد ، رُجي أن يفتح له فتح آخر هو فوق ما كان فيه .

ثم يبقى له وجود قلبي روحاني ملكي ، فيبقى قلبه سابحًا في بحر من أنوار آثار الجلال ، فتنبع الأنوار من باطنه كما ينبع الماء من العين ، ويجد قلبه عالماً صاعداً إلى من ليس فوقه شيء ، الذي هو مراد المؤمن ، وغاية مطلوبه كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم:٤٢] .

فهذا لُباب التعبد ، وهو سفر الآخرة الذي يُقطع بالقلوب كما أن سفر الدنيا يُقطع بالأقدام .

ثم يرقيه الله سبحانه ، فيشهده أنوار الإكرام بعد ما شهد أنوار الجلال ، فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال ، وفي هذا المشهد يذوق المحبة الخاصة الملصة للقلوب والأرواح ، فيبقى القلب مأسورًا في يد حبيبه ووليه المحسن إليه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

فهذا المحب قد ترقى في درجات المحبة على أهل المقامات ، ينظرون إليه في الجنة كما ينظرون إلى الكوكب الدري الغابر في الأفق ، لعلو درجته ، وقرب منزلته من ربه ، فالمرء مع من أحب ، ولكل عمل جزاء ، وجزاء المحبة المحبة والقرب : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

فيا سعادة صاحب هذا القلب ، ويا له من قلب مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال ، وعظمة الجلال والكبرياء للواحد الأحد ، والناس مفتونون ممتحنون بما يزول ويفنى من الأموال والصور والرياسة ، معذبون بذلك قبل حصوله ، وحال حصوله ، وبعد حصوله : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وأعلاهم رتبة من يكون مفتونًا بالحور العين ، أو عاملًا على تمتعه في الجنة بالأكل والشرب ، والنكاح واللباس ، ومتى نصل نحن إلى هذه المرتبة العالية ؟ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحديد:١٦-١٧] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

التعلق بالحور العين وما في الجنة من نعيم بالنسبة للموثق بالسفليات درجة رفيعة ، وإذا كانت الفتنة بالحور العين قاطعة عن المراد المحبوب لذاته ، وهو الله ، فكيف تكون حالنا وقد قَدَّمنا محبوبات الدنيا على أوامر الله ﷻ ؟ وقدمنا محبوبات النفس على محبوبات الرب جل جلاله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وقد سأل موسى ﷺ ربه عن أعلى أهل الجنة منزلة فقال : « أولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » . قال : وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ الله ﷻ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٧] .أخرجه مسلم[1] .

وهل تليق هذه المنزلة العظيمة إلا بمن قَدَّم حب الله تعالى ، والشوق إليه ، على حب ما سواه ، علمًا بأن مَنْ نال مِنَ الله تعالى هذه المنزلة ، نال لا شك أعلى النعيم المخلوق من الحور والقصور وغيرها مما في الجنة ، فأعظم ما

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣١٢/ ١٨٩).

يسعى إليه العبد هو دخول الجنة ، والخلود فيها ، ورضوان الله ﷻ : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] .

فهذا العبد قد جرَّد المحبة لله ، وإن كان يريد من ربه خير الدنيا والآخرة ، فهذه إرادة خالصة جذبت قلبه إلى ربه جملة كما قال سبحانه : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨] .

فهذه حقيقة التوحيد والإخلاص ، انجذاب القلب إلى الله تعالى بالكلية ، وعدم الالتفات إلى ما سواه : ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وهذا العبد لا يزال ربه يرقيه طبقًا بعد طبق ، ومنزلًا بعد منزل ، إلى أن يوصله إليه ، ويمكن له بين يديه ، أو يموت في الطريق ، فيقع أجره على الله :﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم : ٨٥-٨٦] .

فالسعيد كل السعادة من أقبل على ربه ، ولم يلتفت إلى ما سواه ، فالأنس به سبحانه أعلى من كل ما يرجوه العابد من نعيم الجنة ، والعبد يحُجب عن الله بقدر إرادته لغيره : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

والقلوب مفطورة على حب الصور الجميلة ، لكن المسلم مأمور ومتعبد بغض بصره ؛ لئلا تنتقش الصور فى قلبه ، فيعكف عليها محبة تصرف قلبه عما خُلق له من النظر في الآخرة إلى خالق الجمال سبحانه .

فكل محبة لما سوى الله صرف لما هو حقه لغيره ، وهي ألم في القلب يُعذَّب به ؛ لانصرافه عن فطرته التي فُطر عليها من محبة إلهه الحق : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾[النجم: ٤٢] .

فأعلى نعيم الجنة رؤية الرب ﷻ ، ومحبته ، وحلول رضوانه ، ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء كما قال النبى ﷺ : « يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ » . أخرجه مسلم(١) .

فهذا نعيم لا يشغل أهل الجنة عنه ، ولا يلهيهم ما بين أيديهم من النعيم المخلوق ؛ لأن لذته أعظم مما هم فيه من النعيم : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ – ٢٣] .

وربهم من فوقهم يسلم عليهم ، فينظر إليهم ، وينظرون إليه ، وهو مستوٍ على عرشه الذي هو سقف الفردوس ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم .

فالنفوس الزكية العلية تعبد الله لأنه أهل أن يُعبد ويجُل ، ويحَب ويُعظَّم ، ويحُمد ويوقر ، فهو لذاته مستحق للعبادة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٣٥).

ولا ينبغى للعبد أن يكون كأجير السوء إن أعطى أجرةً عَمِل ، وإن لم يعط لم يعمل ، فهذا عبد الأجرة ، لا عبد المحبة والإرادة ، فالعارفون عملهم على المنزلة والدرجة ، والعمال عملهم على الثواب والأجرة ، وشتان ما بينهما وليس المراد عيب سؤال الله الجنة ، فالعبد محتاج لذلك ، وإنما العيب أن يكون مبلغ العلم ، ومنتهى الإرادة والطلب هو الجنة المخلوقة ، والغفلة والغَيْبَة عن حقيقة التعبد والتأله للملك الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر: ٦٥] .

وحتى لا يكون التعبد فقط لإحسان الله إلى عبده ، سواء فى الدنيا أو الآخرة ، بل يكون لذات المعبود سبحانه ، لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلا والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

والله سبحانه يطلع على قلوب العباد ، فأي قلب رأى فيه غيره ، سلط عليه إبليس كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾[مريم:٨٣] .

وكل من عرف الله تعالى ، طابت له الحياة ، وصفا له العيش ، وهابه كل شيء ، وذهب عنه خوف كل مخلوق ، وأنس بالله ، وقرَّت عينه بالله ، وقرَّت به كل عين ، وقرت عينه بالموت ، ومن عرف الله لم يبق له رغبة فيما سواه ، وأحبه على قدر معرفته به ، وخافه ورجاه ولهج بذكره ، واشتاق إليه ، واستحيا منه ، وأجلَّه وعظمه على قدر معرفته به : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

ومن أحب الدنيا حتى صارت أكبر همه، فليوطن نفسه على تحمل المصائب.

ومحب الدنيا لا ينفك من ثلاث :

هم لازم .. وتعب دائم .. وحسرة لا تنقطع : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى عن الكفار : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة: ٥٥] .

ذلك أن محب الدنيا ، لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما هو فوقه ، فلو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثًا ، ومحب الدنيا كشارب الخمر ، كلما ازداد شربًا ازداد سكرًا .

وأسعد الناس فى الدنيا والآخرة هم أهل الإيمان والتقوى ، والإحسان والإخلاص ، الذين لا يفعلون شيئًا إلا ابتغاء وجه ربهم الأعلى ، لا يريدون سواه، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل:١٧-٢١] .

وهؤلاء هم الأنبياء ومن سار على هديهم ، وصاحب التقوى لا ينبغى له أن يتحمل من الخلق ونعمهم ومننهم ، وإن حمل منهم شيئاً بادر إلى جزائهم عليه ؛ لئلا يبقى لأحد من الخلق عليه نعمة تُجزى ، ليكون عمله كله لله وحده ، لا يفعل ما يفعله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى وحده لا شريك له .

أما من تطوِّقه نِعَم المخلوقين ومننهم ، فإنه مضطر إلى أن يفعل لأجلهم ، ويترك لأجلهم ، وكل ذي نعمة يمكن جزاء نعمته إلا نعمة الإسلام ، فإنها لا يمكن المنعم بها عليه أن يجزي بها من من بها عليه ، و دعاه إليها ، فلهذا

من كمال الإخلاص أن لا يجعل العبد عليه مِنَّة لأحد من الناس ، لتكون معاملته كلها لله ابتغاءه وجهه ، وطلب مرضاته وحده .

وهذا الذي وعده الله برضاه بقوله : ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ٢١] .

وإنما يتم ذلك بطاعة الله ورسوله كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠] .

فأعظم نعمة نعمة الهداية والاستقامة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

٢- الخزانة الثانية

٥- أحوال الخلق في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾[يونس:٧-٩].

وقال الله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[التغابن:٢] .

والله ﷻ خلق الخلق ، فمنهم كافر ، ومنهم مؤمن كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾[التغابن:٢] .

والإنسان من حين استقرت قدمه فى هذه الدار ، فهو مسافر فيها إلى ربه ، ومدة سفره هى عمره الذى كتب له ، والأيام والليالى مراحل لسفره ، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى السفر : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[النجم: ٤٢] .

فالكيِّس الفطن من جعل كل مرحلة نصب عينيه ، فيهتم بقطعها سالماً غانماً ، فهو إذا تيقن قصرها ، وسرعة انقضائها ، هان عليه العمل .

ولا يزال هذا دأبه حتى يطوي مراحل عمره كلها ، فيحمد سعيه ، ويبتهج بما أعده ليوم فاقته وحاجته : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى

رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾[البقرة:٢٥] .

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾[يونس: ٩].

أما الكفار فسيندمون إذا خسروا دنياهم يوم القيامة :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[يونس:٧ -٨].

والناس في قطع المراحل في هذه الدنيا ينقسموا إلى قسمين :

القسم الأول : الذين قطعوها مسافرين إلى دار الشقاء ، فكلما قطعوا مرحلة قربوا من تلك الدار ، وبعدوا من ربهم ، وعن دار كرامته ، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ، ومعاداة رسله وأوليائه ودينه :﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف : ٨]

وهؤلاء هم الكفار :﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾[الرعد: ٥] .

فهؤلاء شرُّ خلق الله ، وقد جعلت أيامهم ولياليهم مراحل يسافرون فيها إلى الدار التى خلقوا لها ، واستعملوا بها ، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم ، يسوقونهم إلى منازلهم في النار سوقًا كما قال سبحانه :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[مريم:٨٣] .

وقال ﷻ :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

وقال ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد:١٢] .

والقسم الثاني : الذين قطعوا تلك المراحل سائرين فيها إلى الله ، وإلى دار السلام ، ودار الجنة والرضوان ، وهم ثلاثة أصناف :

١- ظالم لنفسه .

٢- ومقتصد .

٣- وسابق بالخيرات بإذن الله .

وهؤلاء كلهم مستعدون للسير ، مؤمنون بالرجعى إلى الله ، ولكنهم متفاوتون فى التزود ، وتعبئة الزاد ، واختياره ، وفي نفس السير وسرعته وبطئه، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ [فاطر: ٣٢ – ٣٦] .

وسعي العبد وحركته في هذه الحياة أربعة أنواع :

١- سعي لجلب نفع مفقود كالكسب .

٢- أو لحفظ موجود كالادخار .

٣- أو لدفع ضرر لم ينزل كدفع الصائل .

٤- أو لإزالة ضرر قد نزل كالتداوي من الأمراض .

والإنسان في الحقيقة متوجه من الدنيا إلى الآخرة ، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن دار العمل إلى دار الجزاء ، ومن الدار الفانية إلى الدار الباقية ، ومن السعادة الجزئية أو الشقاوة الجزئية ، إلى السعادة الكلية أو الشقاوة الكلية ، فالخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار ، والناس قادمون على ربهم ، ومجزيون بأعمالهم : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى :﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥].

فسعيد وشقي ، ورابح وخاسر ، ومُكرم ومُهان ، كلٌّ حسب عمله : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة: ٦ – ١١] .

فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ، ففرح مسرور ، وشقي محزون ، ومسوق إلى الجنة ، ومسوق إلى النار : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم:١٤-١٦] .

وقال الله تعالى :﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

والناس في الدنيا فريقان :

١- المؤمنون .

٢- والكفار .

فالإيمان له شُعب ، ولأهله صفات : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢ – ٤] .

وأهله ثلاث درجات :

١- ظالم لنفسه .

٢- ومقتصد .

٣- وسابق بالخيرات .

والكفر له شعب ، ولأهله صفات ، وأهله درجات ، وهم متفاوتون في الشقاء ، حسب أعمالهم ، كما أن المؤمنين متفاوتون في النعيم ، حسب أعمالهم ، وموعد الجميع يوم الفصل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود:١٠٥ -١٠٨] .

والنعيم والعذاب في الدنيا والآخرة مبني على العمل في الدنيا :

فمن آمن وعمل صالحًا فله السعادة في الدنيا والآخرة ، ومن كفر بالله فله الشقاء في الدنيا والآخرة : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا

يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

ولا بدَّ من معرفة حال هؤلاء السعداء ليقتدي العبد بهم ، ومعرفة حال هؤلاء الأشقياء ليحذر من سوء أعمالهم .

أحوال الناس يوم القيامة :

١ - حال الأشقياء :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٠] .

الكفار والمشركون والمنافقون ، لاحظ لهم في الآخرة ، وأما في الدنيا فهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢] .

وقال سبحانه : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧] .

وما أكثر هؤلاء الغاوين الضالين المتبعين إبليس اللعين ، فهؤلاء كالأنعام التي فقدت العقول ، حيث آثروا ما يفنى على ما يبقى ، فلم يستفيدوا من عقولهم وأسماعهم وأبصارهم ، بل هم أضل من البهائم السائمة .

فإن البهائم مستعملة فيما خلقت له ، ولها أذهان تدرك بها مضرتها من منفعتها ، فهي أحسن حالًا منهم .

وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، ووهبهم الله الأفئدة والأسماع والأبصار ، لتكون عوناً لهم على القيام بأوامر الله ، وحقوقه ، فاستعانوا بها على معصية الله ، والصد عن سبيله ، ومحاربة أوليائه ودينه ، وغفلوا عن أنفع الأشياء وأحسنها من الإيمان بالله وطاعته وذكره وتقواه .

فهؤلاء جديرون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم ، وخلقهم لها ، وهم بأعمال أهلها يعملون، كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[الأعراف:١٧٩] .

فهؤلاء أضل من الأنعام السائمة ؛ لأن الأنعام يهديها راعيها فتهتدي ، وتعرف طريق هلاكها فتجتنبه ، وهؤلاء صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ، فكل حيوان بهيم فهو أهدى منهم : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤] .

وهؤلاء الكفار والمشركون والمنافقون تقع عليهم اللعنة من الله ، ومن جميع الخليقة ، لسعيهم في غش الخلق ، وإفساد دينهم ، وصدهم عن سبيل الله ، وإبعادهم من رحمة الله ، وإعراضهم عن دينه كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾[البقرة:١٦١-١٦٢] .

هؤلاء يقطعون مراحل أعمارهم سائرين إلى دار الشقاء ، متزودين غضب الرب سبحانه ، ومعاداة كتبه ورسله وما بعثوا به ، ومعاداة أوليائه ، والصد عن سبيله ، ومحاربة من يدعو إلى دينه ، ومقاتلة الذين يأمرون بالقسط من الناس ، وإقامة دعوةٍ غير دعوة الله التي بعث بها رسله لتكون الدعوة له

وحده ، والعبادة له وحده : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦] .

فقطع هؤلاء الأشقياء مراحل أعمارهم في ضد ما يحبه الله ورسوله ، والله ورسوله أحق أن يرضوا إن كانوا مؤمنين فما أعظم جرمهم ، وما أكبر خسارتهم ، وما أشد عقوبتهم : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة: ٦٢] .

فهم أشد الناس جرماً ، فما أجدرهم بلعنة الله وغضبه وسخطه ، فأي جرم أعظم من رد الحق والهدى الذي اختاره الله لعباده ؟ .

وأى جرم أعظم من قتل الأنبياء الذين حملوا الحق إلى البشرية والسخرية منهم ، ورد ما جاءوا به ؟ : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النحل: ٨٨] .

وأي جرم أعظم من إيذاء وصد وقتل الذين يأمرون بالقسط والعدل من الناس ممن يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾[آل عمران:٢٠-٢١] .

فاستحق هؤلاء بهذه الجنايات والكبائر أشد العقوبات ، وهو العذاب المؤلم أشد الألم في النار للأبدان والقلوب والأرواح : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد: ٣٤] .

وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم ، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ، ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر: ٣٦] .

وإذا كان أكثر الأرض الآن يموج بالكفر والضلال والفجور ، والكفار يزيدون على ستة آلاف مليون نسمة ، ويموت منهم يومياً إلى النار أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان ، وهم غارقون في الشهوات والملذات .

فمن المسئول عن ترك هذا الوباء من الكفر والشرك ، والظلم والفساد ، ينتشر فى البشرية ؟

قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

إن الله ﷻ قد وكل الشمس بالإنارة ، ووكلنا بنشر الهداية ، والشمس قد أدت الأمانة ، وما زالت تؤديها .

فهل نحن أدينا أمانة الدعوة إلى الله ، ليسمع الناس الحق الذي شرفنا الله بالدعوة إليه ، فيهتدون إليه ، ويسعدون به في الدنيا والآخرة ، وينجو من عذاب الله يوم القيامة :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟

﴿وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

إن الإسلام هو الدين الحق ، وهو حق واجب لكل إنسان ، ومَنْعُ الإنسان حقه ، وعدم إيصاله إليه ظلم ، والله لا يحب الظالمين ، بل لعن الظالمين وتوعدهم بالعذاب كما قال سبحانه : ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ١٩﴾[الفرقان:١٩] .

وما أشقى حال الإنسان الذي سمع الحق ، ثم أعرض عنه ، ونأى عنه ، وصدَّ عنه .

إن الله خلق الجبال العظيمة ، الصلبة العالية الراسية ، وأخبر عنها أنه لو أنزل عليها كلامه لخشعت وتصدعت من خشية الله كما قال سبحانه : ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[الحشر: ٢١] .

فوا عجبًا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال ، تسمع آيات الله تتلى عليها ، ويُذكر الرب جل جلاله بأسمائه وصفاته ، فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب ، فليس بمستنكَر على الله ، ولا يخالف حكمته ، أن يخلق لهذه النفوس ناراً تذيبها إذا لم تَلِنْ بكلامه وذكره ، وزواجره ومواعظه : ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾[الحديد:١٦ – ١٧] .

فمن لم يلن فى هذه الدار قلبه ، فإن أمامه المليِّن الأعظم فى نار جهنم التي تذيب الأجسام الصلبة ، والأحجار القاسية ، والنفوس العاصية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:٦] .

وهؤلاء الأشقياء من الكفار والمشركين مصيرهم يوم القيامة إلى جهنم كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨ ﴾ [التحريم:٣٨-٤٨] .

فهذه أربع صفات أخرجت هؤلاء من زمرة المفلحين إلى زمرة الأشقياء الهالكين ، وإلى مجموعة الخاسرين والضالين :

الأولى : ترك الصلاة ، وهى عمود الإخلاص للمعبود .

الثانية : ترك إطعام المسكين ، الذي هو من مراتب الإحسان إلى العبيد ، فلا عبادة للخالق ، ولا إحسان للمخلوق .

الثالثة : الخوض فى الباطل .

الرابعة : التكذيب بالحق .

فلأجل هذا هم مخلدون في النار ، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين ، وكل واحدة من هذه الصفات موجبة للإجرام ، مقتضية للعقوبة ، ومجموعها يدل على غلظ الكفر ، ويوجب أشد العقوبة : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ ﴾ [النحل:٨٨] .

فما أجهل هؤلاء بربهم ودينه ، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها كما قال سبحانه : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾[طه:٤٩-٥١].

اللهم أرنا الحق حقًا ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا ، وارزقنا اجتنابه .

٣- الخزانة الثالثة

٢- حال السعداء

١- حال الظالم لنفسه .

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر : ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

أورث الله تبارك وتعالى هذه الأمة الكتاب المهيمن على سائر الكتب فمنهم الظالم لنفسه بالمعاصي التي هي دون الكفر ، ومنهم المقتصد الذي اقتصر على فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، ومنهم السابق بالخيرات ، الذي سبق غيره في أنواع الأعمال الصالحة .

فكل هؤلاء الأصناف الثلاثة اصطفاهم الله تعالى لوراثة الكتاب ، وإن تفاوتت مراتبهم ، وتميزت أحوالهم ، فلكل منهم قسط من وراثته ، حتى الظالم لنفسه ، فإن معه أصل الإيمان ، وعلم الإيمان ، وأعمال الإيمان .

ووراثة الكتاب من أجلّ النعم وأفضلها على الإطلاق، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾

وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر : ٣٢ -٣٦] .

ومن تجرأ على المعاصي ، واقتحم الآثام ، وظلم نفسه بحملها على معصية الله الذي خلقه وصوره ، وأنعم عليه وهداه ، ثم استغفر الله استغفاراً تاماً ، يستلزم الإقرار بالذنب ، والندم عليه ، والإقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود إليه ، فهذا قد وعده الله الذي لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

وقال الله تعالى :﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢] .

فالسائرون إلى الله وإلى دار كرامته ، ظالمهم قطع مراحل عمره في غفلاته ، وإيثار شهواته ولذاته ، على مراضي الرب وأوامره ، مع إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لكن نفسه مغلوبة معه ، مأسورة مع حظه وهواه ، وهو يعلم سوء حاله ، ويعترف بتفريطه ، وكثرة معاصيه ، ويعزم على الرجوع إلى الله ، كما قال آدم ﷺ وزوجه حين ظلما أنفسهما بالأكل من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

فلما علم الله منه حسن التوبة ، والندم على ما فعل ، ألقى إليه كلمات ، فتاب وتاب الله عليه : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧] .

فهذا حال المسلم ينسيه الشيطان ذكر ربه ، ويغفل فيعصي ربه ، ثم يتوب إلى ربه ، فيتوب عليه ؛ لأنه التواب الرحيم : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة: ٣٩] .

فالظالم لنفسه مقصر في الزاد ، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل ، لا في قدره ولا في صفته ، بل هو مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده ، ومع ذلك فهو متزود بما يتأذى به في طريقه .

وسيجد غب أذاه إذا وصل المنزل، بحسب ما تزود من ذلك الضار المؤذي.

والظالم لنفسه يستقبل مرحلة يومه وليلته ، وقد سبقت حظوظه وشهواته إلى قلبه ، فحرَّكَتْ جوارحه طالبة لها ، فإذا زاحمتها حقوق ربه فتارة وتارة .

فمرة يأخذ بالرخصة ومرة يأخذ بالعزيمة ومرة يقدم على الذنب وترك الحق تهاونًا ووعدًا بالتوبة .

فهذا حال الظالم لنفسه ، مع حفظ التوحيد والإيمان بالله ورسوله ، واليوم الآخر ، والتصديق بالثواب والعقاب .

فمرحلة هذا مقطوعة بالربح والخسران والطاعات والمعاصي ، والحسنات والسيئات ، وهو للأغلب منهما .

فإذا ورد هذا العبد يوم القيامة ميز الله ربحه من خسرانه ، وكان الحكم للراجح منهما ، وحكم الله من وراء ذلك لا يعدم منه فضله وعدله وإحسانه.

والذين معهم أصل التوحيد والإيمان إذا خلطوا الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة ، من التجرؤ على بعض المحرمات ، والتقصير في بعض الواجبات ، مع الاعتراف بذلك ، والرجاء بأن يغفر الله لهم ، فهؤلاء عسى الله أن يتوب عليهم كما قال سبحانه : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة:١٠٢]

ومن مغفرته أن الظالمين المسرفين على أنفسهم ، الذين قطعوا مراحل أعمارهم بالأعمال السيئة ، إذا تابوا إليه وأنابوا ، ولو قبيل موتهم ، فإنه يعفو عنهم ، ويتجاوز عن سيئاتهم ، ومن ندم منهم على ذنبه ، واعترف به ، ولم يتب توبة نصوحاً قبل موته ، فإنه تحت الخوف والرجاء ، وهو إلى السلامة أقرب ، لأن رحمة الله سبقت غضبه .

فعلى المسلم أن يرفع السدود والحجب التي تحول بينه وبين الحق ، والسدود التي تحول بين المؤمن والحق أربعة :

المال ، والجاه ، والتقليد ، والمعاصي .

فيرفع حجاب المال بإنفاقه في سبيل الله إلا ما يحتاجه ، ويرفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه ، بالتواضع والهرب من أسباب الذكر ، ويرفع حجاب التقليد بترك التعصب للمذاهب والأشخاص والأماكن ، ويرفع حجاب المعاصي بالتوبة ، وهجر المعاصي ، والخروج من المظالم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

٢- حال المقتصد .

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢].

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَسْأَلُهُ عَنِ الإِسْلام، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». فَقال: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: «**لا، إِلا أَنْ تَطَوَّعَ**». فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَصِيَامُ رَمَضَانَ**». قال: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قال: «**لا، إِلا أَنْ تَطَوَّعَ**». قال: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قال: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قال: «**لا، إِلا أَنْ تَطَوَّعَ**». فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**» متفق عليه(١).

المقتصد: هو من اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يشد مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضره.

فهو سالم غانم، لكن فاتته المتاجر الرابحة، وأنواع المكاسب الفاخرة.

فهذا قد أدى وظيفة تلك المرحلة، ولم يزد عليها، ولا نقص منها، فلا حصل على أرباح التجار، ولا بخس الحق الذي عليه.

فإذا استقبل مرحلة يومه استقبلها بالطهور التام، والصلاة التامة في وقتها بأركانها وواجباتها وشروطها، ثم ينصرف منها إلى مباحاته ومعيشته وتصرفاته التي أذن الله فيها مشتغلاً بها، مؤدياً واجب الرب فيها، غير متفرغ لنوافل العبادات والأوراد والأذكار والتوجه.

فإذا حضرت الفريضة الأخرى بادر إليها كذلك، فإذا أكملها انصرف إلى حاله، فهو كذلك سائر يومه، فإذا جاء الليل فكذلك إلى حين النوم، فيأخذ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٧٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١١).

مضجعه إلى أن ينشق الفجر، فيصلي ويقوم إلى غذائه ووظيفته.
فإذا جاء الصوم الواجب قام بحقه، وإن كان له مال تجب فيه الزكاة أدى حق الله فيه من الزكاة الواجبة.
وكذلك الحج الواجب يؤديه كما أمر الله ورسوله.
وكذلك المعاملة مع الخلق يقوم فيها بالقسط، ولا يظلمهم ولا يترك حقهم.
فالأبرار المقتصدون قطعوا مراحل سفرهم بالاهتمام بإقامة أمر الله، وعقد القلب على ترك مخالفته ومعاصيه.
فهممهم مصروفة إلى القيام بالأعمال الصالحة، واجتناب الأعمال القبيحة.
فأول ما يستيقظ أحدهم من منامه يسبق إلى قلبه القيام إلى الوضوء والصلاة كما أمره الله، فإذا أدى فرض وقته اشتغل بالتلاوة والأذكار المشروعة إلى حين تطلع الشمس، ثم ذهب إلى ما أقامه الله فيه من الأسباب المشروعة.
فإذا حضر فرض الظهر بادر إلى التطهر والسعي إلى الصف الأول من المسجد، فأدى صلاته كما أمر، مكملاً لها بآدابها وأركانها وسننها، وحقائقها الباطنة من الخشوع والمراقبة، والحضور بين يدي الرب.
فينصرف من الصلاة وقد أثرت في قلبه وبدنه، وسائر أحواله، آثاراً تبدو على صفحاته ولسانه وجوارحه.
ويجد ثمرتها في قلبه من الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله، وقلة التكالب والحرص على الدنيا.
قد نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر، وحببت إليه لقاء الله، ونفرته من كل قاطع يقطع عن الله والدار الآخرة، فهو مهموم مغموم كأنه في سجن حتى تحضر الصلاة، فإذا حضرت قام إلى نعيمه وسروره وقرة عينه.
هذا وهم في ذلك كله مراعون في حفظ السنن، لا يُخِلُّون منها بشيء ما

أمكنهم.
فيقصدون من الوضوء أكمله.. ومن الوقت أوله.. ومن الصفوف أولها، عن يمين الإمام، أو خلف ظهره.
ويأتون بعد الفريضة بالأذكار المشروعة، ثم يركعون السنة على أحسن الوجوه، هذا دأبهم في كل فريضة.
فإذا كان قبل غروب الشمس توافروا على أذكار المساء الواردة في السنة، نظير أذكار الصباح الواردة في أول النهار، لا يُخِلُّون بها أبداً.
فإذا جاء الليل كانوا فيه على منازلهم من مواهب الرب سبحانه التي قسمها بين عباده، فإذا أخذوا مضاجعهم أتوا بأذكار النوم الواردة في السنة، فلا يزال يذكر الله على فراشه حتى يبلغه النوم وهو يذكر الله.
فهذا منامه عبادة وزيادة له في قربه من الله، فإذا استيقظ عاد إلى عادته الأولى.
ومع هذا فهو قائم بحقوق العباد:
من عيادة المرضى.. وتشييع الجنائز.. وإجابة الدعوة.. والمعاونة لهم بالجاه والبدن والمال والنفس.. وزيارتهم وتفقدهم.
وقائم كذلك بحقوق أهله وعياله، فهو متنقل في منازل العبودية كيف نَقَلَه فيها الأمر، فإذا وقع منه تفريط في حق من حقوق الله بادر إلى الاعتذار والتوبة والاستغفار، وكده ومداواته بعمل صالح يزيل أثره، فهذه وظيفته دائماً.
وهؤلاء هم أصحاب اليمين الذين يستمتعون في الجنة بما لذ وطاب من النعيم المقيم كما قال سبحانه: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

[الواقعة: ٢٧-٤٠].

ومن أنفع ما للقلب: النظر في حق الله على العباد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه، ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ورحمته.

وإذا تأمل العاقل حال أكثر الناس وجدهم بضد ذلك، ينظرون في حقهم على الله، ولا ينظرون في حق الله عليهم.

ومن هنا انقطعوا عن معرفة الله، وحُجبوا عن معرفته، ومحبته، والأنس بمناجاته، ولذة عبادته، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه.

فمحاسبة النفس هي نظر العبد في حق الله عليه أولاً، ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانياً.

وأفضل الفكر الفكر في ذلك، فإنه يُسيِّر القلب إلى الله، ويطرحه بين يديه خاضعاً ذليلاً منكسراً، ويحرك قلبه وجوارحه لطاعة مولاه، والمنافسة في الخيرات.

والناس في الفكر والإرادة أربعة أقسام:

الأول: من يريد الله لذاته، فهو مشغول بما يحبه ويرضيه دون سواه.

الثاني: من يريد الله، ويريد منه.

الثالث: من يريد منه، ولا يريده.

الرابع: من لا يريده، ولا يريد منه.

فآثر هؤلاء العبيد عند الله وأحبهم إليه وأقربهم منه الأول، لكمال معرفته

بربه، فذاك العبد حقاً، العارف حقاً.

ويا ليتنا نسير بدرب العبد الثاني، والخوف علينا أن نسير بدرب العبد الثالث.

أما العبد الرابع فهو من الأشقياء الهالكين؛ لأنه أعرض عن ربه، وتعلق ببعض عبيده، فله يريد، ومنه يريد.

٤- الخزانة الرابعة

٣- حال السابق بالخيرات

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٩-٦١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨].

السابقون في الدنيا إلى الإيمان والأعمال والخيرات هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، وهم المقربون عند الله في جنات النعيم في أعلى عليين.

وهم الذين يعطون من أنفسهم مما أمروا به من كل ما يقدرون عليه من صلاة وزكاة، وصيام وحج، وطاعات وأعمال صالحة.

ومع هذا قلوبهم وجلة وخائفة عند عرض أعمالها على ربها، والوقوف بين يديه، خشية أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لكمال علمهم بربهم، وما يستحقه من أنواع العبادات.

فهؤلاء همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذاب الله، فكل خير سمعوا به، أوسنحت الفرصة إليه انتهزوه وبادروه، يسارعون إلى كل خير، ويسابقون في كل عمل صالح، وينافسون في كل ما يقربهم إلى الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١].

والأمر باستباق الخيرات أمر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق

إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الوجوه والأحوال، والمبادرة إليها في أول وقتها.

والخيرات تشمل جميع الطاعات والفرائض والنوافل من صلاة وصيام، وزكاة وصدقات، وحج وعمرة، وجهاد، ونفع خاص وعام.

والسابقون هم أعلى الخلق درجات، وأعلاهم مقامات.

والسابق بالخيرات همه في تحصيل الأرباح، وشد أحمال التجارات، لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسراناً أن يدخر شيئاً مما بيده ولا يتجر به، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم، ويرى خسراناً بيناً أن يمر عليه وقت في غير متجر.

والسابقون بالخيرات نوعان: أبرار.. ومقربون.

وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل اليمين وهم:

المقتصدون.. والأبرار.. والمقربون.

وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، كما أنه لا يسمى مؤمناً عند الإطلاق، وإن كان مصيره ومآله مصير المؤمنين بعد أخذ الحق منه.

والسابقون المقربون، السابقون بالخيرات، هم أفضل الخلق وأزكاهم، ونبأهم عجيب، ونحن نستغفر الله من وصف حالهم، وعدم الاتصاف به، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها، عسى أن تشمر النفس للاقتداء بهم، والاتصاف بصفاتهم.

فالسابقون المقربون جملة أمرهم: أنهم قوم امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغمرت قلوبهم محبة الله وخشيته، ومراقبته وإجلاله.

فَسَرَت المحبة في قلوبهم وأبدانهم، فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد

دخله الحب، وقد أنساهم حبه ذكر غيره، وأوحشهم أنسهم به ممن سواه.
قد استغنوا بحبه عن حب ما سواه، وبذكره عن ذكر ما سواه، وبخوفه ورجائه عن خوف ورجاء من سواه.
وصارت رغبتهم إليه.. وتوكلهم عليه.. ورهبتهم منه... وإنابتهم إليه.. وسكونهم إليه.. وانكسارهم بين يديه.. فلم يتعلقوا بشيء من ذلك بغيره.
فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همه عليه، متذكراً صفاته العلا، وأسمائه الحسنى، مشاهداً له في أسمائه وصفاته، قد انصبغ قلبه بمعرفته ومحبته.
فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه، وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً، ذليلاً منكسراً من كل جهاته، فيا لها من سجدة ما أشرفها من سجدة.
وشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان، ولم يقف عند رسم، ولا سكن إلى علم، حتى دخل على ربه، فشاهد عز سلطانه، وعظمة جلاله، وعلو شأنه، وبهاء كماله، وهو مستو على عرشه.
يدبر أمر عباده، وتصعد إليه شؤون العباد، وتُعرض عليه حوائجهم وأعمالهم، فيأمر فيها بما يشاء، فينزل الأمر من عنده نافذاً كما أمر.
فيشاهد الملك الحق قيوماً بنفسه، مقيماً لكل ما سواه، غنياً عن كل ما سواه، وكل من سواه فقير إليه ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].
ويرى ربه يغفر الذنوب، ويفرج الكروب، ويرحم المسترحمين، ويفك عانياً، وينصر ضعيفاً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويُميت ويُحيي، ويُسعد ويُشقي، ويضل ويهدي، وينعم على قوم، ويسلب نعمته عن آخرين، ويعز

أقواماً، ويذل آخرين.

ويشاهد الملك الرزاق يقسم الأرزاق ويجزل العطايا، ويمن بفضله على من يشاء من عباده، بيده اليمنى، وبيده الأخرى الميزان، يخفض به من يشاء، ويرفع به من يشاء، عدلاً منه وحكمة.

ويشهده وحده القيوم بأمر السموات والأرض ومن فيهن، ليس له بواب فيستأذن، ولا حاجب ولا وزير ولا ظهير فيستعان به، ولا ولي من دونه فيشفع به إليه، ولا نائب عنه فيعرِّفه حوائج عباده، ولا معين له فيعاونه على قضائها.

أحاط سبحانه بالعباد وحوائجهم، ووسعها قدرة ورحمة وعلماً، فلا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً وكرماً، ولا يشغله منها شأن عن شأن.

ولا تغلطه سبحانه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

«يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا، عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم(١).

فهو سبحانه الملك الغني الكريم، عليم بكل شيء، محيط بكل شيء، قدير على كل شيء، يفعل ما يشاء؛ لأراد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

وقال رسول الله ﷺ: «قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ الله مَلأى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» متفق عليه(٢).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم(٣).

واذا صارت أسماء ربه، وصفات ربه، مشهدا لقلبه، أَنْسَتْه ذكر غيره، وشغلته عن حب من سواه، وجذبت دواعي قلبه إلى حبه تعالى بكل جزء من أجزاء قلبه وروحه وجسمه.

فحينئذ يكون الرب سبحانه سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبه يسمع وبه يبصر، وبه يبطش، ربه يمشي.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا

---

(١) **أخرجه مسلم** برقم (٢٥٧٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٣).

(٣) **أخرجه مسلم** برقم (١٧٩).

تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري[1].

فيبقى قلب العبد الذي هذا شأنه عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبته، ومعرفة عظمته وجلاله وكبريائه، وناهيك بقلب هذا شأنه، فيا له من قلب من ربه ما أدناه، ومن قربه ما أحظاه، فهو ينزه قلبه أن يساكن سواه، أو يطمئن بغير مولاه.

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان، وسجدت تحت العرش، وأبدانهم في فرشهم، تحن وتئن إلى الملأ الأعلى حنين الطيور إلى أوكارها.

فإذا استيقظ هذا القلب من أوكاره، صعد إلى الله بهمته وحبه، مشتاقاً إليه، طالباً له، محتاجاً إليه، عاكفاً عليه.

فحاله كحال المحب الذي غاب عنه محبوبه الذي لا غنى له عنه، ولا بدَّ له منه، فهو آخر خطراته عند منامه، وأولها عند استيقاظه، فإذا استيقظ أحدهم وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن، فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه، والتوجه إليه، واستعطافه، والتملق بين يديه، والاستعانة به أن لا يخلي بينه وبين نفسه، وأن لا يكله إليها، فيكله إلى ضعة وعجز، وذنب وخطيئة.

بل يكلؤه كلاءة الوليد الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

فإذا انتبه من نومه قال: «لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَلا إِلَهَ إلا الله، والله أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بالله» أخرجه البخاري[1].

فأول ما يبدأ به إذا قام من النوم أن يقول: «الْحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» متفق عليه[2].

يقولها متدبراً لمعناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت، وأعاده إلى حاله سوياً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه، ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات والتي كلها تقصده بالهلاك والأذى، والتي من بعضها شياطين الإنس والجن.

فالذي يكلؤه ويحرسه في نومه ويقظته هو الله وحده، فليحمده على هذه النعمة: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ويتذكر أن الذي أعاده حياً سليماً بعد هذه الإماته قادر على أن يعيده بعد موتته الكبرى حياً كما كان.. ثم يقرأ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ

---

(١) **أخرجه البخاري** برقم (١١٥٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣١٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١١).

هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران ١٩٠-٢٠٠].

ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر، فيتوضأ حسب السنة، ثم يصلي صلاة التهجد كما ورد في السنة إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة.. صلاة محب محتاج، مخلص لمحبوبه، متذلل مفكر بين يديه، لا صلاة مدلٍ بها عليه، يرى أن من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره، واستزاره وطرد غيره، وأكرمه وحرم غيره..

فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه ولذته وسروره في تلك الصلاة، فهو يتملق لمولاه تملق المحب لمحبوبه، العزيز الرحيم، ويناجيه بكلامه، معطياً لكل آية حقها من العبودية، فتجذب قلبه وروحه آيات المحبة والود، وآيات الأسماء والصفات، وآيات الآلاء والإنعام والإحسان، وآيات الرحمة والرجاء والبر والمغفرة، وآيات وصف الجنة وما فيها من النعيم المقيم.

وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره، المائلين إلى سواه، وآيات وصف النار وما فيها من العذاب

الأليم والنكال الشديد.
فإذا صلى ما كتب الله له، جلس مطرقاً بين يدي ربه، هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه.
فإذا قضى من الاستغفار وطراً، وكان عليه بعدُ ليل، اضطجع على شقه الأيمن مجماً لنفسه، مريحاً لها، مقوياً لها على أداء وظيفة الفرض، فيستقبله نشيطاً كأنه لم يزل نائماً طول ليلته لم يعمل شيئاً.
فإذا أذن المؤذن إلى صلاة الفجر تابعه في الأذان ثم صلى ركعتي الفجر وهما خير من الدنيا وما فيها، ويبتهل إلى الله ويدعوه بينها وبين صلاة الفجر، فالدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة.
ثم ينهض إلى صلاة الصبح قاصداً الصف الأول عن يمين الإمام، فإن فاته ذلك قصد القرب منه مهما أمكن، فإن للقرب من الإمام تأثيراً في سر الصلاة، خاصة صلاة الفجر، فقرآن الفجر يشهده الله وملائكة الليل، وملائكة النهار.
وليس المراد الشهادة العامة، فإن الله على كل شيء شهيد، بل المراد شهادة خاصة، وهي شهادة حضور ودنو متصل بدنو الرب جل جلاله، ونزوله إلى السماء الدنيا، آخر كل ليلة حتى يطلع الفجر.
يصلي الصلاة في أول وقتها بخشوع قلب، كاملة الشروط والأركان والواجبات والسنن.
فإذا فرغ من صلاة الفجر أقبل بكليته، على ذكر الله والتوجه إليه بالأذكار المسنونة بعد كل فريضة، يداوم عليها، ويجعلها ورداً له لا يخل بها أبداً.
ثم يزيد عليها مما ورد من أذكار الصباح ما شاء، أو قراءة القرآن، ويجلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناً.

فإذا طلعت قام متضرعاً إلى ربه، سائلاً إياه أن يكون ضامناً عليه، متصرفاً في مرضاته بقية يومه.

فلا يفعل شيئاً إلا في مرضاة ربه، من دعوة إلى الله، وتعليم لعباده، أو نفع وخدمة للمسلمين، أو اشتغال بنوافل العبادات، وإن كان من الأفعال الطبيعية قلبه عبادة بالنية، وقَصَدَ الاستعانة به على مرضاة ربه، فتكون عاداته عبادات.

ويقدم في كل وقت ما نفعه أعم على غيره، فيقدم الدعوة والتعليم على النوافل، ويؤخر العمل الانفرادي من أجل العمل الاجتماعي كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠].

فإذا جاء فرض الظهر بادر إليه مؤدياً للسنة الراتبة قبله، مكملاً له، ناصحاً فيه لمعبوده، فهو لايبغي مجهوداً، بل يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه، وإصلاحه، وإكماله، ليقع موقعاً من محبوبه، فينال به رضاه عنه، وقربه منه.

أفلا يستحي العبد من ربه ومولاه ومعبوده، أن لا يكون في عمله هكذا، وهو يرى المحبين في أشغال محبوبيهم من الخلق، كيف يجتهدون في إيقاعها على أحسن وجه وأكمله لتسرّهم.

والله يحب من عبده إذا عمل عملاً أن يتقنه ظاهراً وباطناً.

ومن أنصف نفسه، وعرف أعماله، استحى من الله أن يواجهه بعمله، أو

يرضاه لربه، وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه، ولم يدع من أجل حُسْنه شيئاً إلا فعله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧].

فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع أعماله، إحسان للعمل، واستغفار بعد العمل؛ لأنه يعلم أنه لا يوفي هذا المقام حقه، فهو دائماً يستغفر الله عقيب كل عمل صالح: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٨].

وكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً.

وفي الحج: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٩].

فصاحب هذا المقام مضطر إلى التوبة والاستغفار في جميع أحواله، فلا يزال مستغفراً تائباً، وكلما كثرت طاعاته، كثرة توبته واستغفاره، وجماع الأمر في ذلك إنما هو بتكميل عبودية الله في الظاهر والباطن، فتكون حركات نفسه وجسمه كلها في محبوبات الله، وكمال عبودية العبد موافقة لربه في محبة ما يحب، وبذل الجهد في فعله، وموافقته في كراهة ما يكره، وبذل الجهد في تركه.

وهذا إنما يكون من النفس المطمئنة لا للأمارة ولا للوامة، فهذا كمال من جهة العمل والإرادة، وأما من جهة العلم والمعرفة فأن تكون بصيرته منفتحة في معرفة الأسماء والصفات والأفعال، له شهود خاص مطابق لما جاء به الرسول ﷺ لا مخالف له، قائم بأحكام العبودية التي تقتضيها كل صفة بخصوصها.

وهذا سلوك الأكياس، الذين هم خلاصة العالم.

فالسير إلى الله عن طريق الأسماء والصفات شأنه عجيب، وفتحه عجيب،

صاحبه قد سبقت له السعادة، وهو مستلق على فراشه، غير تعب ولا مكدور، ولا مشرد عن وطنه.
فهو ساكن لا يُرى عليه آثار السفر، وقد قطع المراحل والمفاوز.

٥- الخزانة الخامسة

السائرون إلى الله قسمان:

سائر قد ركبته نفسه فهو حاملها، يعاقبها وتعاقبه، ويجرها وتهرب منه، ويخطو بها خطوة أمامه، فتجذبه خطوتين إلى ورائه، فهو معها في جهد، وهي معه كذلك.. فمتى يصل مثل هذا؟

وسائر قد ركب نفسه، وملك عنانها، فهو يسوقها كيف يشاء؟ وأين شاء؟ ومتى شاء؟.

لا تلتوي عليه ولا تنجذب، ولا تهرب منه، بل هي معه كالأسير الضعيف، في يد مالكه وآسره، فهي منقادة معه حيث قادها، تسير به وهو ساكن راكب على ظهرها.. فما أسرع وصول هذا، وشتان بين المسافِرَين، ومن شأن هؤلاء القوم أن تنسلخ نفوسهم من التدبير والاختيار الذي يخالف تدبيره تعالى واختياره.

بل قد سلموا إليه سبحانه التدبير كله، فلا يزاحم تدبيرهم تدبيره، ولا اختيارهم اختياره، لتيقنهم أنه الملك الحق، القاهر القابض على نواصي الخلق، المتولي تدبير أمر العالم كله، وتيقنهم مع ذلك أنه الحكيم في أفعاله، الذي لا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والرحمة: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

فلم يُدخلوا أنفسهم معه في تدبيره لملكه وتصريفه أمور عباده، بِلَوْ كان كذا كان كذا، ولا بعسى ولعل، ولا بليت وأتمنى.

بل ربهم أعظم وأجل في قلوبهم من أن يعترضوا عليه أو يتسخطوا تدبيره، أو يتمنوا سواه، وهم أعلم به، وأعرف بأسمائه وصفاته من أن يتهموه في تدبيره، أو يظنوا به الإخلال بمقتضى حكمته وعدله.

بل هذا العبد ناظر بعين قلبه إلى بارئ المخلوقات وفاطرها، ناظر إلى إتقان صنعه، مشاهد لحكمته فيه، وإن لم يخرج ذلك على مكاييل عقول البشر، وعوائدهم ومألوفاتهم.

وعيب المخلوقات وتنقصها بمنزلة العيب لصانعها وخالقها؛ لأنها صُنْعه وأَثَر حكمته، وهو سبحانه أحسن كل شيء خلقه، وهو أحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين، وله في كل شيء حكمة: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

فالمؤمن لا يعيب إلا ما عابه الله، ولا يذم إلا ما ذمه الله، وإذا سبق إلى قلبه ولسانه عيب ما لم يعبه الله، وذم ما لم يذمه الله تاب إلى الله منه، كما يتوب صاحب الذنب من ذنبه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

فالعبد يستحي من ربه أن يكون في داره، وهو يعيب آلات تلك الدار وما فيها، فيقول: لوكان كذا مكان كذا لكان خيراً، أو يشاهد الملك الحق يولي هذا ويعزل هذا، ويعطي هذا ويَحْرِم هذا، فيقول: لو وُلِّي هذا المكان فلان لكان خيراً ولو عُزل هذا المتولي لكان أولى، ولو عوفي هذا، ولو أغنى هذا... وهكذا.

فكيف يكون مقت الملك لهذا المعترض، وإخراجه من قربه؟

فوا عجباً.. كيف ينازع العبد ربه منازعة جاهل عاجز ضعيف، ليس له من الأمر شيء؟.

وهو مع ذلك ينازع الله ربوبيته وحكمته وتدبيره، ولا يرضى بما رضي الله به، ولا يسكن عند مجاري أقداره، بل هو عبد ضعيف فقير مسكين جاهل ظالم في مجموع حالاته فيرى نفسه غنياً، ويرى نفسه عارفاً محسناً.

فما أجهله بنفسه.. وربه.. وما أتركه لحقه.. وما أشد إضاعته لحظه.

ولو أحضر العبد رشده لرأى ناصيته ونواصي الخلق كلهم بيد الله سبحانه، يرفعها ويخفضها كيف يشاء؟ وقلوبهم بيده يقلبها كيفما يشاء؟ يقيم منها ما يشاء ويزيغ منها ما يشاء، لكمال علمه ورحمته وحكمته.

ويرى نفسه عبداً لربه، تُقَلِّبه وتُصرِّفه يد القدرة، مستسلم لله، ينظر بقلبه إلى مولاه الذي حرَّكه، مستعين به في أن يوفقه إلى ما يحبه ويرضاه، عينه في كل لحظة شاخصة إلى حق مولاه المتوجه عليه لربه يؤديه في وقته على أكمل أحواله.

فهؤلاء إذا وردت عليهم أقداره التي تصيبهم بغير اختيارهم، قابلوها بمقتضاها من العبودية، وهم فيها على ثلاث مراتب:

إحداهما: الرضى عنه فيها، والمزيد من حبه والشوق إليه، وهذا ناشيء من مشاهدتهم للطفه فيهم، وبره وإحسانه العاجل والآجل، ومن مشاهدتهم حكمته فيها، ونصبها سبباً لمصالحهم.

الثانية: شكره عليها كشكره على النعم، وهذا فوق الرضا عنه بها، فهاتان مرتبتان لأهل هذا الشأن.

الثالثة: للمقتصدين، وهي مرتبة الصبر التي إذا نزل منها نزل إلى اليأس والجزع، الذي لا يفيد إلا فوات الأجر وتضاعف المصيبة.

ولما كانت الحياة الدائمة مبنية على الحياة الفانية، بما فيها من عمل فمن آمن وعمل صالحاً فله الجنة، ومن كان بضد ذلك فله النار، أمرنا الله عزَّ وجلَّ بالتجارة الرابحة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ

ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف ١٠-١٣]

وقد استجاب أكثر الخلق للشيطان، فأشغلهم وخدعهم بالتجارة الخاسرة عن التجارة الرابحة التي أرسل الله بها الأنبياء، وكفى بذلك عقوبة ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠].

والهدف والغاية من حياة الإنسان ثلاثة أمور وهي:

عبادة الله عز وجل.. والدعوة إلى الله.. والخلافة في الأرض.

يشتغل العبد بذلك كل وقته، ويجعل جزءاً يسيراً لكسب المعاش بعد معرفة أحكام العمل، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠].

والشهوات مطلقة غير محدودة، وطلب الشهوات من الإنسان مطلق أيضاً غير محدود، فما يكاد يفرغ من شهوته إلا وتشتاق نفسه إلى شهوة أخرى.

ولو اجتمع الإنس والجن لتكميل شهوة إنسان واحد ما قدروا، وإنما تكميل الشهوات بيد الله عزَّ وجلَّ.

فالإنسان تصوره ضعيف، فلا يستطيع أن يكمل شهواته حسب معرفته، إنما يكملها ربه الذي خلقه، وعلم ما ينفعه وما يضره، فأعطاه في الدنيا منها القليل الذي يصلحه، وفي الآخرة يكملها الله لأوليائه في الجنة بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فالإنسان في هذه الحياة، بسبب جهله، وقصور معرفته يريد تكميل شهواته والاستمتاع بها الآن.

فيريد الآن أن يأكل أحسن شيء.. ويريد أن يشرب أحسن شيء.. ويريد أن يسكن أحسن شيء.. ويريد أن يلبس أحسن شيء.. ويريد أن يركب أحسن

شيء حسب معرفته.

ولكن الله الذي خلقه أعلم منه، وحكمة الله أن يأخذ من الشهوات بقدر حاجته، ويصوم عن تكميل الشهوات إلى غروب شمس حياته، وبعد ذلك له في الجنة النعيم المقيم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة: ١٧].

وأوامر الله عزَّ وجلَّ ليس لها حد.. وشهوات الإنسان ليس لها حد.. فمن قدم أوامر الله وأكملها.. وضحى بشهواته من أجلها.. أكرمه الله بالجنة وأكمل شهواته فيها.. ومن أكمل محبوبات الله في الدنيا من الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة.. أكمل الله له محبوباته في الآخرة.

فأين من ينافس في أعمال الآخرة؟ وأين من يسابق في الخيرات، ليحصل على أعلى الدرجات في الجنات؟

إننا نرى جهد الدنيا مهماً جداً، ولذلك وظائف الدنيا عليها إقبال مع أن أجورها قليلة، ولا تحقق إلا متعة قليلة وهمية.

أما وظائف الدين فلا إقبال عليها بسبب ضعف الإيمان، مع أن أجورها عظيمة، وتحقق متعة وسعادة في الدنيا والآخرة.

وعادة الملك أن يعطي الجائزة الكبيرة، والهدية الكبيرة بنفسه، أما الجائزة الصغيرة، والهدية الصغيرة، فيأمر أحد الخدم أن يعطيها من يريد.

وهكذا أسباب الدنيا من الأموال والأشياء والمناصب، كلها صغيرة، فيعطيها الله عن طريق الأسباب.

أما الدين والجنة وما فيها من النعيم، فهو كسب عظيم وكبير، يعطيه الله من علم أنه يستحق ذلك في نفسه.

فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن

يحب.

والله عز وجل ابتلى كل إنسان بطريقين:

طريق الإيمان والأعمال الصالحة، وطريق الأموال والشهوات، والإنسان الفائز من يقضي حياته بطريق الإيمان والأعمال الصالحة، ويأخذ من الأموال والشهوات بقدر الحاجة، والخاسر بضد ذلك.

واليهود والمشركون أحرص الناس على الحياة، كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

ولماذا يحرصون على الحياة؟

لأنهم يعلمون أن ما قدموه من عمل لا يجعل لهم نصيباً في الآخرة، وعندئذ يكونون قد خسروا الدنيا بالموت الذي طلبوه، وخسروا الآخرة بالعمل السيئ الذي قدموه.

فهم لا يحبون الموت، بل يحرصون على الحياة أياً كانت، ولا يهم أن تكون حياة كريمة، ولا حياة مميزة على الإطلاق.

إنهم يريدون أي حياة... حياة حشرات، أو حياة بهائم... أو حياة سباع... أو حياة عقارب... أو حياة شياطين.

وأعلى أنواع الحياة حياة الأنبياء والمرسلين، ثم من سار على هداهم من الصديقين والشهداء والصالحين، الذين حياتهم خالصة لامتثال أوامر الله وطاعته وعبادته: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء ٦٩-٧٠].

والله سبحانه إذا رقَّى عبده بالتدريج نوَّر باطنه وعقله بالعلم، فرأى أنه لا خالق سواه، ولا يملك الضر والنفع والعطاء والمنع غيره، وأنه لا يستحق أن يعبد سواه، وكل معبود سواه فباطل.

ثم إذا رقاه الحق سبحانه درجة أخرى فوق هذه أشهده عود المفعولات إلى أفعاله سبحانه، وعود أفعاله إلى أسمائه وصفاته، وقيام صفاته بذاته، فيضمحل شهود غيره من قلبه.

ثم إذا رقاه درجة أخرى أشهده قيام العوالم به وحده بإقامته لها، وإمساكه لها. فإنه سبحانه يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك البحار أن تغيض أو تفيض على العالم، ويمسك الطير في الهواء صافات ويقبضن.

ويمسك القلوب الموقنه أن تزيغ عن الإيمان، ويمسك أرواح الحيوان أن تفارقه إلى الأجل المحدود، ويمسك على الموجودات وجودها، ولولا ذلك لاضمحلت وتلاشت.

والكل قائم بأفعاله وصفاته التي هي من لوازم ذاته، فهو سبحانه مستغن عن كل ما سواه، وما سواه فقير إليه بالذات.

فهذا العبد يشهد ربه منفرداً بالقيومية والتدبير، والخلق والرزق، والعطاء والمنع، والنفع والضر، ويرى جميع المخلوقات محل جريان أحكام الرب عليها، لا يملك شيئ منها لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ومع هذا فهو ساع في طلب الوصول إليه، بالواجبات والنوافل حسب أمره وشرعه، ويشهد ألوهية الله فيتعلق به وحده دون سواه، ويحبه وينيب إليه، ويتوكل عليه، ويفرده بالمحبة والخوف، والرجاء والتعظيم والإجلال.

فهذه أعلى مقامات المؤمنين، وأحسن درجات المحسنين، قال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال ٢-٤].

ولهؤلاء السابقين في الجنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة ١٠-٢٦].

وهذا السابق بالخيرات ما سبق إليها إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم عليه به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالظالم لنفسه.. والمقتصد.. والسابق بالخيرات.. هؤلاء الذين ورثوا الكتاب، وهم الذين اصطفاهم الله لوراثة الكتاب.

وبعرض متاجر الأقسام الثلاثة يتبين للعبد من أي التجار هو؟

أما جزاء الذين أورثهم الله كتابه فهو:

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر: ٣٣].

وهم متفاوتون في هذا النعيم حسب أعمالهم، ودرجاتهم حسب قوة إيمانهم، وحسن أعمالهم وتنوعها.

فإذا تم نعيمهم، وكملت لذاتهم وسرورهم حمدوا الله على كمال النعيم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم، ولا في شرابهم، ولا في لذاتهم، ولا في أجسادهم، ولا في دوام لبثهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيداً.

فله الحمد حيث غفر لنا الزلات، وقَبِل منا الحسنات وضاعفها، وأعطانا من فضله، ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا.

وأوصلنا إلى دار المقامة التي يرغب الإنسان في الإقامة فيها، لدوامها وكثرة خيراتها، وتوالي مسراتها، وزوال كدورتها.

وذلك كله بفضله وكرمه لا بأعمالنا، فلولا فضله لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من كمال النعيم، حيث لا نصب ولا تعب.

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٥].

إن عظيم الهمة يستخف بالمرتبة السفلى من معالي الأمور، ولا تهدأ نفسه إلا حين يضع نفسه في أسمى منزلة، وأقصى غاية، في كل عمل محمود.

والناس أصناف:

فمنهم من يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور، ويجعل هذه العظائم همته، فهذا يسمى عظيم الهمة.

ومنهم من فيه الكفاية لعظائم الأمور ولكنه يبخس نفسه، فيضع همه في

أدنى الأمور وصغائرها، فهذا يسمى صغير الهمة.
ومنهم المتواضع الذي لا يكفي لعظائم الأمور، ويشعر أنه لا يستطيعها، وأنه لم يخلق لمثلها، فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده.
ومنهم من لا يكفي للعظائم، ولكنه يتظاهر بأنه قوي عليها، وهذا يسمى فخوراً، والله لا يحب كل مختال فخور.
والقرآن الكريم يملأ النفوس بعِظَم الهمة والمسابقة إلى الخيرات، وهذا العِظَم هو الذي قذف بأولياء الله ذات اليمين وذات الشمال، فأتوا على قلوب مملوءة بالكفر والظلم، وجاهدوها حتى امتلأت بالإيمان والعدل.
وأتوا على عروش كانت ظالمة فنسفوها، ورفعوا فيها لواء العدل والأمن، وأتوا على عقول كانت ضالة ففجروا فيها أنهار العلوم تفجيراً.
فلله ما أعظم هذه الهمم، وما أشرف هذه النفوس الأبية.
ومجالات وأقسام علو الهمة كثيرة، يجمعها ست صفات هي:
طلب العلم... وحسن العبادة.. وحسن الاستقامة.. والبحث عن الحق... والدعوة إلى الله.. والجهاد في سبيل الله.
فعلو الهمة في طلب العلم يتمثل في الغيرة على الوقت أن يُنفَقَ في غير فائدة، وحرص لا يشفي غليله إلا بأكواب طافحة من كل علم، وغوص في البحث عن نفائس العلوم، وألسنة مهذبة لا تقع في لغو ولا مهاترة؛ لأنها مشغولة بالحق الذي أشغلها عن الباطل.
إن معالي الأمور وعزة المسالك محفوفة بالمكاره، والعلم أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الهمم.
أما علو الهمة في العبادة والاستقامة فلها أقوام فقهوا عن الله أمره، وعرفوا حقيقة الدنيا، فاستوحشوا من فتنها، وتجافت جنوبهم عن مضاجعها،

وارتفعت همتهم عن سفاسفها، وعرفوا الآخرة، فتعلقت قلوبهم بها، فلا تراهم إلا قوامين صوامين، ذاكرين شاكرين، مسبحين مستغفرين.

فما أعلى همتهم في التوبة والاستقامة، وما أقوى عزيمتهم في العبادة والإخبات، والذكر والدعاء.

وأما البحث عن الحق فما أكثر المهتدين الذين ارتفعت همتهم في البحث عن الدين الحق، وما فيه من أحكام، فَمَنَّ الله عليهم وأعطاهم ما سألوا، وحقق لهم ما أرادوا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأما علو الهمة في الدعوة إلى الله، فمن أعظم ما يهتم به الداعية هداية قومه، وبلوغ الجهد في النصح لهم، والصبر على مشاق الدعوة، حتى تبلغ الغاية التي يريد الله أن تبلغها.

وقد كان الرسل الكرام على رأس قائمة عالي الهمة في هذا المجال، وكان أولو العزم منهم في الذؤابة.. بذلاً.. وصبراً.. وتضحية، وكان سيدنا محمد ﷺ في ذلك الغاية العظمى، والمثل الأعلى الذي ينبغي أن يحذو حذوه كل داعية إلى الله عزَّ وجل، إذ لم يكن همه هداية قومه أو العرب فحسب، بل العالم كافة، وخاطب ملوك العالم ورؤساءه ليدخلوا في دين الإسلام.

والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى رجال عالي الهمة، وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في هذا المجال فلم يكن أحد في وقت القتال أقرب إلى العدو منه، وكان أصحابه رضي الله عنهم مثلاً في الشجاعة والإقدام اقتداء به.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الروح الوثابة، والهمة العالية؛ لتجاهد ضد أعداء الله، وأعداء الدين الحق، وتطهر الأرض من دَنَس أعداء الله

ورسوله ودينه، وتنشر الفضيلة والحق في العالم.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين.

اللهم فقهنا في الدين واهدنا الصراط المستقيم، واجعلنا من عبادك المخلصين، ودعاتك الصادقين، وحزبك المفلحين.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

٦- الخزانة السادسة

فقه العبودية :

الهدف والغاية من حياة الإنسان في هذه الدنيا ثلاثة أمور ، وهي :

١- عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢١] .

٢- والدعوة إلى الله ﷻ : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

٣- والخلافة في الأرض ، ليقيم أمر الله : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦] .

يشتغل العبد بذلك في كل وقته ، ويجعل جزءًا يسيرًا لكسب المعاش بعد معرفة أحكام العمل كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

وقال ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك:١٥] .

والشهوات مطلقة غير محدودة ، وطلب الإنسان من الشهوات مطلق أيضًا غير محدود ، فما يكاد يفرغ من شهوته إلا وتشتاق نفسه إلى شهوة أخرى ، ولو اجتمع الإنس والجن ، لتكميل شهوة إنسان واحد ما قدروا ، وإنما

تكميل الشهوات بيد الله ﷻ ، فالإنسان تصوره ضعيف ، فلا يستطيع أن يكمل شهواته حسب معرفته ، إنما يكملها ربه الذي خلقه ، وعلم ما ينفعه وما يضره ، فأعطاه في الدنيا منها القليل الذي يصلحه ، وفي الآخرة يكملها الله لأوليائه في الجنة ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

فالإنسان في هذه الحياة بسبب جهله ، وقصور معرفته، يريد تكميل شهواته ، والاستمتاع بها الآن ، فيرى الآن أن يأكل أحسن شيء ، ويريد أن يشرب أحسن شيء ، ويريد أن يسكن أحسن شيء ، ويريد أن يلبس أحسن شيء ، ويريد أن يركب أحسن شيء حسب معرفته ، ولكن الله الذي خلقه أعلم منه ، وحكمة الله أن يأخذ من الشهوات بقدر حاجته ، ويصوم عن تكميل الشهوات إلى غروب شمس حياته ، وبعد ذلك له في الجنة النعيم المقيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] .

فالله في الدنيا أمرنا بتكميل محبوباته من الإيمان والتقوى ، والنفس تريد تكميل محبوباتها من الأموال والشهوات والحرب سجال .

وأوامر الله ﷻ ليس لها حد ، وشهوات الإنسان ليس لها حد ، فمن قدم أوامر الله وأكملها ، وضحى بشهواته من أجلها ، أكرمه الله بالجنة ، وأكمل شهواته فيها ، ومن أكمل محبوبات الله في الدنيا من الإيمان والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، أكمل الله له محبوباته في الآخرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وقال الله تعالى :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

فأين من ينافس في أعمال الآخرة ؟ وأين من يسابق في الخيرات ، ليحصل على أعلى الدرجات في الجنات ؟ .

إننا نرى جهد الدنيا مهم جدًا ، ولذلك وظائف الدنيا عليها إقبال ، مع أن أجورها قليلة وفانية ، ولا تحقق إلا متعة قليلة وهمية .

أما وظائف الدين فلا إقبال عليها ، بسبب ضعف الإيمان ، مع أن أجورها عظيمة ، وتحقق متعة وسعادة في الدنيا والآخرة .

وعادة الملك أن يعطي الجائزة الكبيرة ، والهدية الكبيرة ، بنفسه ، أما الجائزة الصغيرة ، والهدية الصغيرة ، فيأمر أحد الخدم أن يعطيها من يريد .

وهكذا أسباب الدنيا من الأموال والأشياء والمناصب ، كلها صغيرة ، فيعطيها الله ﷻ عن طريق الأسباب .

أما الدين والجنة ، وما فيها من النعيم فهو كسب عظيم وكبير ، يعطيه الله من علم أنه يستحق ذلك بنفسه .

فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحب ، والله ﷻ ابتلى كل إنسان بطريقين :

طريق الإيمان والأعمال الصالحة ، وطريق الأموال والشهوات .

والإنسان الفائز من يقضي حياته بطريق الإيمان والأعمال الصالحة ، ويأخذ من الأموال والشهوات بقدر الحاجة ، والخاسر بضد ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

واليهود والمشركون أحرص الناس على الحياة كما قال سبحانه عنهم : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [البقرة:٩٦] .

ولماذا يحرصون على الحياة ؟ لأنهم يعلمون أن ما قدموه من عمل لا يجعل لهم نصيبًا في الآخرة ، وعندئذٍ يكونون قد خسروا الدنيا بالموت الذي فروا منه ، وخسروا الآخرة بالعمل السيئ الذي قدموه : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

فهم لا يحبون الموت ، ويحرصون على الحياة أيًا كانت ، ولا يهم أن تكون حياة كريمة ، ولا حياة مميزة على الإطلاق ، إنهم يريدون أي حياة ، حياة

حشرات ، أو حياة بهائم ، أو حياة سباع ، أو حياة عقارب ، أو حياة شياطين .

وأعلى أنواع الحياة حياة الأنبياء والمرسلين ، ثم من سار على هديهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، الذين حياتهم خالصة ، لامتثال أوامر الله ﷻ وطاعته وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

والله سبحانه إذا رقى عبده بالتدريج نوَّر باطنه وعقله بالعلم ، فرأى أنه لا خالق سواه ، ولا يملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع غيره ، وأنه لا يستحق أن يعبد سواه ، وكل معبود سواه فباطل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾ [الحج:٦٢] .

ثم إذا رقَّاه الحق سبحانه درجة أخرى فوق هذه ، أشهده عود المفعولات إلى أفعاله سبحانه ، وعود أفعاله إلى أسمائه وصفاته ، وقيام صفاته بذاته ، فيضمحل شهود غيره من قلبه الكلية : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢ – ١٠٣] .

ثم إذا رقاه درجة أخرى ، أشهده قيام العوالم به وحده بإقامته لها ، وإمساكه لها ، فإنه سبحانه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ويمسك البحار أن تغيض أو تفيض على العالم ، ويمسك الطير في الهواء صافات ويقبضن ، ويمسك القلوب

الموقنة أن تزيغ عن الإيمان ، ويمسك أرواح الحيوان أن تفارقه إلى الأجل المحدود ، ويمسك على الموجودات وجودها ، ولولا ذلك لاضمحلت وتلاشت ، والكل قائم بأفعاله وصفاته ، التي هي من لوازم ذاته ، فهو سبحانه مستغنٍ عن كل ما سواه ، وما سواه فقيرٌ إليه بالذات: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر:٦٥] .

وقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر:١٥] .

فهذا العبد يشهد ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، منفردًا بالقيومية والتدبير ، والخلق والرزق ، والعطاء والمنع ، والنفع والضر ، ويرى جميع المخلوقات محل جريان أحكام الرب عليها ، لا يملك شيئ منها لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦ ﴾[هود:٥٦] .

ومع هذا فهو ساعٍ في طلب الوصول إليه بالواجبات والنوافل ، حسب أمره وشرعه ، ويشهد ألوهية الله ، فيتعلق به وحده دون سواه ، ويحبه وينيب إليه، ويتوكل عليه ، ويفرده بالمحبة ، والخوف والرجاء ، والتعظيم والإجلال : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

فهذه أعلى مقامات المؤمنين ، وأحسن درجات المحسنين كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال : ٢ - ٤].

ولهؤلاء السابقين في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة:١٠-٢٦] .

هذا السابق بالخيرات والمسارع إلى الخيرات ، ما سبق إليها إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته ، فينبغي له أن يشكر الله ﷻ في جميع أوقاته على ما أنعم عليه به ، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر:٣٢] .

وقال الله تعالى :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

فالظالم لنفسه ، والسابق بالخيرات ، والمقتصد ، هؤلاء الذين ورثوا الكتاب ، وهم الذين اصطفاهم الله لوراثة الكتاب ، وبعرض متاجر الأقسام

الثلاثة يتبين للعبد من أي التجار هو ، أما جزاء الذين أورثهم الله كتابه فهو : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣ ﴾[فاطر:٣٣] .

وهم متفاوتون في هذا النعيم ، حسب أعمالهم ودرجاتهم ، وحسب قوة إيمانهم ، وحسن أعمالهم ، وتنوعها ، فإذا تم نعيمهم ، وكملت لذاتهم وسرورهم ، حمدوا الله على كمال النعيم : ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ﴾[فاطر:٣٤]

فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم ، ولا في طعامهم ، ولا في شرابهم ، ولا في لذاتهم ، ولا في أجسادهم ، ولا في دوام لبثهم ، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدًا .

فلله الحمد حيث غفر لنا الزلات ، وقبل منا الحسنات ، وضاعفها لنا ، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا ، وأوصلنا إلى دار المقامة ، التي يرغب الإنسان في الإقامة فيها ، لدوامها ، وكثرة خيراتها ، وتوالي مسراتها ، وزوال منغصاتها ، وذلك كله بفضله وكرمه وحده ، لا بأعمالنا ، فلولا فضله لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من كمال النعيم ، حيث لا نصب ولا تعب : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

إن عظيم الهمة يستخف بالمرتبة السفلى من معاني الأمور ، ولا تهدأ نفسه إلا حين يضع نفسه في أسمى منزلة ، وأقصى غاية ، في كل عمل محمود .

والناس أصناف .

فمنهم من يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الأمور ، ويجعل هذه العظائم همته ، فهذا يسمى عظيم الهمة .

ومنهم من فيه الكفاية لعظائم الأمور ، ولكنه يبخس نفسه ، فيضع همه في أدنى الأمور وصغيرها ، فهذا يسمى صغير الهمة .

ومنهم المتواضع الذي لا يكفي لعظائم الأمور ، ويشعر أنه لا يستطيعها ، وأنه لم يخلق لمثلها ، فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده .

ومنهم من لا يكفي للعظائم ، ولكنه يتظاهر بأنه قوي عليها ، وهذا يسمى فخورًا : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

والقرآن الكريم يملأ النفوس بعظم الهمة ، والمسابقة إلى الخيرات ، والمنافسة فيها ، وهذا العِظم هو الذي قذف بأولياء الله ذات اليمين ، وذات الشمال ، فأتوا على قلوب مملوءة بالكفر والظلم ، وجاهدوها حتى امتلأت بالإيمان والعدل والإحسان .

وأتوا على عروش كانت ظالمة ، فنسفوها ورفعوا فيها لواء العدل والأمن .

وأتوا على عقول كانت ضالة ، ففجروا فيها أنهار العلوم تفجيرًا ، فلله ما أعظم هذه الهمم ! وما أشرف هذه النفوس الأبية ! : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

٧- الخزانة السابعة

- **أقسام علو الهمة :**

أقسام علو الهمة كثيرة ، يجمعها ست صفات هي :

١- طلب العلم .

٢- وحسن العبادة .

٣- وحسن الاستقامة .

٤- والبحث عن الحق .

٥- والدعة إلى الله .

٦- والجهاد في سبيل الله .

فعلو الهمة في طلب العلم ، يتمثل في الغيرة على الوقت أن ينفق في غير فائدة ، وحرص لا يشفي غليله إلا بأكواب طافحة من كل علم ، وغوص في البحث عن نفائس العلوم ، وألسنة مهذبة لا تقع في لغو ولا مهاترة ، لأنها مشغولة بالحق الذي شغلها عن الباطل .

إن معاني الأمور ، وعزة المسالك ، محفوفة بالمكاره ، والعلم أرفع مقام تطمح إليه الهمم ، وأشرف غاية تتسابق إليها الهمم ، وأعلى العلم ، هو معرفة الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة وعده ووعيده ، ومعرفة دينه وشرعه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد:١٩] .

أما علو الهمة في العبادة والاستقامة فلها أقوام فقهوا عن الله أمره ، وعرفوا حقيقة الدنيا ، فاستوحشوا من فتنتها ، وتجافت جنوبهم عن مضاجعتها ،

وارتفعت همتهم عن سفاسفها ، وعرفوا الآخرة ، فتعلقت قلوبهم بها ، فلا تراهم إلا قوامين صوامين ، ذاكرين شاكرين ، مسبحين مستغفرين : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩].

فما أعلى همتهم في التوبة والاستقامة ! وما أقوى عزيمتهم في العبادة والإخبات ، والذكر والدعاء : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢ – ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥ – ١٧] .

وأما البحث عن الحق ، فما أكثر المهتدين الذين ارتفعت هممهم في البحث عن الدين الحق ، وما فيه من أحكام ، فمن الله عليهم وأعطاهم ما سألوا وحقق لهم ما أرادوا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وأما علو الهمة في الدعوة إلى الله ، فمن أعظم ما يهتم به الداعية هداية قومه ، وبلوغ الجهد في النصح لهم ، والصبر على مشاق الدعوة حتى تبلغ الغاية التي يريد الله أن تبلغها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقد كان الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام على رأس قائمة عالي الهمة في هذا المجال ، وكان أولو العزم منهم في الذُؤابة بذلًا وصبرًا وتضحية ، وكان سيدنا محمد ﷺ في ذلك الغاية العظمى ، والمثل الأعلى ، الذي ينبغي أن يحذو حذوه كل داعية إلى الله ﷻ ، إذ لم يكن همه هداية قومه ، أو العرب فحسب ، بل العالم كافة ، وخاطب ملوك العالم ورؤساءه ، ليدخلوا في دين الإسلام :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] .

والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى رجال لهم علو الهمة ، وقد ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى في هذا المجال ، فلم يكن أحد في وقت الاقتتال أقرب إلى العدو منه ، وكان أصحابه رضي الله عنهم مثلًا في الشجاعة والإقدام ، اقتداءً به .

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هذه الروح الوثابة ، والهمة العالية ، لتجاهد ضد أعداء الله ، وأعداء الدين الحق ، وتطهر الأرض من دنس أعداء الله ورسوله ودينه ، وتنشر الفضيلة والحق في العالم : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣] .

فما أعظم جهدهم وجهادهم ، وما أعظم ثوابهم : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] .

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا .

اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين .

اللهم فقهنا في الدين ، واهدنا إلى الصراط المستقيم ، واجعلنا من عبادك المخلصين ، ودعاتك الصادقين ، وحزبك المفلحين : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

٦- فقه الغُربة :

الغربة ثلاثة أنواع :

الأول : غربة أهل الله ، وأهل سنة رسول الله ﷺ ، بين هذا الخلق ، وهي الغربة التي مدح رسول الله ﷺ أهلها ، وهي الغربة التي تكون في مكان ، دون مكان وزمان دون زمان ، وبين قوم دون قوم .

وأهل هذه الغربة هم أهل الله حقًا ، إنهم لم يأووا إلى غير الله ، ولم ينتسبوا إلى غير رسول الله ﷺ ، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به .

فهذه الغربة لا وحشة على أهلها ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فوليهم الله ورسوله والذين آمنوا ، وإن عاداهم أكثر الناس وجفوهم ، ومن هؤلاء الغرباء من ذكرهم النبي ﷺ بقوله : « رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ ، لَوْ أَقْسَمَ علَى الله لأبرَّه » .أخرجه مسلم[1] .

والمؤمن حقًا في الدنيا كالغريب ، لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس في عزها ، للناس حال وله حال .

ومن صفات هؤلاء ، التمسك بالسُنة إذا رغب عنها الناس ، وتجديد التوحيد ، وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب لأحد غير الله تعالى ورسوله ﷺ .

وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقًا ، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم ، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم هم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم ، وهم النزَّاع من القبائل ، تغربوا عن قبائلهم وعن بلادهم ؛ فرارًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٨/ ٢٦٢٢).

بدينهم ، وإعلاءً لكلمة ربهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠] .

وقال النبي ﷺ : « إنَّ الإسلامَ بدأَ غريبًا ، وسيعودُ غريبًا كما بدأ ، وَهوَ يأرِزُ بينَ المسجدينِ ، كما تأرِزُ الحيَّةُ في جُحرِها » .أخرجه مسلم(١) .

فطوبى لهؤلاء الغرباء الذين يَصلحون إذا فسد الناس ، ويُصلحون ما أفسد الناس : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠ – ٤١] .

والإسلام الحق اليوم هو أشد غربة منه في أول الإسلام ، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة .

فالإسلام الحقيقي غريبٌ جدًا ، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس ، فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوتون .

فأهل الإسلام في الناس غرباء ، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء ، وأهل العلم في المؤمنين غرباء ، وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع غرباء ، والداعون إليها ، الصابرون على أذى المخالفين أشد هؤلاء غربة ، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًا ، فمن أراد أن يسلك هذا الصراط المستقيم ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٦).

فليوطن نفسه على قدح الجهَّال ، وأهل البدع فيه ، وطعنهم في سيرته ، وإزرائهم به ، وتنفير الناس عنه ، وتحذيرهم منه ، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع نبيه ورسوله ﷺ : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾[المدثر:٤٩-٥١] .

وقال الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[الحجر:٩٧-٩٩] .

فما أشد حال أهل هذه الغربة ، وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدًا غير غريبة بين إثنتين وسبعين فرقة ، ذات أتباع ورئاسات ، وولايات ومناصب ، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول ﷺ .

فالواحد من هؤلاء الغرباء غريب في أمور دنياه وآخرته ، لا يجد من الناس مساعدًا ولا معينًا ، فهو عالم بين جهَّال ، وصاحب سُنة بين أهل بدعة ، داعٍ إلى الله ورسوله بين دعاة أهل الأهواء والبدع ، وآمر بالمعروف ، وناهٍ عن المنكر ، بين قوم المعروف لديهم منكر ، والمنكر لديهم معروف ، والهدى ضلالة ، والضلالة هدى .

الثانية : غربة مذمومة ، وهي غربة أهل الباطل ، وأهل الفجور ، بين أهل الحق ، فهي غربة بين حزب الله المفلحين .

فهؤلاء وإن كثروا فهم غرباء على كثرة أصحابهم ، أهل وحشة على كثرة مؤنسيهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ

فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾ ﴾[لقمان:٢١-٢٤] .

وقال الله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف:١٧٩] .

الثالثة : غربة مشتركة ، فإن الناس كلهم في هذه الدار غرباء ، فإنها ليست لهم بدار مُقام ، ولا هي الدار التي خلقوا لها ، كما بيَّن ذلك النبي ﷺ في قوله : « كنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ».أخرجه البخاري [1] .

والاغتراب أمر يُشار به إلى الانفراد عن الأكفاء ، فكل من انفرد بوصفٍ شريف دون أبناء جنسه ، فإنه غريب بينهم ، لعدم مشاركته ، أو لقلته .

ولما كانت الغربة هي الانفراد ، والانفراد إما بالجسم ، وإما بالقصد والحال ، وإما بهما ، كان الغريب غريب الجسم ، أو غريب قلب وإرادة ، أو غريب بالاعتبارين .

فالغربة على ثلاث درجات :

١- غربة عن الأوطان .

٢- وغربة الحال .

٣- وغربة الهمة .

فالغربة الأولى غربة بالأبدان .

والثانية غربة بالأفعال والأحوال ، والمراد به العالم بالحق ، العامل به ، الداعي إليه ، وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم ، فهو صاحب صدق

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٦) .

وإخلاص بين أهل الكذب والنفاق : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[الأنعام:١٢٢] .

والثالثة : غربة بالهمة ، وهي غربة طلب الحق سبحانه ، فإن همة العارف حائمة حول من يعرف ، فهو غريب بين أبناء الآخرة فضلًا عن أبناء الدنيا ، لا يشغله عن مطلوبه ومحبوبه شاغل ، إلا ما ارتضاه محبوبه : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[الزمر : ١٧-١٨] .

٨- الخزانة الثامنة

٧- فقه الحياة والموت :

الناس في هذه الدنيا ثلاثة :

إما منهمك في الدنيا .. وإما تائب مبتدئ .. وإما عارف مُنتهي .

فالغافل المنهمك في الدنيا ، لا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على الدنيا ، ويشتغل بمذمته ، وإن ذُكر به كرهه ، ونفر منه .

فهذا يزيده ذكر الموت من الله بُعدًا لجهله ، وسوء عمله : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨] .

وأما التائب ، فإنه يُكثر من ذكر الموت ، لينبعث من قبله الخوف والخشية لله ﷻ ، فيفي بتمام التوبة ، وربما يكره الموت ، خوفًا من الموت قبل التوبة ، وإصلاح الذات .

فهذا معذور في كراهته للموت ، لأنه ليس يكره الموت ولقاء الله ، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره ، كالذي يتأخر على لقاء الحبيب مُشتغلًا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه ، فلا يُعد كارهًا للقائه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا شغل له سواه : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة: ٣٩] .

وأما العارف ، فإنه يذكر الموت دائمًا ، لأنه موعد لقائه بحبيبه ، والحبيب لا ينسى قط موعد لقاء حبيبه ، فهو مستعد كل وقت في كمال زينته بإيمانه وطاعته للقاء محبوبه .

وهذا غالبًا إما أن يكره الموت ، ليكمل استعداده وزينته للقاء ربه ، وإما أن يستبطئ مجيء الموت ، ويحب مجيئه ، ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل لدار السلام في جوار رب العالمين : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

والموت هادم اللذات ، وخطره عظيم ، وما بعده أفظع منه ، وغفلة الناس عنه بسبب قلة ذكرهم له ، وقلة فكرهم فيه ، ومن يذكره من الناس لا يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فلا ينجع ذكر الموت في قلبه .

والطريق النافع أن يُفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه ، وأقرب من شراك نعله إليه ، فإذا باشر ذكر الموت قلبه ، فيوشك أن يؤثر فيه ، وعند ذلك يقل فرحه وسروره في الدنيا ، وينكسر قلبه لجلال ربه :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢- ٤].

وأنجع طريق فيه أن يُكثر من ذكر أقرانه الذين ماتوا قبله ، فيتذكر صورهم في مناصبهم وقصورهم وأحوالهم ، ثم يتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب وكيف محا التراب الآن حُسن صورهم ؟ ! وكيف تقطعت أوصالهم في قبورهم ! وكيف خرست ألسنتهم ، وصُمت آذانهم ، وعميت أبصارهم ؟ ! وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أطفالهم ، وقُسمت أموالهم ؟ ! وكيف خلت منهم دورهم ومساجدهم ومجالسهم ! وماذا قالوا وماذا قيل لهم ؟ ! وماذا عملوا وماذا وجدوا ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣] .

فما أعظم الخطب ، وما أشد الكرب هناك ، حيث ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

وكل نفس حية فإنها ستموت ، وبعد الموت حساب ، وبعد الحساب يكون الثواب أو العقاب : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وطول الأمل في الدنيا داء وبلاء وشقاء ، وسببه أمران :

أحدهما : الجهل .

الثاني : حب الدنيا .

فأما الجهل ، فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه ، فيستبعد قرب الموت مع الشباب ، وليس يعلم أن الموت في الشباب أكثر .

وقد يستبعد الموت لصحته ، ويستبعد الموت فجأة ، ولا يدري أن ذلك غير بعيد ، وإن كان بعيدًا فالمرض فجأة غير بعيد ، فالموت يطلب الإنسان كما يطلبه رزقه كما قال النبي ﷺ : « يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا اللهَ وأجمِلوا في الطَّلَبِ

فإنَّ نفسًا لن تموتَ حتَّى تستوفيَ رزقَها وإن أبطأ عنها فاتَّقوا اللهَ وأجمِلوا في الطَّلبِ خذوا ما حلَّ ودَعوا ما حرُم » . أخرجه ابن ماجة وابن حبان [1] .

وأما حب الدنيا ، فهو أنه إذا أنس بها ، وبشهواتها ، ولذاتها ، وعلائقها ، وضيعاتها ، وأرباحها ، ومكاسبها ، ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ، ومكدر أنسها ونعيمها ، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١١] .

والإنسان مشغوف بحب الدنيا ، والآمال الباطلة ، فلا يزال يلهو ويلعب ، ويبني ويهدم ، ويجمع ويفرق ، ويسعى لتكميل الشهوات واللذات ، ويسوف ويؤخر التوبة ، ويظل عاكفًا على عمارة ما أُمر بالإعراض عنه ، وعلى تخريب ما أُمر بتعميره والاستكثار منه ، وما يلزم له من الإيمان والطاعات .

ولا يزال كذلك حتى تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه ، فتطول عند ذلك حسراته ، وتتحقق خسارته ، فما أعظم خسارة هؤلاء : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجة برقم (٢١٤٤) ، وابن ماجة برقم (٣٢٣٩) .

أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ ﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

فأما الجهل ، فيُدفع بالفكر ، والتأمل ، وبسماع الحكمة من القلوب الزاكية الطاهرة ، وبذلك يعلم العبد أن عمله الصالح في الدنيا ، لابد له من جزاء وثواب في الآخرة ، ولا يتم ذلك إلا بعد الموت ، فالموت باب النعيم للمتقين ، وباب الشقاء للمجرمين : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

وأما حب الدنيا ، فهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه ، فإخراجه من القلب شديد ، ولا علاج له إلا بالإيمان بالله وباليوم الآخر ، وما فيه من عظيم العقاب لمن عصى الله ، وجزيل الثواب لمن أطاعه ، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر: ٥ – ٦].

إذا رأى العبد حقارة الدنيا ، ونفاسة الآخرة ، استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها ، ولو أُعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب ، فإن حب العظيم هو الذي يمحو من القلب حب الحقير : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

فما أعظم الموت ، وما أعظم الغفلة عنه .

فكم من الخلق جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوه ، أما من كان مستعدًا فقد فاز : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

وأما من كان مغرورًا بطول الأمل ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء: ١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

فما أعظم الموت ! وما أشد سكراته ! ، وما أعظم هول ما بعده ! ولو لم يكن بين يدي العبد كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت لكان جديرًا بأن ينغص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره .

والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات ، وأكبر مجالس اللهو ، فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه بخمسة أسواط ، لتكدرت عليه لذته ، وفسد عليه عيشه ، وهو في كل نفس يدخل عليه ملك الموت ، وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور .

والمشروع عند الموت من صورة المُحتضر ، هو الهدوء والسكينة ، ومن لسانه أن يكون ناطقًا بالشهادة ، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى .

ويُستحب أن يُذكر للمحتضر محاسن أعماله عند موته ، لكي يحسن ظنه بربه ، ثم يُغسل الميت ، ويُصلى عليه ، ثم يُدفن ، ويبقى في قبره مُنتظرًا يوم البعث ، ويظل في قبره منعمًا أو معذبًا ، حسب عمله ، ثم يُبعث وينتقل إلى دار القرار الجنة أو النار كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤ – ١٦] .

وليس معنى الموت انتهاء الحياة ، وانتهاء المشاكل ، بل معناه انتقال الإنسان من حياة صغيرة قصيرة حقيرة فانية ، إلى حياة أبدية طويلة ، إما في سعادة أو في شقاء ، ومعناه نهاية الحياة والأحوال الفانية ، وبداية الحياة والأحوال الأبدية .

فالله كتب على جميع الكائنات الموت والفناء ، ولكن الإنسان خُلق للبقاء ، ولكنه ينتقل من دار إلى دار ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، حتى يستقر في دار المقام في الجنة أو النار .

والإنسان إذا مات وفارق الحياة لا يستطيع أن يأخذ معه من الأموال شيئًا ، ولو أخذ كل ذهب الدنيا معه لكان كالتراب بالنسبة لنعيم الجنة ، فكل ما في الدنيا لا يساوي ثواب حسنة واحدة يوم القيامة ، والإنسان إذا مات يذهب بالأعمال إلى الآخرة ، وبعد الموت إما أن تنتهي المشكلة ويدخل الجنة ، أو تبدأ المشكلة ويدخل النار : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ [القارعة: ٦ – ١١] .

فالناس لابد لهم من السجن ، فمن دخل السجن في الدنيا ، وامتثل أوامر الله ، واجتنب نواهيه ، إلى أن تنتهي مدة سجنه بالموت ، أدخله الله الجنة ، وأطلق شهواته فيها .

فالدنيا بصغرها وضيقها كالسجن للمؤمن الذي ينتظر الخروج منها إلى الجنة .

وهي كالجنة بالنسبة للكافر الذي سينتقل منها إلى السجن المؤبد في نار جهنم كما قال النبي ﷺ: « الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر ».أخرجه مسلم[1].

ومن أطلق شهواته في الدنيا ، ولم يمتثل أمر الله ، عاقبه الله في السجن يوم القيامة ، وقيد شهواته وجوارحه ، وعذبه في نار جهنم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء : ٥٦] .

فالناس إثنان :

إما خارج من السجن .. وإما ذاهب إلى السجن .

وحياة الإنسان في الدنيا قصيرة ، ولها بداية ، ولها نهاية ، وحياة الناس في الآخرة مؤبدة ، لها بداية ، ولا نهاية لها ، وقد فرغ الله إلى كل عبد من خمس ؛ من عمله ، ومن أجله ، ورزقه ، وأثره ، وموته .

ومهما عاش الإنسان فإنه سيموت ، ومهما أحب من الأشياء فإنه سيفارقها ، ومهما عمل من الأعمال فإنه سيلاقيها ، ويحاسب عليها : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦- ٨] .

وقد خلق الله الإنسان، وجعله محدود العمر، محدود المعرفة، محدود الرؤية، محدود القدرة، وكل يوم، وكل ليلة ، وكل لحظة ، تمر بالإنسان فإنه يزداد من الدنيا بعدًا ، ومن الآخرة قربًا : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن

(١) أخرجه مسلم برقم: ١/ ٢٩٥٦.

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء : ٢٦ – ٢٨].

فوا عجبًا لهذا الإنسان ، إن على أثره طالبًا لا يفوته ، قد نُصب له علم لا يجوزه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨] .

فما أسرع ما يبلغ العلم ، وما أوشك أن يلحقه الطالب .

وقد أخفى الله ﷻ علم الساعة ، ومعرفة الأجل ، رحمة بالعباد ، فلو عرف الإنسان مقدار عمره ، فإن كان قصير العمر لم يهنأ بالعيش ، وإن كان طويل العمر ، فهو واثق بالبقاء فلا يبالي بأن يمارس الشهوات والمعاصي ويقول : إذا قارب الوقت أحدثت وتبت إلى ربي ، وهذا مذهب لا يرتضيه المخلوق ، فكيف يرتضيه الخالق ؟ .

فلو أن عبدًا من عبيدك عمل على أن يسخطك أعوامًا ، ثم يرضيك ساعة واحدة إذا تيقن أنه صائر إليك ، لم تقبل منه ، ولم يفز لديك بمن يفوز به من همه رضاك بكل أوقاته ، وكذا سنة الله ﷻ أن العبد إذا علم الانتقال إلى الله تعالى لم تنفعه التوبة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء: ١٧ – ١٨] .

وأوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن :

١- يوم يولد الإنسان ، فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه فيصرخ .

٢- ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم من قبل .

٣- ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم لا يدري أين مصيره .

والأجل أجلان :

أحدهما : أجل مطلق لا يعلمه إلا الله ، فهذا لا يتبدل ولا يتغير .

الثاني : أجل مقيد ، وهو ما في صحف الملائكة ، فالله أمر الملك أن يكتب للعبد أجله ، قال إن وصل رحمه زدته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أيزداد أم لا ، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر ، وإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر كما قال سبحانه : ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١] .

وقال النبي ﷺ : « من سره أن يُبْسُطَ اللهّ في رِزقه ويَنسأ في أثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٦٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢٥٥٧).

٩- الخزانة التاسعة

٨- فقه درجات الآخرة

قال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[الأنعام:١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإسراء:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾[طه:٧٥] .

ويوم القيامة لا يدخل أحد الجنة بعمله ، ولكن برحمه الله وفضله كما قال النبي ﷺ : « لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنَّةَ قالوا : ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : لا ، ولا أنا ، إلَّا أن يتغمَّدَنيَ اللهُ بِفَضلٍ ورَحمةٍ ، فسدِّدوا وقارِبوا ، ولا يَتمَنَّيَنَّ أحدُكمُ الموتَ : إمَّا محُسِنًا فلعلَّهُ أن يزدادَ خَيرًا ، وإمَّا مُسيئًا فلعلَّهُ أن يَستَعتِبَ » . متفق عليه[1] .

وتوزع الدرجات في الآخرة علي حسب الحسنات والسيئات التي يعملها الإنسان في الدنيا ، وتتفاوت درجات الناس في الآخرة كما يتفاوتون في الدنيا : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٣)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٨١٦).

والناس في الآخرة علي أربع درجات :

الفائزون .. والناجون .. والمعذبون .. والهالكون .

ومثال ذلك كأن يستولي ملك من الملوك علي إقليم من الأقاليم ، ليقيم فيه العدل بين أهله ، فهذا الملك العادل له مع أهل هذا الإقليم أربعة أحوال :

فهو لا يقتل منهم إلا الجاحد المعاند في أصل الولاية .

ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف له بالملك .

ولا يخليه إلا معترفا له بالملك ولم يقصر .

ولا يخلع إلا علي من أبلى عمره في الخدمة والنصرة والطاعة .

وكل واحد من هؤلاء الأقسام متفاوت في النعيم ، والعذاب ، وعبور الصراط ، حسب أعمالهم وأحوالهم كما قال النبي ﷺ : « ثم يُضْرَبُ الجِسْرُ على جهنمَ وتحَِلُّ الشفاعةُ ويقولون : اللهم ! سَلِّمْ سَلِّمْ . قيل : يا رسولَ الله ! وما الجِسْرُ ؟ قال دَحْضٌ مَزِلَّةٍ فيه خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ تكونُ بِنَجْدٍ فيها شُوَيْكَةٌ يُقالُ لها : السَّعْدانُ فَيَمُرُّ المؤمنونَ كَطَرْفِ العَيْنِ وكالبَرْقِ وكالريحِ وكالطَّيْرِ وكأجاوِدِ الخيلِ والرِّكابِ فناجٍ مُسَلَّمٌ ومخَدوشٌ مُرْسَلٌ ومَكْدُوسٌ في نارِ جَهنمَ » . متفق عليه[1] .

وأما اختلاف العذاب بالشدة ، فلا نهاية لأعلاه ، وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ، ثم يعفو ، وقد يضرب بالسياط ، أو يعذب بغيرها من أنواع العذاب .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨١)، ومسلم برقم: (٣٠٢/ ١٨٣)، واللفظ له.

وأهل السعادة متفاوتون في النعيم كذلك ، علي حسب أعمالهم في الدنيا ، فالمؤمن الذي يؤدي الفرائض ، ويجتنب الكبائر ، ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لا يصر عليها ، فهذا يوشك أن يعفو الله عنه كما قال سبحانه : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء:٣١] .

وقال الله تعالى :﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

وهذا إما أن يلحق بالمقربين ، أو أصحاب اليمين ، وذلك بحسب إيمانه ويقينه ، فإن قل أو ضعف دنت منزلته ، وإن زاد أو قوي علت منزلته .

والمقربون يتفاوتون بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ، ودرجات العارفين في معرفة الله ، ومعرفة عظمته ، ومعرفة آلائه ، ومعرفة دينه ، لا تحصر ، بل هي متفاوتة ، لأن بحر المعرفة لا ساحل له ، وإنما يغوص فيه الغواصون بقدر قواهم .

فأعلى درجات أصحاب اليمين ، أدنى درجات المقربين ، فهذا حال من أدى الفرائض ، واجتنب الكبائر .

أما من ارتكب كبيرة أو كبائر ، فإن تاب توبة نصوحة قبل موته ، التحق بمن لم يرتكب تلك الكبيرة لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

وإن مات قبل التوبة ، فأمره خطير ، فربما يكون إصراره علي الذنب سببًا لسوء خاتمته .

وعذاب العاصي من غير توبة ، يكون بحسب قبح الكبائر ، ومدة الإصرار ، وتنوع الكبائر : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[النحل:٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾[النساء:١٢٣] .

ثم ينزل البُله المقلدون الجنة ، وينزل العارفون المستبصرون أعلى عليين .

والله قد يعفو عن العاصي ، وإن كثرت سيئاته الظاهرة ، وقد يغضب على المطيع ، وإن كثرت طاعاته الظاهرة ، لأن الاعتماد على التقوى ، والتقوى في القلب ، وأحوال القلب قد تخفى على صاحبه ، فكيف على غيره .

و في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء و الأرض كما قال النبي ﷺ : « من آمن بالله وبرسولِه ، وأقام الصَّلاةَ ، وصام رمضانَ ، كان حقًّا على الله أن يُدخِلَه الجنَّةَ ، جاهِدْ في سبيلِ الله ، أو جلس في أرضِه الَّتي وُلِد فيها . فقالوا : يا رسولَ الله ، أفلا نُبشِّرُ النَّاسَ ؟ قال : إنَّ في الجنَّةِ مائةَ درجةٍ ، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيلِ الله ، ما بين الدَّرجتَيْن كما بين السَّماءِ والأرضِ ، فإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوسَ ، فإنَّه أوسَطُ الجنَّةِ ، وأعلَى الجنَّةِ أراه فوقه عرشُ الرَّحمنِ ومنه تفجر أنهار الجنة » . أخرجه البخاري[1].

والله ﷻ بمنه وكرمه يرفع المؤمنين من ذرية العبد إلى درجته ، وإن كانوا دونه في العمل إكراما له كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

(١) أخرجه البخاري برقم: ٢٦٣٧.

بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور:٢١] .

وأما الناجون ، ونعني بالنجاة السلامة ، وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ، ولم يقصروا فيعذبون ، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين ، وأولاد الكفار ، والذين لم تبلغهم الدعوة ونحوهم ، فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ، ولا طاعة ولا معصية ، ويصح أن يكونوا أهل الأعراف .

وأما الفائزون ، فهم العارفون ، وهم المقربون السابقون ، وهؤلاء الذين : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة : ١٦ – ١٧] .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة:١٠-١٢] .

فسبحان الله ماذا ينتظر هؤلاء من المساكن الواسعة ، والقصور الفاخرة وألوان الطعام والشراب ، والنعيم المقيم ، ورؤية وجه رب العالمين كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] .

وهم متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم ، حسب معرفتهم بالله ، وحسب أعمالهم الصالحة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

والناس متفاوتون يوم القيامة في الدرجات ، والأحوال ، وفي الثواب والعقاب ، بحسب الأعمال ، وبحسب الإيمان والكفر ، وبحسب الطاعات والمعاصي .

فإن خفة حمل العبد على ظهره وثقله إذا قام من قبره ، فإنه بحسب خفة وزره وثقله ، إن خف خف ، وإن ثُقل ثُقل : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾ [القارعة/ ٦-١١] .

واستظلال العبد بظل العرش يوم القيامة ، وبروزه للحر والشمس ، بحسب أعماله فمن استظل في هذه الدار بالإيمان والأعمال الصالحة ، استظل يوم القيامة في ظل عرش الرحمن ، ومن كان ضاحيًا هنا للشرك والمعاصي ، ضحى هناك ، وبرز للحر الشديد ، والعذاب الأليم في نار السعير كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦ ﴾ [الروم:١٤-١٦] .

وقال النبي ﷺ : « سبعةٌ يُظلِّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه : الإمامُ العادلُ ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ في المساجدِ ، ورجلان تحابّا في الله ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه ، ورجلٌ دعَتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخاف اللهَ ، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم يمينُه ما تنفق شمالُه ، ورجلٌ ذكر اللهَ خاليًا ، ففاضت عيناه » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢١)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٣١).

ومن طال وقوفه في الصلاة ليلًا ونهارًا ، وقام للدين ، وتحمل لأجله المشاق وبذل في سبيل ذلك وقته وماله ونفسه ، خف عليه الوقوف في ذلك اليوم ، وسهل عليه .

ومن آثر الراحة ، ولزم البطالة ، طال عليه الوقوف هناك ، واشتد عليه .

وثقل ميزان العبد يوم القيامة ، بحسب إيمانه وأعماله الصالحة ، وإتباعه للحق ، والصبر عليه ، ومجاهدته من أجله .

والمشي علي الصراط يوم القيامة يكون في السرعة والبطء ، حسب سرعة السير علي الصراط المستقيم في الدنيا ، امتثالاً للأوامر ، واجتنابا للنواهي، وأسرع الناس سيرًا هنا أسرعهم سيرًا هناك ، وأثبتهم هنا أثبتهم هناك كما قال سبحانه : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الواقعة:١٠] .

والخلق في الآخرة متفاوتون بحسب أعمالهم .

فأهل الجنة والثواب ، وإن اشتركوا في الربح والفلاح ودخول الجنة ، فإن بينهم من التفاوت ما لا يعلمه إلا الله ، مع أنهم كلهم قد رضوا بما أتاهم مولاهم ، وقنعوا بما حباهم به .

وأهل النار والعقاب متفاوتون بحسب أعمالهم ، فلا يجُعل لقليل الشر منهم ككثيره ، ولا التابع كالمتبوع ، ولا المرؤوس كالرئيس ، والله يجازي كلاً بحسب عمله ، وبما يعلمه من مقصده : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .

والناس في الآخرة متفاوتون في النعيم والعذاب كما تفاوتوا في الدنيا في العمل ، فالروح الطيبة السفلية في الأرض ، تكون في الجنة مجاورة للروح الطيبة العلوية ، وفوق ذلك مجاورة ملك الملوك في داره ، وتمتعهم برؤية وجهه الكريم ، وسماع كلامه ورضوانه ، ومرافقتهم للملأ الأعلى الذين هم أطيب الخلق وأزكاهم وأشرفهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء: ٦٩- ٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الرعد:٢٣-٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة: ٧٢] .

أما الأرواح الخبيثة السفلية ، فلا يمكن أن تكون مجاورة للأرواح الطيبة العلوية ، في مقام الصدق بين الملأ الأعلى ، فلا يليق بذلك الرفيق الأعلى ، والمحل الأسمى ، والدرجات العلا ، روح سفلية أرضية خبيثة ، قد أخلدت إلى الأرض ، وعكفت على ما تشتهيه طبائعها مما تشارك فيه الحيوان البهيم : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢] .

بل قد تزيد علي الحيوان البهيم ، فلا فرق بينها وبين البهائم والحمير والكلاب والبقر إلا بانتصاب القامة ، ونطق اللسان ، والأكل باليد ، وإلا فالقلب والطبع علي شاكلة قلوب هذه الحيوانات وطباعها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٧٩] .

بل طباع هذه الحيوانات خير من طباع هؤلاء ، وأسلم وأقبل للخير ، ولهذا جعلهم الله شر الدواب كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنفال:٢٢] .

فلا يليق بحكمة العزيز الحكيم أن يجمع بين خير البرية ، وأزكى الخلق ، وبين شر البرية ، وشر الدواب ، في دار واحدة يكونون فيها على حال واحدة من النعيم أو العذاب : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم/ ٣٥ -٣٦] .

وقال الله سبحانه : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[السجدة:١٨-٢٠] .

فالنفوس الشريفة ، لا ترضى من الأشياء والأعمال إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة .

والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات ، وتقع عليها كما يقع الذباب على القاذورات : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[الملك:٢٢] .

فالنفس الشريفة العلية ، لا ترضى بالظلم ، ولا بالفواحش ، ولا بالسرقة ، ولا بالخيانة ، لأنها أكبر من ذلك وأجلّ ، والنفس الخبيثة بضد ذلك ، فكل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها من الأرواح والأعمال .

قال النبي ﷺ : « الأَرْوَاح جُنود مجُنَّدة فما تعارف مِنها ائتَلَف وما تناكر منها اخْتَلف » . متفق عليه[1] .

- **أقسام الناس يوم القيامة :**

الناس يوم القيامة صنفان :

سعداء .. وأشقياء .

والسعداء قسمان :

السابقون المقربون .. وأصحاب اليمين .

فهذه درجات الناس في الآخرة كما قال سبحانه : ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة:١ -١٢] .

والسابقون في الدنيا إلى الإيمان والأعمال الصالحة ، هم السابقون يوم القيامة إلى الجنان ، والسابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٣١٥٨، واللفظ له، ومسلم برقم: ١٥٩/ ٢٦٣٨.

فالناس في الآخرة ثلاثة أقسام كما هم عند الموت كذلك ثلاثة أقسام :

كما قال سبحانه عن الإنسان بعد خروج روحه : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة:٨٨-٩٦] .

فهذه مراتب الناس عند القيامة الصغرى ، حال القدوم على الله .

مُقرب ، له الروح ، والريحان ، وجنة النعيم ، ومُقتصد من أصحاب اليمين له السلامة ، فهو سالم غانم ، وظالم بتكذيبه وضلاله فله : ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة:٩٣-٩٦] .

ودرجة النبوة ، والصديقية ، والربانية ، ووراثة النبوة ، وخلافة الرسالة ، تلك هي أفضل درجات الأمة في الدنيا والآخرة ، ولو لم يكن لفضلها وشرفها إلا كل من علم بتعليمهم وإرشادهم ، أو علم غيره شيئًا من ذلك ، كان له مثل أجره ، مادام ذلك جاريًا في الأمة على آباد الدهور والأزمان .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء:٦٩-٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

وقال النبي ﷺ : « مَن دعا إلى هدًى كان له مِن الأجرِ مثلُ أجورِ مَن تبِعه لا ينقُصُ مِن أجورِهم شيءٌ ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مثلُ آثامِ مَن تبِعه لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا » . أخرجه مسلم [1] .

فكم ينزل بعمل هؤلاء من البركات والهدايات ، وكم يكتب لهم من الأجور والحسنات ، تلك والله المكارم والمغانم : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين:٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١] .

ودخول كفار الإنس والجن النار بعدل الله ، ودخول مؤمني الإنس والجن الجنة بفضل الله ورحمته ، فرحمته سبحانه سبقت غضبه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

والفضل أغلبه من العدل ، ولذلك لا يدخل النار إلا من عمل أعمال أهل النار .

وأما الجنة فيدخلها من آمن وعمل صالحًا ، ولن يدخلها من لم يعمل خيرًا قط ، بل يُنشئ الله لها أقوامًا يُسكنهم إياها من غير عمل عملوه ، ويرفع بها درجات العبد من غير سعي منه ، بل بما يصل إليه من دعاء المؤمنين وصلاتهم وصدقتهم ، وأعمال البر التي يهدونها إليه ، بخلاف أهل النار فإن الله لا يعذب فيها أحدًا بغير عمل أصلًا : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء:١٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ١٦/ ٢٦٧٤.

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم : ٣٩ – ٤١] .

ومُسيئوا الجن والإنس في النار بعدل الله ، وبما كانوا يكسبون ، ومحُسنهم في الجنة بفضل الله ، وبما كانوا يعملون .

والجميع متفاوتون في الدرجات ، والكرامات ، والعقوبات ، بحسب أعمالهم : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[الأنعام:١٣٢] .

وقال الله تعالى :﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء : ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾[طه:٧٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين: ١ – ٦]

١٠- الخزانة العاشرة

٩- طبقات الخلق في الآخرة

قال الله تعالى :﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم:١٤-١٦] .

وقال الله تعالى :﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[آل عمران:١٠٦-١٠٧] .

الدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثواب والعقاب ، والدنيا دار الفناء والآخرة دار البقاء ، والإنس والجن يوم القيامة طبقات ، ومنازلهم في الجنة درجات ، ومنازلهم في النار دركات ، فالفرق كبير جدًا ، والمقام كبير جدًا بين من آمن بالله وأطاعه ، وبين من كفر بالله وعصاه : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾[الحج:٥٦ - ٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ :[المائدة:٩-١٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[يونس: ٧ – ٨] .

والقادمون على الله يوم القيامة : إما رابحون ، وإما خاسرون : ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[آل عمران:١٦٢-١٦٣]

وطبقات المكلفين يوم القيامة ثماني عشرة طبقة :

الطبقة الأولى : وهي أعلى الطبقات ، طبقة أولي العزم من الرسل .

وهذه الطبقة هي العليا على الإطلاق ، فأكرم الخلق على الله ، وأخصهم بالزلفى لديه رسله ، وهم المصطفون من عباده الذين سلم عليهم في العالمين كما قال سبحانه : ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾[الصافات:١٨١] .

والله ﷻ اختص رسله بوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وواسطة بينه وبين عباده ، وخصهم بأنواع كراماته ، فمنهم من اتخذه الله خليلًا كما قال سبحانه : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[النساء:١٢٥] .

ومنهم من كلمه تكليما كما قال سبحانه : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء:١٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[مريم: ٥٦ – ٥٧] .

ورفع بعضهم فوق بعض درجات كما قال سبحانه : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾[البقرة:٢٥٣] .

وهؤلاء الرسل أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه، وأكرمهم عليه ، وخير الدنيا والآخرة ، إنما ناله العباد بفضل الله على أيديهم ، ولم يجعل الله للعباد وصولًا إليه إلا من طريقهم ، ولا دخول إلى جنته إلا من خلفهم ، ولم يقيم أحدًا من خلقه بكرامة إلا على أيديهم ، وبالرسل عُرف الله ، وبهم عُبد وأُطيع ، وبهم حصلت محبة الله في الأرض لعباده من الإيمان والتقوى ، والعبادات والطاعات ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الله ، والجهاد في سبيل الله .

والأنبياء والرسل درجات ، وأعلاهم منزلة أولو العزم من الرسل وهم المذكورون في قوله سبحانه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى:١٣] .

فأولوا العزم هم على الترتيب ؛ نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسي ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا .

وأفضل أولي العزم سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ .

فهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلق ، وعليهم تدور الشفاعة العظمى ، حتى يردوها إلى أفضلهم وخاتمهم محمد ﷺ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم : ٥٨] .

الطبقة الثانية : طبقة من عدا أولي العزم من الرسل ، على مراتبهم ودرجاتهم عند ربهم ، وقد ذكر الله منهم في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة

وعشرين ، ومنهم من لم يقص الله علينا أخبارهم ، ولا نعلم أسماءهم ، فنؤمن بهم إجمالاً كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: ٧٨] .

الطبقة الثالثة : طبقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والنبي هو من أوحى الله إليه بشرع سابق ، ليُعلم من حوله من أصحاب ذلك الشرع ويجدده ، وهم درجات كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء:٥٥] .

والرسول من أوحى الله إليه بشرع ، وأمره بإبلاغه إلى من لا يعلمه أو يعلمه ولكنه خالفه .

فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً ، وكل الأنبياء المذكورون في القرآن أنبياء ورسل ، ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه ، ونبي يوحي إليه بشريعة من قبله ليجددها كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ [الحج: ٥٢] .

الطبقة الرابعة : طبقة ورثة الرسل .

وهؤلاء هم خلفاء الرسل في أممهم ، وهم القائمون بما بُعثوا به علمًا وعملًا وتعليماً ودعوةً للخلق إلى الله على طريقتهم ومنهجهم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسل والأنبياء ، وهي مرتبة الصديقية ، وهؤلاء قد أنعم الله في كتابه بعمل الأنبياء فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء:٦٩-٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وهؤلاء هم الربانيون ، وهم الراسخون في العلم ، وهم الوسائط بين الرسول وأمته ، فهم حلفاؤه وأولياؤه ، وهم حملة دينه إلى الناس ، وهم مضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك .

وهؤلاء أفضل درجات الأمة بعد الأنبياء والمرسلين ، ولو لم يكن من فضلهم وشرفهم إلا أن كل من علَّم وعمل بتعليمهم وإرشادهم ، وعلَّم غيره ذلك ، كان له مثل أجره على آباد الدهور ، فمن دل على خير فله مثل أجر فاعله .

قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ مبينًا فضل الدعوة إلى الله : « انفُذْ على رِسْلِك حتَّى تنزِلَ بساحتِهم ثمَّ ادعُهم إلى الإسلامِ وأخبِرْهم بما يجِبُ عليهم مِن حقِّ الله فيه فوالله لَأنْ يهديَ اللهُ بكَ رجُلًا واحدًا خيرٌ لكَ مِن أنْ يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ » . متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ : « إذا مات الإنسانُ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ ؛ صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنتَفَعُ به ، أو ولدٍ صالح يدعو له » . أخرجه مسلم[2] .

وقال ﷺ : « من سنَّ سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » . أخرجه مسلم[3] .

فيا لها من مرتبة ما أعلاها ، ومنقبة ما أجلها ، وحلة ما أجملها ، أن يكون المرء في حياته مشغولًا ببعض أشغاله ، أو في قبره صار أشلاء ممزقة ، وأوصال متفرقة ، وصحف حسناته متزايدة ، تملأ بالحسنات كل وقت ، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣ – ٧٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه، البخاري برقم: (٣٤٩٨)، و مسلم برقم: (١٣٢/ ١٨٠٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٦٣١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٧).

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤] .

فكم اهتدى بسبب هؤلاء الدعاة المؤمنين ، وكم زال من البدع بسبب تعليمهم السنن ، وكم تعلم من الناس بسبب تعليمهم ، وكم زال من ظلمات الجهل بسبب توجيههم وإرشادهم ، وكم حصل من الخير على أيديهم ، وكم رُفع عن الأمة من البلاء والعقوبات بسبب نصحهم ، ولهذا رفع الله مقامهم بين العالمين فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة:١١] .

الطبقة الخامسة : أئمة العدل وولاته .

وهؤلاء هم الذين تؤمن بهم السبل ، ويستقيم بهم العالم ، ويستنصر بهم الضعيف ، ويردع بهم الظالم ، ويأمن بهم الخائف ، وتقام بهم الحدود ، ويُدفع بهم الفساد ، ويقام بهم حكم الكتاب والسنة ، ويُدفع بهم شر الأعداء ، الذين يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويجاهدون في سبيل الله ، وتطفأ بهم نيران البدع والضلالة : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص:٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] .

وهؤلاء الذين تنصب لهم منابر من نور ، على يمين الرحمن يوم القيامة كما قال النبي ﷺ : « إن المقسطينَ عند الله ، على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ ﷻ وكلتَا يديهِ يمين الذين يعدلونَ في حكمهم وأهلهم وما ولوا » . أخرجه مسلم[1].

وهم أحد الأصناف السبعة الذين يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله قال النبي ﷺ : « سبعةٌ يُظلِّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه : الإمامُ العادلُ ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله ، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ في المساجدِ ، ورجلان تحابّا في الله ، اجتمعا عليه وتفَرَّقا عليه ، ورجلٌ دعَتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ ، فقال : إني أخاف اللهَ ، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم يمينُه ما تنفق شمالُه ، ورجلٌ ذكر اللهَ خاليًا ، ففاضت عيناه » . متفق عليه[2] .

فلما كان الناس في ظل عدلهم في الدنيا ، كانوا في ظل عرش الرحمن يوم القيامة ، ظلًا بظل جزاءً وفاقًا .

فيا لها من مرتبة ما أشرفها ، ومنزلة ما أعلاها ، أن يكون الوالي أو الإمام على فراشه ، والناس يعملون بالخير ، ويتلون القرآن ، وتقوم سوق البر والأعمال الصالحة في كل مكان ، وكل زمان ، وفي كل مدينة ، وكل قرية وكل بيت ، وكل مسجد ، وكل سوق ، وكل ذلك يُكتب في صحائف حسناته وتزداد كل وقت مادام يُعمل بعدله ، ومادام ناصحًا لرعيته .

وأين هذا من الإمام الغاش لرعيته ، الظالم لهم ، الذي قد حرم الله عليه الجنة، وأوجب له النار .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ١٨٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢١)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٣١).

الطبقة السادسة : المجاهدون في سبيل الله .

وهؤلاء هم جند الله الذين يقيم بهم دينه ، ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم دينه ، وهم الغزاة الذين يقاتلون أعداء الله ، ليكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ، ونصر دينه ، وهم شركاء لكل من يحمونه لأعمالهم التي يعملونها ، وإن باتوا في ديارهم، ولهم مثل أجور من عبد الله ، بسبب جهادهم وفتوحهم ، لأنهم كانوا هم السبب فيه .

وقد حث الله ﷻ عباده المؤمنين على الجهاد في سبيل الله ، ورغبهم فيه وأجزل لهم الأجر عليه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾[الصف:١٠-١١] .

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ﴾[التحريم:٩] .

وقال ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقد أثنى الله ﷻ على عمار المساجد بالصلاة والطاعات في قوله : ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﴾ [التوبة:١٨] .

وأخبر سبحانه أنه لا يستوي عنده عمار المسجد الحرام بالطواف والاعتكاف والصلاة وسقاية الحاج ، لا يستوون هم وأهل الجهاد في سبيل

الله بقوله سبحانه : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[التوبة:١٩-٢٢] .

فهذه الدرجات الثلاث هي درجات السبق :

درجة العلم والدعوة .. ودرجة العدل .. ودرجة الجهاد .

وبها سبق الصحابة رضي الله عنهم، وأدركوا من قبلهم، وسبقوا من بعدهم .

فهم السبب في وصول الإسلام إلينا ، وهم السبب في تعليم كل خير وهدى تنال به السعادة والنجاة ، وهم أعدل الأمة في ما ولوه ، وهم أعظمهم جهادًا في سبيل الله :﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

والأمة تنعم في آثار علمهم وعدلهم وجهادهم إلى يوم القيامة .

فلا ينال أحدٌ مسألة علم نافع إلا على أيديهم ، ولا يسكن بقعة من الأرض آمنًا إلا بسبب جهادهم وفتوحهم ، ولا يحكم إمامٌ بعدل وهدى إلا كانوا هم السبب في وصوله إليهم ، فلهم من الأجور بقدر أجور الأمة إلى يوم القيامة مضافًا إلى أجر أعمالهم .

فسبحان من يختص برحمته وفضله من يشاء : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١] .

الطبقة السابعة : هي طبقة أهل الإيثار والصدقة والإحسان .

وهم أهل الإحسان إلى الناس بأموالهم ، على اختلاف حاجاتهم ومصالحهم ، من تفريج كرباتهم ، ودفع ضروراتهم، وكفايتهم في مهماتهم، فهم أحد الصنفين في قوله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتيْنِ : رجلٌ آتاه اللهُ مالًا ، فسلَّطَه على هَلَكَتِه في الحقِّ ، ورجلًا آتاه اللهُ حكمةً ، فهو يَقضي بها ويُعلِّمُها » . متفق عليه[1] .

ومعناه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحداً على نعمة ، ويتمنى مثلها إلا أحد هذين ، وذلك لما فيهما من منافع ، النفع العام ، والإحسان المتعدي إلى الخلق ، فهذا ينفعهم بعلمه ، وهذا ينفعهم بماله ، والخلق كلهم عباد الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعباده : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ – ١٣٤] .

وهذان الصنفان أنفع الناس لعباد الله ، ولا يقوم أمر الناس ولا يعمر العالم إلا بهما .

وقد مدح الله أهل الإنفاق في سبيل الله ، وأثنى عليهم وبين عظمة جودهم وإحسانهم فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ﴾ [البقرة:٢٧٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣) ، ومسلم برقم: (٢٦٨/ ٨١٦)، واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

فهذه الطبقات الأربع من طبقات الأمة ، هم أهل الإحسان والنفع المتعدي وهم :

١ - العلماء والدعاة إلى الله .

٢ - وأئمة العدل .

٣ - وأهل الجهاد .

٤ - وأهل الصدقة وبذل الأموال في مرضاة الله .

فهؤلاء ملوك الآخرة ، وصحائف حسناتهم متزايدة تملى بها الحسنات ، وهم ببطون الأرض ، مادامت آثارهم في الدنيا باقية ، فيا لها من نعمة ما أجلها ، وكرامة ما أعظمها ، فالله يختص برحمته من يشاء ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته والله عليم حكيم : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى :﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣ - ٧٤] .

الطبقة الثامنة : من فتح الله له بابًا من أبواب الخير القاصر على نفسه ، كالصلاة ، والحج ، والعمرة ، وقراءة القرآن ، والصيام ، والاعتكاف ، والذكر وغير ذلك من نوافل العبادات ، مع القيام بفرائض الله ﷻ .

فهذا قد جاهد في تكثيف حسناته ، وملء صحيفته ، وإذا عمل خطيئة تاب منها إلى الله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

هذا على خير عظيم ، وله ثواب أمثاله من أعمال الآخرة ، ولكن ليس له إلا عمله ، فإذا مات طُويت صحيفته .

فهذه طبقة أهل الربح والحظوة عند الله تبارك وتعالى .

الطبقة التاسعة : طبقة أهل النجاة .

وهي طبقة من يؤدي فرائض الله ، ويجتنب محارم الله ، مُقتصرًا على ذلك ، لا يزيد عليه ، ولا ينقص ، فلا يتعدى ما حرم الله عليه ، ولا يزيد على ما فرض الله عليه .

فهذا من المفلحين إن صدق بضمان رسول الله ﷺ .

وقد ضمن الله لهؤلاء تكفير سيئاتهم ، إذا أدوا فرائضه ، واجتنبوا الكبائر ، فإن فعلوها وتابوا منها لم يخرجوا عن طبقتهم: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١] .

قال النبي ﷺ : « الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ كفاراتٌ لما بينَها ما اجتُنِبَت الكبائرُ » .أخرجه مسلم(١) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٣٣).

الطبقة العاشرة : طبقة من أسرف على نفسه ثم تاب .

وهؤلاء قوم أسرفوا على أنفسهم ، وغشوا كبائر ما نهى الله عنه ، ولكن الله رزقهم التوب النصوح قبل الموت ، فهؤلاء الناجون من عذاب الله كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ ﴾[النساء:١٧] .

وقال ﷻ : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

الطبقة الحادية عشرة : طبقة أقوام خلطوا عملًا صالحًا ، وآخر سيئًا ، فعملوا حسنات وسيئات ، ولقوا الله مصرين عليها ، غير تائبين منها ، لكن حسناتهم أكثر من سيئاتهم ، فهؤلاء أيضًا ناجون كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الأعراف:٨-٩] .

الطبقة الثانية عشرة : قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

فهؤلاء منعتهم حسناتهم من دخول النار، ومنعتهم سيئاتهم من دخول الجنة، وهم أهل الأعراف كما قال سبحانه : ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأعراف: ٤٦] .

فهؤلاء قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيوقفهم الله على سور عال بين الجنة والنار ، ويقفون هناك حتى يقضي الله فيهم بما يشاء ، ثم يدخلهم الجنة بفضله ورحمته .

وما تقدم من الطبقات هم أهل الجنة الذين لم تمسهم النار .

الطبقة الثالثة عشر : طبقة أهل المحنة والبلية .

وهؤلاء قوم مسلمون خفت موازينهم ، ورجحت سيئاتهم على حسناتهم ، فغلبتها السيئات .

فهؤلاء يدخلون النار ، ويكونون فيها على مقدار أعمالهم السيئة .

فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ساقيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه وهكذا . فيبقى هؤلاء في النار على قدر أعمالهم ، ثم يخرجون منها ، فينبتون على أنهار الجنة ، فيفيض عليهم أهل الجنة من الماء ، حتى تنبت أجسادهم ، ثم يدخلون الجنة ، إذا هُذبوا ونُقوا وطُهروا من الذنوب ، وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين ، وهم الذين يأمر الله سيد الأنبياء مرارًا أن يخرجهم من النار ، بما معهم من الإيمان .

الطبقة الرابعة عشرة : قوم لا طاعة لهم ولا معصية ، ولا كفر ولا إيمان .

وهؤلاء أصناف ؛ منهم من لم تبلغه الدعوة بحال ، ولا سمع بها بخبر ، ومنهم المجنون الذي لا يعقل شيئًا ولا يميز ، ومنهم الأصم الذي لا يسمع شيئًا ، ومنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا ، وأما أطفال المسلمين فهم في الجنة .

وأهل هذه الطبقة يمتحنون في عرصات يوم القيامة ، ويُرسل إليهم رسل ، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار ، وبناءً على هذا يكون بعضهم في الجنة ، وبعضهم في النار .

قال النبي ﷺ : « أربعَةٌ يومَ القيامةِ : رجلٌ أَصَمُّ لا يسمعُ شيئًا ، ورجلٌ أحمقٌ ، ورجلٌ هرمٌ ، ورجلٌ ماتَ في فترةٍ ، فأَمَّا الأَصَمُّ ، فيقولُ : رَبِّ قد جاء الإسلامُ وما أَسْمَعُ شيئًا ، وأَمَّا الأحمقُ فيقولُ : رَبِّ جاء الإسلامُ

والصِّبْيانُ يحَذِفُوننني بالبَعرِ ، وأمَّا الهرمُ فيقولُ : ربِّ لقد جالسناهم وما أَعقِلُ شيئًا ، وأمَّا الذي مات في الفترةِ فيقولُ : ربِّ ما أتاني لك رسولٍ فيأخذُ مَواثيقَهُمْ لَيُطيعُنَّهُ ، فيرسلُ عليهِمْ ليدخلوا النارَ قال : فوالذي نَفسي بيدِهِ لو دخلوها لكانَتْ عليهم بردًا وسَلامًا ومن لم يدخلها يسحب إليها » .

أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

الطبقة الخامسة عشرة : طبقة أهل النفاق .

وهؤلاء قوم أظهروا الإسلام ، ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله .

وهؤلاء المنافقون في الدرك الأسفل من النار ، لغلظ كفرهم ، وعظيم خطرهم ، وعظيم جرمهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء:١٤٥] .

ومكان أهل هذه الطبقة ، وهم المنافقون في الدرك الأسفل من النار ، لغلظ كفرهم ، فإنهم خالطوا المسلمين وعاشروهم ، ووصل إليهم من معرفة الدين وصفته ما لم يصل إلى المنابذين في العداوة ، فكفروا مع هذه المعرفة والعلم ، وكانوا أغلظ كفرًا ، وأخبث قلوبًا ، وأشد عداوة لله ورسوله والمؤمنين من غيرهم ، ولهذا قال الله فيهم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[المنافقون: ٣-٤] .

الطبقة السادسة عشرة : طبقة رؤساء الكفر ودعاته .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٣٠١).

وهؤلاء هم أئمة الكفر ، الذين كفروا ، وصدوا عن سبيل الله ، يصدون عباد الله عن الدخول في دين الله بالترغيب والترهيب : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل : ٨٨] .

فهؤلاء عذابهم مضاعف ، ولهم عذابان :

عذاب بالكفر .. وعذاب بصد الناس عن الدخول في الإسلام .

فكما أن للداعي للهدى مثل أجور من تبعه ، فكذلك للداعي إلى الضلال مثل آثام من تبعه ، واستجاب له ، ولا ريب أن هذا يتضاعف ويتزايد مثل من اتبعه وضل به ، ولهذا كان فرعون وقومه في أشد العذاب ، لعظيم جرمهم وفسادهم كما قال سبحانه : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦] .

فهؤلاء رؤساء الكفار ، استحقوا أشد العذاب ، لغلظ كفرهم ، وصدهم عن سبيل الله ، وعقوبتهم لمن آمن بالله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: ٢٥] .

فليس عذاب الرؤساء في النار كعذاب أتباعهم ، ولهذا كان عدو الله إبليس أشد أهل النار عذابًا ، لأنه إمام كل كفر وشرك ، وشر وفساد ، وإمام كل كافر ومشرك ، وصاحب شر ، وصاحب فساد ، فما عُصي الله إلا على يديه وبسببه ، ثم الأخبث فالأخبث من نوابه في الأرض ودعاته .

والكفر يتفاوت ، فكفر أغلظ من كفر ، وظلم أعظم من ظلم ، ومعصية أغلظ من معصية ، وكما أن الجنة درجات ، فكذلك النار دركات ، ولكل عامل

جزاؤه ، ولا ظلم لأحد حين يحكم الله يوم القيامة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾[النساء:٤٠] .

وقال الله تعالى :﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِۚ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٥٦ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥٧ ﴾[الحج:٥٦ -٥٧]

ويغلظ الكفر من حيث العقيدة كمن جحد رب العالمين ، وكفر به ، ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾[النساء : ١٣٦] .

ويغلظ كذلك من حيث عناد الإنسان وضلاله وكفره على بصيرة بعد معرفة الحق ، كقوم ثمود وقوم فرعون وكفر أبي جهل وكفر اليهود بالنبي ﷺ ، ويغلظ كذلك من جهة السعي في إطفاء نور الله ، وصد عباد الله عن دينه بما تصل إليه قدرته .

فهؤلاء أشد الكفار جُرمًا ، وأشدهم عذابًا ، وليس عذاب من دونهم ممن جهل الحق ، ولم يؤذ المؤمنين ، ولم يصد عن سبيل الله كهؤلاء ، فمن الكفار من تجتمع في حقه الجهات الثلاث ، ومنهم اثنتان ، ومنهم واحدة ، وعلى حسب غلظ الكفر يكون العذاب : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤ ﴾[لقمان:٢٣-٢٤] .

الطبقة السابعة عشرة : طبقة المقلدين ، وجهال الكفرة .

فهؤلاء بمنزلة الدواب يعبدون ما يعبد آباؤهم : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة:١٧٠] .

فهم لا يحاربون المسلمين ، ولا يؤذونهم ، لكن لا يتبعونهم ، فهؤلاء الكفار والجاهلون ومن قبلهم كفار معاندون ، والمقلد الذي تمكن من العلم ، ومعرفة الحق ، وأعرض عنه ، يختلف عن المقلد الذي لم يتمكن من ذلك بوجه . والقسمان واقعان في الوجود .

فالمتمكن المعرض المفرط التارك للواجب عليه ، لا عذر له عند الله .

أما العاجز عن السؤال، والعلم، الذي لم يتمكن من العلم، فهم قسمان أيضًا:

أحدهم : مريد للهدى مؤثر له ، ومحب له ، وغير قادر عليه، ولا على طلبه ، لعدم من يرشده ، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات ، ومن لم تبلغه الدعوة .

والثاني : معرض ، لا إرادة له ، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه ، ففرق بين عجز الطالب ، وعجز المعرض .

فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين ، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا ، فهم في النار جميعًا ، الذين اتبعوا والذين اتُبعوا كما قال سبحانه عن الإتباع : ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: ٣٨] .

الطبقة الثامنة عشرة والأخيرة : طبقة الجن .

والجن منهم المؤمن والكافر ، والبار والفاجر كما قال سبحانه إخبارًا عنهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن:١٤-١٥] .

وكفار الجن في النار كما قال سبحانه :﴿ وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة:١٣] .

فالجن مكلفون بشرائع الأنبياء ، فيجب عليهم طاعتهم ، كما يجب على الإنس ، ومؤمنهم في الجنة ، وكافرهم في النار ، وهم مكلفون بالشريعة الإسلامية ، مأمورون منهيون ، مثابون ومعاقبون : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

فالمحسن من الجن في الجنة كالإنس ، والمسيء من الجن في النار كالإنس كما حكى الله عن مؤمنيهم أنهم قالوا : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٣ - ١٥] .

فهذه طبقات المكلفين من الثقلين الإنس والجن في الدار الآخرة ، وكل طبقة منها لها أعلى ، وأدنى ، ووسط ، وهم درجات عند الله ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف:١٩] .

وقال النبي ﷺ في قصة الإسراء : « ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، قال : ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » . متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ : « إن أحدَكم إذا مات ، عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداةِ والعشيِّ ، إن كان من أهلِ الجنةِ فمن أهلِ الجنةِ ، وإن كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ ، فَيُقالُ : هذا مقعدُك حتى يبعثَك اللهُ يومَ القيامةِ » .متفق عليه[2] .

اللهم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:٢٣] .

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا ، اللهم إنا نسألك الجنة ما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، اللهم إنا نسألك نعيمًا لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ونسألك الدرجات العلا من الجنة .

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك ، وبك منك لا نحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٣/ ١٦٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣١٣)، و مسلم برقم: (٦٥/ ٢٨٦٦)، واللفظ له.

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠-خزائن الطاعات والمعاصي

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٣٠-خزائن الطاعات والمعاصي

١- الخزانة الأولى

- **أقسام المخلوقات :**

خلق الله المخلوقات على ثلاثة أقسام :

الأول : مخلوقات لها عقول بلا شهوات ، وهم الملائكة الذي يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٩- ٢٠] .

الثاني : مخلوقات لها شهوات بلا عقول ، وهم عالم الحيوان : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

الثالث : مخلوقات لها عقول ، ولها شهوات ، وهم عالم الجن والإنس : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

فمن غلب عقله منهم على شهواته صار أفضل من الملائكة ، ومن غلبت شهواته على عقله صار أقل من رتبة البهائم : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وقد أسكن الله آدم وزوجه جنة ؛ ليربيه على امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، وحذره من الشيطان ، وإذا أخطأ قوَّم خطأه ، فأخطأ آدم ، وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ، فتاب إلى ربه فتاب الله عليه كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٥- ٣٧] .

ولما أخرج الله آدم ﷺ من تلك الجنة ، وأسكنه الأرض ، حاسبه وعاقبه وذريته على مخالفة أمره ، ففي الجنة أسكنه ليقومه ، ويربيه ، وفي الأرض أسكنه ليثيبه على فعل الأمر ، ويعاقبه على فعل النهي ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨- ٣٩] .

ففي الجنة يصوب المخطئ ولا يُؤدب ، وفي الأرض بعد التربية والتدريب يؤدب ولا يُصوب : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٣- ١٢٤] .

فآدم ﷺ في الجنة غير معصوم ، ولما أرسله الله إلى ذريته كان معصومًا ، لأنه رسولٌ من ربه إلى ذريته .

وقد خلق الله آدم ليكون خليفة في الأرض كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة:٣٠] .

والخليفة من يخلف غيره ، وآدم وذريته خلفوا الجن في عمارة الأرض ، وذريته يخلف بعضهم بعضًا : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٥] .

والله استخلف آدم وذريته في إبلاغ دينه والعمل به .

وقد خلق الله الإنسان مختارًا يطيع مرة ، ويعصي مرة : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

والطاعات يحبها الله ويأمر بها ، والمعاصي يبغضها الله وينهى عنها ، فقد أمر الله بالطاعات ، ونهى عن المعاصي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقد طلب الله من العباد الشكر على الطاعة ، والتوبة من المعصية ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١] .

وربما أورثت الطاعة عند بعض الناس العُجب ، والمنة ، وخلق الله المعصية التي ربما أورثت بعدها الذلة والانكسار بين يدي الرب : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة:٢١٦] .

وقال النبي ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١/ ٢٧٤٩).

فالله سبحانه حكيم عليم خلق الطاعات والمعاصي ، وخلق كل شيءٍ في هذا الكون ؛ لأنه الخالق الذي خلق كل مخلوق لحكمة : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر:٦٢- ٦٣] .

فخلق الله الطاعات لحكمة ، وخلق المعاصي لحكمة : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾ [الأنعام:١٠١- ١٠٢] .

وقد وعد الله أهل الطاعات ، وأهل المعاصي بقوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ [النساء: ١٣ – ١٤] .

وللطاعات ثمرات ، وللمعاصي عقوبات .

والطاعة : كل أمرٍ أمر الله ورسوله به ، والمعصية كل نهيٍ نهى الله ورسوله عنه ، وكل معصية فهي من خطوات الشيطان ، سواء كانت فعلًا محظور كالزنا وأكل الربا ونحوهما ، أو ترك مأمور كترك الصلاة والزكاة ونحوهما ، فالشيطان عدوٌ مبينٌ للإنسان يأمره بالفحشاء والمنكر ، ويصده عن ذكر الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور:٢١] .

ولهذا نهانا الله ﷻ عن إتباع خطواته كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩ ﴾ [البقرة: ٢٠٨ – ٢٠٩] .

- **أقسام المعاصي :**

المعاصي التي يفعلها الإنسان تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : معاصٍ يوحي بها الشيطان .

الثاني : معاصٍ تصر عليها النفس .

فمن حدثته نفسه بمعصية ، ولم تتراجع عنها ، بل أصرت عليها ، فهذه معصيةٌ من النفس كما يصر الإنسان على شرب الخمر أو الزنا ونحوهما من المعاصي ؛ لأن النفس تريد المعصية من هذا اللون فقط ونحوهما مما يحقق لها الشهوة ، والنفس أمارة بالسوء دائماً : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

أما الشيطان فهو يريد من الإنسان أن يكون عاصيًا لربه بأي شكل ، وبأي وجه ، عاص بأقواله، أو بأفعاله، أو بأخلاقه، فإن عز عليه في باب من أبواب المعصية طرق عليه بابًا آخر يصيده به ويجره به إلى النار : ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾ [يس:٦٠-٦٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر: ٦] .

والله ﷻ قد ابتلى كل إنسان بثلاث :

بالشهوات الحيوانية

وبالأوامر الإلهية

وبالمصائب القدرية .

والشهوات هي : ما تميل إليه النفس من غير تعقل ولا تبصر ولا مراعاة لدين ، ولا مراعاة لمروءة ، والنار محفوفة بالشهوات المحرمة ، فإذا هتك الإنسان هذا الحجاب فزنى أو شرب الخمر أو أكل الربا دخل النار ؛ لأنه هتك الحجاب الذي بينه وبين النار بفعله ، فالنفس مجبولة على حب الشهوات ، فالشهوات المباحة تعين على طاعة الله ﷻ ، أما الشهوات المحرمة فهي تجر الإنسان من الأوامر الإلهية ، ومن طاعة ربه ، إلى إتباع هواه وشهوات نفسه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤- ١٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

والنفس الأمارة بالسوء تدعو صاحبها دائمًا إلى هتك هذا الحجاب بفعل المحرمات ، وترك الطاعات ، ولكن إذا أُكرهت النفس على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات، صار ذلك سببًا لدخول الجنة ؛ لأن الجنة حُفت بالمكاره ، والنار حُفت بالشهوات .

عن عبد الله ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « لجَنَّةُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِن شِراكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذلكَ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة أن الرسول الله ﷺ قال : « حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وحُجِبَتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ » . متفقٌ عليه[2] .

والله ﷻ قد أمر بطاعته وطاعة رسوله فقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

ونهى الله ﷻ عن معصيته ومعصية رسوله فقال : ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤] .

فالمعاصي تنقسم إلى قسمين :

الكبائر : وهي كل ذنب رتب عليه الشرع عقوبة خاصة ، وكل ذنب لعن النبي ﷺ فاعله فهو من كبائر الذنوب ، وكل ذنب فيه حدٌ في الدنيا كالزنا فهو من كبائر الذنوب ، وكل ذنب فيه وعيد في الدنيا كأكل الربا فهو من كبائر الذنوب ، وكل أمرٍ فيه نفي إيمان فهو من كبائر الذنوب كما قال النبي ﷺ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يحُبَّ لأخِيهِ ما يحُبُّ لِنَفْسِهِ » . متفق عليه[3] .

وكل ذنبٍ تبرأ رسول الله ﷺ من فاعله فهو من كبائر الذنوب مثل : « مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)صحيح/ أخرجه مسلم برقم: (٦٤٨٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٨٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨٢٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٤٥).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٠٢).

وكل ذنبٍ توعد الله فاعله بالنار أو الغضب أو اللعن فهو من الكبائر كالقتل بغير حق : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

ونحو ذلك من كبائر الذنوب ، وما سوى ذلك فهو من الصغائر ، ومن أجتنب الكبائر كفر الله عنه الصغائر : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] .

فما أرحم الله بعباده ، وما أعظم عنايته بهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥] .

- **فقه الطاعة والمعصية**

الطاعة : هي موافقة الأمر الشرعي ، سواء كان ذلك في فعل المأمور ، أو في ترك المحذور .

والمعصية هي : مخالفة الأمر الشرعي ، سواء كان ذلك في ترك المأمور أو في فعل المحذور فإذا قيل طاعة ومعصية فالطاعة فعل المأمور ، والمعصية فعل المحذور .

فالطاعة فعل المأمور، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١] .

والمعصية : فعل المحذور كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:١٨٨] .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢].

وإذا قيل طاعة على سبيل الإطلاق شملت فعل الأوامر ، واجتناب النواهي كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

ويجب على كل مسلم فعل الأمر حسب الاستطاعة ، ويجب عليه ترك المنهي عنه مطلقًا إلا حال الضرورة ، فإن الطاعات نافعة بمنزلة الغذاء ، والمعاصي ضارة بمنزلة السم ، فإذا اضطر الإنسان إلى شيء محرم ، وكان لا يجد سواه ، وتندفع به ضرورته ، فإنه حلال له كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ [الأنعام: ١١٩] .

وكل ما أمر الله ورسوله به نأتي منه ما استطعنا ، وما لا نستطيعه يسقط عنا ؛ لأن الأمر شاق على النفس ، بخلاف النهي ، فإنه ترك ، والترك أسهل من الفعل ، فلا واجب مع العجز ، ولا محرم مع الضرورة :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: ١٦] .

وقال ﷻ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقال النبي ﷺ : « صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » . أخرجه البخاري [1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . متفقٌ عليه[2] .

ومن الطاعات التي أمر الله ﷻ بها : الإحسان إلى كل مخلوق : ﴿ وَّأَحۡسَنُوٓاْۛ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة: ٩٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١١٧) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤١٢/ ١٣٣٧).

وقال سبحانه : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣] .

ومن المعاصي التي نهى الله عنها أذى الإنسان لغيره ، وكلما كان الإنسان أحق بالإكرام كانت أذيته أعظم وأكبر إثمًا ، وأشد عقوبة كما قال النبي ﷺ : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . متفقٌ عليه [١] .

والذنب يعظم بحسب الأذى والمؤذى ، فالأذى سواء كان بالقول أو الفعل يختلف بحسب الأذى والمؤذى ، فأذى الله ورسوله ، وأذى ولي الأمر ، والعالم ، أو العابد الزاهد ، ليست كأذية عامة الناس ، لما تسببه من الشر والفساد ، وأذية القريب ليست كأذية البعيد ، وأذية الجار أشد من أذية غير الجار كما قال النبي ﷺ : « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيُوَرِّثَنَّهُ » . متفق عليه[٢] .

وأذية من له حقٌ عليك ليس كأذية من لا حق له عليك ، فالأذى درجات ، ومن يُؤذى درجات : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨ ﴾ [الأحزاب:٥٦- ٥٨] .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ ﴾ [المجادلة:٢٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » . أخرجه مسلم[٣] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٨) ، ومسلم برقم (٦٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٠/ ٢٦٢٤).

(٣)أخرجه مسلم برقم:(٤٦).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ » . متفق عليه[2] .

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥) ، ومسلم برقم: (٤٤) واللفظ له .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٦٤٧٦، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٧/ ٤٨).

٢- الخزانة الثانية

- **فقه الطاعات والمعاصي :**

من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف عظمة ملكه وسلطانه ، وعرف عظيم نعمه وإحسانه ، آمن به وأطاعه ، وآثر طاعته على طاعة من سواه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ومن جهل ربه عصاه ، وآثر طاعة غيره عليه ، فالعاصي إنما يعصي ربه لأنه يرى طاعه نفسه أولى من طاعة ربه ، فمن قال الله أكبر ، ثم عصى الله ، فإنما يرى شيئًا أكبر وأثمن من رضا الله : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة: ٦٢] .

ومن آثر شيئًا مما سوى الله على طاعة الله فإنما يرى هذا الشيء أولى من إرضاء الله ، وأكبر من أمر الله : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

وشتان بين الحق والباطل ، وشتان بين الهدى والهوى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف:٥- ٦] .

وعبادة الله ﷻ تكون بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ابتغاء مرضاته ، فالعبد حقاً من صدق أخبار الرب ، وامتثل أوامره ، واجتنب نواهيه : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢- ٣] .

لهذا يجب على العبد أن يسمع ما أمر الله بسماعه من القرآن والسنة، والدروس العلمية النافعة، والمواعظ، ويعرض عما سوى ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٨ ﴾ [الزمر:١٧- ١٨]

ويجبئ عليه أن يجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه ، ومن ذلك :

المعازف التي هي آلات العزف ، فتحرم جميع آلات العزف ، ويستثنى من ذلك استعمال الدف في المناسبات ، فالسنة جاءت بجوازه ، واستعمال الدف في الأعراس ، واستعمال الدف في الأعياد ، واستعمال الدف عند قدوم الغائب الكبير الذي له شأنٌ وأمر ، كل هذا جاءت به السنة .

عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر ﷺ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى ، تدففان وتضربان والنبي ﷺ مُتغشٍ بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال : « دَعْهُما يا أبَا بَكْرٍ، فإنَّهَا أيَّامُ عِيدٍ، وتِلْكَ الأيَّامُ أيَّامُ مِنًى » . متفقٌ عليه[1] .

وقال النبي ﷺ : « لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ » . أخرجه البخاري معلقًا[2] .

ونذرت جارية أن تضرب بين يدي النبي ﷺ عند قدومه من السفر أن تضرب بين يديه بالغربال فقال لها : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ » . أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٤٩)، ومسلم برقم (٨٩٢).

(٢)أخرجه البخاري معلقاً برقم: (٥٥٩٠).

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٦٩٠).

فيجب على ولاة الأمر تكسير آلات العزف وإتلافها لأنهم مسئولون عن الأمة ، وهم قادرون على إزالة المنكر بأيديهم ، لئلا تشيع الفاحشة والمنكر في أمتهم ، وإذا اتقوا الله في الأمة اتقت الأمة ربها فيهم ، ومن أذل الخلق في طاعة الله أعزه الله بهذه الطاعة ، وجميع المعاصي ضررٌ على العاصي ، وعلى الأمن ، وعلى الولاة ، وعلى الأمة ؛ لأن النفوس إذا أبعدت عن الخالق تعلقت بالمخلوق ، وهذه الأشياء تُبعد الخلق عن الخالق ، وتشغلهم بالشهوات فهي تهلي ، وتصد عن سبيل الله ، وعن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وهي سلاح الشيطان التي يقتل بها من أطاعه من الناس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] .

والمؤمن حقًا من أطاع الله ، وأطاع الرسول ، وأطاع ولي الأمر في غير معصية الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩- ٧٠] .

إن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه ، والعلم بدينه وشرعه سببٌ للإيمان بالله ، وطاعته ، ومحبته ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

فالمسلم إذا علم أن الله بصيرٌ يبصره ، وشهيدٌ يراقبه ، وسميعٌ يسمعه ، وعليمٌ يعلم بأعماله ظاهرة كانت أو باطنة ، ويعلم أن الله قادرٌ على عقوبته ، فلابد أن يستقيم على أمره ، وأن يجتنب معصيته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق: ١٢].

وقال سبحانه : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة: ٩٨].

وقال سبحانه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾[الحجر:٤٩- ٥٠].

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله فلا يمكن أن يعصيه ، فإن عصاه فلضعفٍ في علمه أن الله يعلم به ، أو لضعفٍ في علمه أن الله سوف يحاسبه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٩].

فأفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المجادلة: ٧].

شهيدٌ على أقواله وأعماله وسيجازي كل أحدٍ بعمله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف:٨٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٣ – ١٤] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٨ – ٩٩] .

فالاستقامة إيمان وإحسان : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] .

والانحراف عدوان ، والغش عدوان ، والخيانة عدوان ، والكذب عدوان ، والظلم عدوان : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الصف: ٧] .

فهذا كله إن وقع لن يستمر، لابد أن يكشفه الله في الدنيا قبل الآخرة : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ۔ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣] .

والإنسان يحسن ويسيء، ويطيع ويعصي، ويصيب ويخطئ، ويقبل ويدبر؛ لأن الله ركب فيه الشهوات ، وما ركب فيه الشهوات إلا ليرقى إلى الله بها ، فإن صاحبها نور الإيمان سارت به على صراطٍ مستقيم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾

نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وإن تجردت من الإيمان سارت بصاحبها إلى الجحيم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢] .

وقال سبحانه : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧] .

فالشهوات قوةٌ محركة إلى الخير إن كانت في ضوء القرآن والسنة، أو قوةٌ مدمرة لكل خير، ومن وقع في ذنبٍ بجهله فليتب إلى الله فورًا؛ لأنه أسهل عليه، وأسعد له: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾﴾ [النساء:١٧- ١٨] .

والله ﷻ حكيم عليم أصلح الكون خلقًا وتدبيرًا ، والفساد في الأرض يكون بالكفر والشرك وإظهار معصية الله ؛ لأن الشرائع سنن وضعها الله لإصلاح العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، فإذا تمسك الخلق بالشرائع الإلهية حصل الخير ، وزال العدوان ، ولزم كل أحدٍ شأنه ، فصلحت الأرض ، وصلح أهلها ، وإذا ترك الخلق التمسك بالشرائع السماوية حصل الشر ، وأقدم كل أحدٍ على ما يهواه ، فحصل الهرج والمرج ، والخوف والفساد : ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١] .

وقال سبحانه : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢] .

فالإيمان سببٌ للأمن والهداية والسعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

والله سبحانه قد أصلح الكون خلقًا وتدبيرًا ، والكافر هو الذي يفسد ما أصلح الله ، وما أمر الله به : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف:٥٥ – ٥٦] .

الإيمان والطاعات كلها نورٌ وطمأنينة : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

والكفر والمعاصي كلها ظلمة وشقاءٌ وشدة ، والذنب كل معصية لله ، والذنوب كلها ظلمات وسواد ، والران هو الذنب على الذنب ، والذنوب إذا أحاطت بالقلب وغشته مات : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] .

وكلما أذنب العبد حصلت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود القلب كله ، والذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيمًا ظلماء ضخمة ، ونار جهنم

أظلم ما خلق الله ، وأسود ما خلق الله ، ولما كانت الذنوب مختلفة كانت مراتب الظُلمة والسواد مختلفة ، فبعضها يكون ريناً ، وبعضها يكون وبعضها يكون طبعًا : ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥٥] .

وبعضها يكون ختمًا كما قال سبحانه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧] .

وبعضها يكون أقفالًا : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] .

فقلوب الكفار مقفلةٌ عن الحق بالشهوات .

- **أسباب المعاصي :**

أسباب المعاصي كثيرة، والذي يحمل الإنسان على معصية الله ورسوله ما يلي :

الأول : الشهوات واللذات ، فيقدم الإنسان شهوات نفسه على أوامر ربه فيشقى بذلك : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

الثاني : الغفلة عما في المعاصي من جلب مفاسد الدارين ، ودفع مصالحهما ، والغفلة عما في الطاعات من جلب مصالح الدارين ، ودرء مفاسدهما : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن

يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ – ١٤].

الثالث : الغفلة عن عظمة الله وجلاله ، والغفلة عن اليوم الآخر ، والغفلة عن أوامر الله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٣ – ٢٠].

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

الرابع : النفرة من الواجبات ، والشعور بثقلها ، فإيثار اللذات والشهوات هو الذي أهلك الأولين والآخرين ، فلولا إيثار آدم وحواء لذة الخلد والملك ، وجهلهما بما في الأكل من الشجرة من المفاسد ، حيث أخرجهم الله من الجنة عاريين خاسرين مفارقين لنعيم الجنة ، صائرين للعناء والشقاء بمعيشة الدنيا ، وذلك بسبب أكلهما من الشجرة ، ومعصية ربهما ، ولو علما ذلك ما أكلا منها ، ولكن الشيطان زين لهم الأكل من الشجرة ، فلما صدرت منهما المعصية أخرجهم الله من الجنة إلى دار الابتلاء والامتحان في هذه الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ

حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأعراف:١٩-٢٥] .

وكلما عُصي الرب سبحانه بما لا لذة فيه عظم الوزر ، فعبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تنفع ولا تضر ، وأكل النجاسات والقاذورات ، كل ذلك قبيح شديد القبح ، لأنه لا داعي إليه ، ولا حامل عليه ولا مصلحة فيه : ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء: ٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[الأنعام: ٧١] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[المائدة: ٧٦] .

فلا إله إلا الله ما أجهل الناس بربهم ، وما أشد غفلتهم عن أوامره : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا

يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

الخامس: طاعة الشيطان فيما يزينه للناس من المعاصي والمنكرات : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٩ – ١٢١].

٣-الخزانة الثالثة

- **مشاهد الخلق في الطاعات والمعاصي والأخلاق :**

الله ﷻ خالق كل شيء وهو العليم الحكيم، خلق الناس متفاوتين في قدراتهم وأخلاقهم، وأفكارهم وأعمالهم، مختلفين في مقاصدهم ونياتهم .

وقلوبهم جواله ، منها ما يطوف حول العرش ، ومنها ما يطوف حول الحُش ، فمن استنار قلبه بنور الوحي أضاء له في الدنيا والآخرة ، فأبصر الطريق إلى الله ، وعرف هداه ، وسار إلى ربه على هدي رسوله ، سار على صراطٍ مستقيم الله موالاه ، وله الجنة يوم يلقاه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

ومن استكبر عن الحق أو ظل عنه فهو في الظلمات في الدنيا والآخرة ، فهو يتخبط في الظلمات ، ويجمع من المعاصي والسيئات ما يُعذب به في جنهم : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الإسراء: ٧٢].

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٧].

فهؤلاء سائرون إلى النار ، وقادمون على ما عملوا : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤].

فالناس متفاوتون أعظم تفاوت في إرادتهم ، في شهواتهم ، في أعمالهم ومقاصدهم ، في إرادتهم وشهواتهم ، في أعمالهم ومقاصدهم ، وفي ثوابهم وعقابهم ، وذلك بحسب علمهم وجهلهم ، وبحسب إيمانهم وكفرهم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن:٢] .

ولو شاء الله ﷻ لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الحق والهدى والتوحيد ، فإن مشيئته مطلقة ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، ولكن حكمته سبحانه اقتضت أن خلقه لا يزالون مختلفين متبعين للسبل الموصلة إلى النار ، كلٌ يرى الحق فيما يقوله ويفعله ، والضلال في قول غيره إلا من رحم الله ، فهداهم الله إلى العلم بالحق ، والعمل به ، والإنفاق عليه والدعوة إليه فهؤلاء الناجون وأولئك الهالكون : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣- ١٢٦] .

والله ﷻ بحكمته خلق الناس ، ليكون منهم السعداء والأشقياء ، والمتفقون والمختلفون ، والفريق الذين هدى الله ، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة ، لتبين للعباد عدل الله وحكمته ، وليظهر ما كمن في النفوس البشرية من الخير والشر ، وليقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود: ١١٨- ١١٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يونس:٩٩- ١٠٠] .

والله ﷻ له الخلق كله ، وله الأمر كله ، وله الملك كله ، وإليه يُرجع الأمر كله ، فتجب طاعته سبحانه في كل ما ، أمر به ، وفي كل ما نهى عنه ، ولا طاعة لأحدٍ من الخلق إلا لمن أذن الله له أو أمر بطاعته كالرسل والأنبياء ، والعلماء والأئمة الربانيين والولاة الصالحين ، والآباء والأمهات ، والسادات والأزواج والمستأجرين على الأعمال ، والصناعات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] .

ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ لما فيها من المفاسد العظيمة في الدارين أو أحدهما ، فمن أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة، إلا أن يُكره الإنسان على أمر يبيحه الإكراه فلا إثم على مطيعه بشرط أن لا يضر غيره .

وقد تجب طاعة المكره لا لكونه آمرًا بل دفعًا لمفسدة ما يهدده به من قتلٍ أو قطع ، أو جنايةٍ على عرض ونحو ذلك، كما قال سبحانه : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل:١٠٦- ١٠٧].

واختص الله ﷻ سبحانه بالطاعة المطلقة لاختصاصه بنعم الإيجاد ، ونعم الإمداد ، ونعم الهداية والإسعاد ، فما من شيء من مصالح الدنيا والدين إلا

هو منعمٌ به سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وما من ضرٌ وشر إلا وهو دافعه ، فله وحده الحكم ، وله الطاعة المطلقة في كل حال ، وله وحده العبادة : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٤٠] .

وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

واختص الأنبياء والرسل بالطاعة المطلقة ؛ لأن ما جاءوا به وحيٌ من عند الله ، يبلغونه لخلق الله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

- **مشاهد الناس في الطاعات والمعاصي :**

الناس في معرفة الحق ، وفي قبوله ورده ، متفاوتون ، وهم في الطاعات والمعاصي التي يفعلونها بإرادتهم مختلفون ، وفي شهود المعاصي التي تجري عليهم أحكامها بإرادتهم وشهواتهم متفاوتون أعظم تفاوت .

ومشاهد الناس في الطاعات والمعاصي كما يلي :

الأول : مشهد الحيوانية ، وقضاء الشهوة :

فهذا مشهد الجُهال الذين لا فرق بينهم وبين الحيوان إلا في اعتدال القامة ، ونطق اللسان ، فهؤلاء نفوسهم حيوانية لم تترقى عنها إلى درجة الإنسانية فضلًا عن درجة الملائكة .

فهؤلاء حالهم أخس من أن تذكر ، وهم في أحوالهم متفاوتون بحسب الحيوانات التي هم على أخلاقها وطباعها : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

فمنهم من نفسه كلبية لو صادف جيفة تشبع ألف كلب لوقع عليها ، ونبح على كلٍ مخلوقٍ يدنو منها ، فلا تقربها الكلاب إلا على كره منه وغلبة ، همه شبع بطنه من أي طعام حصل له طيبٌ أو خبيث ، حلالٌ أو حرام : ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٤] .

ومنهم من نفسه حمارية لم تخلق إلا للكد والعلف كلما زيد في علفه زِيد في كده ، أبكم الحيوان ، وأقله بصيرة .

ومنهم من نفسه سبعية همه العدوان على الناس ، وقهرهم بما وصلت إليه قدرته .

ومنهم من نفسه فأرية فاسقٌ بطبعه ، مفسدٌ لما جاوره .

ومنهم من نفسه على نفوس ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوها ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه ، فيدخل الرجل القبر ، ويدخل الجمل القدر ، فهذه النفوس الخبيثة ، سواء رأت أو علمت ، إذا تكيفت بكيفية غضبية ، مع شدة حسد وإعجاب ، وصادفت المعين على غرةٍ وغفلةٍ عن الذكر ، لدغته كالحية وأهلكته نعوذ بالله من شرها : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١- ٥] .

ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمه ، وهكذا كثيرٌ من الناس يرى المحاسن من أخيه فلا ينشرها ، ويرى المساوئ فيجعلها فاكهته .

ومن الناس من هو على طبيعة الطاووس ليس له هم إلا التطوس والتزين بالريش لا غير ، أنا زينة قلبه بالإيمان ، وجوارحه بالأعمال ، ولسانه بذكر الله ، فهو غافلٌ عنه ، غره الشيطان فتزين للمخلوق ولم يتزين لخالقه .

ومنهم من هو على طبيعة الذرة أجمع الخلق مالًا ، وأقلهم أعمالًا .

ومنهم من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان ، وأغلظه كيدًا .

ومنهم من هو على طبيعة الدب أبكمٌ خبيث .

ومنهم من هو على طبيعة القرد يفسد كل ما تصل إليه يده .

ومنهم من هو على طبيعة الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسًا، وأكرمها طبعًا .

ومنهم من هو على طبيعة الديك ، يؤذن بالخير في كل مكان ، ويؤثر غيره بما تحبه نفسه .

ومنهم من هو على طبيعة الثعلب ، يروغ في معاملاته كما يروغ الثعلب في حركاته .

ومنهم من هو على طبيعة الغنم حيث السكينة والتواضع والهدوء .

ومنهم من هو على طبيعة البقر ، مهتمٌ بنفسه ، غافلٌ عن غيره ، وعن مصيره .

وهكذا ، وكل من ألف نوعاً من هذه الحيوانات ، كسب من طبعه وخلقه ، فإن تغذى بلحمه كان الشبه أقوى وأظهر :﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

الثاني : مشهد الحكم القدري :

وهؤلاء يعصون الله ، ويشهدون أنهم مجبرون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير اختيارهم ، وأن الفاعل غيرهم، والمحرك سواهم ، فلا ينسبون إلى أنفسهم فعلًا ، ولا يرون لها إساءة ، ويزعمون أن هذا هو التحقيق والتوحيد ، وربما زادوا على ذلك فيرى أحدهم نفسه مطيعًا من وجه ، وإن كان عاصيًا من وجه آخر ؛ لموافقته المشيئة والقدر ، فيقول : كما أن موافقة الأمر طاعة ، فكذلك موافقة المشيئة طاعة ، وأنا مطيع لإرادة الله ومشيئته ، وإن كنت عاصيًا لأمره ، فنعوذ بالله من الجهل وأعمال الجاهلين : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨] .

وهؤلاء أعداء الله حقًا، وأولياء إبليس وأحبائه وإخوانه، وشر خلق الله وأصحاب المشهد الأول خيرٌ منهم، وهذا المشهد بعينه هو المشهد الذي شهده المشركون عباد الأصنام، ووقفوا عنده: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل: ٣٥]

وكذلك مشهد إبليس الذي انتهى إليه حين قال لربه : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩ – ٤٠] .

الثالث : مشهد الطبيعة البشرية :

وعند هؤلاء أن الإنسان العاقل متى كان له وازعٌ من نفسه ، لم يحتج إلى أمر غيره ونهيه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

الرابع : مشهد الفعل الكسبي القائم بالعبد فقط .

فلا يشهد إلا صدوره عنه وقيامه به ، ولا يشهد مع ذلك مشيئة الرب له ، ولا جريان حكمه القدري به ، ولا عزة الرب في قضائه ، ونُفوذ أمره في خلقه ، فهذا المشهد وإن كان صحيحًا نافعًا له حيث يرى الذنب والعيب من نفسه ، وأنه مستحق للعقوبة والنكال ، وأن الله سبحانه إن عاقبه فهو العادل فيه ، وأنه هو الظالم لنفسه ، وهذا كله حقٌ لا ريب ، لكن صاحبه ضعيف مغلوب على نفسه غير معان عليها ، بل هو معها كالمقهور المخذول ، فإنه لم يشهد عزة ربه في قضائه وقدره ، ونفوذ أمره الكوني ومشيئته ، وأنه لو شاء لعصمه وحفظه ، وأنه لا معصوم إلا من عصمه الله ، ولا محفوظ إلا من حفظه الله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وذلك الصنف من الناس لم يشهد أنه هو محل جريان أقضية الله وأقداره سبحانه ، وأنه مسوق إليها في سلسلة إرادته وشهوته ، وأن تلك السلسلة طرفها بيد غيره ، فهو سبحانه القادر على سوقه فيها إلى ما فيه صلاحه وفلاحه ، وإلى ما فيه هلاكه وشقاؤه : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦] .

فهو لغيبته عن هذا الشهود ، وغلبة شهود المعصية والكسب على قلبه لا يعطي حقه ، ولا الاستغاثة بربه ، ولا الافتقار إليه ، فهو سبحانه خالق كل شيء ، ورب كل شيء ، لا ملجأ منه إلا إليه : « اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » . أخرجه مسلم[1] .

وقال سبحانه : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١] .

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٢٢/ ٤٨٦).

٤- الخزانة الرابعة

- **مشاهد الناس في الطاعات والمعاصي :**

الخامس : مشهد الحكمة :

وهو أحد مشاهد أهل الحكمة ، وهؤلاء يشهدون أن الله لم يخلق شيئًا عبثًا ولا سدى ، وأنه له الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خيرٍ وشر ، وطاعةٍ ومعصية ، وأمرٍ ونهي : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر:٦٢- ٦٣] .

وأنه لا يكون شيء في العالم إلا بمشيئته وقدره ، وأن لله في ظهور المعاصي والجرائم حكمٌ وأسرار يترتب عليها ما هو أحب إليه ، وآثر عنده من فوته بتقدير عدم المعصية ، فصاحب هذا المشهد يرى حكمة الله في تخليته بينه وبين الذنب ، وإقداره عليه ، وتهيئة أسبابه له ، وأنه لو شاء عصمه وحال بينه وبينه ، ولكن خلى بينه وبينه لحكمٍ عظيمة لا يعلم مجموعها إلا الله سبحانه ، فهو سبحانه يحب التوابين ، فلمحبته للتوبة وفرحه بها قضى على عبده بالذنب ، ثم إذا كان ممن سبقت له الحسنى قضى له بالتوبة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣ ﴾ [الأنعام: ٨٣] .

وذلك العبد رأى عزة ربه في قضائه ، ونفوذ مشيئته ، وجريان حكمة ، وليعرف حاجته إلى حفظ ربه وأنه لو لم يحفظه فهو هالك ، وليستجلب من عبده استعانته به ، والتضرع إليه ، والاستعانة به من شر نفسه ، وشر عدوه ، وإرادته من عبده تكميل مقام الذل والانكسار له ، فإنه متى شهد صلاحه واستقامته شمخ بأنفه، وظن أنه وأنه، فإذا أبتلاه ربه بالذنب تصاغرت نفسه ، وذلت لربها .

وتعريف العبد بحقيقة نفسه وأنها الخطاءة الجاهلة ، وأن كل ما فيها من عمل أو خير فهو من الله منّ به عليه لا من نفسه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وليعلم العبد سعة حلم ربه وكرمه في ستره عليه ، فإنه لو شاء لعاجله على الذنب ، ولهتكه بين عباده فلم يصفو له معهم عيش ؛ وليعلم أنه لا طريق إلى الجنة إلا بعفو ربه ومغفرته وإظهار كرمه في قبول توبته ، ومغفرته له ، على ظلمه وإساءته ، وإقامة الحجة عليه ، فإن عذبه فبعدله ، وإن أكرمه فبفضله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥] .

والعبد إذا شهد إساءته وظلمه ومعاصيه استكثر القليل من نعم الله عليه ، لعلمه بأن الواصل إليه منها كثيرٌ علي مسيء مثله ، فهو دائمًا مستقلٌ لعمله كائنًا ما كان ، والذنب يوجب للعبد اليقظة والحذر من مصائد عدوه ومكائده : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

وقد يكون في القلب أمراض مزمنة لا يشعر بها ، فيطلب دواءها ، فيمن الله عليه ويقضي عليه بالذنب ، فيجد آلام مرضه فيحتمي ويشرب الدواء النافع فتزول تلك الأمراض التي لم يكن يشعر بها .

وبالذنب يذيقه جل جلاله ألم الحجاب والبعد بارتكاب الذنب ؛ ليكمل له نعمته وفرحه وسروره إذا أقبل بقلبه إليه وقام بطاعته ، فتكون لذته بذلك بعد أن صدر منه ما صدر بمنزلة ارتواء الظمآن بالماء العذب الزلال ، وأن لطف الرب وبره وإحسانه بعبده ليبلغ أكثر من هذا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والذنب كذلك يوجب له الإمساك عن عيوب الناس والفكر فيها ، فإنه في شغلٍ بنفسه وعيبه ، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس .

وكذلك الذنب يوجب له الإحسان إلى الناس ، والاستغفار لإخوانه الخاطئين من المؤمنين فيقول رب اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠] .

وهذا شيءٌ قليل ، فكم في ظهور المعاصي والذنوب من الحكم والأسرار التي يترتب عليه ما هو أحب إلى الله وآثر عنده من عدمها ، فإنه لولا المعصية من أبي البشر آدم بأكله من الشجرة لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى ، من امتحان خلقه وتكليفهم وإرسال رسله ، وإنزال كتبه ، وإظهار آياته وعجائبه ، وتنويعها وتصريفها ، ومعرفة جلاله وجماله ، وإكرام أوليائه ، وإهانة أعدائه ، وظهور عدله وفضله ، وعزته وانتقامه وعفوه ومغفرته : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

وظهور من يعبده ويحبه ، ومن يقوم بطاته ومحبوباته بين أعدائه في الدنيا ، وظهور الطيب من الخبيث من خلقه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

ولم تتم الحكمة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب وعقوبة وإهانة ، ودار سعادةٍ وفضل ، ودار شقاوة وعدل : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣] .

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

السادس : مشهد التوحيد .

وهو أن يشهد العبد إنفراد الرب تعالى بالخلق والأمر ، والتصريف والتدبير، وأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرةٌ إلا بإذنه وعلمه ، ولا تسكن إلا بإذنه وعلمه ، ويشهد أن قلوب العباد كلهم بيده وحده ، وأنه يقلبها بين أصبعين من أصابعه ويصرفها كيف يشاء .

وأنه الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها ، وألهم نفوس الفجار فجورها ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، هذا فضله وعطاؤه ، وهذا عدله وقضاؤه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

وأنه لا سبيل إلى طاعته إلا بمعونته ، ولا وصول إلى مرضاته إلا بتوفيقه ، فيشهد العبد هنا إنفراد الرب بالخلق كله ، ونفوذ مشيئته في ملكه ، وتعلق الموجودات بأسرها به ، وجريان حكمه على خلقه بما سبق به علمه ، وجرى به قلمه .

ويشهد مع ذلك أمر الله ونهيه ، وثوابه وعقابه ، وارتباط الجزاء بالأعمال ، فشهود توحيد الرب ، وإنفراده بالخلق ، ونفوذ مشيئته ، وجريان قضائه وقدره ، يفتح للعبد باب التوكل عليه ، ودوام الالتجاء إليه ، والافتقار إليه ، وذلك يدنيه من عتبة العبودية ، ويطرحه بالباب فقيرًا عاجزًا مسكينًا ، لا

يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فالتوحيد هو النجاة ، والشرك هو الهلاك : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وهذا هو مشهد الأنبياء والرسل ، فهو مشهد أبيهم آدم ﷺ حينما قال : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

ومشهد أول الرسل نوح ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٧] .

ومشهد إبراهيم خليل الرحمن ﷺ إذ قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] .

ومشهد موسى ﷺ إذ قال : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] .

ومشهد سيد الأنبياء والرسل محمدٌ ﷺ إذ يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٦).

فالعارف حقاً يسير إلى ربه بين شهود المنة من الله ، ومطالعة عيب النفس والعمل ، فشهود المنة يوجب له المحبة لربه سبحانه ، وحمده والثنائه عليه ، ومطالعة عيب النفس ، والعمل ، يوجب استغفاره ، ودوام توبته ، وتضرعه لربه .

وأصحاب هذا المشهد فيه قسمان :

أحدهما : من يشهد تسليط عدوه عليه ، وإفساده إياه ، وكبحه إياه بلجام الشهوة ، فهو أسيرٌ معه ، وهو مع ذلك ملتفت إلى ربه ومولاه ، عالمٌ أن نجاته بيده سبحانه ، وناصيته بيده ، وأنه لو شاء طرده عنه ، وخلصه من يديه ، ولم يعبأ به .

فكلما قاده عدوه ، كبحه بلجامه أكثر التفاته إلى وليه وناصره ، وتضرع إليه ، وفر إليه ، وتذلل بين يديه ، وكلما أراد البعد عن بابه تذكر عطفه وبره وإحسانه ، وتذكر جوده وإحسانه ، وكرمه وغناه ، ورأفته ورحمته ، وجلاله وجماله ، فانجذبت دواعي هربه إليه ، مترامية على بابه ، منطرحةٌ بين يديه .

الثاني: فوق هذا مشهدٌ أجل منه وأعظم ، ومثله كمثلِ عبدٍ أخذه سيده بيده ، وقدمه ليضرب عنقه ، فأيقن العبد المسيء أنه قاتله ، وقد علم العبد بره ولطفه ، ورحمته ورأفته وكرمه ، فهو يناشده بأوصافه ، ويدخل عليه بها ، فانقطع تعلقه بشيءٍ سواه ، فهذا العبد معرضٌ عن عدوه الذي كان سببًا في غضب سيده عليه ، مقصور النظر إلى سيده وهو في قبضته منتظرٌ منه ما يقتضيه عطفه وبره وكرمه وإحسانه ورحمته .

ومثل الأول كمثل عبدٍ أمسكه عدوه وهو يخنقه ليموت ، وذلك العبد يشهد دنو عدوه منه ، ويستغيب بسيده ، وسيده يغيثه ويرحمه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي

لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

المشهد السابع : مشهد التوفيق والخذلان .

فالتوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك ، والخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك ، والعباد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحد ينال نصيبه من هذا وهذا ، فيطيع ربه ويرضيه ، ويذكره ويشكره ، بتوفيقه له ، ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويغفل عنه بخذلانه ، فهو دائرٌ بين توفيق الله وخذلانه ، فإن وفقه ربه فبفضله ورحمته ، وإن خذله فبعدله وحكمته ، وهو المحمود على هذا وهذا ، لم يمنع سبحانه عبده شيئًا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضل وعطايا ، وهو أعلم حيث يضعه ، وأين يجعله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣] .

فإذا علم العبد ذلك علم ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كل نفس ، وكل لحظه ، وكل طرفة عين ، وشهد توفيق الله وخذلانه كما يشهد ربوبيته وخلقه ، فيسأل ربه توفيقه مسألة المضطر ، ويعوذ به من خذلانه عياذ الملهوف ، ويلقي نفسه بين يديه مستسلمًا له سبحانه ، خاضعًا ذليلًا له ، مستكينًا لا يملك لنفسه دفعًا ولا ضرًا ، فالتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادرًا على فعل ما يرضيه ، مريدًا له ، محبًا له ، مؤثرًا له على غيره ، مبغضًا إليه ما يسخطه وما يكره ، وهذا مجرد فعله سبحانه ، والعبد محله، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ

إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات:٧ – ٨] .

فهو سبحانه العليم بمن يصلح لهذا الفضل العظيم ، ومن لا يصلح ، حكيمٌ يضعه في موضعه ، وعند أهله ، لا يمنعه أهله ، ولا يضعه عند غير أهله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [فاطر: ٣١] .

الثامن : مشهد الأسماء والصفات .

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، ومشهد الأسماء والصفات من أجل المشاهد ، فإن كل اسم من أسماء الله سبحانه له صفةٌ خاصة به ، وأسماؤه سبحانه أوصاف مدحٍ وكمال ، وكل صفة لها مقتضى وفعل ، فاسمه الحميد والحكيم والمجيد يمنع ترك الإنسان سدى مهملًا معطلًا ، لا يؤمر ولا يُنهى ، ولا يُثاب ولا يُعاقب : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

واسمه الملك والحي يوجب أن يكون مدبرًا فاعلًا ، ويقتضي مملكة وتصرفًا وتدبيرًا ، وعطاءً ومنعًا ، وإحسانًا وعدلًا ، وثوابًا وعقابًا : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

واسمه السميع والبصير والرقيب يوجب مسموعًا ومرئيًا ومراقبًا .

واسمه الخالق والرزاق يقتضي خالقًا ومخلوقًا ، ورزقاً ومرزوقًا وهكذا بقية الأسماء الحسنى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

فإذا عرف العبد من أسماء الله الحسنى الغفار والتواب والعفو فلابد لهذه الأسماء من متعلقات ، ولابد من جنايةٍ تغفر ، وتوبةٍ تُقبل ، وجرائم يُعفى عنها ، ولابد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه .

والله سبحانه يحب ذاته وأسماءه وصفاته ، وهو عفوٌ يحب العفو ، غفورٌ يحب المغفرة ، تواب يحب التوبة ، رحيم يحب الرحمة ، محسن يحب الإحسان ، مؤمن يحب المؤمنين ، حليم يحب الحلم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

وهو سبحانه المجيد ، الحميد ، وحمده ومجده يقتضيان أثرهما ومنها : مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة عن الجنايات ، هذا مع كمال القدرة على استيفاء الحق : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣].

فحلمه سبحانه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته ، وحكمته ، ولله في كل ما قضاه وقدره حكمةٌ بالغة .

والله تبارك وتعالى يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته ، فهو عليمٌ يحب العلم والعلماء ، جوادٌ يحب كل جواد ، برٌ يحب أهل البر ، شكورٌ يحب الشكر والشاكرين ، حليمٌ يحب أهل الحلم .

ولمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة ، والعفو والصفح ، خلق من يغفر له ، ويتوب عليه ، ويعفو عنه ، وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه ، ليترتب عليه المحبوب له ، المرضي له .

فسبحان أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين .

فالتوحيد والإيمان والطاعات أسبابٌ محبوبة لله ، موصلة إلى الإحسان والثواب المحبوب له أيضًا : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والشرك والكفر والمعاصي أسباب مسخوطة لله ، موصلة إلى العدل المحبوب له ، وإن كان الفضل أحب إليه من العدل ، واجتماع العدل والفضل أحب إليه من إنفراد أحدهما عن الآخر ؛ لما فيهما من كمال الملك والحمد ، وتنوع الثناء ، وكمال القدرة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٤] .

٥- الخزانة الخامسة

- **من مشاهد الناس في الطاعات والمعاصي :**

المشهد التاسع : مشهد زيادة الإيمان :

فالله سبحانه أرسل رسله، ليأمروا الناس بما فيه صلاح الظاهر والباطن، وينهونهم عما فيه فساد ظواهرهم وبواطنهم، وأخبروهم بما يحبه الله ويرضاه، وبما يثيبهم عليه من الجنة والرضوان، وأنه يبغض الشرك والمعاصي ، ويجازي عليها بالسخط والنار : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل:٣٦].

وأخبر سبحانه أنه إذا أطاعه العباد فيما أمر به شكر عليه بالإمداد والزيادة، وأنه إذا عصاه العباد، وخالفوا أمره، أصابهم النقص والفساد، والذل والهوان، وضيق العيش، وسوء الأحوال ، فالذنوب مضرة بالقلوب مثل السموم مضرةٌ بالأبدان : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف: ٩٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٧] .

وهذا المشهد من ألطف المشاهد ، فإن العبد إذا شهد نقص حاله إذا عصى ربه ، وتغير القلوب عليه ، وجفونها منه ، وانسداد الأبواب في وجهه ، وتوعر المسالك عليه ، وهوانه على أهل بيته وأولاده وزوجته وإخوانه ،

وتطلبه ذلك حتى يعلم من أين أُتي ، ووقع هذا السبب الموجب لذلك مما يقوي إيمانه ، ليباشر تغيير حاله ، فإذا أقلع وباشر الأسباب التي تفضي به إلى ضد هذه الحال ، رأى العزة بعد الذل ، والغنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والأمن بعد الخوف : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١] .

فكل ما نراه في الوجود من شرٍ وفساد ، وألم وعقوبة، وجذب ونقص في أنفسنا وأموالنا، فهو من قيام الرب تعالى بالقسط، وهو عدل الله وقسطه ، وإن أجراه على يد الظالم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وقال سبحانه : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

فكل نقصٍ وبلاء وشرٍ في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ، ومخالفة أوامر الرب ، فليس في العالم شرٌ إلا الذنوب وموجباتها .

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال ، أمر مشهودٌ في العالم ، يعرفه المؤمن والكافر ، والبار والفاجر كما قال سبحانه : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وقال سبحانه : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

وشهود العبد هذا مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل من التوحيد والإيمان ، والأوامر والنواهي ، والثواب والعقاب : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ

ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

العاشر : مشهد الرحمة .

فإذا وقع العبد في المعصية ، خرجت من قلبه تلك الغلظة والقسوة والغضب الذي كان عنده لما صدر منه الذنب ، حتى لو قدر عليه لأهلكه ، وربما دعى عليه غضبًا لله ، وحرصًا منه على أن لا يعصى ربه فلا يجد في قلبه رحمة للمذنبين ، فإذا جرت عليه المقادير استغاث بالله ، والتجأ إليه ، ودعا للمذنبين بالمغفرة : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ١٠] .

الحادي عشر : **مشهد العجز والضعف** .

فالإنسان أعجز شيءٍ عن حفظ نفسه : ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٨] .

ولا حول له ولا قوة له إلا بربه ، تجري عليه أحكام القدر وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ، ليس له من نفسه إلا الجهل والظلم ، فالهلاك أدنى إليه من شراك نعله ، كشاةٍ ملقاةٍ بين الذئاب والسباع لا يردهم عنها إلا الراعي ، فلو تخلى عنها طرفة عين لتقاسموها أعضاء .

وهكذا حال العبد ملقى بين الله وبين أعدائه من شياطين الإنس والجن ، فإن حماه منهم ، وكفهم عنه ، لم يجدوا إليه سبيلًا ، وإن تخلى عنه وكله إلى نفسه ولو طرفة عين اغتاله ، وظفر به أحدهم ، فاحفظ الله يحفظك .

وفي هذا المشهد يعرف العبد نفسه حقًا ، ويعرف فضل ربه حقًا ، فمن عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالعجز عرف ربه

بالقدرة ، ومن عرف صفاته الممدوحة فيه كالقوة والحياة والصدق ، عرف أن الذي أعطاه ذلك أولى به منه ، فمعطى الكمال أولى بالكمال ، فمن لم يعرف نفسه لم يعرف ربه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] .

وإذا عرف العبد ذلك عرف أنه ليس بيده شيء ، ولا بيد غيره شيء ، وأن الأمر كله لله العلي الكبير كما قال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

الثاني عشر : مشهد الذل والانكسار، والخضوع والافتقار، للرب جل جلاله :

فيشهد العبد في كل ذرة من الذرات الظاهرة والباطنة ، ضرورة تامة ، وافتقاراً تامًا ، إلى ربه ووليه ، ومن بيده صلاحه وفلاحه ، وهداه وسعادته : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فإذا انكسر قلب العبد ، وخضع لربه ومولاه ، علم أنه لا يستحق قليلًا ولا كثيرًا ، وأن كل خير ناله من الله ، استكثره على نفسه ، وعلم أن قدره دونه ، وأن رحمة ربه هي التي ذكرته به ، وساقته إليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

واستقل العبد طاعاته لربه ، ورأها ولو كثرت أقل ما ينبغي لربه العظيم عليه ، وأستكثر القليل من المعاصي وذنوبه ، وسوء أدبه مع ربه الذي أكرمه بوافر نعمه .

والانكسار والافتقار الذي حصل لقلبه ، أوجب هذا كله وقليل من هذا ، ونفس منه ، أحب إلى الله من طاعات كالجبال ، من المدلين المعجبين بعلومهم وأعمالهم وأحوالهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١] .

وأحب القلوب إلى الله قلب تمكنت منه هذه الكسرة ، وملكته هذه الذلة ، ينظر إلى ربه نظر الذليل للعزيز الرحيم ، ونظر الفقير العاجز إلى الغني القادر ، فلا يرى في جميع أحواله إلا متعلقًا بربه ، خاضعًا له ، يسأله عطفه ورحمته ، باكيًا بين يديه ، يقول : يارب ، يارب ارحم من لا راحم له سواك ولا ناصر له سواك ولا مغيث له سواك ، ولا مؤوي له سواك .

الثالث عشر : مشهد العبودية والمحبة ، والشوق إلى لقاء الله ، والابتهاج بذكره ، والفرح والسرور به :

فيأنس العبد بربه ، ويسكن إليه قلبه ، وتطمئن إليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسانه ، فتصير حركات اللسان والقلب والجوارح بالطاعات مكان حركاته بالمعاصي ، قد امتلأ قلبه من محبة ربه ، ولهج لسانه بذكره ، وانقادت جوارحه لطاعته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

والدخول على الله ﷻ من أبواب الطاعات كلها زحام ، لكن الدخول عليه من باب الذل والافتقار أقرب باب إليه ، وأوسعه ، ولا مزاحم عليه ، فلا طريق أقرب إلى الله من العبودية ، ولا حجاب أغلظ من الكبر والعجب ، ولا ينفع مع العجب والكبر عمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ

﴿وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

والله سبحانه لا يأخذ أحدًا ولا يعاقبه إلا بذنبه، وإذا شهد العبد القدر السابق بالذنب، علم أن الله سبحانه قدره، سببًا مقتضيًا لأثره من العقوبة، كما قدر الطاعة سببًا مقتضيًا للثواب، وكلما إطلع العبد منه ربه عليه قبل الذنب، وفي حال مواقعته، وبعد مواقعته، ولاحظ بره به، وإحسانه إليه، وحلمه عنه، هاجت من قلبه لواعج محبة ربه، والشوق إلى لقائه، وشدة الحياء منه، فالقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وتستحي من معصية أمره: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأهل المعاصي حينما تنظر إليهم بعين القدر، نرق لهم، ونعطف عليهم، ونسأل الله لهم السلامة والعافية، ونشفق عليهم ونرحمهم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وإذا نظرنا إلى العصاة بعين الشرع، فإننا يجب أن ننصحهم، ونأمرهم بالمعروف، وننهاهم عن المنكر، حتى يعودوا إلى الصراط المستقيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولابد لورثة الأنبياء والرسل أن ينظروا لهذا، أن ينظروا بهذا وهذا، وبذلك يقبل الله دعاءهم، ويبارك في جهدهم وعملهم، وينزل الهداية ببركة

جهدهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل ، اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، واهدنا لما اختلف فيه من الحق إلا بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨] .

كل إنسان خلقه الله إما متحرك بطاعة أو معصية ، أو بهما معًا ولابد ، والطاعات كلها محبوبة لله ، مرضية له ، وإن لم يشاءها ممن لم يطعه ، ومن وجدت منه ، فقد تعلقت بها مشيئة الله ومحبته .

والمعاصي كلها مبغوضة لله ، مكروهة له ، وإن وقعت بمشيئة الله ، فما لم يوجد من الطاعات المقدرة ، تعلقت بها محبة الله دون مشيئته ، وما وجد منها تعلقت بها محبته ومشيئته : ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧ – ٢٩] .

وما لم يوجد من أنواع المعاصي ، فلم تتعلق بها مشيئته ولا محبته ، وما وجد منها تعلقت بها مشيئته دون محبته ، وطاعات العباد كلها ، لا تكون مقابلة لنعم الله عليهم ، ولا مساوية لها ، بل ولا لواحدة منها ، فكيف يستحقون بها النجاة ؟

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

وطاعة المطيع لا نسبة لها إلى نعمة من نعم الله عليه ، فتبقى النعم تتقاضاه شكرًا ، والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يجب لله عليه ، فجميع عباده تحت

عفوه ورحمته ، وفضله وإحسانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥] .

فما نجا من الخلق أحد إلا بعفوه ومغفرته ، ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته وما أطاع الله من أطاعه إلا بإذنه وعونه وفضله ، وما عصى من عصاه إلا بعلمه : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وقال النبي ﷺ : « لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ » . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا » . متفق عليه[1] .

فأمور الخلائق كلها بيد الله وحده ، والهداية بيد الله وحده ، ولكن الله جعل لها أسبابًا كما جعل للنور أسبابًا ، وللحياة أسبابًا ، وللكسب أسبابًا .

وحتى تحصل الهداية لمن ندعوه لابد من العلم بأمور :

الأول : أن نتيقن أن القلوب بيد الله وحده ، فندعو الله له ولنا بالهداية .

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٦] .

الثاني : أن يكون في قلوبنا الحزن على العاصي ورحمته ، والسعي لإصلاحه : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٨١٦).

الثالث : أن نولف قلبه ، ونتقرب إليه بما يحب من هدية وكلام لطيف ونحو ذلك ، حتى يقبل كلامنا .

الرابع : أن تعرف مرض هذا العاصي ، وما دواء هذا المرض .

الخامس : ثم ننظر ماذا نعطيه منه ، وما هو الوقت المناسب لذلك : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

السادس : أن نعتقد ونجزم أن علاجه مسئوليتنا ، وإن تركناه فأين يذهب ؟ وبذلك يتأثر الناس ، وتنزل الهداية على من شاء الله هدايته ، ويجعلنا الله سببًا لهداية العالم .

٦- الخزانة السادسة

- **فقه الطاعات والمعاصي :**

المسلم إذا أطاع الله ، وامتثل أوامره ، جاءت عليه مشقة في البداية ، ولكنها صغيرة ، والسعادة التي تعقبها كالبحر بالنسبة للقطرة ، والعاقل لا يترك البحر العظيم من أجل من أجل القطرة الصغيرة ، والنفس تجد اللذة في المعاصي ولكن هذه اللذة كالقطرة بالنسبة لعذاب يوم القيامة ، والعاقل لا يتلذذ بلذة صغيرة عاجلة ، ويترك بحر السعادة في الآخرة .

لقد خلق الله الإنسان ، واستخلفه في هذه الحياة ، وهو سائر إلى الله في نهاية المطاف : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥ – ٢٦] .

وسيرى كل إنسان عمله ، ثم يحاسب عليه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨] .

وبعد الحساب يكون الثواب أو العقاب : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٦ – ١١] .

وعقد الاستخلاف لهذا الإنسان الذي كرمه الله قائم على تلقي الهدى من الله، والتقيد بمنهج الله في الحياة ، والإنسان سامع مطيع ، فإما أن يسمع الإنسان ويطيع لما يتلقاه من الله فيسعد في الدنيا والآخرة ، وهؤلاء هم المؤمنون : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وإما أن يسمع ويطيع لما يمليه عليه الشيطان والهوى ، فيشقى في الدنيا والآخرة : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

وليس هناك طريق ثالث ، فالعبد إما أن يطيع الله ، أو يطيع الشيطان ، وإما أن يتبع الحق ، أو يتبع الباطل ، وإما أن يسير إلى الجنة ، وإما أن يسير إلى النار ، وبناء على ذلك إما أن يكون من المفلحين ، وإما أن يكون من الخاسرين ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨- ٣٩] .

والله هو الملك الحق الذي له الخلق كله ، والأمر كله ، والملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، يأمر الكائنات أن تطيع من أطاعه ، وتهلك من عصاه ، كما قال سبحانه : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود: ٤٨] .

فلما جاء الامتثال والطاعة ، قال سبحانه للكائنات : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [هود: ٤٤] .

فأنجى الله المؤمنين ، وأهلك الظالمين .

قال سبحانه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦] .

فلما جاء الامتثال والطاعة قال سبحانه للكائنات : ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [سبأ: ١٠ – ١١] .

وقال سبحانه: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] .

وقال سبحانه وتعالى عن قوم عاد : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر: ١٨- ٢٠] .

وقال سبحانه عن قوم لوط : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القمر:٣٣ – ٣٤] .

وقال سبحانه عن فرعون وجنوده : ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات:٣٨- ٤٠] .

فمن أطاع الله ﷻ سخر له المخلوقات فتطيعه وتنفعه وتحفظه ، فبحسب الطاعات تصلح وتحسن الأحوال، وتزيد الخيرات، وتكثر البركات، فحصول البركات ، ونزول الغيث ، وصلاح الأولاد ، وحصول الأرباح ، والطمأنينة كلها مربوطة بطاعة الله ﷻ كما قال نوح ﷺ لقومه : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح:١٠ – ١٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

ومن عصى الله ﷻ تكون المخلوقات ضده ، فتسوء حاله ، وتكثر مشاكله، ولو كان بين القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والمساكن الواسعة، والمراكب الفاخرة، والأولاد : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

وقال سبحانه : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧] .

وبحسب كثرة المعاصي تكثر المصائب ، فإذا أخذ الإنسان الشيء بالكذب أو السرقة أو الغصب، زادت المصائب عليه بشكل جديد، طلبات متكررة، وخسائر متوالية ، وحاجات غير لازمة : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٦] .

الطاعات شعبة من شعب الإيمان ، والمعاصي شعبة من شعب الكفر ، وبالدعوة إلى الله، يأتي الإيمان، وثمرة الإيمان عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعة الله ورسوله ، وثمرة العبادة والطاعة رضا لله ﷻ ، ودخول الجنة والنجاة من النار : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح: ١٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧١ – ٧٢].

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

- **فقه الطاعات والمعاصي :**

الطاعات نوعان :

الأول : طاعة تتعلق بالعبد نفسه :

وتكون بالاستقامة على أوامر الله ، بفعل الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات وكلاهما مطلوب من العبد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠ – ٣٢] .

الثاني : طاعات تتعلق بالخلق:

وتكون بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والإحسان إلى الناس ، والجهاد في سبيل الله ، وكلاهما مطلوب من العبد : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال سبحانه : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وكل الطاعات مشروعة ومطلوبة ، لكن الطاعة المتعلقة بالنفس بالنسبة للطاعة المتعلقة بالخلق كالذرة بالنسبة للجبل في الأجر والثواب ، كما قال

النبي ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامهم شيئًا » . أخرجه مسلم[1] .

فالمسلم إذا وضع جهده وماله ووقته تحت شجرة الطاعة ، تكبر ، وتزيد، ويزيد الخير في الأمة ، وإذا وضعه تحت شجرة المعصية ، تكبر ، وتزيد، ويزيد الشر في العالم : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢- ١٦٣] .

وقد جعل الله الحصول على الأرزاق بطريقين :

الأول : طريق الأموال والأسباب .

الثاني : طريق الإيمان والأعمال الصالحة .

الأول عام لكل البشرية ، والثاني خاص بالمؤمنين بالله ، والإنسان في هذه الحياة إما أن يمشي على طريق الشهوات ، أو على طريق الأوامر الشرعية ، فالأول خاسر ، والثاني رابح : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

أما الخاسر ، فكما قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

وقال الله عزوجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

والله ﷻ يؤيد من يمشي على طريق الأوامر الشرعية بالعطاء الغيبي كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وبالمشي على طريق الشهوات البدن يقوى ، والمشي على طريق الأحكام ، الروح تقوى ، وصلاح البدن بصلاح القلب كما قال النبي ﷺ : « أَلا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه [1] .

ومن مشي على طريق الشهوات ، لا يزول قلقه ولا همه حتى يسير على أحكام الله رحمة من الله ، ولو كان عنده الملك والمال وسائر الشهوات والملذات ، فمع هذه يزداد شقاؤه وهمه واضطرابه كما قال سبحانه : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

والذي يمشي في طريق الطاعات ، تفتح له أبواب السعادة والطمأنينة في الدنيا ، ثم تزداد سعادته وسروره كلما أحدث طاعة ، ثم تزداد سعادته عند الموت حين تبشره الملائكة بالجنة ، ثم تزداد سعادته في القبر ، وقبر المؤمن روضة من رياض الجنة ، ثم تزداد سعادته عند البعث والحشر ، حيث يبعث آمنًا من غضب الله وعقابه ، ثم تزداد سعادته وتبلغ كمالها إذا دخل الجنة ، ورأى ربه ، وفاز برضاه ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يكرم

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

بذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨ ﴾ [الكهف:١٠٧- ١٠٨] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

أما الذي يمشي في طريق المعاصي ، فتفتح له أبواب الشقاء في الدنيا ، ويزداد شقاؤه وعذابه عند الموت ، حين تبشره الملائكة بالنار ، ثم يزداد عذابه وشقاؤه في القبر ، وقبر الكافر حفرة من حفر النار ، ثم يزداد شقاؤه عند البعث والحشر ، حيث يبعث خائفاً من غضب الله وعقابه ، ثم يزداد شقاؤه وعذابه ويبلغ كماله إذا دخل النار ، وأعرض عنه ربه ، وباء بسخطه وغضبه ، نسأل الله السلامة والعافية لنا ولكافة المسلمين والمسلمات : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ [الإسراء: ٢٢] .

مذمومًا : لا حامد لك ، مخذولًا : لا ناصر لك .

وقال ﷻ : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

خاصية النفس البشرية أنها تريد المعاصي والشهوات ، فهى أمارة بالسوء وخاصية الروح البشرية أنها تريد طاعة الله ، فالنفس تحب الشهوات ، والروح تحب طاعة الله ، وإذا قويت النفس ، إنقاد الإنسان لها ، فأوقعته في

حب الشهوات والمعاصي والمحرمات : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

وإذا قويت الروح إنقاد الإنسان لها ، وحركت جوارحه بطاعة الله ورسوله كالأنبياء : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وكل من مشى مستقيمًا على طاعة الله ، فتحت له أبواب الرحمة والبركة ، ووجد اللذة والراحة في كل شيء أمره الله به ، حتى يجد الراحة الكاملة في الجنة ، وكل من مشى على طريق الشهوات، فاز بالظاهر كالحلوى المسمومة، وفي الحقيقة هو عين السم ، فتفتح له أبواب الشقاء والمصائب ، ولا يزال في البلاء يلاحقه ، حتى ينال كمال العذاب الأليم في جنهم :﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧] .

والذي يستعمل جوارحه وأمواله وأوقاته حسب أوامر الله ، فلا يأكل إلا ما أمر الله بأكله ، ولا يلبس إلا ما أمر الله بلبسه ، ولا يعبد الله إلا بما شرع ، ويؤدي الواجبات ، ويجتنب المحرمات ، ويقيد نفسه بأوامر الله ، هذا إذا جاء يوم القيامة ، أطلق الله جوارحه في الشهوات والملذات الدائمة ، وملكه جوارحه ، وخلده في النعيم المقيم في الجنة : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة: ١٧] .

ومن استعمل جوارحه وأمواله وأوقاته كيف شاء، فالله يمهله ويتركه يتمتع ويأكل ويلعب، فإذا جاء يوم القيامة ، قيده الله، وأذله، وأهانه، وخلده في نار جنهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ ﴾ [محمد: ١٢] .

٧- الخزانة السابعة

- **فقه الطاعات والمعاصي :**

الله سبحانه إنما يخلي بين العبد والذنب لأمرين :

أحدهما : أن يعرف العبد عزة ربه في قضائه ، وبره في ستره ، وحلمه في إمهال راكبه، وكرمه في قبول العذر منه، وفضله في مغفرته : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

وهو سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء ، وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بما يشاء ، وقلب قلبه ، وصرف إرادته ، على ما يشاء مما يصلحه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وبذلك يعرف العبد أنه مدبر مخير ، ناصيته بيد غيره ، لا عصمة إلا بعصمته ولا توفيق إلا بمعونته : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨] .

فيشهد العبد بذلك أن الكمال والحمد ، والغنى والعزة ، والقوة والقدرة ، كلها لله وحده ، ويعرف بره سبحانه في ستره عليه ، حين ارتكاب المعصية ، مع كمال رويته له، وقدرته عليه، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحقروه ومقتوه، وهذا من كمال بره سبحانه بعبده ، مع كمال غناه عنه ، وكمال فقر العبد إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] .

فإذا اشتغل العبد بمطالعة هذه المنة ، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم من ربه ، أقبل على طاعة ربه ، وأقلع عن معصيته ، وشهد حلم الله في إمهال راكب الخطيئة ، ولو شاء لعجل له العقوبة : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل:٦١] .

ويعرف كذلك كرم ربه في قبول العذر منه إذا اعتذر عليه ، ويقبل عذره بكرمه وجوده ، فيوجب له ذلك اشتغالًا بذكره وشكره ، ويشهد كرمه في مغفرة ذنوبه ، فإن المغفرة كرم من الله وعفو بفضله ، لا باستحقاق العبد له ، فيوجب ذلك له شكرًا لله ، ومحبة له ، وإنابة إليه ، وفرحًا وابتهاجًا به ، ومعرفة له باسمه الغفار ، وبذلك يكمل لعبده مراتب العبودية من التعظيم لمولاه ، والذل له ، والحب له ، والخضوع والانكسار بين يديه ، وكمال الافتقار إليه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢ – ٤] .

والثاني : أن يقيم الله على عبده حجة عذره ، فيعاقبه على ذنبه بحجته ، وكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ، ونهى عنه ، فصد عنه ولم يعرفه ، فقد قامت عليه الحجة ، والله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، فإذا عاقبه على ذنبه ، عاقبه بحجته على ظلمه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥] .

فإذا أقدم العبد على سبب الهلاك ، وقد عرف أنه سبب الهلاك فهلك ، فالحجة مركبة عليه ، والمؤاخذة لازمة له : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

فإذا شاهد العبد القدر السابق بالذنب ، علم أن الله سبحانه قدره سببًا مقتضيًا لأثره من العقوبة ، كما قدر الطاعة سببًا مقتضيًا للثواب ، وأن الله علم أن هذا العبد لا يصلح إلا للوقود كالشوك الذي لا يصلح إلا للنار ، فأراد الله سبحانه أن يسوق هذا العبد إلى ما يصلح إلا له ، وأن يقيم عليه حجة عذره بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، بأن قدر عليه الذنب فوقع ، فاستحق ما خلق له كما قال سبحانه : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩-٧٠] .

وقد أمر الله ﷻ بطاعته ، وطاعة رسوله ، وطاعة أولي الأمر من المؤمنين ، مالم يأمروا بمعصية ، فلا طاعة لهم، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩] .

وقد أرسل الله رسله ليطاعوا، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤] .

فالرسول ﷺ هو الداعية إلى الله ، ليس مجرد واعظ يلقي كلمته وينصرف فرسالته سلطان يحقق منهج الله في الأرض ، وتخضع له النفوس خضوع طاعة وتنفيذ في مجالات الحياة كلها ، ولم يرسل الله ﷻ الرسل لمجرد التأثر الوجداني ، وأداء الشعائر التعبدية فقط ، فهذا وهم في الدين لا يستقيم مع حكمة الله في إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وتصريف الحياة وفق منهج الله جل جلاله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم:٥٢] .

ومن هنا كان الإسلام دعوة وبلاغاً ، ونظامًا وأحكامًا ، وخلافة على منهاج النبوة ، تنفذ أوامر الله في عباده على أرض الله ، على طريقة رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣] .

وإذا أشتغل الناس بمعصية الله ورسوله ، حرموا نصرة الله ، وحرموا رضاه ، ونزل بهم غضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩] .

والمكلفون من الخلق ثلاث فرق :

أهل الطاعة ، وهم المنعم عليهم ، وأهل المعصية ، وهم المغضوب عليهم ، وأهل الجهل وهم الضالون عن الحق .

الصفة الأولى : أهل الإيمان ؛ وهم الذين أنعم الله عليهم بالعلم والعمل ، فجمعوا بين معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير من أجل العمل به .

فإذا اختل قيد العمل ، فهم الفاسقين المغضوب عليهم ، وإذا اختل قيد العلم ، فهم الجهلة الضالون ، فاللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضآلين : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢ – ٧] .

وإذا كان المقصود من الشجرة الثمرة والمنفعة ، والشجرة إنما جاءت من البذرة والبذرة، لابد لها من بيئة حتى ينمو وتثمر، والبيئة هي الأرض والماء،

والضوء والهواء ، فكذلك رضا الله ﷻ هو الغاية والمقصد من الدين ، وذلك لا يكون إلا بطاعة الله ورسوله ، وذلك لا يتم إلا بالإيمان بالله والإيمان لابد له من بيئة صالحة حتى يثبت ويقوى ، ويثمر وينمو : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: ٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج:٧٧] .

والبيئة الصالحة : هى التي تقام فيها الأعمال الصالحة كالعبادة ، والدعوة ، والتعليم ، والذكر ، واتباع السنة النبوية ، والأخلاق والآداب الشرعية ، وذكر اليوم الآخر ، والجنة والنار ، وكل ما يرضي الله ورسوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] .

فالدرجة الأولى هي الدعوة ، وبالدعوة يأتي الإيمان ، وبالإيمان تأتي طاعة الله ورسوله ، ثم يأتي رضا الله ورسوله ، ثم يأتي دخول الجنة : ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾ [التوبة:٧١- ٧٢] .

وإذا ترك المسلم الدعوة إلى الله ضعف الإيمان في قلبه وإذا ضعف الإيمان ، قلت الطاعات ، وكثرت المعاصي ، وإذا جاء الكفر والمعاصي ، جاء غضب الله ، ثم نزلت عقوبة الله بمن عصاه في الدنيا ، وبالنار في الآخرة

كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الرعد:٣٤] .

والطاعات والمعاصي ، وكل ما يجري في هذا الكون ، كله واقع بمشيئة الله وقدره : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر:٦٢-٦٣].

لكن الطاعات مأمور بها ، والمعاصي مكروهة للرب ، منهي عنها ، لكنه لم يأمر بها ، لكنه شاء وقوعها قدرًا ، ولو لم يشأ لم تقع ، فالله ملك ، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد ويعلم به : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢- ١٠٣] .

والله على كل شيء قدير : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقد أخبر الله ﷻ عن قدرته على تبديل من عصاه إما بخير منهم كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[محمد: ٣٨].

وإما بأمثالهم كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[الواقعة:٦٠ – ٦١] .

وإما بغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾[النساء:١٣٣] .

وكل من انصرف من الناس عن الإيمان ، والأعمال الصالحة ، صرف الله قلبه عن القرآن وتدبره والانتفاع به ، كما قال سبحانه عن المنافقين : ﴿ وَإِذَا

مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [التوبة:١٢٧] .

وصرف الله قلوبهم عن القرآن ، وعن الحق ، لأنهم ليسوا أهلًا له والمحل غير صالح له ولا قابل ، وإبليس لما عصى ربه ، ولم يستجب لأمره ، وأبى واستكبر ، وأصر على ذلك ، عاقبه الله بأن جعله داعياً إلى كل معصية ، وجازاه الله بأن يعرض عنه ، فلا يمكنه من الإقبال عليه ؛ لأنه استمر في طغيانه ، وازداد في كفره ، فطبع الله على قلبه ، وسد عليه طرق الهداية كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ ﴾ [النساء:١٦٨- ١٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٦ – ٧] .

- **أسباب وقوع الإنسان في المعاصي والذنوب :**

يقع الإنسان في المعاصي والذنوب إما بالغفلة عن الله ، أو بالغفلة عن أوامر الله ، أو بالغفلة عن اليوم الآخر ، أو يعتقد أن الوعيد ليس على ظاهره ، أو يذهل عن التحريم ، أو لا يستحضر عظمة الرب ، وشدة بأسه ، أو لفرط الشهوة بحيث تقهر مقتضى الإيمان وتغمره، أو يزين له الشيطان المعصية ويغويه ، أو يغلب عليه جانب الرجاء ونحو ذلك : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

والطاعات والمعاصي متفاوتة في درجاتها ، ومنافعها ، ومفاسدها ، وثوابها وعقابها .

وأصل المعاصي نوعان :

أحدهما : ترك مأمور ؛ كترك الصلاة والزكاة والصيام ونحوهما .

الثاني : فعل محظور ، كالشرك بالله ، والزنا ، والربا ونحو ذلك .

وترك المأمور ، وفعل المحظور ، هما الذنبان اللذان ابتلى الله بهما أبوي الجن والإنس ، فإبليس ترك المأمور ، وآدم فعل المحظور ، وكلاهما ينقسم باعتبار محله : إلى ظاهر على الجوارح ، وباطن في القلب ، وينقسم كل منهما باعتبار متعلقة إلى حق الله ، وحق للخلق ، وإذا كان كل حق لخلقه فهو متضمن لحق الله ، لكن سمي حقًا للخلق ؛ لأنه يجب بمطالبتهم به ، ويسقط بإسقاطهم .

- **أقسام الذنوب والمعاصي :**

والذنوب والمعاصي تنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : ذنوب ملكية .

القسم الثاني : **ذنوب** شيطانية .

القسم الثالث : **ذنوب** سبُعية .

القسم الرابع : ذنوب بهيمية .

فالذنوب الملكية :

أن يتعاطى الإنسان ما لا يصلح له من صفات الربوبية ؛ كالعظمة ، والكبرياء ، والقهر ، والعلو ، والجبروت ، والطغيان ، واستعباد الخلق ونحو ذلك ، ويدخل في هذا الشرك بالله .

وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب ، ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وأمره ، وصاحبه قد نازع الله في ربوبيته ، وملكه ، وجعل له ندًا ، وهذا أعظم الذنوب عند الله ، ولا ينفع معه عمل : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] .

وأما الذنوب الشيطانية :

فبالتشبه بالشيطان في الكفر، والكبر، والكذب، والظلم، والحسد، والبغي، والغش، والغل، والخداع، والمكر، والأمر بمعاصي الله، وتحسينها، والنهي عن طاعة الله وتهجينها، والابتداع في الدين ونحو ذلك .

وهذا القسم يلي النوع الأول في المفسدة لكنه دونه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

وأما الذنوب السبُعية : فذنوب العدوان، والغضب، وسفك الدماء، والتوثب على الضعفاء، والعاجزين، وقهر النوع الإنساني ، والجرأة على الظلم والعدوان: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤] .

وأما الذنوب البهيمية :

فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ، ومنهما يتولد الزنا، والسرقة، وأكل أموال اليتامى، والبخل، والشح، والجبن، والهلع، والجزع ونحو ذلك : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق ، لعجزهم عن الذنوب السبُعية، والشيطانية ، والملكية ، ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام ، فهو يجرهم إليها بالزمام ، فيدخلون منه إلى الذنوب السبُعية ، ثم إلى الشيطانية ، ثم إلى الملكية ، بمنازعة الرب ، والشرك به في وحدانيته .

وبهذا التفصيل يتبين أن الذنوب دهليز الشرك والكفر : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] .

وفعل المعصية ذنب، والإصرار عليها ذنب آخر ، والمجاهرة بها ذنب آخر ، والعزم على المعاودة لفعل المعصية ذنب آخر ، ولعله أعظم من الذنب الأول بكثير ، وهذا من عقوبة الذنب ، فإن الذنب يوجب ذنبًا آخر أكبر منه ، ويجر إليه ، ثم الثاني كذلك ، وهكذا حتى يستحكم الهلاك للمذنب ، فالإصرار على المعصية معصية أخرى ، وأشد من هذا كله المجاهرة بالذنب ، مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

﴿ [الملك: ١٣ – ١٤] .

فإن آمن بنظر الله إليه ، وأقدم على المجاهرة فذنب عظيم ، وإن لم يؤمن بنظره إليه ، واطلاعه عليه ، فكفر عظيم ، فهو دائر بين الأمرين ، بين قلة الحياء وعدم المبالاة بنظر الله إليه ، وبين الكفر والانسلاخ من الدين .

أما الفرح بالمعصية فهو دليل على شدة الرغبة فيها ، والجهل بقدر من عصاه ، والجهل بسوء عاقبتها ، وعظيم خطرها ، ففرحه بالمعصية غطى عليه ذلك كله ، وفرحه بها أشد ضررًا عليه من مواقعتها ، والمؤمن لا تتم له لذة بمعصية أبدًا ، ولا يكمل بها فرحه ، بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه ، ولكن سكر الشهوة يحجب عن الشعور به ، ومتى خلا قلبه من هذا الحزن ، واشتدت غبطته به ، فليتهم إيمانه ، وليبكي على موت قلبه ، فإنه لو كان حيًا لأحزنه ارتكاب الذنب ، وهذا عين الهلاك والخسران ، إن لم يتدارك نفسه بالتوبة النصوح : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦] .

وقلب الإنسان إذا صلح ، صلح الجسد كله ، وإذا فسد ، فسد الجسد كله ، وإذا صلح القلب بالإيمان جاءت التقوى والأعمال الصالحة ، وإذا فسد القلب بالكفر والشرك جاءت المعاصي والسيئات ، فالقلب إذا فسد ، فسد السمع والبصر ، وإذا فسد السمع والبصر فسد القلب ، فهما متلازمان ، كما قال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » . متفق عليه [1] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩) .

فإذا أعرض القلب عن سماع الحق ، وأبغضه بحيث لا يحب رؤيته ، امتنع وصول الغذاء إلى القلب ففسد ، وإذا فسد السمع والعقل تبعهما فساد البصر ، والإنسان إذا لم يكن له علمٌ بما يصلح أحواله في معاشه ومعاده ، كان الحيوان البهيم خيرًا منه ؛ لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل ، فإذا أتاح الله للعبد فرصة القرب والطاعة ، فعليه بانتهازها ، والمبادرة إليها ، فالعزائم والهمم سريعة الانتقال والتحول : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣ – ١٣٤] .

٨- الخزانة الثامنة

الله سبحانه يعاقب من فتح له بابًا من الخير فلم ينتهزه ، بأن يحول بينه وبين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤ – ٢٥] .

وعشق الصور ، وحب الفواحش ، إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله تعالى ، المعرضة عنه ، المتعلقة بغيره : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

فإذا امتلأ قلب العبد بمحبة الله تعالى ، والشوق إلى لقائه ، دفع ذلك عنه حب تلك الصور والفواحش والمحرمات ، كما قال سبحانه في حق يوسف عليه السلام : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤] .

ومن أخلص لله خلصه الله مما يغضبه ويسخطه ، فلما أخلص يوسف لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء ، فسلم من السوء والفحشاء ، فالإخلاص هو سبيل الخلاص ، والإسلام مركب السلامة ، والإيمان خاتم الأمان ، والطاعات مركب النجاة ، والمعاصي طرق الهلاك .

والله سبحانه خالق الخير والشر ، والشر ليس إليه وإنما الشر في بعض مخلوقاته ، لا في خلقه وفعله ، وخلقه وفعله وقضاؤه كله خير ورحمة ، وعدل وإحسان ، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً

يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا ، فلَا تَظَالمُوا ». أخرجه مسلم(١) .

فالإنسان إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء ، والله ﷻ هو الذي جعله فاعلا: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] .

فجعله خير ، والمفعول شر قبيح ، فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء في موضعه ، لما له من الحكمة التي يحمد عليها ، والشر ليس إليه سبحانه ، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

فهو سبحانه القدوس المنزه عن كل شر ونقص وعيب ، وهو السلام الذي سلم من العيوب والنقائص ، فهو السلام من صفات النقص ، وأفعال النقص ، وأسماء النقص : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

وهو الكبير الذي تكبر عن السوء، العزيز الذي برأ من كل سوء وشر وعيب، الحميد الذي له الحمد كله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

والله ﷻ كما جعل الحبوب والثمار تخرج من الزروع والأشجار ، كذلك جعل الأعمال تخرج من الإنسان، وهي إما أعمال صالحة، أو أعمال سيئة، ولكل عمل ثواب أو عقاب : ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦] .

والخلق في ذلك أربعة أقسام :

القسم الأول : من خلقه الله لطاعته وجنته ، وهم الأنبياء والمرسلون وأتباعهم من المؤمنين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧ – ١٠٨] .

القسم الثاني : من خلقه الله لطاعته وناره ، وهم المراءون والمنافقون : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٢] .

القسم الثالث : من خلقه الله لجنته لا لعبادته ، وهم من أسلم ثم مات فورًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠١ – ١٠٢] .

القسم الرابع : من خلقه الله لناره لا لعبادته ، وهؤلاء هم المستكبرون عن عبادة الله ، الكافرون بالله كإبليس وفرعون وأتباعهما من الكفار والمشركين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة: ٦] .

- **أقسام الناس في الثواب والعقاب :**

الناس بالنسبة للثواب والعقاب ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أهل الإيمان والطاعات ، هؤلاء في الجنة .

القسم الثاني : أهل الكفر والمعاصي ، هؤلاء في النار .

القسم الثالث : من لا طاعة لهم ولا معصية، ولا كفر ولا إيمان، فهؤلاء أصناف :

منهم من لم تبلغه الدعوة .. ومنهم الخرف الذي لا يعقل .. ومنهم المجنون

الذي لا يعقل .. ومنهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا شيئًا .. ومنهم الأصم الذي لا يسمع .

فهؤلاء وأمثالهم يكلفون يوم القيامة، ويمتحنون، فمن أطاع الله دخل الجنة ، وانكشف علم الله فيه ، ومن عصا دخل النار ، وانكشف علم الله فيه .

- **أقسام الخلق بالنسبة للطاعات والمعاصي :**

الخلق بالنسبة للطاعات والمعاصي أربعة أقسام :

القسم الأول : من لهم طاعات ومعاصي ، وهم الثقلان الجن والإنس .

القسم الثاني : من ليس لهم طاعات ولا معاصي ، وهم غير العقلاء من جماد ونبات وحيوان .

القسم الثالث : من لهم طاعات ، ولا معاصي لهم ، وهم الملائكة .

القسم الرابع : من لهم معاصي ، ولا طاعات لهم ، وهم إبليس وذريته ، والله تبارك وتعالى هو العلي العظيم ، وهو الغفور الرحيم ، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا ، وله خزائن السموات والأرض ، وهو خالق كل شيء ، وهو رب العالمين : ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس: ٦٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١] .

وقال سبحانه : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

ومن هذه صفاته حقيق بأن يكون الحب كله له ، والتعظيم كله له ، والحمد كله له ، والإجلال كله له ، والطاعات كلها له ، وأن يذكر فلا ينسى ، ويطاع

فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥] .

وأهل الطاعة هم المنعم عليهم في الحقيقة ، ويجب عليهم من الشكر أضعاف ما على غيرهم ، وإن توسدوا التراب ، ومضغوا الحصى ، فهم أهل النعمة المطلقة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٩- ٧٠] .

ومن خلى الله بينه وبين معاصيه ، فقد سقط من عينه ، وهان عليه ، وإن وسع الله عليه في الدنيا ، ومد له من أسبابها ، فإنهم أهل الابتلاء في الحقيقة : ﴿ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٤- ٥٦] .

وقال سبحانه عن الكفار : ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

- **فضائل الطاعات :**

أمر الله ﷻ بطاعته ، وطاعة رسوله ، وبين أن ذلك هو الفوز العظيم ، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧١].

وأن تلك الطاعة سبب لرحمة الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

والطاعة بذاتها فوز عظيم ، فهي استقامة على منهج الله ، والاستقامة على منهج الله هي الراحة والطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

والاهتداء إلى الصراط المستقيم الواضح سعادة بذاته ، ولو لم يكن وراءه جزاء سواه ، فليس الذي يسير في الطريق الممهد المنير ، وكل ما حوله من خلق الله يتجاوب معه ويتعاون ، كالذي يسير في الطريق المظلم المليء بالحفر والتعرجات، وكل ما حوله من خلق الله يعاديه ، ويصادمه ، ويؤذيه : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

إن طاعة الله ورسوله تحمل جزاءها في ذاتها ، وهي الفوز العظيم قبل يوم الحساب ، وقبل الفوز بالنعيم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أما نعيم الآخرة فهو فضل زائد على جزاء الطاعة ، فضل من الكريم المنان ، فضل من كرم الله ، وفضل بلا مقابل ، وفضله جل جلاله بلا مقابل من العباد : ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر: ٦١] .

وفضل الله وإحسانه إلى عباده عظيم لا يمكن عده ولا إحصاؤه ، ولعله فضل نظر الله فيه إلى ضعف هذا الإنسان ، وإلى ضخامة التبعة التي يحملها على عاتقه ، والتي تعهد بحمدها وحده وهو على ما هو عليه من الضعف ، وضغط الشهوات ، والميول والنزعات ، وقصر العمر ، وحواجز الزمان والمكان ، دون المعرفة الكاملة بالله ، وما يجب له ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣].

والله جل جلاله واجب الطاعة ، ومن خصائص ألوهيته سبحانه أن يسر الشريعة ، وشريعته واجبة التنفيذ ؛ لأنها في خلقه وملكه ، فعلى الناس كافة أن يطيعوا الله كافة كما أطاعته المخلوقات كافة : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣ – ٤٤] .

وعلى المؤمنين أن يطيعوا الله ، ابتداء ، وأن يطيعوا الرسول لما له من صفة الرسالة من الله فطاعته من طاعة الله الذي أرسله بهذه الشريعة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] .

فأما أولوا الأمر فهم من المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله ، والله ﷻ يجعل طاعته أصلًا ، وطاعة الرسول أصلًا كذلك ؛ لأنه مرسل منه ، ويجعل طاعة أولي الأمر من المؤمنين تبعًا لطاعة الله ورسوله ، فطاعتهم مستمدة من طاعة الله ، وطاعة رسوله ﷺ مع الإيمان ، وهي طاعة في حدود المعروف والمشهور من الله ﷻ ، والذي لم يرد نص بتحريمه ، كما قال النبي ﷺ : « عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » . متفق عليه[1] .

والشريعة التي تطاع ، والسنة التي تتبع ، واحدة لا تتعدد ، ولا يتوه فيها الفرد ، وذلك فيما ورد فيه نص صريح ، فأما الذي لم يرد فيه نص ، وأما الذي يعرض من المشكلات والأحوال ، ولا يكون فيه نص قاطع ، أو لا

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٨/ ١٨٣٩).

يكون فيه نص على الإطلاق مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام ، فإن الله لم يتركه بلا حل ، بل جعل له ميزاناً يوزن به ، وهو برده إلى الله والرسول : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩] .

فيرد الأمر والحال إلى النصوص الشرعية ، وإن لم توجد النصوص التي تنطبق عليه ، فيرده أولوا الأمر إلى المبادئ الكلية العامة في منهج الله وشرعه ، وطاعة الله ، وطاعة رسوله ، وطاعة أولي الأمر من المؤمنين القائمين على شريعة الله ، ورد ما يتنازع فيه إلى الله والرسول ، هذه وتلك شرط ومقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر .

والمؤمنون حقاً لهم أدب مع الله ورسوله ، ولهم قول حسن إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، ينبئ عن إشراق قلوبهم بالنور ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١ ﴾ [النور: ٥١] .

فهو السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ، السمع والطاعة المبنيان على الثقة المطلقة في أن حكم الله ورسوله هو الحكم العدل ، وما عداه هو الظلم والهوى ، النابعان من التسليم المطلق لله العليم بمصالح خلقه، الرحيم بهم :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢] .

إن المؤمنين عندهم الطاعة لله ورسوله في كل أمر ، وفي كل نهي ، وفي كل حكم ، وفي كل شأن : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء: ٦٩- ٧٠] .

وطاعة المؤمنين لربهم ، ولرسوله ﷺ طاعة مصحوبة بخشية الله وتقواه ،

والتقوى أعم من الخشية ، فهي مراقبة الله ، والشعور به عند الصغيرة والكبيرة والتحرج من إتيان ما يكره توقيرًا لذاته سبحانه ، وإجلالًا له ، وحياء منه إلى جانب الخوف والخشية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩] .

فتقوى الله ﷻ أعظم مقامات الدين ، وأعظم مقامات العبد بين يدي ربه ، وذلك أدب رفيع ينبئ عن مدى إشراق قلب المؤمن بنور الله ، واتصاله به ، وشعوره بهيبته ، مما ينبئ عن عزة القلب المؤمن واستعلائه ، فكل طاعة لا ترتكز على طاعة الله ورسوله ذلة يأباها الكريم ، وينفر منها طبع المؤمن ، فالمؤمن الحق لا يحنى رأسه إلا لله الواحد القهار : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢ – ٤] .

- **آثار الطاعات والمعاصي :**

ضرر الذنوب والمعاصي والآثام في القلوب كضرر السموم في الأبدان ، بل هو أشد ، وليس في الدنيا والآخرة من شر إلا وسببه الذنوب والمعاصي : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

ومن آثار وأضرار الذنوب والمعاصي حرمان العلم ، وحرمان الرزق ، والوحشة بين العبد وربه ، وبينه وبين الناس ، وظلمة يجدها العبد في قلبه ، وتعسر أموره عليه ، وحرمان الطاعات ، ووهن القلب والبدن .

والمعاصي تقصر العمر ، وتمحق بركته ، وتنقص العقل ، ويجر بعضها إلى بعض ، فهي تلتصق بالعاصي ، ولا يستطيع مفارقتها ، ولا يستقبح فعلها أمام غيره ، والمعاصي سبب لهوان العبد على ربه ، وسقوطه من عينه ، وكما أن العزة في طاعة الله ، فكذلك الذل في معصية الله .

والمعاصي مفسدة للعقول ، وتورث الطبع على القلوب ، وتدخل العبد تحت لعنة الله ورسوله ، وحرمانه من دعوة الرسول ﷺ والملائكة : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

ومن آثار الذنوب والمعاصي كذلك أنها تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في الإنسان والحيوان ، وفي المياه والهواء ، وفي الزروع والثمار وغيرها .

والمعاصي تذهب الغيرة من القلب ، وتذهب الحياء الذي هو مادة حياة القلب ، وتضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله ، وتضعف وقاره في القلب ، وتستدعي نسيان الله لعبده ، وتركه وخذلانه له ، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

ومن عقوبات المعاصي أنها تسبب نسيان العبد لنفسه ، وتخرجه من دائرة الإيمان والإحسان إلى ما دونها ، وتمنعه ثواب المؤمنين : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٩].

فالإيمان سبب جالب لكل خير ، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان والطاعات ، وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه الكفر والمعاصي .

والطاعات تقوي سير القلب إلى الله والدار الآخرة ، والمعاصي تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة ، أو تعوقه ، أو توقفه ، فالذنب إما أن يميت القلب ، أو يمرضه مرضًا مخوفًا ، أو يضعف قوته تدريجيًا حتى ينقطع عن السير إلى الله : ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٩- الخزانة التاسعة

- **آثار الطاعات والمعاصي :**

إن نجاسة المعاصي والفواحش في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن ، وبمنزلة الدغل في الزرع ، وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة ، فكما أن بدن الإنسان إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة استراح ، فعمل بلا معوق ونما ، فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة ، فقد استبرأ من تخليطه ، فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير ، فاستراح من تلك المواد الفاسدة ، والمواد الرديئة والخبيثة ، وزكا ونما ، وقوي واشتد ، ونفذ حكمه في رعيته ، فسمعت له الجوارح وأطاعت ، ولا سبيل لزكاته إلا بعد طهارته كما قال سبحانه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى:١٤- ١٥] .

وقال الله عز وجل : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧- ١٠] .

والله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملا ، يجزئ العبد على ما عمل من خير في الدنيا فيها ، ثم في الآخرة ، وفيها يجود بأعظم مما في الدنيا ، كما قال سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النحل: ٣٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

وكذلك أهل الكفر يعاقبون بسوء أعمالهم في الدنيا ، ثم يصيرون في الآخرة إلى أشد العذاب ، كما قال سبحانه عنهم : ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الرعد:٣٤] .

فما أجدر العاقل بطاعة ربه ، واجتناب معصيته ، ولو لم يعذب الله على معصيته ، فكان ينبغي ألا يعصى ، لعظمة وجلال ذاته ، وجزيل نعمه وإحسانه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

والله ﷻ لما خلق آدم ﷺ علم المطيع من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى بسعادة من علمه مطيعًا، وشقاوة من علمه عاصيًا .

وبين لكل واحد منهم ما هو صائر إليه، كما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء:١٣- ١٥] .

والطاعات سبب لنزول النعم ، وحصول البركات ، والمعاصي والذنوب تزيل النعم وتحل النقم ، وتسبب الوحشة والرعب والخوف في قلب العاصي ، وكلما كثرت الذنوب زادت الوحشة بينه وبين ربه ، وبينه وبين خلقه ، فالغفلة توجب الوحشة ، وأشد منها وحشة المعصية ، وأشد منها

وحشة الشرك : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

والطاعات غذاء للقلوب ، والمعاصي تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه ، فلا يزال مريضًا معلولًا لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه .

والذنوب تعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره، وتسد أبواب العلم ، وتحجب موارد الهداية ، وتذل النفس وتصغرها حتى تصير أصغر شيء وأحقره .

والطاعات تجعل مع العبد معية الله ونصره وحفظه ، وأحفظ الله يحفظك ، وأحفظ الله تجده تجاهك .

والذنوب تجعل العاصي في أسر شيطانه ، وسجن شهواته ، وقيد هواه : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

وإذا قُيد القلب طرقته الآفات بحسب قيوده ، فلا يستطيع السير إلى الله والدار الآخرة : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

وكلما بعُد القلب عن الله كانت الآفات إليه أسرع ، والبعد عن الله ﷻ مراتب متفاوتة .

فالغفلة تبعد العبد عن الله ، وبعد المعصية أعظم من بعد الغفلة ، وبعد

البدعة أعظم من بعد المعصية ، وبعد الشرك والنفاق أعظم من ذلك كله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

والمعاصي تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف والعزة ، وتكسوه أسماء الذل ، والذم والصغار ، وشتان ما بين الأمرين : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾ [السجدة: ١٨ - ٢٠] .

فالمعاصي تسلب العاصي اسم المؤمن ، والبر ، والمحسن ، والتقي ، والمطيع ، والورع ، والطيب ، والصالح ، والعابد ، وتكسوه اسم الفاجر ، والعاصي ، والمفسد ، والمسيء ، والمجرم ، والخبيث ، والكاذب ، والخائن ، والسارق ، والزاني ، والظالم ، والفاسق ، ونحو ذلك من أسماء الفسوق : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ [الحجرات: ٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ﴾ [الرعد:١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ ﴾ [التوبة: ١٠٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠].

فما أحسن الطاعات ، وما أعظم ثوابها، وما أقبح المعاصي، وما أشد عقابها : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والطاعات صلة بين العبد وربه، والمعاصي توجب القطيعة بين العبد وربه، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير، واتصلت به أسباب الشر كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٧].

والمعاصي والذنوب تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم ، وبركة العمل ، وبركة الطاعة ، وبركة الوقت ، بل تمحق بركة الدين والدنيا ، وما محقت بركة الأرض إلا بمعاصي الخلق، كما قال سبحانه : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

وإنما كانت معصية الله سببًا لمحق بركة الرزق والعمر وغيرها ؛ لأن

الشيطان موكل بها وبأصحابها ، وكل شيء اتصل به الشيطان فبركته ممحوقة ، وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

فإن الله هو الذي يبارك وحده ، والبركة كلها منه ، وكل ما نسب إليه مبارك من الكلام ، والأنبياء ، والأزمنة ، والأمكنة ، والأقوال ، والأعمال ، والعبيد كما قال سبحانه : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] .

وقال رسوله عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم: ٣١] .

وقال عن بيته الحرام : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦] .

فتبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

وضد البركة اللعنة ، فأرض لعنها الله ، أو أمة لعنها الله ، أو شخص لعنه الله ، أو عمل لعنه الله ، هو أبعد شيء من الخير والبركة ، وكل ما اتصل بذلك فلا بركة فيه البتة ، ولقد لعن الله عدوه إبليس وجعله أبعد خلقه منه ، فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه ، واتصاله به : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] .

ولعن سبحانه الكافرين والظالمين وكل من آذى الله ورسوله ، ولعن الكاذبين والمفسدين ، ولعن من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ

﴿وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة:١٥٩- ١٦١].

أهل الإيمان والطاعات هم الأعلون في الدنيا والآخرة : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وأهل الطاعات هم أكرم خلق الله عليه ، وأهل معصيته أهون خلقه عليه ، وهم الأسفلون في الدنيا والآخرة .

والذنوب والمعاصي تجعل صاحبها من السفلة بعد أن كان مهيئًا لأن يكون من العلية البررة ، وكلما عمل العبد معصية نزل إلى أسفل درجة ، ولا يزال في نزول حتى يكون من الأسفلين ، ثم في أسفل سافلين كحال العصاة والكفار والمنافقين ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

وكلما عمل العبد طاعة ارتفع بها درجة ، ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلين في أعلى عليين : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩- ٧٠].

والنزول أمر لازم للإنسان كالصعود ، فقد هيأه الله ليصعد بالطاعات إلى أعلى ، أو ينزل العاصي إلى أسفل : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

وقال الله عز وجل : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ – ٦].

فمن شاء أن يتقدم فيعمل بما يقربه من ربه ، ويدنيه من رضاه ، ويزلفه إلى دار كرامته ، أو يتأخر عما خلق له ، وعما يحبه الله ويرضاه ، فيعمل بالمعاصي ، ويتقرب إلى نار جهنم ، فكل ذلك ميسر وممكن : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧ – ٢٩] .

وقال سبحانه عن كتابه ودينه ورسوله : ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر:٣٦ – ٣٧] .

والنزول درجات فهو يحصل للعبد بسبب الغفلة ، أو التوسع في المباحات ، أو الوقوع في معصية صغيرة أو كبيرة ، فهذا علاجه الإقلاع والتوبة : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

فإن كان النزول إلى أمر يقدح في أصل الإيمان ؛ كالشك والريب والنفاق ، فهذا لا يرجى لصاحبه صعود إلا بتجديد إسلامه .

١٠- الخزانة العاشرة

من عقوبات المعاصي والآثام :

أنها تجرئ على العبد من لم يكن يتجرأ عليه من أصناف المخلوقات ، فتجرئ عليه الشياطين بالأذى ، والإغواء ، والوسوسة ، والتخويف ، والتحزين ، والنسيان ، وتؤزه إلى المعاصي أزا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٩ - ١٢٠] .

ويجترئ عليه شياطين الإنس بما يقدرون عليه من أذى ، ويجترئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه حتى الحيوان البهيم ، ويجترئ عليه أولياء الأمر بالعقوبة التي إن عدلوا فيها أقاموا عليه الحد ، وتجترئ عليه نفسه فتستأسد عليه ، وتصعب عليه فلا تنقاد له، فلو أرادها لخير لم تطاوعه ، ولم تنقاد له ، وتسوقه إلى ما فيه هلاكه شاء أم أبى : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

وذلك لأن الطاعة حصن الرب ، فمن دخله كان آمنًا ، فإذا فارق الحصن اجترأ عليه قطاع الطريق وغيرهم ، وبحسب اجترائه على معاصي الله تكون جرأتهم عليه ، وانتقامهم منه : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

والقلب يصدأ بالذنوب والمعاصي ، ويصير مثخنًا بالأمراض ، والنفس المطمئنة تخبث بالشهوات والمعاصي وتضعف ، وربما ماتت ، والمعاصي تجعل الجوارح تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه ، فإذا وقع العبد في

شدة أو كربة أو بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أنفع شيء له ، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله ، والإنابة إليه ، والتضرع والانكسار بين يديه ، ولا يطاوعه لسانه لذكره ، وإن ذكر ، ذكر بلسانه دون قلبه .

ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه ما أهمه لم تنقاد له ، ولم تطاوعه ، وأدهى من ذلك وأمر أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار ، فربما لم ينطق بالشهادة عند الموت ، بل ربما نطق بضدها أحيانًا .

والمعاصي تعمي القلب ، وتضعف بصيرته ، فإذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الله ، ومعرفة الهدى ، وقدرته على تنفيذه في نفسه وفي غيره بحسب ضعف بصيرته وقوته .

فينعكس إدراكه ، وينعكس سيره ، فيري الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، والمعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، ويفسد ويرى أنه يصلح ، فينتكس في سيره ، ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة إلى سفره لمستقر نفوس أهل الضلال التي رضيت بالحياة الدنيا ، واطمأنت بها ، وغفلت عن الله وآياته ، فماذا أعد الله لهؤلاء من العذاب ؟

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧ – ٨] .

- **عقوبات الذنوب والمعاصي :**

ومن عقوبات الذنوب والمعاصي أن المعاصي مدد من الإنسان يمد به عدوه عليه ، وجيش يقويه به على حربه ، وهو الشيطان الذي لا يفارق الإنسان طرفة عين ، يراه الشيطان من حيث لا يراه ، والنفس أول مداخل الشيطان على القلب ، فإذا مناها وحقق لها مرادها ، اطمأنت إليه ، فخامرت

القلب ، وصارت مع الشيطان عليه ، وبذلك يملك الشيطان ثغور البلد وهي : العين ، واللسان ، والأذن ، والفم ، واليد ، والرجل ، ويرابط على هذه الثغور كل المرابطة ، ويدخل على القلب منها فيفسده ، فيجعل نظر العين نظر تفرج ولهو ، لا نظر فكر واعتبار ، وهذا أخطر شيء : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

ويرابط على ثغر الأذن ، فلا يدخل منه إلا الباطل ، الذي هو خفيف على النفس تستحليه وتستملحه ، ولا يسمح بدخول هذا الثغر من كلام الله ورسوله ، أو كلام النصحاء والوعاظ ، فإن غلب ودخل شيء من ذلك حال بينه وبين فهمه وتدبره ، والعظة به ، إما بإدخال ضده عليه ، أو بتهويل ذلك وتعظيمه ، وأنه حمل ثقيل عليه لا يستطيعه ، وإما بإرخاصه على النفوس ، وأن الاشتغال ينبغي أن يكون بما هو أعلى عند الناس ، والذي زبائنه أكثر . وأما الحق فهو مهجور ، وقائله معرِّض نفسه للعداوة والشبهة ، يدخل الشيطان عليه الباطل بالقالب الذي يحبه ويقبله ويخف عليه ، ويخرج له الحق في كل قالب يكرهه ، ويثقل عليه ، وينفر منه : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء: ٣٨] .

ويجتهد الشيطان على ثغر اللسان ، وهو الثغر الأعظم ، فيجري عليه من الكلام ما يضره ولا ينفعه ، ويمنعه أن يتكلم بشيء مما ينفعه من ذكر الله واستغفاره ، وتلاوة كتابه ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، والنصح لعباده ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة:١٦٨ – ١٦٩] .

ويرابط الشيطان على اللسان ، ويزين له التكلم بالباطل بكل طريق ، ويخوفه عن التكلم بالحق بكل طريق ، فلا تراه إلا متكلمًا بباطل ، أو ساكتًا عن حق ، فالأول شيطان ناطق ، والآخر شيطان أخرس .

والشياطين وأتباعهم في جهنم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء:١١٩- ١٢١]

ويجتهد الشيطان كذلك على ثغر اليدين والرجلين ، فيمنع اليد أن تبطش بما يضر أعداء الله ورسوله ، ويمنع الرجل أن تمشي للخير وجهاد أعداء الله ورسوله ، والدعوة إليه ، فيحرك الجوارح لكل معصية ، ويثبطها عن كل طاعة ، فما أعظم عداوة الشياطين لبني آدم ، وما أشد غفلة بني آدم عنهم ؟ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠-٦٢] .

ومما يعين الشياطين على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس الأمارة بالسوء ، وإعانتها والاستعانة بها ، والوقوف معها ضد النفس المطمئنة .

فإن النفس الأمارة إذا قويت وأطاعت الشياطين ، أنزلوا القلب من حصنه ، وأخرجوه من مملكته ، وولوا مكانه النفس الأمارة بالسوء ، التي تأمر بما تهوى الشياطين وتحبه ، ولا تخالفهم البتة ، بل تبادر إلى فعل كل ما يشيرون به من الفواحش والآثام : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

والشياطين تغلب بني آدم بجنديين :

الأول : جند الغفلة التي تصرف قلوب بني آدم عن الله والدار الآخرة ، ولهذا أمرنا الله بذكره ، وإذا ذكرناه أطعناه ، وامتثلنا أمره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣] .

الثاني : جند الشهوات التي يزينونها في قلوب بني آدم ، ويحسنونها في أعينهم ، ثم ينقلونهم منها إلى الصغائر ، ثم إلى الكبائر ، ثم الخروج من الدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

يستعينون تارة بالشهوات على الغفلة ، وتارة بالغفلة على الشهوات ، يصطادون بني آدم عند الشهوة ، وعند الغضب ، وعند الغفلة : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤- ١٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

فالشياطين يدعونهم إلى الشهوة من باب الغفلة ، وإلى الغفلة من باب الشهوة ، وأبلغ أسلحة الشياطين في بني آدم الغفلة ، واتباع الهوى ، ولذلك حذرنا الله من ذلك بقوله : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص:٥٠] .

والمعاصي والذنوب والآثام تستجلب مواد هلاك العبد في الدنيا والآخرة ، وتلك أمراض متى استحكمت ولم تعالج قتلت ولا بدّ : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾ [النساء:١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾ [طه:١٢٣- ١٢٦] .

وكما أن صحة البدن تكون بغذاء نافع يحفظ قوته ، واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة ، والأخلاط الرديئة ، وحمية يمتنع بها مما يؤذيه ، فكذلك القلب لا تتم حياته إلا بغذاء من الإيمان والأعمال الصالحة ، تحفظ قوته ، واستفراغ بالتوبة النصوح تستخرج المواد الفاسدة ، والأخلاط الرديئة منه ، وحمية توجب له حفظ الصحة بترك النواهي والمحرمات .

فهذه بعض العقوبات القدرية على المعاصي والذنوب والآثام .

- **أما عقوبات المعاصي الشرعية :**

فالله ﷻ شرع عقوبات شرعية على الجرائم كقطع اليد في السرقة ، وقطع أيدي وأرجل قطاع الطريق ، والجلد بالقذف ، وشرب الخمر ، والقتل للقاتل عمداً ، والرجم والجلد في الزنا ، وغير ذلك من العقوبات التي شرعها الله ورتبها على الجرائم ، وجعلها سبحانه على حسب الدواعي ، وحسب الوازع عنها كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

فالذنوب والمعاصي تترتب عليها العقوبات الشرعية ، أو القدرية ، أو هما معاً ، وقد يرفعهما الله عمن تاب وأحسن : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة:٣٣ – ٣٤] .

وإذا أقيمت العقوبات الشرعية رُفِعت العقوبات القدرية ، أو خففتها، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨] .

وإذا عطلت العقوبات الشرعية استحالت قدرية ، وربما كانت أشد من

الشرعية ، وربما كانت دونها ، ولكنها تعم ، والشرعية تخص كما قال سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨٠] .

- **والعقوبات القدرية نوعان :**

النوع الأول : على القلوب والنفوس .

النوع الثاني : على الأبدان والأموال .

وعقوبات القلوب أشد العقوبتين ، وهي تسري من القلب إلى البدن ، كما يسري ألم البدن إلى القلب .

والعقوبات على الأبدان نوعان :

النوع الأول : في الدنيا .

النوع الثاني : في الآخرة .

وشدتها وآلامها بحسب تلك المعصية ، وليس في الدنيا والآخرة شر أصلاً إلا الذنوب وعقوباتها كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد: ٣٤] .

- **ومن عقوبات المعاصي والذنوب :**

الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه ، فيخسف به إلى أسفل سافلين ، وعلامة الخسف بالقلب : أنه لا يزال جوالاً حول السفليات ، والقاذورات ، والرذائل ، كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالاً حول العلويات ، والطاعات ، والطيبات : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ

إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

[الأنفال:٢- ٤].

- **أصول الخطايا :**

أصول الخطايا كلها ثلاثة :

الأول : الكبر ، وهو الذي صير إبليس إلى ما صار إليه من اللعن والطرد والإبعاد : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤] .

الثاني : الحرص ، وهو الذي أخرج آدم من الجنة ، حين أكل من الشجرة .

الثالث : الحسد ، وهو الذي جر أحد ابني آدم على قتل أخيه ، وأول ذنب عُصي الله به في الأرض .

ومن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر ، فالكفر من الكبر ، والمعاصي من الحرص ، والظلم من الحسد .

وقد دخل الناس النار من ثلاثة أبواب :

الباب الأول : باب شبهة أورثت شكاً في دين الله .

الباب الثاني : باب شهوة أورثت تقديم الهوى على الهدى .

الباب الثالث : باب غضب أورث العدوان على خلق الله .

فللسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة لابد من طاعة الله ورسوله ، وكلما ازداد المسلم من طاعة الله ورسوله ازداد خيره وكماله ، وارتفعت درجته عند الله لزيادة إيمانه وأعماله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[البقرة: ١٥٨] .

والله ﷻ شكور يقبل اليسير من العمل ، ويجازي عليه بالأجر العظيم : ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧] .

فمن أطاعه أعانه على ذلك ، وأثنى عليه ومدحه ، وجازاه في قلبه نوراً وإيماناً وسعة ، وفي بدنه قوة ونشاطاً وعافية ، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء ، وفي أعماله زيادة توفيق . ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملاً ، لم تنقصه هذه الأمور : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

ومع أنه سبحانه شاكر ، فهو عليم بمن يستحق الثواب الكامل بحسب نيته ، وإيمانه وتقواه ، ممن ليس كذلك : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣] .

وبالطاعات تصلح أحوال الإنسان في الدنيا والآخرة ، وبالمعاصي تفسد أحوال الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣- ١٤] .

فالبهائم إذا أكلت الحشائش ، والسباع إذا أكلت اللحوم ، صح مزاجهما ، وإذا علفت البهائم اللحم ، وعلفت السباع الحشائش ، فسد مزاجهما .

وكذلك الإنسان إذا باشر أعمالاً صالحة صلح مزاجه الملكي ، وإذا باشر أعمالاً سيئة فسد مزاجه الملكي ، كما قال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ ». متفق عليه [1] .

فلصلاح الإنسان يجب عليه الإيمان بالله ، وطاعة الله ورسوله في كل حال ،

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١٥٩٩).

وفعل الأوامر ، واجتناب النواهي : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٣- ١٤] .

والحيوان مجبول على أكل ما ينفعه ، واجتناب ما يضره ، أما الإنسان فقد أعطاه الله العقل ، وأنزل عليه الكتب ، وأرسل إليه الرسل ، وبين له ما ينفعه وما يضره ، وترك له حرية الاختيار امتحاناً وابتلاءً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن: ٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

والطاعات كلها منافع ، فالسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والحيوان والنبات ، كلها أطاعت فنفعت ، وخرج منها من المنافع ما لا يعلمه إلا الله . وكذلك المسلم كلما أطاع الله نفع نفسه وغيره ، وخرج منه من المنافع ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله ، من العبادة ، والدعوة ، والتعليم ، والإنفاق ، وأعطاه الله من خزائنه ما يريد : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٦٥-خزائن الكبائر والصغائر

وتشتمل على ما يلي:

١- تعريف الكبيرة والصغيرة .

٢- الكبائر نصت عليها السنة .

٣- الفرق بين الكبائر والصغائر .

٤- درجات الكبائر .

٥- حكمة التكليف بالأمر والنهي .

٦- آثار الكبائر والمعاصي .

٧- حكم من اقترف الكبائر .

٨- شروط تكفير الصغائر .

٩- أهمية معرفة الكبائر .

١٠- أقسام الكبائر .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٦٥-خزائن الكبائر والصغائر

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٦٥-خزائن الكبائر والصغائر

١- الخزانة الأولى

١- تعريف الكبيرة والصغيرة .

الكبيرة :

هي كل معصية فيها حدٌّ في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة ، أو جاء فيها وعيدٌ في الآخرة من عذابٍ ، أو غضبٍ ، أو لعن الله ورسوله فاعلها: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف:٣٣] .

والصغيرة :

هي كل ما سوى الكبيرة من صغائر الذنوب كاللمم ونحو ذلك : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم:٣١-٣٢].

وقد تكفل الله ﷻ لمن اجتنب الكبائر صادقًا ، أن يكفر عنه الصغائر ، ويدخله الجنة : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء:٣١] .

٢- الكبائر التي نصت عليها السنة :

الكبائر والصغائر لا حصر لها ، كما أن الطاعات لا حصر لها ، والكبائر التي وردت في السنة بالنص عليها ثلاث عشرة كبيرة وهي :

الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وقتل النفس بغير حق ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ، واليمن الغموس ، وشتم الرجل والديه ، وقتل الولد ، والزنا بزوجة الجار .

وأما الذنوب التي لم يُنص عليها في الكتاب والسنة أنها من الكبائر فكثيرةٌ جدًا، وأكثرها قائمٌ على تصور مفاسدها ، أو قياسها على الكبائر المنصوص عليها، أو على كل وعيدٍ أو لعن ونحوهما مما نهى الله ورسوله عنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء : ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧] .

٣- الفرق بين الكبائر والصغائر

الكبائر والصغائر كلها ذنوبٌ ، ومعصيةٌ لله ، فيجب على العبد أن يستغفر مما فعل من الكبائر والصغائر:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وإذا أراد المسلم معرفة الفرق بين الكبائر والصغائر فليعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر ، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر ، أو زادت عليها فهي من الكبائر ، ولا يمكن ضبط المفاسد والمصالح إلا بالتقريب والموازنة والنظر ، فمن سب أو شتم الرب أو الرسول ، أو استهان بالرسل ، أو كذب واحدًا منهم ، أو ضمخ الكعبة بالعذرة ، أو ألقى المصحف في القاذورات والمزابل ، فهذا من أكبر الكبائر ، ولم ينص الشرع على أنه كبيرة ، ومن أمسك مسلمًا لمن يقتله ، أو امرأة محصنة لمن يزني بها ، فهذا لم ينص عليه مع أنه مفسدةٌ أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم، مع كونه من الكبائر، ومن دل الكفار على عورات المسلمين، مع علمه أنهم يقتلون المسلمين، ويسبون نساءهم وأطفالهم ، ويخربون ديارهم ، ويأخذون أموالهم ، فهذه المفاسد التي حصلت بفعله أعظم من توليه يوم الزحف ، مع كونه من الكبائر .

وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم من الكبائر ، فإن وقع في مالٍ كبير فهذا ظاهر ، وإن وقع في مالٍ حقير فهذا مشكل ، لكن جُعل من الكبائر فطامًا

للنفوس عن هذا الخلق، والحكم بغير الحق كبيرة ، وشاهد الزور متسبب ، فإذا كان التسبب كبيرة ، فالحكم بغير الحق أكبر من تلك الكبيرة .

فالذنوب تختلف بحسب الشدة والخفة ، وبحسب المضرة والمفسدة ، وبحسب الإثم والعقوبة :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم : ٣١ – ٣٢] .

٤- درجات الكبائر :

الكبائر درجاتٌ متفاوتة في الإثم ، والشناعة ، والعقوبة ، وبعضها أشد من بعض ، وأكبر الكبائر وأعظمها الكفر ، والشرك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة :١٦١- ١٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان:١٣] .

فالكفر بالله أعظم من الشرك ؛ لأن الكفر جحد الرب بالكلية ، والشرك تنقص الرب بجعل شريكٍ معه ، والشرك أعظم من القتل ، والقتل أعظم من الزنا ، والزنا أعظم من القذف ، وهكذا :﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٨ – ٧٠] .

وكل كبيرةٍ تنقسم إلى كبيرٍ ، وأكبر ، وعظيمٍ وأعظم ، وفاحش وأفحش ، فالكفر بالملائكة أو الكتب أو الرسل ، أو اليوم الآخر ، من أعظم الكبائر ، فإذا قُرن مع ذلك الكفر بالله كان أكبر ، وأعظم ، وأفحش .

والشرك في عبادة الله أكبر الكبائر ، فإذا جعل مع الله شريكًا في الخلق والأمر، كان أفحش ، وأعظم ، وأكبر ، وهكذا: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ﴾[الإسراء:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقتل النفس بغير حق من كبائر المهلكات ، فإن قتل أصلًا كالأب والجد والأم ، أو فرعًا كالابن والبنت ، أو ذا رحم ، كان أعظم ، وأفحش ، فإن كان القتل في الحرم ، وفي شهرٍ حرام ، فهو أشد فاحشة وإثمًا .

والزنا من كبائر الذنوب ، فإن كان بذات محرم ، وبحليلة جاره ، كان أفحش وأعظم ، فإن كان في نهار رمضان ، أو في الحرم ، أو جهر به ، فهو أشد فاحشةً وإثمًا .

وشرب الخمر من الكبائر ، فإن كان في نهار رمضان ، أو في الحرم ، أو جهر به ، فهو أشد فحشًا وإثمًا ، وهكذا .

والكذب من الكبائر ، فإن كان كذبًا على الأمة فهو أشد وأفحش ، فإن كان كذبًا على الله ورسوله ، فهو أشد فحشًا وإثمًا وهكذا :﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .

٥- حكمة التكليف بالأمر والنهي :

الله ﷻ ابتلى كل إنسان بالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية ، وبالمصائب القدرية:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

وقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يجعل الإنسان مكلفًا مختارًا: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ ﴾ [الكهف:٢٩] .

ولما كان التكليف يستلزم طريقين ليتم الاختيار ، فقد أمر الله العبد بأشياء ، ونهاه عن أشياء ، ابتلاه الله ابتلاءً في الطاعة ، وفعل الأمر ، واجتناب النهي ، كلاهما طاعةٌ وقربةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧١].

وترك الأمر، وفعل النهي، كلاهما معصية ؛ لهذا جعل الله ﷻ كمال العبودية يقوم على أصلين هما :

فعل الأوامر ، واجتناب النواهي .

واجتناب النهي أشد على النفس من فعل الأمر ؛ لأن النهي لم يُرخص في ارتكاب شيءٍ منه ، لعظيم ضرره على الإنسان في الدنيا والآخرة ، بينما الأمر قيد الله فعله بالاستطاعة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . متفقٌ عليه[1] .

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤١٢/ ١٣٣٧).

٢- الخزانة الثانية

٦-آثار الكبائر والمعاصي

فعل الأوامر والطاعات محبوبٌ للرب ، وبها تصلح دنيا العبد وآخرته: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وفعل الكبائر والمعاصي مبغوضٌ للرب ، وبها تفسد دنيا العبد وآخرته:﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه : ١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾[الشعراء : ٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ ﴾[الزمر:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾[النساء : ١٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر : ١-٣] .

ونفع الطاعات للقلوب أعظم من نفع الأغذية للأجساد ، وفعل الأوامر غذاءٌ للقلوب ، واجتناب المناهي ، لئلا تفسد لأجلها الأجساد والقلوب .

فالأوامر أغذية نافعة ، والمناهي سمومٌ مهلكة ، وضرر الكبائر والمعاصي على القلوب أشد من ضرر السموم على الأبدان ، ولما كان شر الذنوب يفسد على العباد دينهم ودنياهم وآخرتهم بينها الله ﷻ ، وبينها رسوله ﷺ ، ليتمكن العباد من معرفتها ، واجتنابها ، والحذر منها ، لئلا يقعوا فيما يُسخط الله ، ويكون سببًا في عقوبتهم وهلاكهم: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

فما في الدنيا والآخرة من شر وبلاء وشقاء إلا وسببه الذنوب والمعاصي: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ ﴾ [النساء:١٢٣] .

فما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء ، وطرده ولعنه ، ومقته أكبر المقت ، فلبس لباس الكفر ، والفسوق ، والعصيان، وصار قوادًا لكل كافرٍ ، وفاسقٍ ومجرم ، إلا ارتكاب النهي ، ومخالفة الأمر:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤ ﴾ [البقرة:٣٤] .

فالكبائر والمعاصي والذنوب ، أدواء مهلكة مدمرة للأمم والأفراد ، مسخطةٌ لرب العباد ، فسبب الذنوب أغرق الله المكذبين من قوم نوحٍ ﷺ ، وسلط الله الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى في عهد هود ﷺ ، وأرسل الله الصيحة على قوم ثمود فماتوا عن آخرهم في عهد صالح ﷺ ، وأمر الله جبريل فرفع قُرى قوم لوط ، ثم قلبها عليهم ، ثم أتبعها بحجارةٍ أمطرها عليهم فهلكوا جميعًا في عهد لوط ﷺ .

وأرسل الله ﷻ على قوم شعيب سحائب العذاب ، فأمطرتهم نارًا ، فهلكوا في عهد شعيب ﷺ .

وأغرق الله فرعون وقومه في البحر ، فهلكوا جميعًا في عهد موسى ﷺ : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف:٥٥] .

وسلط الله على بني إسرائيل أنواع العقوبات قتلًا وسبيًا ، ومسخًا وتخريبًا للبلاد لما خالفوا أمر الله : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة:٧٨-٧٩] .

وخسف الله بقارون وماله وداره لما عصى الله ورسوله .

وبطش الله ﷻ بقريش في بدر ، فقتل كبارهم ، ومزق شملهم .

وأجلى اليهود عن المدينة ، وفرق شملهم ، وأورث المسلمين أرضهم وديارهم ، ومزق ملك كسرى وقيصر في زمن محمدٍ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:٣٤-٣٧] .

وقال الله تعالى عن الأمم السابقة : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٠] .

٧- حكم من اقترف الكبائر :

من ارتكب من المؤمنين كبيرة من الكبائر كالقتل والزنا والسرقة ونحوها غير الكفر والشرك ، فإنه لا يكفر ، بل هو مؤمنٌ ناقص الإيمان ، فإن تاب قبل الموت سقطت عقوبته في الآخرة ، وإن مات مصرًا على الكبيرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله تعالى عفا عنه ، وأدخله الجنة ، فإن رحمته جل جلاله سبقت غضبه ، وإن شاء عذبه في النار عقوبة له على معصيته ، ثم أدخله الجنة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

٨- شروط تكفير الصغائر :

يكفر الله ﷻ برحمته الصغائر عن العبد ويدخله الجنة بأمرين :

الأول : اجتناب الكبائر

قال الله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء:٣١] .

الثاني : فعل الطاعات

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله كان يقول : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٣٣).

٩- أهمية معرفة الكبائر :

يجب على المسلم أن يعرف أنواع الطاعات وأفضلها ، ليسارع إليها ، ويتقرب إلى الله بها، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ويجب عليه كذلك أن يتعرف على الكبائر ليتقيها ويبتعد عنها ، وذلك لعظيم ضررها ، وشدة عقوبتها: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

والكبائر والمعاصي التي ذكرها الله ورسوله كثيرةٌ جدًا ، منها ما تقدم ذكره في أبواب الكتب السابقة ، وقد ذكرنا هنا أهم الكبائر والمعاصي التي تتعلق بالقلوب والجوارح ، ولشدة خطر الكبائر في الدنيا والآخرة فالواجب على كل مسلمٍ ومسلمة معرفتها ، ليتقيها ويحذرها ، ويحذر المسلمين منها ؛ ليسلموا من شرها وعقوبتها في الدنيا والآخرة: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

٣- الخزانة الثالثة

١٠- أقسام الكبائر :

تنقسم الذنوب والمعاصي إلى كبائر وصغائر .
والكبائر تنقسم باعتبار مكانها إلى قسمين :
الأول : كبائر القلوب كالشرك والكبر ونحوهما .
الثاني : كبائر الجوارح كالزنا والسرقة ونحوهما .
وتنقسم الكبائر باعتبار مصدرها إلى ثلاثة أقسام :
الأول : كبائر القلوب كالشرك والرياء ونحوهما .
الثاني : كبائر الأقوال كالغيبة والنميمة ونحوهما .
الثالث : كبائر الأفعال كالقتل والزنا ونحوهما .
وتنقسم الكبائر باعتبار أنواعها إلى قسمين :
الأول : كبائر القلوب ، كالكفر والشرك والنفاق ونحوها .
الثاني : كبائر الجوارح ، وهي خمسة أقسام :
أولاً : كبائر العلم والجهاد والإنفاق
ثانيًا : كبائر العبادات .
ثالثًا : كبائر المعاملات .
رابعًا : كبائر المعاشرات .
خامسًا : كبائر الأخلاق .
وتنقسم كبائر الجوارح باعتبار مصدرها إلى ستة أقسام :
الأول : كبائر اللسان، كالغيبة والنميمة ، والقيل والقال وشهادة الزور ونحو ذلك.

الثاني : كبائر الأذن ، كسماع الغناء والفواحش ونحوها من سماع الخوض في آيات الله .

الثالث : كبائر العين ، كالنظر إلى النساء الأجنبيات ونحوها من المحرمات .

الرابع : كبائر اليد ، كالقتل والضرب والسرقة ونحو ذلك .

الخامس : كبائر البطن، كأكل السم، وشرب الخمر، وأكل الميتة ونحو ذلك.

السادس : كبائر الفرج كالزنا ، وعمل قوم لوط ونحو ذلك .

- **أنواع الكبائر** :

الكبائر تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : كبائر القلوب ، وكبائر القلوب كثيرة ، وأعظم كبائر القلوب ما يلي :

الأول : **الكفر**

وهو إنكار الخالق سبحانه ، أو جحد أسمائه وصفاته ، أو تكذيب كتبه ورسله ، أو إنكار الملائكة واليوم الآخر.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة :١٥٩- ١٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾[النحل:١٠٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾[النساء:١٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾[النساء:١٥٠-١٥١] .

الثاني : الشرك

وهو أن يجعل لله شريكًا في الخلق والأمر ، أو يعبد معه غيره من جمادٍ أو نباتٍ أو حيوانٍ ، أو ملك أو نبي ، أو شيخ أو غير ذلك من المعبودات الباطلة ، فالكفر جحد الرب ، والشرك تنقص الرب ، والشرك ظلمٌ عظيم كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾[لقمان:١٣] .

والكفر والشرك أكبر الكبائر ، فمن مات كافرًا أو مشركًا فهو مخلدٌ في النار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ ﴾[البينة: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾[النساء:١١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة:٧٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي بكر ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ » . ثَلَاثًا « الْإِشْرَاكُ بِالله ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ - » . وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ » . متفقٌ عليه[2] .

الثالث : الكبر

وهو الاستكبار عن عبادة الله وطاعته .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة:٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٦٦) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء:١٧٢-١٧٣] .

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهَّ لَأَبَرَّهُ . أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ » . متفقٌ عليه[1] .

الرابع : النفاق

وهو أن يظهر العبد الإسلام ، ويبطن الكفر .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء:١٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة:٧٣] .

الخامس : الرياء

وهو كل عبادة أو قربى يقصد بها الله والناس .

والرياء شركٌ أصغر محبط للعمل الذي يقارنه.

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٦/ ٢٨٥٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت يا رسول ﷺ يقول: « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم(٢) .

السادس : السحر

وهو عقد ورقى شيطانية ، يتوصل بها الساحر إلى ما يريد من ضرر غيره: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ » . متفق عليه[1] .

السابع : الطيرة

وهي التشاؤم ببعض الأسماء ، أو الأشخاص ، أو الأماكن ، أو الأيام أو الليالي ، أو الأشهر ، أو الجهات ، أو الأرقام ، أو الألوان ، أو الأحوال ونحو ذلك :﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمْۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [يس:١٨-١٩] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثًا ، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل ».أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2].

الثامن : الحسد

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤ -٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١-٥] .

فهذه أعظم كبائر القلوب وعقوباتها .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٩١٠)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٦١٤).

القسم الثاني : كبائر الجوارح ، وتنقسم كبائر الجوارح إلى ما يلي :

الأول : كبائر العلم ، والدعوة ، والجهاد ، والإنفاق .

- **تعلم العلم لغير وجه الله ﷻ**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء : ١٤٢ - ١٤٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم[1] .

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

- **كتمان العلم :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾[البقرة:١٧٤-١٧٥] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَه الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ». أخرجه أبود داود والترمذي (١) .

- **الكذب على الله ورسوله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾[الصف:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل: ١١٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٦٥٨) ، والترمذي برقم (٢٦٤٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول ﷺ : « مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . متفقٌ عليه[1] .

- **انتقاص العلماء**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « ليسَ منَّا من لمَ يَرحَمْ صغيرَنا ، و يعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا » . أخرجه أبو داود والترمذي[2] .

- **عدم العمل بما علم :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٣-٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة:٨٥] .

وعن أسامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ » . متفق عليه[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢/ ٢) .

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم : (٤٩٤٣)، والترمذي برقم: (١٩٢٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٣٢٦٧، واللفظ له، ومسلم برقم: ٥١/ ٢٩٨٩ .

- **ترك الدعوة إلى الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد:٣٨] .

- **ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

- **ترك الجهاد في سبيل الله :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » . أخرجه مسلم[1] .

- **التولي يوم الزحف :**

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الانفال:١٥-١٦]

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « الشِّرْكُ بِاللهَّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ » . متفقٌ عليه[2] .

- **القتال تحت راية عُمية :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٥٨/ ١٩١٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ » . أخرجه مسلم[1] .

- **موالاة غير المسلمين والاستعانة بهم في القتال :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة: ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١] .

وعَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ : « خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ رَأَوْهُ ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ ، وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: « تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ ؟ » . قَالَ : لَا ، قَالَ: « فَارْجِعْ ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ » .، قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، قَالَ: « فَارْجِعْ ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ » .، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: « تُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ ؟ » . قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: « فَانْطَلِقْ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٣/ ١٨٤٨).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٥٠/ ١٨١٧).

٤ - الخزانة الرابعة

الثاني : كبائر العبادات :

- **عدم التنزه من البول :**

عن ابن عباس رضي الله عنها قال : مر النبي ﷺ بحائطٍ من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورها ، فقال النبي ﷺ : « يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ » . ثُمَّ قَالَ : « بَلَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » . ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ: « لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» . أَوْ : « إِلَى أَنْ يَيْبَسَا » . متفق عليه[1] .

- **ترك الصلاة :**

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾[الماعون:٤-٧] .

وعن جابرٍ ﷺ قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ » . أخرجه مسلم[2] .

- **التخلف عن الصلاة مع الجماعة :**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ، فَيُؤَذَّنَ لهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ،

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١١/ ٢٩٢).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٣٤/ ٨٢).

ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشَاءَ ». متفق عليه[1].

- **مسابقة الإمام في الصلاة :**

عن أبي هريرة ﷺ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا يَأْمَنُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ فِي صَلَاتِهِ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ صُورَتَهُ فِي صُورَةِ حِمَارٍ » . متفق عليه[2] .

- **المرور بين يدي المصلي :**

عن أبي جهيم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ » . قَالَ أَبُو النَّضْرِ : لاَ أَدْرِي ، أَقَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ شَهْرًا ، أَوْ سَنَةً » . متفقٌ عليه[3] .

- **منع الزكاة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥] .

وعن أبي ذر ﷺ قال : انتهيت إلى النبي ﷺ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - أَوْ : وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ ، أَوْ كَمَا حَلَفَ - مَا مِنْ رَجُلٍ تَكُونُ لَهُ إِبِلٌ ، أَوْ بَقَرٌ ، أَوْ غَنَمٌ ، لاَ يُؤَدِّي حَقَّهَا ، إِلَّا أُتِيَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ ، أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنَهُ تَطَؤُهُ

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥١/ ٦٥١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩١)، ومسلم برقم: (١١٥/ ٤٢٧)، واللفظ له.

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦١/ ٥٠٧).

بِأَخْفَافِهَا ، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، كُلَّمَا جَازَتْ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » . أخرجه مسلم[2] .

- **ترك الصيام :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ » . متفق عليه[3] .

- **ترك الحج :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ ، وَالحَجِّ » . متفق عليه[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥/ ٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦/ ٩٨٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥١٤)، ومسلم برقم: (٢٢/ ١٦)، واللفظ له.

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥١٤)، ومسلم برقم: (٢٢/ ١٦)، واللفظ له.

- **ترك ذكر الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٥] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مجَلْسًا لمَ يَذْكُرُوا اللهَّ فِيهِ ، وَلمَ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لهَُمْ » . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح(١) .

الثالث : كبائر المعاملات :

من كبائر المعاملات الحكم بغير ما أنزل الله.

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المائدة:٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[المائدة : ٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص:٢٦] .

وعن معقل بن يسار ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أميرٍ يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » . متفق عليه(٢) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩٥٨٣)، وأخرجه الترمذي برقم: (٣٣٨٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٥٠) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢/ ١٤٢).

- **غش الإمام رعيته :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[الشورى:٤٢] .

و قال الله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص:٢٦] .

وعن معقل بن يسار المزني ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ ، ثُمَّ لَا يجْهَدُ لهَمْ وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ » . متفق عليه[1] .

- **أكل أموال الناس بالباطل :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[البقرة:١٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء:٢٩] .

- **أكل الربا :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٧٩] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٧/ ١٤٢).

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران :١٣٠- ١٣٢] .

وعن جابر ﷺ قال : « لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا ، وَمُؤْكِلَهُ ، وَكَاتِبَهُ ، وَشَاهِدَيْهِ ». ، وَقَالَ : « هُمْ سَوَاءٌ » . أخرجه مسلم[1] .

- **أكل مال اليتم :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠ ﴾ [النساء:١٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ » . قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ » . متفق عليه[2] .

- **لعب الميسر والقمار :**

لعب الميسر والقمار قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة:٩٠ - ٩١] .

- **شهادة الزور :**

قال الله تعالى : ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ ﴾ [الحج:٣٠] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ١٥٩٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

وعن أبي بكر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ » . قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : " الإِشْرَاكُ بِاللهَّ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يَقُولهُا ، حَتَّى قُلْتُ : لاَ يَسْكُتُ » . متفق عليه[1] .

- **التحايل على شرع الله :**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « قَاتَلَ الله اليهود ! إن الله لما حَرَّمَ عليهم شحُومَها ، جمْلُوُه ، ثم باعُوه ، فأكلوا ثَمَنَه ».أخرجه البخاري[2].

- **بيع الحر وأكل ثمنه :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ » . أخرجه البخاري[3] .

- **إدعاء ما ليس له :**

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» . متفق عليه[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٣٦).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٠٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٢/ ٦١).

- **غش الناس :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩] .

وعن أبي هريرة ﷺ « أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ، من غش فليس مني » . أخرجه مسلم[1] .

- **ومن كبائر المعاملات** : إنفاق السلع بالحلف الكاذب

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧٧] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ : رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ : اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ » . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ » . متفقٌ عليه[3] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٠٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٣/ ١٠٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٨٧) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣١/ ١٦٠٦).

وعن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » . قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: « المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الْكَاذِبِ» . أخرجه مسلم(١).

- **احتكار أقوات الناس :**

عن معمر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ » . أخرجه مسلم(٢) .

- **اليمين الغموس :**

واليمين الغموس أن يحلف كاذبًا .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [آل عمران:٧٧] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». متفق عليه(٣) .

وعن أبي معمر ﷺ أن رسول الله ﷺ : « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ » . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ » . أخرجه مسلم(٤) .

- **الكتمان والكذب في البيع :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٣٠/ ١٦٠٥).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٠/ ١٣٨).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٢١٨/ ١٣٧).

حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

وعن حكيم بن حزام ﷺ أن النبي ﷺ قال : « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا » . متفق عليه[2] .

- **التجارة في المحرمات :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[لقمان:٦] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة :« إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ، وَالخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ ».، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ ، فَقَالَ : « لَا ، هُوَ حَرَامٌ » . ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : « قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ، ثُمَّ بَاعُوهُ ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ » . متفق عليه[3] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتعاها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسندٍ صحيح[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٧/ ١٥٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٤)، ومسلم برقم: (٩٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ١٥٨١).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: ٣٦٧٤ ، وأخرجه ابن ماجة برقم: ٣٣٨٠ .

- **أخذ الشيء ظلمًا :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفرقان:١٩] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا » . أخرجه مسلم[١] .

وعن سعيد بن زيد ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » . متفق عليه[٢] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ » . أخرجه البخاري[٣] .

- **كتمان الشهادة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

- **تغيير منار الأرض :**

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى محْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ » . أخرجه مسلم[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٩٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٧/ ١٦١٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٢٤٥٤) .

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ١٩٧٨).

٥- الخزانة الخامسة

الرابع كبائر المعاشرات :

- **ومن كبائر المعاشرات ظلم الرعية**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : « اللهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ ، ثُمَّ لَا يجْهَدُ لهَمْ وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لمَ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ » . أخرجه مسلم[2] .

- **عقوق الوالدين :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٣ -٢٤] .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ ؟ » . ثَلاَثًا ، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِّ ، قَالَ : « الإِشْرَاكُ بِاللهِّ ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩/ ١٨٢٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢/ ١٤٢).

وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ». قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهَّ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ: « يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ».متفق عليه[2].

- **قطع الأرحام :**

قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد:٢٢-٢٣] .

وعن عائشة رضي الله عنهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ » . متفق عليه[3] .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ » . متفق عليه[4] .

- **الطعن في الأنساب :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧/ ٢٥٥٥).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩/ ٢٥٥٦).

وعن ابن مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ » . أخرجه مسلم(١) .

- **هجر المسلم بلا سبب :**

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » . متفقٌ عليه(٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبدٍ لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلٌ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا » . أخرجه مسلم(٣).

وعن أبي خراش السلمي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : من هجر أخاه سنة ، فهو كسفك دمه » . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح(٤) .

- **التنابذ بالألقاب .**

قال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحجرات:١١] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . متفقٌ عليه(١) .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٩/ ٩٣٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥/ ٢٥٦٠).

(٣)أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٥) .

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٧٩٣٥)، وأبو داود برقم (٤٩١٥) .

وعن المعرور بن سويد ﷺ قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألت عن ذلك فقال : إن سابت رجلًا فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ : « إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيَكْسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ » . متفق عليه[٢].

- **الإساءة إلى الجار :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾[النساء:٣٦] .

وعن أبي شريح ﷺ أن النبي ﷺ قال: « والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه». أخرجه البخاري[٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » . أخرجه مسلم[٤].

- **أذى الناس :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ ﴾[البروج:١٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٧٦) ، واللفظ له، ومسلم برقم(١١٦/ ٦٤) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٠) ، ومسلم برقم(١٦٦١) .

(٣) أخرجه البخاري برقم(٦٠١٦) .

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٧٣/ ٤٦).

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

وعن هشام بن حكيم بن حزام ﷺ مر بالشام على أناس ، وقد أقيموا في الشمس ، وصب على رؤوسهم الزيت فقال ما هذا ؟ قيل : يعذبون بالخراج ، فقال : أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ الناس فِي الدُّنْيَا » . أخرجه مسلم(١) .

- **الكلام بما يسخط الله ﷻ :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ». متفق عليه(٢).

- **ومن كبائر المعاشرات تكفير المسلم .**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

وعن أبى ذر ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لَا يَرْمِى رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ » . متفق عليه(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٧/ ٢٦١٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨) ، ومسلم برقم (٢٩٨٨) .

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٥/ ٣٠٠٠).

- **سؤل الناس من غير حاجه :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما « مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لحَمٍ » .متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺقال ، قال رسول الله ﷺ « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ » . أخرجه مسلم[2] .

- **نشوذ الزوجة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء:٣٤] .

وعن أبى هريرة ﷺ، أن النبى ﷺ قال : « إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشِ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » . متفق عليه[3] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ » . متفق عليه .

- **ظلم الرجل زوجته :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء:١٢٩] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٧٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٤/ ١٠٤٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٥/ ١٠٤١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٢/ ١٤٣٦).

وعن أبى هريرة ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : « لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ أَوْ قَالَ غَيْرَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَىْءٍ مِنَ الضِّلْعِ رَأْسُهُ ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَرَكْتَهُ وَفِيهِ عِوَجٌ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا » . متفق عليه[2] .

وعن أبى هريرة ﷺ النبى ﷺ قال : « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

- **التبتل والخصا :**

قال الله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾[المائدة:٨٧].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : « جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » . متفق عليه[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦١/ ١٤٦٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣١) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٠/ ١٤٦٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢١٣٣)، وأخرجه الترمذي برقم: (١١٤١).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٣/ ١٨٤٨) .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : « كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ لَيْسَ لَنَا نساء فَقُلْنَا أَلَا نَسْتَخْصِي ، فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ » . متفق عليه[1] .

- **امتناع المرأة من فراش زوجها :**

عن أبى هريرة ﷺ قال ، قال النبي ﷺ : « إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشِ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تَرجِعَ » . متفق عليه[2] .

وعن أبى هريرة ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِى بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُل يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا ». متفق عليه[3] .

- **نكاح المتعة :**

عن الربيع بن سبره الجهنى ﷺ أن الرسول ﷺ نهى عن المتعة وقال : « أَلا إِنَّهَا حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كَانَ أَعْطَى شَيْئًا فَلا يَأْخُذْه » . أخرجه مسلم[4] .

- **الخلوة بالمرأة الأجنبية :**

عن عقبة بن عامر ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ» متفق عليه[5] .

وعن بن عباس ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول :« لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأَةٍ إِلَّا وَمعهَا ذُو محَرْمٍ، وَلَا تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مع ذِي محَرْمٍ، فَقَامَ

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٠٧١) ، ومسلم برقم (١٤٠٤) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٩٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم (١٢٠/ ١٤٣٦).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣٧) ، ومسلم برقم(١٤٣٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٨/ ١٤٠٦).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢١٧٢).

رَجُلٌ، فَقالَ: يا رَسولَ الله، إنَّ امْرَأَتي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وإنِّي اكْتُتِبْتُ في غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قالَ: انْطَلِقْ فَحُجَّ مع امْرَأَتِكَ » . متفق عليه[1] .

- **عدم العدل بين الأولاد :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

وعن النعمان بن بشير ﷺ أن أمه بنت رواحه سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ المُوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ فَقَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ، قَالَ لَا ، قَالَ فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ » متفق عليه[2].

- **ذو الوجهين :**

قال الله تعالى : ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ ﴾[النساء: ١٠٨] .

عن أبى هريرة ﷺ قال ، قال ﷺ : « تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللهَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ » . متفق عليه[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٢٤/ ١٣٤١).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم(٢٦٥٠) ، ومسلم برقم (١٦٢٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٨/ ٢٥٢٦).

٦-الخزانة السادسة

الخامس : كبائر الأخلاق :

الإسلام كله أخلاق :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

، وقال النبي ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ، وفي روايةٍ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ ». أخرجه أحمد والبخاري في الأدب [١] .

- **ومن كبائر الأخلاق : الكذب**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[العنكبوت:٦٨] .

وعن عبد الله ﷺ أن النبى ﷺ قال : « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا » . متفق عليه[٢] .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ » . متفق عليه[٣] .

- **قذف المحصنات :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[النور:٢٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩) ، والبخاري في الأدب برقم (٢٧٣) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣/ ٢٦٠٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٥) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ٥٩).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور:٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهَّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . متفق عليه[1].

- **الغيبة والنميمة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القلم:١٠-١٣] .

وعن أبى هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ " ؟ قَالُوا : اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : " إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قِيلَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ » . أخرجه مسلم[2].

وعن حذيفة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ » . متفق عليه[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٢٥٨٩).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٨/ ١٠٥).

- **الخيانة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنفال:٢٧] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يدعها إِذَا أُتمِنَ خَانَ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » . متفق عليه[1].

- **اللعن :**

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَام فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ ». متفق عليه[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم[3] .

- **سب الصحابة :**

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابى ، لا تَسُبُّوا أَصْحَابِى فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦/ ٥٨).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧) ، ومسلم برقم (١١٠) .

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٨٦/ ٢٥٩٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٨٥/ ٢٥٩٨).

وعن البراء ﷺ يحدث أن النبي ﷺ أنه قال : « لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ ». متفق عليه[1].

- **السخرية والاستهزاء :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

- **البغي :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ ﴾[الشورى:٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وعن أبي بكر ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسن صحيح[2] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٨٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٧٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٠٢) ، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٥١١).

- **ومن كبائر الأخلاق الظلم والعدوان**

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الكهف:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ق:٢٤-٢٦] .

وقال الله ﷻ فى الحديث القدسى : « يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا ، فَلَا تَظَالمُوا » . أخرجه مسلم(١) .

وعن أبي موسى ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَّ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لمَْ يُفْلِتْهُ" قَالَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] . ». متفق عليه(٢).

وعن عبد الله بن عمر أن الرسول ﷺ قال : « المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللهُّ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللهُّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». متفق عليه(٣).

- **الجدل والخصام :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾[الحج:٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٦) ، ومسلم برقم (٢٥٨٣) .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ » .متفق عليه[1] .

- **السب والشتم :**

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ » . متفق عليه[2] .

- **الحسد :**

قال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[البقرة:١٠٩].

وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤ -٥٥] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ٢٦٦٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ٦٤).

وعن أبى هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : «إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تحَسَّسُوا، ولا تجَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تحَاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا.». متفق عليه[1].

- **الكبر والفخر :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان:١٨] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يحُبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللهَّ جَمِيلٌ يحُبُّ الجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن حارثة بن وهب ﷺ قال سمعت النبى ﷺ يقول : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِّ لَأَبَرَّهُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ » .متفق عليه[3] .

وعن أبى هريرة ﷺ قال ، قال النبى ﷺ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ اللهُّ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ».متفق عليه[4].

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ، ومسلم برقم (٢٨/ ٢٥٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٤٧/ ٩١) .

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦٠٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم(٤٦/ ٢٨٥٣) .

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٦٦٥٧، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٧/ ٢٨٥٣ .

• **الشح والبخل .**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٠] .

وقال الله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩] .

، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ، خطب رسول الله ﷺ فقال : « إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا» . أخرجه أبو داود وأحمد[1] .

• **الغلو :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة:٧٧] .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ : « الْقُطْ لِي حَصًى فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ : "أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا" ثُمَّ قَالَ : "أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ ».أخرجه النسائي وابن ماجة بسند صحيح[2].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١٦٩٨).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم(٣٠٢٩) ، والنسائي برقم (٣٠٥٧).

- **ومن كبائر الأخلاق الغدر**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ ، فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ ، أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ » . أخرجه مسلم[2] .

- **المكر والخديعة :**

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾[فاطر:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ ﴾[فاطر:٤٣].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[النساء:١٤٢] .

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لا زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلا مَالاً ، وَالْخَائِنُ الَّذِي لا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلا خَانَهُ ، وَرَجُلٌ لا يُصْبِحُ وَلا يُمْسِي إِلا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(٦١٧٧) ، ومسلم برقم(٩/ ١٧٣٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١/ ١٧٣٥).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ٢٨٦٥).

• **قتل النفس بغير حق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[النساء:٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللهَّ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْس الَّتِى حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . متفق عليه[1] .

• **ومن كبائر الذنوب الانتحار :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[النساء: ٢٩- ٣٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا». متفق عليه[2].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٩).

- **الإسراف :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ ﴾ [غافر:٤٣] .

- **التبذير :**

قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلًا آتى النبى ﷺ فقال : « إِنِّى فَقِيرٌ لَيْسَ لى شَىْءٌ وَلِي يَتِيمٌ . قَالَ : كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَادِرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ » . أخرجه أبو داود و النسائي بسند صحيح[1] .

- **الطغيان :**

قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ ﴾ [ص:٥٥-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ ﴾ [النازعات:٣٤ - ٤١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢٨٧٢) ، وأخرجه النسائي برقم: (٣٦٦٨).

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾[النبأ:٢١-٢٢] .

- **التجسس :**

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الحجرات: ١٢] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ، ولا تحَسَّسُوا، ولا تجَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تحَاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ الله إخْوانًا ». متفق عليه(١) .

وعن بن عباس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قالَ : « مَنْ تحَلَّمَ بِحُلْمٍ لمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَ لَنْ يَفْعَلَ ، مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ومَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفق عليه (٢).

- **ومن كبائر الأخلاق الغضب :**

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت:٣٤-٣٦] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ، ومسلم برقم (٢٨/ ٢٥٦٣) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم(٧٠٤٢) ، ومسلم برقم (٢١١٠) .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني فقال : « لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ : لَا تَغْضَبْ ». أخرجه البخاري[1].

وعن سليمان بن صرد ﷺ قال : « استبَّ رجلان عندَ النبيِّ ﷺ ، فجعَلَ أحدُهما تَحْمَرُ عيناه وتَنْتَفِخُ أوداجُه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : إني لأَعْرِفُ كلمةً لو قالها هذا لذَهَبَ عنه الذي يَجِدُ : أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ. فقال الرجلُ : هل ترى بي مِن جُنونٍ ؟ ». متفق عليه[2] .

- **الفحش :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

وعن عائشة رضى الله عنها : « أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ م فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللهَّ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهَّ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ » . متفق عليه[3] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦١١٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥١٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٩/ ٢٦١٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٣/ ٢٥٩١).

- **ومن كبائر الأخلاق الأمن من مكر الله :**

قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[الأعراف:٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[النحل:٤٥-٤٧] .

- **اليأس من رحمة الله :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يوسف:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾[الإسراء:٨٣] .

- **القنوط من رحمة الله :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر : ٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الحجر:٥٥-٥٦].

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[فصلت:٤٩] .

- **سوء الظن :**

قال الله تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[الفتح:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت:٢٢-٢٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث ». متفق عليه[1].

- **المن بالمال أو العمل :**

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة:٢٦٤] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَار قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

٧- الخزانة السابعة

كبائر الأخلاق

- **ومن كبائر الأخلاق معاداة أولياء الله :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾[البروج:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ إن الله قال : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

- **موالاة أعداء الله ﷻ**

قال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة:٢٢].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ ﴾[المائدة:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ ﴾[آل عمران:١٠٠-١٠١] .

- **الإلحاد في الحرم**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥ ﴾[الحج:٢٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاَثَةٌ : مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

- **ومن كبائر الأخلاق** : نقض العهد

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾ [البقرة:٢٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ﴾[الرعد:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٨٨٢).

خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة:١٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ » . أخرجه مسلم[1] .

- **ومن كبائر الأخلاق** : السكر

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩٠ - ٩١] .

وعن جابر ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، إِنَّ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ » . قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ : « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ » .أَوْ « عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ ». أخرجه مسلم[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، فَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ، فَلَمْ يُسْقَهَا » . متفق عليه[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٣/ ١٨٤٨).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٧٢/ ٢٠٠٢).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٧٥) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٧/ ٢٠٠٣).

• **ومن كبائر الأخلاق** : الزنا

قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور:٢-٣] .

• **عمل قوم لوط**

قال الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأعراف:٨٠-٨٤] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

• **السرقة**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾: [المائدة:٣٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٤٦٢)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٤٥٦).

وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » . متفق عليه[2] .

- **ومن كبائر الأخلاق : قطع الطريق :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ [المائدة:٣٣] .

- **وسم الدابة في الوجه :**

عن جابر ﷺ قال : « نهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ » . أخرجه مسلم[3] .

وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم في وجهه ، فقال : « لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ » . أخرجه مسلم[4] .

- **ومن كبائر الأخلاق : الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة :**

عن حذيفة ﷺ ، قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ » . متفق عليه[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٥٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ١٦٨٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ٢١١٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧/ ٢١١٧).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ٢٠٦٧).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ فِضَّةٍ ، فَإِنَّمَا يجُرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ ». متفق عليه[1] .

- **لبس الرجال الحرير والذهب :**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ » . متفق عليه[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه ، وقال : « يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ».، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَالَ : لَا وَاللهِ ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ». أخرجه مسلم[3] .

- **ومن كبائر الأخلاق : أن يشير إلى أخيه بحديدة :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ » . أخرجه مسلم[4] .

- **من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم :**

عن سعد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ ، فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ » . متفق عليه[5] .

- **سماع المعازف :**

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان:٦] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٥٦٣٤) ، ومسلم برقم(٢/ ٢٠٦٥) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٣٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ٢٠٦٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٢/ ٢٠٩٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٢٥/ ٢٦١٦).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٥/ ٦٣).

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَيَكونَنَّ مِن أُمَّتي أقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحَرِيرَ، والخَمْرَ والمَعازِفَ، ولَيَنْزِلَنَّ أقْوامٌ إلى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عليهم بسارِحَةٍ لهمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفقِيرَ- لحِاجَةٍ، فيَقولونَ: ارْجِعْ إلَيْنا غَدًا، فيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، ويَضَعُ العَلَمَ، ويَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وخَنازِيرَ إلى يَومِ القِيامَةِ.» . أخرجه البخاري[1].

- **الجلوس على القبر :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَأَنْ يجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ » . أخرجه مسلم[2].

- **الإسبال :**

عن أبي ذر ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » . قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَ مِرَار ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « المُسْبِلُ ، وَالمَنَّانُ ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الْكَاذِبِ » . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ » . أخرجه البخاري[4] .

- **تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٥٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٦/ ٩٧١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٨٧).

الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال. أخرجه البخاري[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَالمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَقَالَ : « أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ » . وَأَخْرَجَ فُلاَنًا ، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلاَنًا . أخرجه البخاري[2].

- **قضاء الحاجة في الظل والطريق :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ » . قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ » . أخرجه مسلم[3] .

- **حبس الحيوان حتى يموت :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا ، إِذْ حَبَسَتْهَا ، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ » . متفق عليه[4].

- **اتخاذ الحيوان غرضًا :**

عن سعيد بن جبير قال : مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا . متفق عليه[5].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٨٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٢٦٩).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥١/ ٢٢٤٢).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥١٥)، ومسلم برقم: (١٩٥٨).

- **اقتناء الكلاب من غير حاجة :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ ، أَوْ ضَارٍ ، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ » . متفق عليه[1] .

- **أكل الميتة والدم وكل محرم :**

قال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٧] .

- **ومن كبائر الأخلاق : مخالفة أمر الله ورسوله في كل شيء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء : ١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وغير ذلك من كبائر الأخلاق الواردة في الكتاب والسنة .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٠/ ١٥٧٤).

٨- الخزانة الثامنة

أسباب سقوط العذاب في الآخرة

- **فقه التكليف :**

الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

وهو سبحانه الملك الغني الذي له الغنى التام من كل وجه ، والخلق كلهم فقراء إليه من كل وجه ، فهم فقراء إلى ربهم في خلقهم ، وبقائهم ، وإمدادهم ، وهدايتهم .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥] .

وحين يكلف الله عباده بالدين ، فذلك من أجل تحصيل مصالح يعود نفعها كله إليهم ، فالله غني لا تنفعه طاعات الطائعين ، ولا تضره معاصي العاصين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

وحاجة العباد إلى دين الله فوق كل حاجة ، فلا صلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان بالله ، والعمل بشرعه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا

مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت :٣٠- ٣٢] .

وقد خلق الله الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

ومن أجل تحقيق هذه العبودية أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

وهذا التوحيد يقتضي من الخلق حقوقًا كثيرة يجمعها أمران هما :

الأمر الأول : فعل الأوامر .

الأمر الثاني : اجتناب النواهي .

فيجب على كل مسلم أن يصدق الأخبار، ويطبق الأحكام ، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

وقد حث الله عباده المؤمنين على القيام بهذه الحقوق ، ورغّبهم سبحانه في امتثالها ، وحذرهم من مخالفتها بأساليب شتى ، أظهرها وأشهرها أسلوب الوعد والوعيد .

- **فالوعد نوعان :**

الأول : وعد بخير الدنيا كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ

لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور:٥٥] .

الثاني : وعد بخير الآخرة كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢].

- **والوعيد نوعان :**

الأول : وعيد بشر الدنيا ،كما قال سبحانه : ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة: ٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

الثاني : وعيد بشر الآخرة كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة : ٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء : ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة : ١٦١-١٦٢] .

- **موانع إنفاذ الوعيد :**

موانع إنفاذ الوعيد متعددة ، ويمكن حصرها في ثمانية موانع :

ويمكن تقسيمها باعتبار مصدرها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : موانع من المذنب نفسه ، وهي : التوبة ، والاستغفار ، والحسنات الماحية .

القسم الثاني : موانع من إخوانه المؤمنين ، وهي : دعاء المؤمنين له ، وإهداء القربات له ، والشفاعة له .

القسم الثالث : موانع من الله ﷻ ، وهي: العفو الإلهي، والمصائب المكفرة.

فالأول : الموانع التي من العبد نفسه :

أولًا : مانع التوبة :

التوبة مانع شامل يمنع من إنفاذ وعيد جميع الذنوب ، الكفر فما دونه من المعاصي ، وهذا الشمول مختص بهذا المانع ، فليس شيء يغفر الله به جميع الذنوب إلا التوبة النصوح : ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩] .

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » . أخرجه مسلم[1] .

ثانيًا : مانع الاستغفار :

الاستغفار مانع من إنفاذ الوعيد على كل ذنب دون الكفر

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لهُمْ » . أخرجه مسلم[2].

فالاستغفار لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر لمن مات عليه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨] .

ثالثًا : الاستغفار لعموم المؤمنين مشروع مأمور به ، حتى أهل الكبائر ؛ لأن المغفرة ترجى لهم:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء:٦٤] .

رابعًا : الاستغفار سبب مقتضٍ للمغفرة ، وقد يقترن به ما يقوي اقتضاءه من

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣١/ ٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١/ ٢٧٤٩).

حيث صيغة الاستغفار ، والمداومة عليه ، وهيئة العبد ، وحضور القلب وانكساره ، وموافقة وقت الإجابة :﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الأعراف:٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات:١٨] .

ثالثًا : مانع الحسنات الماحية :

الحسنات الماحية : هي الطاعات المقبولة عند الله ﷻ ، وهي كل ما ندب الله إليه على لسان رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال والأخلاق .

وفعل الحسنات يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد السيئات في الدنيا والآخرة .

وفعل الحسنات يقوم على ركنين ، هما :

الركن الأول : الإيمان .

الركن الثاني : العمل الصالح .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود:١١٤] .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ » . أخرجه مسلم[1] .

والإيمان على درجتين :

الدرجة الأولى : إيمان كامل

الدرجة الثانية : إيمان ناقص .

فالإيمان الكامل مانع من دخول النار أصلا ، والإيمان الناقص مانع من وعيد الخلود في النار دون الدخول فيها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٧/ ٢٩).

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[مريم:٧١-٧٢] .

وشهادة التوحيد سبب لدخول الجنة ، والنجاة من النار : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد : ١٩] .

ولحصول هذا الأثر لابد من أمرين :

الأمر الأول : تحقق الشروط .

الأمر الثاني : انتفاء الموانع .

فلحصول الأثر بسبب كلمة التوحيد لا إله إلا الله لابد من ثمانية شروط :

العلم بمدلول شهادة التوحيد ، واليقين عليها ، والصدق في قولها، والإخلاص لله ، والمحبة لها ، والقبول لها ، والانقياد لحقوقها بالإيمان والعمل الصالح ، والاستقامة على ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت :٣٠- ٣٢] .

ثانيًا : لابد كذلك من زوال المانع ليحصل أثرها ، فأنواع الكفر كالشرك الأكبر ، والنفاق الأكبر ، وكراهية الدين أو شيء منه ونحو ذلك ، كل هذه موانع تمنع من حصول أثرها:﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء:١٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ﴾[محمد:٨-٩] .

فالإيمان سبب مقتض لدخول الجنة إذا تمت شروطه ، وانتفت موانعه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾[التوبة : ٧٢] .

خامسًا : العمل الصالح يمكن أن يمنع اقتضاء أثر الوعيد على فعل السيئات :﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾[هود:١١٤] .

ولا يقوى العمل الصالح على منع وعيد الكفر لمن مات عليه ؛ لأن الكفر محبط لجميع الأعمال : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٥ ﴾[المائدة:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾[النساء : ١١٦] .

سادسًا : الطاعات العظيمة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والعتق والصدقات ونحوها تكفر الكبائر والصغائر :﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١ ﴾[النساء:٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ » . قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : « فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا » . متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨٣/ ٦٦٧).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » . متفق عليه[2] .

سابعًا : الإيمان الخالص ، مع العمل الصالح ولو كان يسيرا ، يكفر جميع الذنوب .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ ، فَنَزَلَ بِئْرًا ، فَشَرِبَ مِنْهَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَمَلأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا ؟ قَالَ : « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ » . متفق عليه[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠١٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٥/ ٧٦٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٣٨/ ١٣٥٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٣/ ٢٢٤٤).

٩- الخزانة التاسعة

ضوابط إحباط العمل الصالح :

إحباط العمل ينقسم إلى قسمين هما :

القسم الأول : إحباط كلي .

القسم الثاني : إحباط جزئي .

الأول : الإحباط الكلي نوعان :

الأول : إحباط جميع الحسنات ، وهذا لا يكون إلا بسيئة واحدة ، وهي الردة عن الإسلام إذا مات الإنسان على ذلك: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[البقرة:٢١٧] .

الثاني : إحباط جميع السيئات ، وهذا لا يكون إلا بحسنة واحدة ، وهي حسنة التوبة النصوح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التحريم : ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

الثاني : الإحباط الجزئي ، وهو نوعان :

الأول : إحباط بعض الحسنات ، ببعض السيئات ، كإحباط الصدقة بالمن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ ﴾[البقرة:٢٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الحجرات:٢] .

الثاني : إحباط بعض السيئات ببعض الحسنات: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود:١١٤] .

فهذه الموانع الثلاثة التوبة ، والاستغفار ، والحسنات الماحية ، من العبد نفسه .

القسم الثاني : الموانع التي من إخوانه المؤمنين :

الأول : مانع الدعاء :

أولاً : يسن للمؤمن الدعاء لإخوانه المؤمنين بالمغفرة والرحمة ، وهذا يدل قطعًا على انتفاع المدعو له بدعاء إخوانه المؤمنين ، واستغفارهم له :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

فأعظم عبادة بعد التوحيد الاستغفار من الذنوب :﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر:١٠] .

وعن عوف بن مالك ﷺ قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول : « اللهُمَّ ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ

مِنْ عَذَابِ النَّارِ - . قَالَ : « حَتَّى تمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ المُيِّتَ » . أخرجه مسلم[1] .

ثانيًا : الدعاء بالمغفرة والرحمة لا يجوز لمن لقي الله كافرا ، ولا يمنع إنفاذ وعيد الله فيه ، ولا أثر له البتة .

قال الله تعالى عن الكافرين والمنافقين : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المنافقون:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [التوبة:٨٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣] .

ثالثاً : الدعاء لأهل الكبائر بالمغفرة والرحمة من جملة الأمور التي يمكن أن تمنع إنفاذ الوعيد الذي استحقوه على فعل السيئات : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء:٤٨] .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٥/ ٩٦٣).

مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ ، إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ » . أخرجه مسلم[1] .

الثاني : مانع إهداء القربات :

القربات الشرعية : هي كل ما يُقرِّب العبد من رضا الله ومحبته .

والثواب والعقاب مبني على عمل الإنسان من خير وشر ، وعلى ما هو من آثار عمله:﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

فأما ترتب جزاء الإنسان على عمله فكما قال سبحانه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦٠ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

وأما ترتب الجزاء على آثار العمل ، وهي الأعمال التي خلَّفها الإنسان من بعده ، فيجازى بها ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢ ﴾[يس:١٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٨/ ٩٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ١٦٣١).

والإنسان ليس له إلا سعيه ، فلا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النجم:٣٩-٤١] .

أما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه ، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه بسعي غيره وعمله ، كما أنه سبحانه يرحم عباده بأسباب أخرى .

والانتفاع بعمل الغير له حالتان :

الأولى : الانتفاع بنفس العمل ، بأن يكون كأنه الذي قام بنفس العمل .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَتْ : إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ ، فَقَالَ : « أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتِ تَقْضِينَهُ ؟ » . قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَدَيْنُ الله أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ » . متفق عليه[1] .

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ : « بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ ، قَالَ : فَقَالَ : « وَجَبَ أَجْرُكِ ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ» . قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا ؟ قَالَ : « صُومِي عَنْهَا » . قَالَتْ : إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ : « حُجِّي عَنْهَا » . أخرجه مسلم[2] .

الثانية : الانتفاع بأثر العمل .

الدعاء بالمغفرة وغيرها ينتفع العبد بأثره لا بثوابه ، أما نفس الدعاء وثوابه فللداعي ؛ لأنه شفاعة ، أجرها للشافع ، ومقصودها للمشفوع له .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٤/ ١١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٥٧/ ١١٤٩).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان ، فقال : يا كريب ! انظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له ، فأخبرته ، فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : نعم ، قال : أخرجوه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا ، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ » . أخرجه مسلم[1] .

وإهداء القربات يكون من المسلم الحي إلى المسلم الميت ؛ لأنه أحوج من الحي ، والدعاء للميت بالمغفرة والرحمة أفضل من إهداء القربات له ؛ لأن الانتفاع بالدعاء متفق عليه ، وإهداء القربات متفق على أصله .

وإهداء القربات لا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر ؛ لأن الكافر لا يمكن أن ينتفع بما يهدى إليه من قربات ؛ لفقده شرط الإيمان .

فوعيد كل من لقي الله كافرًا لا يمكن أن يغفر ، لا بسبب منه ، ولا بسبب من العباد ، ولا بمحض المشيئة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

- **أنواع القربات :**

القربات التي تكفر الصغائر والكبائر نوعان :

النوع الأول : قربات علمية .

النوع الثاني : وقربات عملية .

أولًا : القربات العلمية ؛ كالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وكل ما يتعين على العبد أن يفعله بنفسه كالوضوء والصلاة ونحوها ، فهذه لا يمكن إهداء ثوابها البتة ؛ لأنها لا تقبل النيابة مطلقًا .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٩/ ٩٤٨).

ثانيًا : القربات العملية ، وهي ثلاثة أنواع :

الأول : قربات بدنية محضة ؛ كالصوم .

الثاني : قربات مالية محضة ؛ كالصدقة والعتق ونحوهما .

الثالث : قربات مركبة منهما ؛ كالحج ونحوه .

فهذه الأنواع الثلاثة يجوز إهداء ثوابها للميت ، ويصله ثوابها ، وينتفع بذلك .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » . متفق عليه[1] .

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ : « بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ ، قَالَ : فَقَالَ : « وَجَبَ أَجْرُكِ ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ » . قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا ؟ قَالَ: « صُومِي عَنْهَا». قَالَتْ: إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ : « حُجِّي عَنْهَا » . أخرجه مسلم[2] .

ومغفرة ما دون الكفر ، قد تكون بسبب من العبد كالاستغفار ، وقد تكون بسبب من الخلق كإهداء ثواب بعض الأعمال ، وقد تكون بمحض مشيئة الله عز وجل .

الثالث : مانع الشفاعة .

والشفاعة : هي طلب حصول الخير للغير .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٣/ ١١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٩/ ٩٤٨).

والشفاعة من حيث المشفوع عنده نوعان :

النوع الأول : شفاعة عند الله .

النوع الثاني : شفاعة عند الناس .

أولًا : الشفاعة عند الله نوعان :

النوع الأول : شفاعة في الدنيا ؛ كشفاعة المؤمنين للميت بالصلاة عليه .

النوع الثاني : شفاعة في الآخرة كشفاعة الأنبياء والمؤمنين يوم القيامة .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا » . متفق عليه[1] .

ثانيًا : الشفاعة عند الناس ، وهي شفاعات الناس بعضهم لبعض فيما ينوبهم من الأمور: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء:٨٥] .

وعن أبي موسى ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة، قال:« اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ » . متفق عليه[2] .

- **أقسام الشفاعة :**

الشفاعة من حيث حصولها نوعان :

النوع الأول : شفاعة منفية .

النوع الثاني : شفاعة مثبتة .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٣٨/ ١٩٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٢٦٢٧).

أولًا : الشفاعة المنفية نوعان :

الأول : الشفاعة في أهل الشرك الذين ماتوا عليه ، فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

قال الله تعالى عن الكفار : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر:٤٨] .

ويستثنى من هذا شفاعة النبي ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويحميه .

عن العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه قال : يا رسول الله ! هل نفعت أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ » . متفق عليه(١) .

الثاني : الشفاعة الشركية ، وهي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك لمعبوداتهم ، يعتقدون أنها تشفع لهم عند الله ، وهذا كله باطل : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[يونس : ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف:٨٦] .

ثانيًا : الشفاعة المثبتة ، وهي ثلاثة أنواع :

الأول : الشفاعة العظمى

وهي شفاعة النبي ﷺ في أهل الموقف ، ليفصل الله بينهم ، وهي المقام المحمود له ﷺ :﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٨٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٥٧/ ٢٠٩).

وعن أبي هريرة ﷺ في حديث الشفاعة- وفيه أن بعض الناس يقول : « ائْتُوا النَّبِيَّ ﷺ ، فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَسَلْ تُعْطَهْ » . متفق عليه[1] .

الثاني : الشفاعة في أهل الجنة ، وهي ثلاثة أنواع :

الأول : شفاعته ﷺ في أهل الجنة ليدخلوها .

الثاني : شفاعته ﷺ في رفع درجات أهل الجنة .

الثالث : شفاعته ﷺ في بعض المؤمنين ليدخلوا الجنة بلا حساب ولا عذاب .

الثالث : الشفاعة لأهل الكبائر ، وهي نوعان :

الأول : شفاعته ﷺ فيمن استحق النار من أهل الكبائر أن لا يدخلها .

الثاني : شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من أهل الكبائر أن يخرج منها .

عن أنس بن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ قال : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا ، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم[2] .

وقال النبي ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . أخرجه أبو داود والترمذي[3] .

أحوال المشفوع له :

الشفاعة يمكن أن تمنع انفاذ الوعيد على ما دون الكفر ، ولا تمنع إنفاذ وعيد الكفر ؛ لأنه يستحيل قبولها فيمن لقي الله مشركًا ، فالشفاعة خاصة بأهل التوحيد كما قال سبحانه عن الكفار والمشركين : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر : ٤٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٢٧/ ١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٣٤/ ١٩٨).

(٣) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٣٩)، والترمذي برقم: (٢٤٣٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « لَقَدْ ظَنَنْتُ ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، لمِا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ » .

أخرجه البخاري[1] .

- **شروط الشفاعة النافعة عند الله عز وجل :**

الشفاعة النافعة هي التي تحقق فيها ثلاثة شروط :

الأول : إذن الله في الشفاعة .

الثاني : رضاه عن المشفوع له .

الثالث : رضاه عن الشافع : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[طه:١٠٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النجم:٢٦] .

فهذه الموانع الثلاثة دعاء المؤمنين ، وإهداء القربات ، والشفاعة ، هي التي من الخلق .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٧٠).

١٠- الخزانة العاشرة

- **موانع إنفاذ الوعيد : ثلاثة أقسام :**

الأول: موانع من المذنب نفسه، وهي: التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية .

الثاني : موانع من إخوانه المؤمنين، وهي: دعاء المؤمنين له ، وإهداء القربات له ، والشفاعة له ، وهذه كلها تقدمت .

القسم الثالث : موانع من الله ﷻ، وهي: العفو الإلهي ، والمصائب المكفرة .

القسم الأول : مانع المصائب المكفرة :

المصائب : هي كل ما يصيب الإنسان من مكروه في نفس ، أو مال ، أو أهل . والمصائب مكفرات للذنوب ، والثواب إنما يحصل للعبد إذا صبر عليها ؛ لأن المصائب ليست من فعل العبد ، وإنما هي من فعل الله بالعبد ، فإذا صبر عليها نال ثواب الصبر:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[التوبة:١٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ

مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ما يصيب المسلم ، من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياه » . متفق عليه[2] .

- **أقسام المصائب القدرية :**

المصائب القدرية تنقسم من حيث المكان الذي تقع فيه إلى ثلاثة أقسام :

الأول : مصائب في الدنيا كالأمراض ، والخوف ، والجوع ، ونقص الأموال ، والأنفس والثمرات : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة :١٥٥- ١٥٧] .

الثاني : آلام في البرزخ، وهي ما يكون في القبر من الفتنة، والضغطة ، والروعة .

الثالث : آلام في الآخرة، وهي ما يكون في عرصات القيامة من الأهوال والكرب والشدائد .

فالمصائب الدنيوية أخفها، والبرزخية أشد منها، والأخروية أشدها وأعظمها.

وجميع الآلام التي تحصل للعبد بسببها هي مما يكفِّر الله بها الخطايا التي تحصل من العبد : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١]

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٧/ ٢٥٧٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٢/ ٢٥٧٣).

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة : ٥١] .

- **أقسام الآلام الشرعية في الدنيا :**

تنقسم الآلام الشرعية إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : القصاص .

القسم الثاني : الحدود .

القسم الثالث : التعزيرات .

وهي زواجر وجوابر معًا ، فهي زواجر للعباد عن ارتكاب المحظورات ، وترك المأمورات:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة:١٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور: ٢]

وهي كذلك جوابر ، فالعقاب عليها مكفر للذنب .

عن عبادة بن الصامت ﷺ وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة : أن رسول الله ﷺ قال ، وحوله عصابة من أصحابه : « بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِّ شَيْئًا ، وَلاَ تَسْرِقُوا ، وَلاَ تَزْنُوا - وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ كُلَّهَا - فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِّ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُّ عَلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ » . متفق عليه[1] .

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤١/ ١٧٠٩).

- **ما تكفره المصائب :**

المصائب يمكن أن تمنع إنفاذ الوعيد في الآخرة على كل ما دون الكفر ، لكنها لا تمنع إنفاذ وعيد الكفر ؛ لأن من لقي الله كافرًا فيستحيل أن يتخلف وعيده : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة:٧٢] .

القسم الثاني : مانع العفو الإلهي :

والعفو الإلهي : هو صفح الرب عن ذنوب العبد ، وترك مجازاة المسيء ، والله ﷻ عفو غفور ، يتجاوز عما يستحقه المذنبون من العقاب :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الشورى:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ﴾[الحج:٦٠] .

العفو الإلهي مانع من موانع إنفاذ الوعيد في الآخرة على الكبائر والصغائر ، ولا يمكن أن يمنع إنفاذ وعيد الكفر قطعًا ، فالله أخبر عن نفسه أنه لا يغفر لمن لقيه كافرًا أو مشركًا :﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [الرعد:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللهَّ يُدْنِي المُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ

هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ﴾ [هود:١٨]. » .متفق عليه(١).

وكل ما وقع فيه بعض المسلمين من الذنوب بسبب من اليهود أو النصارى أو غيرهم من الكفار ، فالله يغفر لهؤلاء الضحايا بتوبة منهم أو غيرها ، وتوضع أوزارهم على من أضلهم :﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[النحل:٢٥] .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ ، قال : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى » . أخرجه مسلم(٢) .

- **أقسام العقوبات في الآخرة :**

العقوبات الشرعية في الآخرة نوعان :

الأول : عقوبة تُستَحق على طريق الدوام والأبد ، وهي عقوبة الكفار والمشركين والمنافقين :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩ ﴾[النساء:١٦٨-١٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ ﴾[الأحزاب:٦٤-٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٦٨ ﴾[التوبة : ٦٨] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤١)، ومسلم برقم : (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥١/ ٢٧٦٧).

الثاني : عقوبة تُستَحق على طريق الانقطاع ، وهي عقوبة العصاة والفساق من المسلمين ، وهؤلاء تحت مشيئة الله ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء عاقبهم بقدر جرمهم ، ثم أخرجهم من النار :﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢] .

وجميع أهل التوحيد الواقعين في كبائر الذنوب من أهل الجنة ، إما حالًا ، وإما مآلًا ، فلا يخلّد أحد من أهل التوحيد في النار .

وأهل الكبائر لا يعذبون كلهم ، ولا يُغفر لهم كلهم ، بل بعضهم يدخل الجنة ابتداء من غير عقوبة ، وبعضهم يدخلون النار ، فإذا تطهروا من ذنوبهم أُدخلوا الجنة بشفاعة الشافعين ، أو بعفو أرحم الراحمين .

- **أقسام هذه الأمة :**

قسم الله أمة محمد ﷺ إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ظالم لنفسه .

القسم الثاني : مقتصد .

القسم الثالث : سابق بالخيرات .

ثم وعد الجميع بدخول الجنة ، فلله الحمد والمنة على عفوه وإحسانه :﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣] .

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ

سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » . أخرجه مسلم[1] .

وكل من لقي الله من أهل التوحيد مصرًا غير تائب من الكبائر التي استوجب بها العقوبة ، فأمره إلى الله ﷻ ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، والله حكيم عليم لا يضع الثواب والعقاب إلا في محلهما اللائق بهما .

قال الله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[التوبة:١٠٦] .

ونصوص الوعيد يقال بموجبها على الإطلاق والعموم دون أن يعين الشخص ، فيقال : من فعل كذا فهو متوعَّد بكذا ، ولا يعيَّن الشخص فيقال مثلًا : هذا في النار ، أو هذا ملعون ، أو هذا مغضوب عليه ، **وذلك للأسباب الآتية** :

إمكان أن يتوب المذنب فيتوب الله عليه ، أو يستغفر الله فيغفر الله له ، أو تكون له حسنات تمحو سيئاته ، أو تُقبل فيه شفاعة مسلم ، أو يُبتلى بما يكفِّر عنه سيئاته ، أو يتجاوز الله عنه .

فلا نلعن المعين ما دام حيًا ، سواء كان مسلمًا أو كافرًا ؛ لاحتمال تخلف شرط الوعيد ، أو وجود مانعه ، ويجوز لعن من مات على الكفر : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[البقرة :١٦١- ١٦٢] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لَعَن الله الخمرَ وشاربَها وساقيَها ، وبائعَها ومبتاعَها ، وعاصِرها ومعتصِرها ، وحامِلَها والمحمولَةَ إليه » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٣/ ٩٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٧٤)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٣٣٨١).

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حمارًا ، وكان يضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأُتي به يومًا فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبي ﷺ : « لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

ففي الحديث الأول لعن رسول الله ﷺ شارب الخمر على وجه العموم .

وفي الثاني نهى عن لعن مدمن الخمر المعين ، لقيام مانع من موانع إنفاذ الوعيد ، وهو حبه لله ورسوله ، وهكذا .

- **فضل الله على العباد :**

الله ﷻ عفو كريم يحب العفو والإحسان والمغفرة ، ولذلك فتح سبحانه باب التوبة أمام جميع المذنبين ، ووعدهم بقبول التوبة منهم، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر :٥٣- ٥٥] .

وحث سبحانه عباده المؤمنين على الاستغفار ، ووعدهم بمغفرة ذنوبهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠] .

وقال نوح ﷺ لكفار قومه : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح :١٠- ١٢] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٧٨٠).

وجعل الله سبحانه لسيئات المؤمنين ما يوجب تكفيرها ، وإن لم يحصل من العبد توبة أو استغفاراً ، **وهذه المكفرات على نوعين** :

الأول : نوع من كسب العبد ، وهي الحسنات

قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود:١١٤] .

الثاني : نوع من غير كسب العبد ، وهي المصائب

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً ، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ ، وَمحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » . أخرجه مسلم[1] .

ولم يحرم الله العبد من الأجر بعد وفاته ، بل فتح له الكريم بعد الموت أبوابًا متعددة من الخير .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم[2] .

وتفضل سبحانه بقبول الشفاعة في المذنبين في الدنيا والآخرة ، بل يعفو عن المذنبين بفضله من غير سبب من العباد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[الشورى:٢٥] .

اللهم اغفر لنا وتجاوز عنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٥٧٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٤/ ١٦٣١ .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥١-خزائن الربح والخسارة

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٥١-خزائن الربح والخسارة

١- الخزانة الأولى

• **أصول طرق الخير :**

من فضل الله على عباده أن أكثر لهم طُرق الخير، وفتح لهم أبواب الطاعات، والقربات ، والعبادات المتنوعة ؛ لتتنوع لهم الفضائل والأجور والثواب الكثير : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس:٦٠].

وأصول طرق الخير ثلاثة :

إما جهد بدني ، وإما بذلٌ مالي ، وإما مركبٌ منهما .

فالجهد البدني هو أعمال البدن التي يبتغي بها وجه الله كالصلاة والصيام والجهاد والذكر والدعاء ونحو ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

وأما البذل المالي فهو الزكوات ، والصدقات ، والنفقات ، وما أشبه ذلك : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤] .

وأما المركب منهما فمثل : الجهاد في سبيل الله ، والحج كل منهما يكون بالمال ، ويكون بالنفس : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

وأنواع هذه الأصول كثيرةٌ جدًا ، إحسانًا من الله لعباده ، لتكثر لهم الأجور ، فنوع الله الطاعات ، حتى لا يمل الناس ، ولاختلاف قدراتهم وصفاتهم نوع لهم الطاعات ، ويسر لك إنسانٍ ما يناسبه في الجنس والمقدار ، ولو كان الخير طريقًا واحدة لمل الناس من ذلك ، ولما حصل الابتلاء .

وأسعد الناس في الدنيا والآخرة ، وأكثرهم ربحًا من استقام على أوامر الله ، واستقام على ما يحبه الله ويرضاه وابتعد عن كل ما يسخط ربه ويغضبه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠- ٣٢] .

والتجارة مع الله بعد الإيمان بتصديق الأخبار ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وهي أربح تجارة يسعد بها الإنسان في دنياه وأخراه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠- ١٣] .

وطلب العلم أفضل الأعمال المتعدية للخلق ، وهو جهاد في الحقيقة ، لأن الله جعله عديل الجهاد في سبيل الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢] .

فطلب العلم أفضل طرق الخير بعد الفرائض، والدعوة إلى الله ، لغلبة الجهل في الناس، وكثرة البدع، وكثرة من يفتي بجهل : ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

وقال الله عز وجل عن أنبيائه ورسله : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

والعلم يورث تقوى الله وخشيته : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فأعظم الأرباح في طاعة الله ورسوله ، وأعظم الخسران في معصية الله ورسوله ، وبطاعة الله يكون رضى الله ومحبته للعبد ، وبمعصية الله يكون

سخطه وبغضه له :﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر: ١-٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٦٢﴾[التوبة: ٦٢].

وقال الله عز وجل : ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾[النساء: ١١٤].

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ۝٦٨﴾[التوبة: ٦٨].

وقال الله عز وجل : ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٩٦﴾[التوبة: ٩٦].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ» . متفقٌ عليه[1] .

- **فقه الربح والخسارة :**

فقه الخسران الحقيقي هو حرمان الإنسان من الإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له ، وأما الحرمان من الجنة ، والدخول في النار ، فهذا بسبب الحرمان الأول ، وهو بالنسبة إلى الأول كالعدم : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾[الذاريات:٥٠-٥١].

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٣٧).

فكل إنسان خاسر إلا المؤمن: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر:١-٣].

فكل إنسان مغمورٌ في الخسران الذي أحاط به من كل جانب ، ولا ينجيه من هذا الخسران العظيم إلا الإيمان بالله ، والعمل الصالح .

والإنسان لا ينفك عن الخسران ؛ لأن الخسران هو تضييع رأس المال ، ورأس مال الإنسان عمره ، وعمره أيامه وليالله ، وكل ساعة تمر بالإنسان إن كانت مصروفة في المعصية ، فلا شك إنه في الخسران ، وإن كانت مشغولة بالمباحات ، فالخسران أيضًا حاصل ؛ لأن وقته فات ، ولم يضع فيه عملًا صالحًا يبقى أثره بعد موته : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]

وإن كانت ساعاته مصروفةٌ في الطاعة ، فلا طاعة إلا ويمكن الإتيان بها على وجهٍ أحسن من ذلك ؛ لأن مراتب الخضوع والخشوع لله غير متناهية ، وكلما عرف الله أكثر ، كانت طاعته أحسن :﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٤﴾ [الأنفال:٢- ٤].

ولاشك أن ترك الأعلى ، والاقتصار على الأدنى ، نوع خسار ، فثبت أن الإنسان لا ينفك البتة عن نوع خسران ، ومن مات كافرًا فقد خسر خسرانًا عظيماً : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر: ١٥] .

وكل عاملٌ لا يكون عمله خالصًا لوجه الله ، وعلى طريقة رسول الله ، فهو من الأخسرين : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٣ – ١٠٥] .

والأصل في الإنسان أنه في الخسران والخيبة والضلالة ، فإن آمن نجا من الخسران ، وإن بقي على حاله فهو خاسر كما قال سبحانه في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ».أخرجه مسلم[1].

وقال سبحانه : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ – ٣] .

لأن سعادة الإنسان في الإيمان ، وحب الآخرة ، والإعراض عن الدنيا : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

فأكثر الخلق مشتغلون في حب الدنيا ، غارقون في طلب ملاذها وشهواتها ، فهم في الخسران والبوار ، لإعراضهم عن الله ، واشتغالهم بمحبوبات النفس عن محبوبات الرب : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

فالإنسان يبدأ من النقصان وينتهي إلى الكمال في بدنه وروحه ، إظهارًا لفضل الله عليه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ – ٦] .

فخسران الإنسان دون خسران الشيطان ، فالشيطان خسارته مؤبدة؛ لأنه ملعونٌ مطرودٌ من رحمة الله بسبب كفره وكبره: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤] .

فهو في الخسار لا يمكن أن يربح أبدًا ، أما الإنسان فهو خاسر ، فإن آمن نجى من الخسار : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

وقد ذكر الله عز وجل في سورة العصر الخُسر ، ولم يذكر السبب ، وفي جانب الربح ذكر السبب وهو الإيمان والعمل الصالح ، ولم يذكر الحكم ؛ لأن الخسران كما يحصل بفعل المعصية ، يحصل كذلك بترك الطاعة ، أما الربح فلا يحصل إلا بالفعل ؛ فلهذا السبب ذكر الربح ، وهو الإيمان والعمل الصالح كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:١-٣].

ففي جانب الخسران أبهم الله ولم يفصل ، وفي جانب الربح فصل وبين ، وهذا هو اللائق بالكريم عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: ٦٥] .

٢- الخزانة الثانية

- **أصول الربح والخسارة :**

الدنيا صفقة تجارية ، فهي سوقٌ قام ثم انفض ، ربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر .

ومن أراد أن يربح في هذا السوق فليتخلى عن مظاهر الفسق والخسار الثلاثة :

لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه .. ولا يقطع ما أمر الله به أن يُوصل .. ولا يفسد في الأرض:﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد:١٩-٢٤] .

وكل إنسانٍ له ولايةٌ في الأرض على نفسه وأهله وماله ، كما قال النبي ﷺ: « كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه والرَّجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن أهلِه والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتِها والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّدِه ومسؤولٌ عن رعيَّتِه وكلُّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه » . متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٩٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٢٩) باختلاف يسير.

والخاسر بضد ذلك ، فله من ربه اللعنة ، وسوء الدار كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الرعد:٢٥] .

فكل كافر ، وكل مشرك ، وكل منافق ، من أخسر خلق الله في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الرعد:٢٥] .

وقال سبحانه عن المنافقين : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[البقرة: ١٦ – ١٨].

فالحياة قوس ، والموت قوس ، وكلاهما بيد الله ، فلا يجوز لأحدٍ أن يخرج ما بين القوسين من الحياة عن مراد الله الذي طلبه من كل إنسان : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[البقرة: ٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢ – ١٦٣] .

وقد أخفى الله الموت زمانًا ومكانًا ، وسببًا وعمرًا ، لأنه يريد من الإنسان أن يرقب الموت في كل لحظة ، بأي سبب ، وفي أي عمر ، وفي أي مكان ، وفي أي زمان ، وهذا إعلامٌ بالموت من جميع الوجوه ، ليكون العبد خائفًا ، فيستقيم على طاعة الله ، ويتكرر الخوف منه كلما رأى ميتًا : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك: ١ – ٢] .

والربح والسعادة في الدنيا والآخرة في أمرين :

الإيمان والتقوى، كما قال سبحانه : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤] .

- **حصون النجاة :**

حصون النجاة في هذه الدنيا خمسة :

هي حسن الأدب .

والمحافظة على السنن .

والمحافظة على الفرائض .

والإخلاص .

واليقين

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢] .

وإذا جاءت الآداب جاءت السنن وما بعدها ، وإذا ضيعنا الآداب ضاع ما بعدها ، فمن ضيع الآداب ضيع السنن ، ومن أهمل السنن تهاون بالفرائض ، ومن تهاون بالفرائض نقص إخلاصه ، ومن فقد الإخلاص فسد يقينه : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

فالآداب حصن السنن ، والسنن حصن الفرائض ، والفرائض حصن الإخلاص ، والإخلاص حصن اليقين : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فهذه حصون النجاة في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١ – ١١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

فمن فرط في هذه الأمور الخمسة خسر دنياه وأخراه ، وأبتلي بطول الأمل ، وطول الأمل يُعمي عن الآخرة : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

وحزب الرحمن لهم أربع صفات : صبر وتقوى ، ودعاء ونصرة للدين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٧ – ٧٨] .

وحزب الشيطان كذلك لهم أربع صفات :

التعلق بالشهوات ، وحب الشهرة ، وحب المنصب ، والكبر وعداوة للدين : ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

والمؤمن لديه ميزان واتزان ، فجميع أعماله حسب القرآن والسنة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

فجميع أعمال المسلم يؤديها حسب القرآن والسنة ، وأوقاته معمورةٌ بأنواع الأعمال الصالحة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

فحياة المسلم كلها لله وحده : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢ – ١٦٣].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، كل يومٍ نستيقظ على عظيم نعم الله ، روحٌ عادت ، ونعم زادت ، وصبح أطل ، وأمنٌ أظل ، وعافيةٌ في البدن ، وعينٌ تبصر ، وأذنٌ تسمع ، ولسانٌ يتكلم ، وقلبٌ يعمل ، وعقلٌ حاضر : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

- **فقه الخسران :**

الخسران في اللغة هو : نقصان مال التاجر ، سواء كان من الربح ، أو رأس المال .

والخسران في الشرع هو غبن الإنسان في حظوظه في ربه ، وهذا هو الخسران المبين ، وهذا هو الخسران الذي لا ربح بعده ، فمن خسر ربه ، وخسر دينه ، وخسر الجنة ، وصار إلى النار ، فلا أحدٌ أشد خسارة منه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] .

وكل إنسانٍ خاسر إلا من أتصف بأربع صفاتٍ هي :

الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١ – ٣] .

آمنوا وعملوا الصالحات جهدٌ على النفس ، وتواصلوا بالحق وتواصوا بالصبر جهدٌ على الغير ، والإيمان يزيد بهذا وهذا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فكل إنسانٍ أعطاه الله في هذه الدنيا رأس مال هو أعظم من كل الجواهر والأموال ، ولا يماثله في الدنيا شيءٌ أبدًا ، ورأس المال هذا هو عمر الإنسان ساعته وأيامه ولياليه ، وشهوره وأعوامه ، وأمره ربه بالاتجار معه في رأس هذا المال ؛ ليسعد في دنياه وآخرته .

والناس في تحريك رأس هذا المال صنفان :

الأول : العاقل الذي يحرك رأس ماله ، ويتجر به مع خير من يتجر معه ، وهو رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، العفو الكريم ، الذي يعفو ويصفح ، ولا يبالي كم أعطى؟ ولمن أعطى؟

والذي يعطي على الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعافٍ كثيرة ، إلى أضعافٍ مضاعفة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠] .

إن جئت بحسنة أعطاك مقابلها عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما لا يعلمه إلا الله : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠ ﴾ [الزمر: ١٠] .

وإن جاءه عبده يمشي أتاه ربه هرولة ، وإن تقرب إليه شبرًا تقرب إليه ذراعًا ، وإن تقرب إليه ذراعًا تقرب إليه باعًا .

فهذا هو الفقيه العاقل الذي صرف أوقاته فيما يُرضي ربه ، بفعل الواجبات ، والمستحبات ، واجتناب المحرمات والمكروهات ، فيكون عمله إما خيرٌ يستجلبه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

أو شرٍ يحذره : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧- ١٨] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢] .

فهذا الرابح حقًا ، يربح من هذه التجارة العظيمة رضوان ربه ، ورؤيته في الجنة ، والقرب منه ، وسماع كلامه ، ودخول الجنة ، والخلود فيها : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقد سمى الله تحريك رأس المال معه تجارة ، وبيعًا وشراءً وقرضًا كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ

أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الصف:١٠- ١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [النساء: ٧٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧] .

فهذا هو الرابح حقاً في الدنيا والآخرة .

الثاني : الأحمق ، وهو الذي يلعب برأس هذا المال ، بإنفاق أوقاته في مساخط الله ، بترك الواجبات ، والوقوع في المحرمات ، والتمرد على أوامر الله بإتباع كل ناعقٍ من شياطين الإنس والجن ، ثم يموت ويلقى الله مفلسًا : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

والآخرة ليس فيها إلا قصرٌ من قصور الجنة لمن آمن بالله ، وسجنٌ من سجون النار لمن كفر بالله وعصاه : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٩ – ٣٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

فهؤلاء هم الرابحون السعداء في الدنيا والآخرة .

وأما الخاسرون فهم الكفار والمشركون والمنافقون: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧ – ٦٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

وشتان بين الربح والخسارة : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] .

- **فقه الربح والخسران :**

أسعد الخلق على الإطلاق ، وأربحهم تجارة ، هم المؤمنون الذين استقاموا على أوامر الله ، بفعل الواجبات والمستحبات ، واجتناب المحرمات والمكروهات : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال سبحانه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤] .

وأخسر الخلق على الإطلاق هم الكفار والمشركون والمنافقون : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الرعد: ٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحج: ١١ – ١٤].

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة هم المؤمنون : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وأشقى الناس في الدنيا والآخرة هم كل من كفر بالله وأشرك به : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة: ٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا
مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾
وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ
خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا
﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء: ١١٥- ١٢٢] .

فكل إنسان في خسار ، وكل إنسان في تعب ، وكل إنسان في عذاب كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

ولا ينجو أحد من هذا الخسران العظيم إلا بأربعة أمور : الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

فكل كافرٍ في خسران مبين ؛ لأنه يخسر نفسه وأهله ، ودنياه وآخرته : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢ – ٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩].

ولا يعصي الله عز وجل إلا جاهلٌ به ، وبأسمائه ، وبصفاته ، وبأفعاله ، وبعظمة ملكه وسلطانه ، وبعظمة نعمه وإحسانه ، وبدينه وشرعه ، وبوعده وبوعيده : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

فانظر وتدبر في الكون لتعرف ربك العظيم : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله ، وعبدتموه وحده لا شريك له .

وسبب طلب تعجيل العذاب من الكفار هو الجهل بالله، والجهل بقدرته، والعناد وتكذيب الرسل، والجهل بالحق، والاستكبار عنه، وعدم المبالاة به: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٤]

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢ – ٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

فالفوز والربح في الدنيا والآخرة هو بالإقبال على الله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ابتغاء مرضاته : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

والإلقاء باليد إلى التهلكة هو الإقبال على الدنيا وعمارتها ، والإعراض عن الدين ، وترك الجهاد في سبيل الله كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وانغماس الرجل في صفوف العدو ليس من الإلقاء باليد إلى التهلكة ، بل هو من بيع الرجل نفسه ابتغاء مرضاة الله، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

٣- الخزانة الثالثة

- **فقه الربح والخسارة :**

المؤمنون هم أهل السعادة والربح ، والفوز والنجاة ، في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

والكفار هم أشقى الناس في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣- ١٤] .

والكفار يوم القيامة يلعن بعضهم بعضًا ، ويعادي بعضهم بعضا ، ويكفر بعضهم ببعض ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٣] .

وقال الله ﷻ عن الكفار : ﴿ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٥] .

وكل من الأتباع والمتبوعين يضاعف له العذاب ضعفين .

أما تضعيف العذاب على المتبوعين يوم القيامة فلأنهم ضلوا ، وهم الذين أضلوا ، وهم الذين سنوا الضلال لغيرهم ، فضعف على الضلال ، وضعف على الإضلال، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٤ – ٢٥] .

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» . أخرجه مسلم[1] .

وأما تضعيف العذاب على الأتباع ، فلتقليدهم الأعمى ، وتعصبهم للكفر ، ولإضلالهم غيرهم من الأهل والأقارب .

فكلٌ له رئاسة في الضلال ، ويضاعف العذاب لكل أحد بحسب اضلاله لغيره، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٨ – ٣٩] .

وسنة الله جارية : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ١٠١٧).

وسنة الله في المؤمنين والكافرين ثابتة لا تتبدل ، فمن آمن بالله وأطاعه نصره ربه ، واسعده في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣] .

ومن كفر بالله وعصاه أهلكه الله ، وشقى في الدنيا والأخرة، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر:٦- ١٤] .

وكل من خالف رسل الله إنما خالفهم حرصًا على الدنيا ، وطلب لذاتها ، فخابوا وخسروا ، ولم يبق من دنياهم أثر ، وإنما بقي لهم اللعن في الدنيا ، والعقاب في الآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] .

فالدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ، ولا مع الكافر ، ولكن المؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل في الدنيا ، والثواب الجزيل في العقبى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

والكافر له اللعنة في الدنيا ، والعقوبة في الآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١ – ١٦٢] .

والتأمل في حياة هؤلاء وهؤلاء ، يدفع العاقل للإيمان بالله ، والإعراض عن زينة الحياة الدنيا ، ويزجر الكافرين عن كفرهم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]

- **عقوبة الاستئصال :**

الأمم السابقة كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقارون وغيرهم لما كفروا ، وكذبوا الرسل ، أهلكهم الله بعذاب مدمر مهلك بالغرق أو الريح أو الصيحة أو الخسف ، فأصابهم العذاب في ثلاثة أماكن : في الدنيا بالهلاك ، ثم في البرزخ بالعذاب ، ثم في النار بالعذاب المقيم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وقال ﷻ عن فرعون وجنوده : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة:٤- ٨].

أما هذه الأمة فلا تؤخذ بعذاب الاستئصال ، ولكن إذا انحرفوا سلط الله بعضهم على بعض ، لأنهم آخر الأمم .

وقد قدر الله مقادير الخلائق مربوطة بأسبابها ، فإذا أراد الله ظهور ما قدره وإهلاك من سبق في علمه أن يهلكه ، أمرهم بطاعة الله ، وتصديق رسله واتباعهم ، فخرجوا عن طاعة ربهم ، وعصوا رسله ، وكذبوهم ، فحق عليهم القول بالتدمير فأهلكهم إهلاكًا مستأصلًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإسراء: ١٦] .

فالله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يأمر بالفسق ، ثم يعذب على ذلك ، كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأعراف: ٢٨ – ٣٠] .

وقد جعل الله ﷻ لكل شيء قدرا ، ولكل فعل مكانًا ووقتًا ، لا يقدمه ولا يؤخره ، فكل شيء بأجل مسمى ؛ لأنه القادر على كل شيء ، القاهر لكل المخلوقات : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [هود: ١٠٤] .

ومن كفر بالله وعصاه ، أمهله الله إلى أجله ، وفتح عليه من الدنيا ما يزداد به إثمًا عقوبة له : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القلم: ٤٤ – ٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ – ٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة: ٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥] .

والله ﷻ لم يؤخر عذاب الكفار والعصاة إلى الآخرة ، بل عجل بعضه ، وإلا لشقي المؤمنون بالكفار والعصاة .

وعذاب الله يوم القيامة شديد ، وأليم ، ومهين ، وكبير ، وعظيم ؛ لشناعة الكفر والشرك ، ولأن الكفار هم وقود النار بأبعاضهم التي استعملوها في الدنيا بما يسخط الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: ٦] .

فذرات الكافر مؤمنة ، وذرات العاصي طائعة ، والذي يجعلها تخيب إرادة صاحبها عليها ، فاللسان ينطق بكلمة الكفر ، وهو لاعن لصاحبها ، واليد تتقدم إلى المعصية وهي لاعنة لصاحبها ومريديها ، ويوم القيامة تشهد هذه الجوارح أمام ربها بما أراده عليها صاحبها: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥ ﴾ [يس: ٦٥] .

فكل ذنب يتلوه عقوبة ، وكل عقوبة لابد أن يسبقها ذنب : ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

وأهل النار لابثين فيها أبد الآباد : ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ ﴾ [النبأ: ٢٣] .

والحقب : مائة سنة

فأهل النار يلبثون فيها أحقابا ، كلما مضى حقب تبعه حقب آخر ، وهكذا إلى الأبد : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة: ٣٧] .

وأهل النار كلما استغاثوا بربهم من العذاب أغيثوا بعذاب أشد : ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النبأ: ٣٠] .

اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار ، وما قرّب إليها من قول أو عمل .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥٢-خزائن الحسنات والسيئات

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥٢-خزائن الحسنات والسيئات

١- الخزانة الأولى

- **فقه الحسن والسيء :**

الحسن : هو الجميل من الذوات ، والأخلاق ، والأقوال ، والأفعال ، والأحوال .

والسيئ : هو القبيح من الذوات ، والأخلاق ، والأقوال ، والأفعال ، والأحوال .

والحسن : هو ما حسنه الشرع ، وما حسنه العقل مما لم يرد به الشرع .

ولولا الهوى لحكمنا العقل في كل شيء ؛ لأن الهوى يفسد حكم العقل ، ولهذا كان الحسن هو ما حسنه الشرع ؛ لأن المشرع جل جلاله لا هوى له إلا في مصلحة من شرع له الأحكام .

والقول الحسن : أن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتجادل بالتي هي أحسن ، حتى لا يجتمع على المنصوح والموعوظ مرارتين ؛ مرارة أن تخرجه عما هو عليه ، ومرارة أن تخاطبه بما يكره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

وكتاب الله ﷻ أحسن شيء وأجمله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

وكتاب الله ﷻ أحسن الكتب ، لما يشتمل عليه من الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

صدقًا في الأخبار ، وعدلًا في الأحكام، فأوامر الله ﷻ في كتابه ونواهيه وأخباره في منتهى الصدق، والحق، والحكمة ، والعدل، والإحسان، والرحمة : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧]

- **أقسام الأعمال :**

الأعمال تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أعمال حسنة ، وهي كل ما أمر الله ورسوله به .

القسم الثاني : أعمال سيئة ، وهي كل ما ينهي الله ورسوله عنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

- **أقسام الحسنات والسيئات :**

الحسنات تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : حسنات الدنيا ، وهي كل ما أمر الله ورسوله به ، من الإيمان ، والتقوى ، والأعمال الصالحة ، وكل ما يستحسنه الإنسان في هذه الدنيا من الصحة ، وسعة الرزق ، وكثرة البنين ، والزوجات ، والأموال ، والقصور والمراكب ونحوها .

ألقسم الثاني : حسنات الآخرة : وهي كل ما يستحسن المسلم حصوله كرضوان الله ، وسماع كلامه ، ورؤيته ، ودخول الجنة ، وأن يبيض وجهه ، ويثقّل موازينه ، وأن يعطيه كتابه بيمينه ، ونحو ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٠ – ٢٠٢].

فالإنسان محتاج إلى حسنات الدنيا والآخرة ، فلا حرج عليه في طلبهما معًا ، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

أما السيئات فهي تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : كبائر .

القسم الثاني : صغائر .

قال الله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] .

فلا حرج على المسلم أن يطلب من ربه من خيري الدنيا والآخرة ، ويستعين بذلك على طاعة الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

وحيثما وردت الذنوب في القرآن ، فالمراد بها الكبائر ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

وحيثما وردت السيئات فالمراد بها الصغائر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] .

ولفظ المغفرة يرد مع الذنوب ، ولفظ التكفير يرد مع السيئات ، ولفظ المغفرة يتضمن الوقاية والحفظ ، ولفظ التكفير يتضمن الستر والإزالة : ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [المائدة: ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٧] .

- **مضاعفة الحسنات :**

الحسنات تضاعف رحمة من الله بعباده ، ليرغبهم في طاعته ، وعبادته وحده لا شريك له ، فالحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف

كثيرة ، إلى أضعاف مضاعفة : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال سبحانه : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة: ٢٦١].

وقال الله تعالى : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] .

وفوق ذلك أجر بغير حساب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠] .

وفوق ذلك عطاء من الرب بلا عمل من العبد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

أما السيئة فلا يجزى العبد إلا بمثلها من غير زيادة ، كما قال سبحانه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

فالسيئات لا تضاعف ، لكنها قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان ، كما قال سبحانه في حرم مكة : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: ٢٥] .

أو تعظم بسبب حرمة الزمان كالأشهر الحرم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [التوبة: ٣٦] .

أو تعظم بسبب عظمة الإنسان المخالف، كما قال سبحانه عن النبيﷺ : ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥ ﴾ [الإسراء: ٧٤ – ٧٥] .

وقوله سبحانه عن نساء النبي ﷺ : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾ [الأحزاب: ٣٠ – ٣٢] .

فيعظم الذنب بسبب حجمه ، أو بسبب المكان ، أو الزمان ، أو عظمة الإنسان المخالف : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ ﴾ [النساء: ١١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ ﴾ [النحل: ٨٨] .

٢- الخزانة الثانية

- **أحكام حسنات الكافر :**

أولًا : الكافر يجازى بحسناته ؛ كالصدق ، وصلة الرحم ، وقرى الضيف ، والكرم ، والإحسان ونحوها في الدنيا دون الآخرة صحة ومالاً واولاداً ونحوها ، كما قال سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى: ٢٠] .

فلا حظ لكل كافر أو مشرك في الآخرة أبدًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٦١ – ١٦٢] .

ثانيًا : الكفار ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول : منهم من يثيبه الله على عمله في الدنيا ، والثاني منهم من لا يثيبه ، فمنهم من هو في عيش رغد ، كما قال سبحانه : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٦ – ١٩٧].

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

ومنهم من هو في بؤس وضيق ، والله حكيم عليم بخلقه ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وأفعاله كلها في منتهى الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ٢١ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾ [الإسراء:١٨-٢٢].

ومن الكفار من هو في البؤس والشقاء والعذاب ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وقال ﷻ : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

ثالثًا : مطلق النعمة من صحة ورزق وأولاد ونحوها ، يتمتع بها كل كافر ، بل كل حيوان، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾ [هود: ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

رابعًا : الإنعام من الرب على الكفار في الدنيا ليس للإكرام ، بل للاستدراج والإهلاك، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ – ٥٦] .

وكل عمل صالح لا يقبل إلا بالإيمان بالله ﷻ، كما قال سبحانه : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

أما الكافر فمهما عمل من الأعمال الصالحة ، فإنه يعطى بها في الدنيا صحة وغنى، وكثرة أموال وأولاد ونحو ذلك، أما في الآخرة فليس له فيها نصيب، كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور: ٣٩] .

- **فقه الحسنات والسيئات :**

الحسنة : هي ما يحسن لدى الإنسان مما يتلائم مع مزاجه .

والحسنات قسمان :

أحدهما : حسنة سببها الإيمان ، والعمل الصالح ، وتحصل بطاعة الله ورسوله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] .

الثاني : حسنة سببها الإنعام الإلهي على العبد بما يؤتيه الله من مال ، وولد ، وسلامة بدن ، وأمن ونحو ذلك : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣] .

والسيئات ضد الحسنات، وهي ما لا يحسن لدى الإنسان، والسيئات قسمان :

أحدهما : سيئة سببها الشرك والمعاصي اللذان يورثان ظلمة وخبثًا في النفس ، وتحصل بمعصية الله ورسوله : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَالِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] .

الثاني : سيئة سببها الانتقام أو الابتلاء الإلهي؛ كالمرض ، وضياع المال ، والجوع ، والقحط ونحو ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢] .

وقال ﷻ عن الكفار : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

فالسيئة الأولى ، وهي معصية الله ورسوله ، تنسب إلى العبد فاعلها ؛ لأن الله لا يرضى لعباده الكفر ، بل حذرهم منه، كما قال سبحانه : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١ – ٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

أما الحسنة بمعنى النعمة ، والسيئة بمعنى النقمة ، فكلاهما من عند الله ؛ لأن الله يبلوا عباده بما شاء ابتلاء ، وانتقاما ، ورفعة ، تربية لعباده ، كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨] .

أما الحسنة بمعنى الطاعة لله ورسوله ، فلا تنسب إلا إلى الله ، فهو الذي شرعها للعبد ، وعلمه إياها ، وأمره بفعلها وأعانه عليها ، وأثابه عليها وحببها إليه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] .

والسيئة بمعنى المعصية لله ورسوله إذا فعلها العبد بإرادته واختياره ، مؤثرًا المعصية على الطاعة ، فهذه السيئة تنسب إلى العبد فاعلها ، ولا تنسب إلى الله ؛ لأن الله لم يشرعها ، ولم يأمر بها ، بل حرمها ، وتوعد عليها ، وقد كشف الله ذلك وبينه بقوله سبحانه : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٩] .

- **ثمرات الحسنات والطاعات :**

في فعل الحسنات عدة فوائد :

الأولى : الفوز والفلاح ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٢] .

الثانية : محبة الله ورسوله والمؤمنين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

الثالثة : دخول الجنة، كما قال سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦] .

الرابعة : معية الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

الخامسة : القرب من رحمة الله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

السادسة : مضاعفة الأجر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠] .

السابعة : تكفير السيئات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] .

الثامنة : جلب المحبة ، وإزالة العداوة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤–٣٥] .

٣- الخزانة الثالثة

- **فقه الحسنات والسيئات :**

الحسنات تعلل بعلتين :

إحداهما : ما تضمنته من جلب المصلحة والمنفعة .

الثانية : ما تضمنته من دفع المفسدة والمضرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥] .

فقوله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ بيان لما تضمنته من دفع المفاسد والمضار .

وقوله :﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ بيان لما تضمنته من المنفعة والمصلحة ، وهكذا في جميع الحسنات .

والسيئات كذلك تعلل بعلتين :

أحداهما : ما تضمنته من المفسدة والمضرة .

الثانية : ما تضمنته من الصد عن المنفعة والمصلحة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[المائدة:٩١] .

فقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ بيان لما تضمنه السيئات من حصول مفسدة العداوة والبغضاء .

وقوله : ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بيان لما تتضمنه من المنع من المصلحة التي هي رأس السعادة ، وهي ذكر الله والصلاة .

والله تبارك وتعالى مالك الملك ، وله الخلق والأمر ، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد ، فالحسنات من عطائه ، والسيئات من قضائه ، فالطاعات أمر بها ، والسيئات أذن بها ، فهو سبحانه لا يطاع إلا بإذنه ، ولا يعصى إلا بعلمه .

والطاعات بإذنه ، والمنّة له ، والمعاصي بتقديره ، والحجة له : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١] .

والسيئات قسمان .. صغائر .. وكبائر .

فالكبائر والصغائر تكفرها التوبة ، كما قال سبحانه : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤] .

وتكفير الصغائر بشيئين :

الأمر الأول : الحسنات الماحية .

الأمر الثاني : اجتناب الكبائر .

فالأول : كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ۝١١٤﴾ [هود: ١١٤] .

وقال النبي ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ » . أخرجه مسلم[1] .

والثاني : كما قال سبحانه : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء: ٣١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٣٣).

وحبوط الحسنات والسيئات نوعان :

النوع الأول : حبوط عام .

النوع الثاني : حبوط خاص .

فالعام : حبوط الحسنات كلها بالردة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

وحبوط السيئات كلها بالتوبة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

والخاص : حبوط الحسنات والسيئات بعضها ببعض ، وهذا حبوط مقيد جزئي، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] .

والكفر والإيمان كل منهما يبطل الآخر ويذهبه ، وشعبة واحدة منهما لها تأثير في إذهاب بعض شعب الآخر ، فإذا عظمت الشعبة ذهب في مقابلها شعب كثيرة .

والمعاصي كلها بالنسبة إلى الجرأة على الله ، ومخالفة أمره ، كبيرة ، لما فيها من التوثب على حق الرب ، والاستهانة بأمره ، وانتهاك حرماته : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

فكل المعاصي إنما جاءت من الجهل بالله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح: ١٣ – ٢٠].

وإذا عمل المؤمن سيئة فسوف يجازى عليها، كما قال سبحانه : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ، مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣].

ومن تاب إلى ربه تاب الله عليه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

- **زوال عقوبة السيئات :**

تندفع عقوبة السيئات عن المؤمن بما يلي :

إما أن يتوب فيتوب الله عليه ، أو يستغفر فيغفر الله له ، أو يعمل حسنات تمحوها ، أو يدعوا له إخوانه المؤمنون ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

وقال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

فالذي يدفع السيئات عن العبد هو ما ذكرنا ، أو يدعوا له إخوانه المؤمنون ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به ، أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تكفر عنه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ١٦٣١).

وقال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧] .

أو يبتليه الله في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه ، أو يبتليه في عرصات القيامة بما يكفر عنه ، أو يشفع فيه نبيه ﷺ ، أو يرحمه أرحم الراحمين ، والله غفور رحيم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الحج: ٦٥] .

والحسنات تزيد الإيمان ، وتزيد نور القلب ، والسيئات تنقص الإيمان وتطفئ نور القلب ، والمعاصي للإيمان كالأمراض للبدن ، سواء بسواء .

وفي اجتناب المعاصي والمحرمات والسيئات عدة فوائد :

الأولى : صون النفس وحفظها وحمايتها عما يشينها ويعيبها ، ويزري بها عند الله ، وملائكته ، وعباده المؤمنين ، وسائر خلقه ، فمن كرمت عليه نفسه وكبرت ، صانها وحماها ، ومن هانت عليه نفسه وصغرت عنده ألقاها في الرذائل .

الثانية : توفير الحسنات ، ففي اجتناب السيئات توفير الحسنات ، وذلك من وجهين :

أحدهما : توفير زمانه على اكتساب الحسنات ، فإنه إذا اشتغل بالقبائح ضاعت عليه الحسنات التي كان مستعدًا لتحصيلها .

الثاني : توفير الحسنات المفعولة عن نقصانها ، فكما أن الحسنات يذهبن السيئات ، فكذلك السيئات قد تحبط الحسنات ، وقد تستغرقها بالكلية أو تنقصها ، فتجنبها يوفر ديوان الحسنات .

الثالثة : كسب مودة الخلق : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ [مريم: ٩٦] .

وكسب مودة الخلق تكون بملاطفتهم ومعاملتهم بما يحب أن يعاملوه به من اللطف ، ولا يعاملهم بالشدة والغلظة والعنف ، فإن ذلك ينفرهم عنه ، ويفسد عليه قلبه وحاله مع الله : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

فليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف ، فالناس إما أجنبي فتكسب مودته ومحبته ، وإما صاحب وحبيب فتستديم صحبته ومودته ، وأما عدو ومبغض فتطفي بلطفك جمرته ، وتستكفي شره : ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ [فصلت:٣٤- ٣٦] .

الرابعة : مراقبة الله سبحانه ، وهي الموجبة لكل صلاح وخير عاجل وآجل ، ولا يصح ما قبلها إلا بهذه وهي المقصود لذاته ، فمراقبة الحق سبحانه توجب إصلاح النفس ، واللطف بالخلق ، ورحمتهم ، والصبر على آذاهم ، والناس متفاوتون في العلم والعمل ، والسؤال والهمم : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ ﴾ البقرة: ٢٠٠ – ٢٠١]

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

٤ - الخزانة الرابعة

- **فقه الحسنات :**

الحسنة المطلوبة في الدنيا هي كل ما يحسن وقعه عند العبد من رزق هنيء واسع حلال ، وزوجة صالحة ، وأولاد تقر بهم العين ، وراحة من الهم والكد ، وعلم نافع ، وعمل صالح ، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

أما حسنة الآخرة فهي الفوز بالنعيم المقيم في الجنة ، وحصول رضا الله ، والقرب من الرب الكريم ، والنظر إليه ، والسلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وهذا أجمع دعاء وأكمله وأفضله وكان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به .

ولا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله ﷻ ، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق ، ولا الإساءة إليهم كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الملك: ٢٢] .

فلا تستوي الحسنة ولا السيئة ، والتي هي أحسن إذا أساء إليك مسيء من الخلق بالقول أو الفعل فقابله بالإحسان إليه ، وصل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

وإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصلت لك ولغيرك فوائد عظيمة ، فإن مقابلة المسيء بجنس عمله لا يفيده شيئًا ، ولا يزيد العداوة إلا شدة ، والإحسان للمسيء يقلب العداوة صداقة ، والبغض محبة ، ويعطف القلوب على من عادته ، ويحركها للاعتذار والندم : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت:٣٤- ٣٥] .

والحسنة كما أنها تذهب السيئة ، فكذلك الحسنة تجلب الحسنة بعدها ، وكل من يصلي تجده يقرأ القرآن ، ويصلي النوافل ، ويذكر الله ، ويصوم ويتصدق ، ويحسن إلى الناس وهكذا ، وكما أن السيئة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، فكذلك السيئة تجلب أخواتها من السيئات ، والشيطان له خطوات ينقل بها العاصي من المباحات ، ثم إلى الصغائر ، ثم إلى الكبائر ، ثم الردة ، ومن الغيبة إلى قول الزور إلى التهاون بالصلاة ، إلى إضاعة الصلاة ، واتباع الشهوات : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

ويجر العبد إلى محبة المحرمات ، ثم فعلها ، ثم دعوة الناس إلى فعلها وهكذا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

فالشيطان صد كفار مكة عن الإيمان بالرسول ﷺ ، ثم زين لهم الاستهزاء به ومن معه ، ثم زين لهم أذى من آمن به لعلهم يرجعون عنه ، ثم زين لهم

الصد عن الدين الذي جاء به ، ثم زين لهم إخراج الرسول ﷺ وقتله ، ثم ساقهم إلى مصارعهم كفاراً يحاربون الله ورسوله في بدر ، فخسروا الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

وقد غر الشيطان أكثر الخلق ، فجرهم من التوحيد إلى الشرك ، ومن الطاعات إلى المعاصي ، ومن الحسنات إلى السيئات ، ومن الإيمان إلى الكفر : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠- ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء:١١٩- ١٢١] .

فالله ورسله وأنبياءه وأتباعهم يدعون إلى فعل الحسنات ، وترك السيئات ، وبذلك تحصل السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٤] .

وشياطين الإنس والجن وأتباعهم يدعون إلى فعل السيئات ، وترك الحسنات ، ويخدعون الناس بالشهوات ، لتحل بهم العقوبات : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

وقد وعد الله كل من أحسن ، وأتى بالحسنات في الدنيا أن يرزقه الحسنى وزيادة يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦] .

ومن أساء أسود وجهه ، وأصابه الذل والعذاب في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧] .

وما خطا عبد خطوة إلا كتبت له حسنة أو سيئة بحسب نيته ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] .

والحسنات تحصل للعبد من ثلاث جهات هي :

فعل الطاعة ، والفرح بها ، وتهيئة الفرصة لحصولها ، كأن يصلي مثلًا ، ويفرح بأداء الصلاة ، ويهيئ الفرصة للمصلين .

والسيئة كذلك تحصل للعبد من ثلاث جهات هي :

فعل المعصية ، والفرح بها ، وتهيئة الفرصة لحصولها كأن يشرب الخمر مثلًا ، ويفرح بذلك ، ويهيئ الفرصة لمن يشرب الخمر : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ۚ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود:١١٢] .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار .

- **فقه السعادة والشقاوة :**

مدار السعادة والشقاوة يقوم على أمرين :

الإيمان ، أو الكفر .

فالمؤمن أسعد الناس ، والكافر أشقى الناس، فمن آمن بالله، وعمل صالحًا ، أسعده الله في الدنيا والآخرة ، ومن اتقى الله وقاه الله من كل شر : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾[الطلاق:٢- ٣].

ومن كفر بالله وعصاه شقي في الدنيا والآخرة : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ ﴾[طه: ١٢٣ – ١٢٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

فمن آمن بالله واتقاه ، أسعده الله في الدنيا والآخرة ، ولو كان أفقر الناس ، والحاكم في وقته كفرعون ، ومن كفر بالله وعصاه، شقي في الدنيا والآخرة ، ولو كان أغنى الناس ، والحاكم في وقته كأبي بكر الصديق ﷺ : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧ ﴾[النحل: ٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٧٢ ﴾[الإسراء: ٧٢] .

والفرق بين السعادة والمتعة :

أن السعادة تكون بمعرفة الله ، والدار الآخرة ، وعبادة الله بموجب ذلك .

والسعيد هو المشغول بالله ، ولو حرم الدنيا كلها ، والشقي هو الذي انقطع عن الله ، ولو أعطي الدنيا كلها .

وإذا أحب الله إنسانًا هداه وشغله بعبادته ، وإذا أبغض إنسانًا حال بينه وبين الهدى فانشغل عنه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الأعراف:١٤٦].

فالسعادة هي سعادة الروح ، أما المتعة فهي خاصة بالبدن ، يشترك فيها المسلم والكافر والحيوان : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧] .

وصلاح الأحوال بيد الله لا بأيدينا ، وإصلاح أعمالنا بأيدينا ، وإذا اشتغلنا بإصلاح أعمالنا ، أصلح الله أحوالنا : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] .

وإذا اشتغلنا بإصلاح أحوالنا أضعنا إصلاح أعمالنا ، ولم تصلح أحوالنا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١] .

ومن أتعب نفسه بإصلاح عمله كفاه الله إصلاح أحواله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾ [الطلاق:٢- ٣].

وبحسب اليقين يكون الجهد ، وبحسب الجهد تكون السعادة أو الشقاوة ، فيقين الكافر بالجهد يأتي المال، وبالمال تأتي الأشياء، وبوجود الأشياء تكون السعادة، وهذه متعة لا سعادة: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٩٧ ﴾ [آل عمران:١٩٦- ١٩٧].

أما يقين مسلم فبالجهد تأتي الهداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وبالهداية تأتي الطاعة : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وبالطاعة يأتي رضا الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾ [البينة: ٧ – ٨].

وبعد رضا الله يأتي قبول الدعاء: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٧ ﴾ [المائدة:٢٧].

وبهذا الجهد تصلح الحياة ، وبالجهد الأول تفسد الحياة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ۝٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩].

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٣-خزائن السعادة والشقاوة

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٣٣-رسائل السعادة والشقاوة

١ - الخزانة الأولى

• **مراتب السعادة :**

مراتب السعادة ثلاث :

الأولى : أحسن أحوال العبد في هذه الدنيا أن يكون عارفا بربه ، مواظبا على عبادته ، وهذه أول درجات سعادة الإنسان في الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] .

فمن عبد الله وحده استأنس به ، واستوحش من غيره : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ – ٥١] .

الثانية : إذا واظب العبد على طاعة ربه وعبادته مدة ، ظهر له أنه وحده لا يستطيع الإتيان بهذه الطاعات وأنواع العبادات إلا بعون الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة:٥].

وهذه الدرجة الوسطى ، فالله ﷻ من رحمته فتح لعباده ما يسعدهم بأنواع ما يرضيه من العبادات المختلفة من صلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج ، وذكر ، ودعاء ، وغر ذلك من الأعمال الصالحات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

الثالثة : إذا تجاوز العبد هذه الدرجة لاح له أن الهداية لا تحصل له إلا من الله ، فالهداية من الهادي ، والرزق من الرزاق ، والعلم من العليم ، وكل

نعمة من المنعم سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

ولا ينكشف للعبد أنوار عالم الغيب إلا بأن تحصل له الهداية ، والهداية لا تحصل إلا بهداية الله ، فسأل ربه الهداية إلى أنواع الطاعات ، وأنواع العبادات ، وأنواع العلم ، وزبدة اليقين ، فيطلب من ربه الهداية لذلك كله بقوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة:٦- ٧] .

والمسلم يسأل ربه الهداية في كل يوم أكثر من أربعين مرة : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة:٦]

في صلوات الفرض ، والسنن الرواتب ، فالمسلم يطلب من ربه الهداية إلى الصراط المستقيم ، والبعد عن الصراط المعوج .

وقد وصف الله الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله والجنة **بصفتين** :

الأولى : إيجابية ، لكونه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما قال سبحانه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة:٦- ٧]

الثانية : سلبية ، وهي أن يكون ذلك الصراط المستقيم بخلاف الصراط المعوج ، صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات المحرمة ، حتى استوجبوا غضب الله عليهم ، وفي مقدمة هؤلاء اليهود : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٧]

وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم العليمة ، حتى ضلوا عن الحق الذي يريده الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٧]

اللهم أهدنا الصراط المستقيم ، وارزقنا السعادة في الدنيا والآخرة .

ونعيم الدنيا يحصل للعبد بشيء واحد هو :

الإيمان والتقوى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢ – ٦٣] .

وشقاء الدنيا يحصل بشيء واحد فقط هو :

الكفر والفجور ، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣ – ١٤].

ونعيم الآخرة أكمل من نعيم الدنيا ، وعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا كما قال سبحانه عن عذاب الكفار : ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد: ٣٤] .

وقال سبحانه عن نعيم الجنة : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] .

ولكن الله ﷻ يري عباده نموذجا من هذا ، ومن هذا ، لأنه لا يستقيم فهم الوعد والوعيد إلا بمشاهدة نموذج من ذلك ، ليكون الخوف من النار ، والرغبة في الجنة حافزا للعمل كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

- **أصول سعادة الإنسان :**

سعادة العبد ونجاته في الدنيا والآخرة في أربع صفات :

واحدة لله : وهي أن يعبد الله وحده لا شريك له : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

والثانية للعبد : وهي عمله الصالح ، يأتيه الله به أحوج ما يكون إليه : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] .

والثالثة بين العبد وربه : فمنه الدعاء ، وعلى ربه الإجابة : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

والرابعة بين العبد والخلق : بأن يأتي إلى الناس ما يحب أن يأتوا إليه به : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

فالدين ركنان :

١ –عبادة الحق .

٢ – والإحسان إلى الخلق .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦] .

فالتوحيد ضد الشرك ، والشرك أظلم الظلم ، لأنه صرف للعبادة لغير مستحقها ووضعها في غير موضعها : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] .

فالتوحيد يخلص الإنسان من الشرك ، وبعبادة الله وحده يخلص الإنسان من ظلم نفسه ، وبإعطاء الناس حقهم ، وعدم الاعتداء عليهم ، يخلص العبد من ظلم العباد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

والله ﷻ يحب أن يعبد ، ويجب أن يعبد ، بأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، فالله يحب أن يعبد ، ويحب ما لا تتم العبادة إلا به ، فمن عبد الله ، وأحسن إلى الناس لله ، فهذا قائم بحق الله ، وحق عباده لأجله : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر: ٦٤ – ٦٦] .

• **فقه السعادة :**

أحسن أحوال العبد في الدنيا أن يكون مؤمنا بالله ، عارفا بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، ودينه وشرعه ، مواظبا على عبادة ربه ، محسناً إلى خلقه ، وبهذا وحده تكون سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

فليعلم العبد أن الله رب العالمين ، وأنه الذي يدبر الخلق أجمعين ، وأنه عظيم الهيبة والجلال والقدرة ، وعظيم الرحمة والإحسان والكرم : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥] .

فالله سبحانه في الدنيا لا يخلي خلقه من أقسام رحمته ، وأنواع فضله ، ويوم القيامة هو مالك يوم الدين ، لا يضيع عملا من أعمال العباد ، من جاء بالطاعات ضاعف له ثوابها ، ومن جاء بالمعاصي قابلها بالرحمة والمغفرة والإحسان : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢] .

وإذا عرف العبد عزة الربوبية ، وكرم الألوهية ، وذلة البشرية ؛ اشتاقت نفسه إلى عبادة ربه بعد أن أطمئنت بمعرفته ، فشرع له الكريم الرحيم ثلاث مقامات بين يدي ربه هي :

الأول : مقام الشريعة بأن يواظب على جميع العبادات بأنواعها ، فيتقرب بها إلى ربه مع كمال الحب والتعظيم والذل له ، كما قال سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥] .

وقال سبحانه عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

الثاني : مقام الإستعانة والتوكل ، وهو أن يسافر بقلبه من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، فيعلم أنه لا يفعل شيئاً من الأعمال الصالحة إلا بمدد من عالم الغيب : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥] .

وقال سبحانه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن: ١٣] .

الثالثة : مقام الحقيقة ، وهو أن يشاهد عالم الشهادة كله معزولا بالكلية ، ويرى الأمر كله بيد الله وحده فيقول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧] .

وهذا مقام الحقيقة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

٢- الخزانة الثانية

نعم الله على الخلق كثيرة غير محصورة، لكنها بحسب القسمة محصورة في نوعين :

أحدهما : نعم الدنيا : وهي نعم متجددة لا يمكن إحصاؤها : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

الثاني : نعم الدين : وهي نعمة الإيمان، وهي نعم لا يمكن إحصاؤها، ونعم الدين أعظم وأفضل من نعم الدنيا : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

ونعم الدين قسمان :

الأول : أعمال القلوب، وهي التوحيد، والإيمان، والتقوى وأمثالها.

الثاني : أعمال الجوارح، كالركوع والسجود، والأقوال والأعمال وأمثالها.

والأول هو الأصل والأشرف، والثاني تابع له، وثمرة له : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] .

وقال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً : إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩).

وقد جمع الله بينهما في قوله : ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج:٣٤- ٣٥] .

ونعم الدنيا قسمان :

أحدهما : تارة نراها من حيث هي نعم .

الثاني : وتارة نرى أنها عطية المنعم بها .

والثاني أشرف ، لأن من خصك بنعمة من دون الناس ، فقد احتفى بك وأكرمك : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وقال الله تعالى :: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات: ١٧] .

فهذه المقامات العظيمة يجب استحضارها عند قولنا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢] .

ليكون الحمد على سائر نعمه موافقا لموضعه ، لائقا بسببه ، والحمد لعظمته لا ينقطع في الدنيا ولا في الآخرة ، فالحمد لله رب العالمين أن أعطاني خيرا ، وصرف عني شرا ، والحمد لله رب العالمين أن أنعم علي وعلى غيري ، والحمد لله رب العالمين في الآخرة على صدق وعده ، وحصول رضوانه ، ودخول الجنة : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠] .

• **أجناس السعادة :**

مراتب السعادة ثلاثة :

١- في النفس .

٢- في البدن .

٣- فيما يحيط بالبدن من خارج .

فالتي في النفس هي الإيمان ، والتقوى ، والأخلاق الفاضلة ، وعبادة الله بموجب ذلك ، وبهذا ينال العبد السعادة في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

والتي في البدن هي الصحة والجمال كما قال سبحانه : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤ – ٦] .

أما التي تحيط بالبدن من الخارج فقسمان :

الأول : ضروري ، وهو المال والجاه .

الثاني : غير ضروري ، وهو الأقرباء والأصدقاء .

والمؤمن ينبغي أن يكون سعيه في تقديم الأهم على المهم : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ

وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٤-١٧] .

وقد ذم الله ﷻ الدنيا ، والتعلق بلذاتها وشهواتها ، والاشتغال بها عن أمور الآخرة فقال سبحانه : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

وقال الله ﷻ : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠] .

وسبيل السعادة فقط هو سلوك الصراط المستقيم : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] .

- **أقسام التكاثر :**

التكاثر في هذه الدنيا ينقسم إلى قسمين :

الأول : تكاثر محمود :

وهو التكاثر في العلم ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الحسنة ، والطاعات المختلفة ، فيجوز للعبد أن يفخر بطاعاته ومحاسن

أخلاقه ، إذا كان يظن أن غيره يقتدي به كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١] .

الثاني : تكاثر مذموم :

وهو التكاثر والتفاخر بالأموال والأولاد والجاه وغير ذلك من ملذات الدنيا وعلائقها مما يمنع من الاشتغال بطاعة الله وحلاوتها، كما قال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر:١ – ٨] .

وأخسر الناس من ألهاه التكاثر عن الإيمان ، وذكر الله ، وعن التفكر والتدبر ، وعن الواجبات والعبادات ، والطاعات لله ولرسوله ، وعن ذكر الموت ، واليوم الآخر : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٥ – ٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

• **سعادة القلب :**

سعادة قلب المسلم أن يكون متسعا لأحكام الله بأنواعها الثلاثة :

أحدهما : حكم الله الشرعي ، وهو الدين .

الثاني : حكم الله الجزائي ، وهو الوعد والوعيد .

الثالث : حكم الله القدري ، وهو المصائب التي تصيب الإنسان .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦] .

وذلك لأن الشرع فيه مخالفة للهوى ، فيجد الإنسان ثقلا في تنفيذ أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، لأنها تخالف هوى النفس ، والنفس أمارة بالسوء : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣].

فالنفس الأمارة بالسوء لا تنشرح لأوامر الله ولا لنواهيه .

وحكم الله الجزائي :

أن يصدق بالوعد لمن آمن وعمل صالحا ، وبالوعيد لمن كفر وغشى المعاصي والمحرمات : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ

عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

وحكم الله القدري :

إن يصبر على المصائب ، فالصبر ثقيل على النفس ، لما فيه من مخالفة الطبيعة البشرية التي تحب النعم ، وتكره المصائب : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١] .

٣- الخزانة الثالثة

• **طرق السعادة :**

السعادة لها طريقان :

الأول : طريق حقيقي :

ويكون بالإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

الثاني : طريق وهمي :

يكون بالأموال والأشياء ، بدون الإيمان ، فقارون خسر في الدنيا مع كثرة كنوزه وأمواله ، وفرعون خسر ملكه مع منصبه ، وكثرة أمواله ، فقال الله عن فرعون وجنوده : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥] .

وقال عن قارون : ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١] .

ومن رحمة الله بعباده أن يذيق الكفار بعض العذاب ، لعلهم يتوبون ويرجعون إلى ربهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: ٢١] .

فالكفار وإن تنعموا في الدنيا فهم في الحقيقة في عذاب في الدنيا ، وفي القبور ، وفي النار يوم القيامة : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣- ١٤] .

• **أنواع العذاب :**

أنواع العذاب بحسب : الكفر ، والشرك ، والجريمة ، والإصرار :

فللكفار عذاب شديد ، وعذاب كبير ، وعذاب عظيم ، وعذاب أليم ، وعذاب مهين ، وعذاب غليظ ، وغير ذلك من أنواع العذاب : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان: ٢٣ – ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفرقان: ١٩] .

وبعض الكفار في الدنيا يتمتع بما تتمتع به الحيوانات ، ولكن هذا المتاع القليل في الدنيا لا يمنعه من مصيره إلى النار ، ولا يغني عنه شيئا : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر: ٨] .

وقال سبحانه عن الكفار: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [لقمان: ٢٣ – ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧] .

- **أهل السعاده :**

أهل السعادة في الدنيا والآخرة هم المؤمنون الذين استقاموا على أوامر الله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] .

وقال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

وأسعد الناس من حفظ حياته وأوقاته ، وجعلها في طاعة الله ورسوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

فمن استقام على أوامر الله بارك الله له في ماله ووقته ، وقوله وعمله : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود: ١١٢] .

ومن صلى الصلاة في وقتها بارك الله له في وقته وماله وأعماله : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] .

ومن أخر الصلاة عن وقتها ، أذهب الله البركة من عمرة : ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: ٤ – ٥] .

ومن شغل وقته بنشر الحق، ونفع الخلق، والعمل الصالح، وتعليم شرع الله ، فقد أدى زكاة وقته : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحج: ٧٧] .

ومن أدى زكاة ماله حفظ الله له ، ماله وبارك له في بقية ماله : ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾ [الروم: ٣٩] .

ومن أدى زكاة وقته حفظ الله له بقية وقته ، ومن شغل وقته بما يحبه ، وترك ما يحبه الله ، عسرت أموره ، وذهب زبدة وقته في أتفه الأمور : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة:١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

فمن ضن بوقته عن الصلاة ، أو الأمر بالمعروف ، أو النهي عن المنكر ، أو الدعوة إلى الله ، أو طلب العلم أو تعليمه ، أذهب الله البركة من وقته ، وضيعه المفرط في اللهو واللعب ، والتوسع في المباحات والشهوات ، فاستحق عقوبة الله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤- ٤٥].

ومن استقام على أوامر الله ، حفظ الله له صحته ، ومن أدى زكاة ماله حفظ الله له ماله ؛ فلا حريق ولا تلف ، ولا سرقة ولا ضياع .

قال النبي ﷺ : « احْفَظِ اللهَّ يحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَّ تجِدْهُ تجُاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فاَسْأَلِ اللهَّ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهَّ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ عَلَيْكَ ». أخرجه الترمذي وأحمد [1].

فزكاة الوقت أن تطلب فيه العلم ، وتملأه بالأعمال الصالحة ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) ، وأحمد برقم (٢٦٦٩) .

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

ومن لم يدفع زكاة وقته وماله ، أتلف الله ماله ووقته، فخسر دنياه وأخراه: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

وكل مؤمن وكافر ، وكل بر وفاجر ، ينظر في البرزخ إلى منزله في الجنة أو النار ، بكرة وعشية ، إن كان من أهل النار فمن أهل النار ، وإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، فالقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ونعيم البرزخ مبني على حسن الأعمال وشرفها وكثرتها ، وعذاب البرزخ مبني على سوء الأعمال وكثرتها، كما قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣- ١٤] .

فالنعيم لأهل الإيمان يكون في الدنيا ، وفي القبر ، وفي الجنة ، والجحيم لأهل الفجور في الدنيا ، وفي القبر ، وفي النار .

- **المنازل التي يمر بها الإنسان :**

المنازل لكل إنسان خمس :

الأول : في أصلاب الرجال .

الثاني : ثم في أرحام النساء .

الثالث : ثم في الدنيا إلى الممات ، وهي دار الإيمان والعمل .

الرابع : ثم في البرزخ إلى بعث الأموات ، وهي دار الانتظار .

الخامس : ثم في دار القرار ، في الجنة أو النار .

وسعادة الدنيا والآخرة تكون فقط بالإيمان والطاعات ، وشقاوة الدنيا والآخرة تكون فقط بالكفر والمعاصي : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨- ٣٩] .

- **والناس في الجنة اثنان :**

١- سعيد وأسعد .

٢- وسابقون وأبرار .

- **والناس في النار اثنان :**

١- شقي .

٢- وأشقى .

فالدار الآخرة هي دار الحساب والجزاء : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ

وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [هود: ١٠٣- ١٠٩].

- **أقسام الناس :**

الناس أربعة أصناف :

الأول : سعيد في الدنيا والآخرة ، وهم أهل الإيمان والتقوى .

الثاني : شقي في الدنيا والآخرة ، وهم أهل الكفر والفجور .

الثالث : سعيد في الدنيا ، شقي في الآخرة ، وهم أغنياء الكفار .

الرابع : شقي في الدنيا ، سعيد في الآخرة ، وهم أهل الفقر والبلاء من المسلمين : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة: ١ – ١٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١ – ٤٦].

٤ - الخزانة الرابعة

- **فقه السعادة والشقاوة :**

الأنبياء والرسل ، والصحابة والصالحون ، ابتلوا بنقص الحاجات ، ولكنهم فازوا ، لأنهم قائمون على المقصد ، وهو العمل بالدين ، والدعوة إلى الدين ، فإبراهيم ﷺ أمام جبروت نمرود لم يترك المقصد ، ويوسف ﷺ مع الإبتلأ لم يترك المقصد ؛ بل قام بالدعوة إلى الله لأهل السجن ، وسليمان ﷺ في الملك لم يترك المقصد ، وعيسى ﷺ في الفقر ، لم يترك المقصد ، والمقصد هو الدعوة إلى الله، والقيام بعبادة الله، ومحمد ﷺ مرت به جميع الأحوال التي مرت بالأنبياء ولم يترك المقصد: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال سبحانه عن الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال سبحانه عن الأنبياء : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فليست السعادة في جمع الأموال والأشياء والاشتغال بالأموال والمناصب ، إنما السعادة حقا في الإيمان ، والعمل الصالح .

والصحابة رضي الله عنهم تقطعت نعالهم في غزوة ذات الرقاع ، وهم يمشون وراء المقصد ، وكثير من الناس تقطعت نعالهم ، وهم يمشون وراء الحاجات : ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥٥] .

وقد غر الشيطان أكثر الخلق، فسعوا وركضوا في تكميل الشهوات، وغفلوا عن المقصد، فمن أجل تكميل الحاجات، وألعاب الأطفال ، تقطعت نعالهم ، والأنبياء والصحابة تقطعت نعالهم ، وبذلوا الأموال ، من أجل إرضاء الكبير جل جلاله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

الجنة ليست قائمة على قوانين كسب الأجور فقط ، ولكنها قائمة على القيام على المقصد الكبير ، وهو العمل بالدين ، ونشر الدين : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾ [المزمل: ١ – ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ ﴾ [المدثر:١- ٤] .

والقرآن العظيم يشيد بأهل الجنة ، لقيامهم على المقصد : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥ – ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٧] .

- **أقسام الناس في الأعمال :**

الناس اثنان :

الأول : من كانت الحاجات عنده غالية جدا ، والمقصد رخيص مهمل ضائع ، فهو يأخذ من الدين ما يناسبه ، ويترك ما شاء ، فهذا من أخسر الناس : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١-٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٢٩] .

الثاني : من كانت حاجاته قليلة أو شبه معدومة ، ومقصده عال وقائم ، فهذا من أسعد الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر: ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

فالمقصد هو عبادة الله ﷻ ، والدعوة إليه ، والحاجات يعطيها الله ﷻ لمن يحب ، ومن لا يحب : ﴿ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص: ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

فالسعادة فقط بالإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له ، والدعوة إليه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

والناس في هذه الدنيا الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، والصحيح والمريض ، والذكر والأنثى ، يستطيع أن يقوم بالمقصد ، وهو عبادة الله ﷻ ، والدعوة إليه ، ولكن لا يستطيع كل أحد أن يكمل حاجاته وشهواته في هذه الدنيا ، لأن تكميل الإيمان والأعمال الصالحة مطلوب من العبد في الدنيا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٧ – ٧٨] .

أما تكميل الشهوات والحاجات فقد وعد الله به المؤمنين في الآخرة : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

فقضاء حاجات الجسد ليست مقصود الحياة ، بل مقصود الحياة تكميل الإيمان ، والأعمال الصالحة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣ – ١٣٤] .

لهذا أكمل الله مقصد الأنبياء ، وابتلاهم بالحاجات ، كما حصل لأيوب مرض وفقر ، وليوسف غربة وسجن ، ومحمد فقر وسخرية ، وأذى وتخويف ، والله يأمره بالصبر حتى يظهر الله دينه : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم: ٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

فبيوت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والصحابة رضي الله عنهم ، فرغها الله من الحاجات ؛ ولكن ملأها بالإيمان ، والأعمال الصالحة .

والله سبحانه منَّ علينا بإكمال ديننا الذي هو المقصد في هذه الحياة الدنيا : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

وقد ذم الله من أخذ بعض الدين ، وترك البعض ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

والله سبحانه فرغ بيوت أزواج النبي ﷺ ، لتكميل المقصد ، وفرغ أرحامهن من الحمل ، ليتفرغن لتعليم المقصد ، والقيام عليه فقال : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وقال سبحانه عن أمهات المؤمنين : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] .

فكل قول أو عمل ، أو خلق أو أدب ، يرضي الله ، فهو مقصد يحبه الله ، وقد غر الشيطان أكثر الناس اليوم فحبسوا مقاصدهم في مساجدهم فقط ، وسارعوا لقضاء حاجاتهم ، والتفكر فيها ، وتحصيلها في كل مكان : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

ولما غفل أكثر المسلمين عن المقصد جاء في حياتهم أمران :

١- جمع الأموال كاليهود .

٢- الاهتمام بتكميل الشهوات كالنصارى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

ونتج عن ذلك أمران عظيمان خطيران :

أحدهما : امتلأت بيوتهم بالأموال والأشياء التي صدتهم عن مقصد حياتهم وهو عبادة الله ﷻ ، والدعوة إليه .

الثاني : خلت بيوتهم من الإيمان والأعمال الصالحة إلا ما شاء الله ، فجاءهم العذاب من جهتين : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٧] .

أما بيوت الصحابة من المهاجرين والأنصار ، فقد امتلأت بالإيمان ، والأعمال الصالحة وخلت من الأموال من كثير من الأشياء التي تشغلهم عن المقصد الأعظم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

لهذا الله ﷻ جعل هذه الأمة خير أمة أخرت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، فهو سبحانه لم يحرضنا على القيام بالحاجات ، وإنما حرضنا على القيام بالمقصد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال الله عز وجل : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

٥- الخزانة الخامسة

- **فقه الحاجة والمقصد :**

أسعد الناس في الدنيا من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرف عظمة ملكه وسلطانه ، وعرف عظمة نعمه وإحسانه ، وعرف عظمة دينه وشرعه ، ووعده ووعيده ، ثم عبد الله بموجب ذلك ، وقام بالعبادة والدعوة .

فهذا قد دخل جنة المعرفة في الدنيا ، وسوف يدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢ – ٤] .

فإذا قمنا على المقصد القيام الصحيح عبادة لله وحده ، ودعوة إليه ، وأقمنا غيرنا عليه ، تراجعت حاجات الإنسان إلى الخلف ، وكفاه منها القليل ، ثم كانت كل الحاجات في خدمة المقصد ، يصرفها في طاعة الله ، ثم صار الحصول عليها عبادة لله ﷻ يؤجر عليها العبد : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] .

فهذه الحاجات من كسب ولباس ونكاح ، وبيع وشراء لما كانت على حسب أمر الله وعلى سنة رسوله ﷺ ، كانت عبادة لله ﷻ .

وإذا قمنا بتكميل حاجاتنا ، ونسينا المقصد ؛ زادت الحاجات ، ونزلت بنا العقوبات : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤ – ٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم: ٥٩] .

وأعظم مظهر من مظاهر العبودية لله ، هو جهد الدعوة إلى لله ، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بأن يذكر من سبقه من الأنبياء والرسل ، ويعرف جهدهم في الدعوة إلى الله ، ليقوم بالجهد مثلهم ، فقال لرسوله ﷺ : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم: ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [مريم: ٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾ [مريم: ٥٤] .

إذكر جهدهم في الدعوة إلى الله ، وإذكر أخلاقهم وصبرهم ، حتى بلغوا أممهم الحق .

فذكر حياة الأنبياء تذكر بجهدهم في الدعوة إلى الله ، وذكر حياة الحكام تجعل الإنسان يتعلق بالمناصب ، وذكر حياة الأغنياء تجعل الإنسان يتعلق بالشهوات والأموال .

والله سبحانه مقصود ، والجنة موعوه ، فالله سبحانه مقصود كما قال سبحانه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم: ٨٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

والجنة موعود، كما قال سبحانه :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

والموعود على جهد الدعوة أمران :

الموعود الكبير : الجنة ..

والموعود الصغير : النصر .

والدنيا دار التربية ، وإذا تأخر الموعود الصغير فللتربية ، أما إذا حرمنا الموعود الكبير ، فذلك خسران كبير : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] .

وانتصار المشركين مع شركهم تسليط واستدراج من الله ﷻ ، ونصر إسرائيل الآن استدراج ، لأنهم ليسوا أمة رسالة ، وإنما سلطهم الله علينا بسبب ذنوبنا كما سلط الله فرعون على بني إسرائيل بسبب ذنوبهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القلم: ٤٤] .

وهزيمة المسلمين ، ورفع النصر عنهم في غزوة أحد ، تربية من الله لهذه الأمة إلى يوم القيامة وذلك بسبب معصية الرماة ، رفع الله النصر عنهم : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢] .

فنصرهم الله في البداية ، ثم رفع الله النصر عنهم لما جاءت من بعضهم المعصية ففي غزوة بدر نصر الله المؤمنين، وأظهر قوة لا إله إلا الله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] .

وفي غزو أحد أظهر الله قوة محمد ﷺ ، فلو نصرهم مع معصيتهم لرسول الله لم يبالوا بالمعاصي ، فخالفوا أمره ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

وعبادة الله ، والدعوة إلى الله ، مفتاح يفتح كل السبل ، والنصر ربما يتأخر للتربية ، ولكن معية الله تكون مع الداعي في كل لحظة ، وهي التأييد والحفاظة ، والثبات والطمأنينة ، فالمعية أهم من النصرة ، لأن النصرة فيها حظ النفس ، فالنصرة تعطى للكفار استدراجا ، وتعطى للمسلمين تربية وإكراما ، ولكن المعية تعطى للخواص فقط : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣] .

والنصرة قد تكون فتنة واستدراجا ، وهي لعلو دنياك على عدوك ، لكن المعية تكون لعلو دينك ، ففي أحد نصر الله المؤمنين في البداية ، ولكن بعضهم فتن بالنصر فانهزموا، وفي حنين البعض ركن للعدد والعدة والكثرة، فانهزموا، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥] .

ثم لما تابوا نصرهم الله ﷻ كما قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التوبة: ٢٦ – ٢٧] .

فالنصر موعود صغير ينتهي ، لأنه في الدنيا ، وأما الموعود الكبير فهو الجنة بعد الموت ، ورضوان الله ﷻ ، وهو أبدي لا ينتهي : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد: ٣٥] .

والموعود الصغير ينتهي ، وقد تفتن به الأمة : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الجن: ١٦ – ١٧] .

فالموعود الصغير تفتن به ، والموعود الكبير تكرم به ، والمقصد من العبادة والدعوة يحبه الله ، والموعود نحبه نحن ، فإذا أقمنا أنفسنا على ما يحبه الله من الإيمان والعبادة والدعوة ، أعطانا الله ما نحب من النصر والتمكين : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ [محمد: ١٥] .

وطلب الحاجات مهم ، ولكن نأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة ، فالقيام على المقصد أهم وأولى وأكبر وأعظم، كما قال

سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤ – ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

ففي طلب الحاجات قال الله ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] .

وفي طلب المقصد يقول الله ﷻ : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة:٣٨- ٣٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وإذا كانت الحاجات في خدمة المقصد تكون دينا وعبادة ، وإذا كان المقصد في خدمة الحاجات أخذ حكم الحاجة ، فكان دنيا لا دينا ، والله ﷻ وعدنا بقضاء الحاجات ، وما وعد بقضاء الشهوات في الدنيا، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦- ٥٨] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا لَا تمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ». أخرجه إبن ماجة [1].

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجة برقم (٢١٤٤) .

٦ - الخزانة السادسة

- **فقه السعادة والشقاوة :**

أسعد الناس في الدنيا والأخرة من آمن بالله ، واستقام على أوامره ، وصدق الأخبار ، وامتثل لأوامره ، واجتنب النواهي : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٢ – ١١٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ومن عرف مقصوده قدم له كل مجهوده، فمن عرف الله عبده كما أمره: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦] .

ودعا الناس إلى عبادة ربه : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٢] .

والاهتمام بإصلاح أحوال الناس مهم ، والاهتمام بإصلاح أعمالهم أهم ، فالمرأة البغي من بني إسرائيل التي سقت الكلب من شدة العطش ، غفر الله لها ، لأنها أصلحت حاله ، فالذي يجتهد لإصلاح أحوال البشرية ، أعظم أجرا إذا صدق في نيته : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ

وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

فالأنبياء والرسل ، والدعاة إلى الله ، هم أعظم الناس أجورا ، لأنهم يهتمون بإصلاح قلوبهم وجوارحهم ، وإصلاح قلوب وجوارح غيرهم من الناس : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وقال النبي ﷺ : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ » . متفق عليه[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢١٠) وللفظ له، ومسلم برقم: (٢٤٠٦).

والمحسن إلى الناس بقضاء حاجاتهم ينعكس أثر جهده على من أحسن إليه وأهله ، فتصلح أحوالهم المادية ، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢] .

أما الداعي إلى الله أول ثمار جهده ينعكس عليه نفسه وأهله بصلاح أعمالهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦] .

وفكر المحسن بالأموال محلي ، قلما يخرج عن بلده ، أما الداعي إلى الله ففكره عالمي ، يخرج إلى البشرية كلها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

والأحوال المخالفة تقوي شخصية الداعي إلى الله وتربيه ، أما العابد فقط فقد يفتن بالأحوال المخالفة ، والمعلم، والمفتي، والغني ، وصاحب الجاه، يقوم منصبه على أساس الشهرة ، أما الداعي فلا يأخذ بدعوته شهرة ، بل قد يؤذي ويطرد .

والنبي ﷺ قام بدعوته لإصلاح الأعمال ، ثم أنزل الله بعدها الأوامر ، لإصلاح الأحوال ، فصلحت الأعمال والأحوال معاً : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

فالداعي إلى الله هو أسعد الناس ، لأنه أول من يستفيد من دعوته ، فتكمل أقواله وأفعاله وأخلاقه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

أما الأنبياء والرسل فالله اجتباهم ورباهم، ثم كلفهم وأرسلهم للدعوة إلى الله بين الناس: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وحياة الأنبياء والمرسلين كلها مضيئة بالأنوار الإلهية ، ولكنهم يختلفون في الإضاءة مثل الشمس والقمر ، والنجوم والكواكب : ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

والأصل في الدين حياة الأنبياء والمرسلين ، فكل إنسان تربى على الحق لا يتأثر بالباطل أبداً ، فالله تعلى ربى موسى ﷺ في بيئة فرعون الفاسدة ، وربى امرأة فرعون في حجر فرعون الظالم ، فسبحان من ربى أولياءه في قصور أعدائه : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة:١٠٦- ١٠٧] .

والله خلق الإنسان ، فاليهودي والمسلم ذوات، لكن اليهودية صفات ، والحنيفية صفات ، فاليهودية صفات ذميمة قبيحة ، وقد يموت اليهود ، وتبقى اليهودية بصفاتها القبيحة في العالم ، واليهودية تفسد القلب ، سواء كانت بتل أبيب ، أو مكة ، أو في بيوتنا ، أو في ذواتنا ، كما قال الله عن اليهود : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ

ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ٩٣] .

وقال سبحانه عنهم : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [النساء:١٥٥-١٦١] .

وقال عنهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤] .

فالسعادة أن يحقق الله لك ما تحبه بالإيمان والأعمال الصالحة ، والسعادة لذات مستمرة لا يفصل بينها لحظة ألم واحدة : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٥ – ٥٨] .

والشقاء أن يتعب الإنسان ويشقى بالكفر والمعاصي التي اختار ، والشقاء عذاب مستمر ، وألم مستمر ، لا يفصل بينهما لحظة واحدة : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [غافر:٤٩-٥٠] .

والدنيا خليط من هذا وهذا ، والخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [التغابن: ٢] .

والعبودية لله أقوالا وأفعالا ، قلبا وقالبا ، هي أساس سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

والشهوات حاجة ، والهداية إلى الصراط المستقيم مقصد ، والمقصد هو ما أشغل القلب والجوارح في كل وقت بأعمال الهداية ، ونشر الهداية : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فالمقصد العظيم من حياة الإنسان : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦ – ٥٨] .

والحاجات : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

فنأخذ من الدنيا بقدر الحاجة ، ونعطي للدين بقدر الطاقة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فكل كلمة ترضي الله فهي مقصد ، وكل عمل يرضي الله فهو مقصد ، وكل خلق يرضي الله فهو مقصد ، وكل فكر يرضي الله فهو مقصد ، والقيام على المقصد هو أن تتفاعل مشاعر المسلم مع كل ما يحبه الله ويرضاه فيفعله ، ثم يبلغه للناس ولكل البشرية : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

المقصد أن تعبد الله ، وتُعَبِد الناس لرب العالمين ، أن تركع لله وتسجد ، وتأمر الناس وتدعوهم إلى الله ، ليركعوا ويسجدوا لله وحده : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج:٧٧- ٧٨] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

فالدين شيء ، وتوسع الدين شيء آخر ، فالدين امتثال أوامر الله في كل حال ، وتوسيع الدين إيصاله للخلق ، وبذل النفس والمال والوقت في سبيل نشره : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ [الحجرات: ١٥] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥٤-خزائن الحياة والموت

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٥٤-خزائن الحياة والموت

١- الخزانة الأولى

- **فقه اسم الله الحي القيوم :**

الله ﷻ هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، هو الحي الذي حياته كاملة ليست مسبوقة بعدم ، ولا يلحقها زوال ، ولا يعتريها نقص أو عيب .

هو الحي بصفات الكمال ، فله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وقد وصف سبحانه نفسه بالحي القيوم في أعظم آية في كتاب الله ، وهي آية الكرسي، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

فهو الحي بجميع صفات الكمال، هو الحي الذي تستلزم حياته جميع صفات الكمال، من السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والكرم، والرحمة، والإرادة، والمشيئة، وغير ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

هو الحي القيوم بذاته ، وكل حي سواه فهو حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له بالحياة ، فإذا قطع عنه الحياة صار جثة هامدة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر:٦٨] .

هو الحي القيوم الذي لا يموت أبدًا ، الذي خلق الحياة والموت : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك:١-٢] .

هو الحي الذي ليس لحياته موت ولا فناء ولا زوال ، هو الحي الذي عنده خزائن الحياة والأحياء ، هو الحي الذي وهب الحياة لكل حي من جماد أو نبات أو حيوان أو إنسان أو جن أو ملك .

هو الحي : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

فسبحان دائم الحياة ، دائم البقاء، دائم الملك، دائم العزة : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر:٦٥].

أما الإنسان وغيره من الأحياء ، فلابد أن يموت إظهارًا للحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت وإعلامًا بالحي الذي يملك الحياة والموت : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ ﴾ [النجم:٤٢-٤٤] .

وحياة الإنسان دائمة ، والموت معبر لانتقال هذا الحي من دار إلى دار ، من بطن الأم إلى بطن الدنيا ، ومن بطن الدنيا إلى بطن القبر ، ومن بطن القبر إلى بطن الدار الآخرة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ۝٦٦ ﴾ [الحج:٦٦] .

هو سبحانه الحي الذي لا إله إلا هو ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، هو الحي الذي يهب الحياة لكل حي ، خالق الحياة في كل

شيء من مخلوقاته ، الحي الذي أعطى كل مخلوق حياة تخصه : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[الملك:١-٢] .

فسبحان من أجرى أمره بالحياة والموت على جميع مخلوقاته ، وتفرد بالحياة التي لم يسبقها عدم ، ولا يلحقها زوال ، هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، هو الحي الذي يحيي الخلق من العدم ، ويحيي الخلق بعد الموت ، ويحيي القلوب بالمعرفة والاتصال به : ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾[الحديد:٢] .

واعلم أن كل إنسان حي الذات ، ميت الصفات ، فإذا آمن بالله أحيا الله قلبه بالإيمان، وأحيا روحه بالأخلاق الحسنة، وأحيا جوارحه بالأعمال الصالحة ، فالمؤمن حي القلب، إذا ذكر ربه وقرأ القرآن دمعت عينه ، واقشعر جلده، يحب ربه، ويعظم مولاه ، ويسبح بحمده ، ويدعوه ويذكره ، ويطيعه ويعبده : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾[الأنعام:١٢٢] .

فسبحان الحي القيوم الذي كل شيء ، وكل حي ، وكل ميت ، وكل ما في عالم الغيب والشهادة، عبد له ، يسبح بحمده ، ويشهد بوحدانيته ، ويخضع لأمره ، ويستجيب لمشيئته ، ويسرع لإرادته : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾[الإسراء:٤٣- ٤٤] .

هو الملك الحي القادر الذي أحيا كل شيء بسرّه الذي لم يطّلع عليه أحد من خلقه ، أحيا عالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان ، وعالم الملائكة ، وعالم الجن ، وعالم الطيور ، وعالم الأسماك ، وعالم الذرّات : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[البقرة:١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون:٨٠] .

هو الحي الذي له الأسماءُ الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى هو الله وحدهُ لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

هو الحي الذي أحيا العوالم العظيمة ، العالم العلوي ، والعالم السفلي ، في الدنيا وفي الآخرة ، بسرهِ ، وعم جميع المخلوقات بوافر برهِ ، فكل مخلوقٌ ، يسكن في ملكهِ ، ويستطعم من رزقهِ ، ويسبح بحمدهِ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢- ٦٣] .

ومن هذا شأنه، وهذه أسماؤه، وهذه صفاته وهذه أفعاله، هو الرب الذي يستحق أن يُطاع ويعبد، ويركع له ويسجد، ويذكر ويحمد : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

أما الحي الذي يموت، أو الميت، أو الجماد، فكل هؤلاء وجميع المخلوقات لا يستحقون شيئًا من العبادة؛ لأنهم من العبيد الفقراء الذين لم يكونوا شيئًا حتى خلقهم الله، وكلهم عبيده، وتحت قهرهِ وسلطانه، شاهدون بوحدانيته، ومسبحون بحمده، وخاضعون لمشيئتهِ، ومسرعون إلى إرادته، فكلهم فقراء إليه سبحانه: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[النحل:١٧-٢١] .

بل المستحق للعبادة وحدهُ لا شريك له هو الحي الذي لا يموت ، العليم بكل شيء ، الذي وهب الحياة لكل حي : ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ [الفرقان:٨] .

فسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة في كل حي فصار حيًا ، الحي الذي يملك خزائن الحياة والأحياء ، الحي الذي يحُي ما شاء بما شاء ، أحيا الأرض بالنبات وأحيا الأجساد بالأرواح ، وأحيا القلوب بالإيمان : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[يس:١٢] .

والحي القيوم من أعظم أسماء الله الحسنى ، وعليهما مدار جميع الأسماء الحسنى ، وجميع صفات الله راجعةٌ إليهما ، ويرجى أن يكونا هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دُعي به أجاب .

فالحي جامعُ لصفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة وغيرها، والقيوم جامع لصفات الأفعال كالخلق والرزق، والإحياء والإماتة،

والتصريف والتدبير، والعفو والرحمة وغيرها : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

فسبحان الحي القيوم بنفسهِ ، المقيم لخلقه خلقًا ورزقًا وتدبيرًا ، وسبحان الحي القيوم الذي خلق الحياة والأحياء ، الذي يحي ويميت ، الذي خلق كل شيء ، وأحكم صنع كل شيء ، وأحاط علمهُ وقدرته بكل شيء : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر:٦٢- ٦٣] .

هو سبحانه الحي القيوم الذي يحيي كل ميت ، ويميت كل حي ، فليس يميت الحي قاتلهُ ، ولا يحي الحي تاركهُ ، بل الله وحده الذي يحي ويميت ؛ لأنه وحده الذي يملك الحياة والموت، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ٤٣ ﴾[ق:٤٣] .

وهو سبحانه الحي الذي خلق الحياة في كل حي ، وخلق الموت في كل ميت : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦ ﴾[التوبة:١١٦] .

فسبحان الحي القيوم الذي يحي الأرض بالنبات ، ويحي الحيون بالأرواح ، ويحي القلوب بالإيمان ، ويحي الجوارح بالأعمال الصالحة : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾[الروم:٥٠]

وسبحان الحي القيوم الذي قهر عباده أبرارًا ، أو فجارًا ، بالموت : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[النساء:٧٨] .

واعلم أن الذي يملك الحياة ، هو الذي يملك الموت وحده لا شريك له : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨ ﴾ [غافر:٦٨] .

فالله يحي ويميت ، ليعلم الناس أن الله وحده هو القادر على التصرف بالإحياء والإماتة متى شاء ، والله وحده الذي يحي ويميت ، وهو الذي خلق الموت والحياة ، وقد وكل قبض الأرواح إلى ملك الموت كما قال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ﴾ [السجدة:٦-٧] .

فاشكر الحي القيوم على إحسانه ، واحمده على هدايته ، ولولا ذلك لكنت من الأموات الخاسرين : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

وألزم باب العبودية للحي القيوم ، فإنه يراك ويسمعك ، ولا تمل فتقعد عن العمل ، فُتحرم مما تحب ، فالطالب إذا عرف قدر ما يطلب هان عليه قدر ما يبذل فيه : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [الروم:٣٠] .

٢- الخزانة الثانية

- **فقه الحياة والموت :**

الموتُ حق آتٍ على كل مخلوق حي من نباتٍ أو حيوانٍ أو إنسان أو غيرهم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر:٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران:١٨٥].

وقال الله تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[القصص: ٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] .

والموت حاصلٌ لكل مخلوقٍ حي ، فالموت إما أن يطلبك ، أو يلاقيك ، فالموت يطلب كل إنسان في أي مكان أو زمانٍ أو حال ، فلا نجاة منه، كما قال سبحانه : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء:٧٨] .

والموت يلاقيك ، ويلاحقك ، فلا فرار منه، وهذا أشدُ وأبلغ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة: ٨] .

فلا نجاة لأحدٍ من الموت أبدا، فالموت إما أن يطلبك فيدركك، وإما أن يقابلك فيظفر بك:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٧]

فإذا نزل وباءُ في أرضٍ فلا تقدم عليها ، وإذا وقع وأنت فيها فلا تخرج منها فرارًا منه ، ولو خرجت فرارًا منه فلن تفر من قدر الله ﷻ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[البقرة:٢٤٣]

فهؤلاء خرجوا فرارًا من الموت لما نزل بهم الوباء ، فأماتهم الله ﷻ ، ثم أحياهم ، ليعلموا أنه لا فرار من قدر الله ، فلا يقدم الإنسان على أرضٍ فيها وباء ، لئلا يلقي بنفسه إلى التهلكة .

والوباء كل مرض فتاك ينتشر بين الناس بسرعة : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[البقرة:١٩٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء:٢٩] .

والإحياء والإماتة بيد الواحد الأحد جل جلاله ، هو وحده الذي يحي ويميت : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [غافر: ٦٨] .

والله ﷻ **يميت عبادهُ مرتين ، ويحيهم مرتين .**

الإماتة الأولى: هي كونهم نطفًا وعلقًا ومضغًا .

والإماتة الثانية : هي موتهم عند انقضاء آجالهم في الدنيا .

والإحياء الأول : نفخ الروح فيهم ، وإخراجهم أحياء من بطون أمهاتهم : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨] .

والإحياء الثاني : بعثهم من قبورهم أحياء يوم القيامة : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾ [التغابن:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ ﴾[البقرة:٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢ ﴾[غافر:١٠-١٢] .

والموتُ من دون أسبابٍ هو السبب .

فالموت لا زمان له ، ولا مكان ، ولا حال ؛ لأنه مترقب في كل لحظة من دون سبب ، وهذا أوضح بيانٍ له ليستعد الإنسان له ، فأبهمه الله ، وأظهرهُ إظهارًا لا يخفى على أحد ، ليكون الإنسانُ مستعدًا للموت في كل لحظة : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١ ﴾[المنافقون:١١]

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان: ٣٤] .

فالإنسان إذا مات إنما مات ؛ لأنه في الأصل يحيا ثم يموت : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٧]

فالنفوسُ كلها بيد الله وحده : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٦] .

وملك الموت لا يقدر على قبضِ روح أحد إلا بإذن الله ومشيئته وأمره ، فلا يقع في مُلك الله شيءُ إلا بإذنهِ وعلمهِ : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك:١-٢] .

فأولًا : أسند الله سبحانه التوفي إلى نفسهِ:

لأنه لا يموت أحدُ إلا بإذنه، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر:٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[آل عمران:١٤٥].

ثانيًا : وأسند الله الموت لملك الموت :

لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: ١١].

ثالثًا : وأسندهُ سبحانه للملائكة:

لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاستهِ ، ينزعون الروح ، ثم يقبضها ملك الموت منهم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[النساء:٩٧-٩٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾[الأنفال: ٥٠-٥١] .

حكم تمني الموت :

أما حكم تمني الموت فلا يجوز للإنسان أن يتمنى الموت لضرٍ نزل به ، فربما يكون الموت شرًا عليه ، وربما إذا بقي يتوب ويرجعُ إلى الله ، فتمني الموت يدلُ على ضجر صاحبه ، وعدم صبره على قضاء الله ، والأحسن أن يكل أمرهُ إلى الله الذي هو أرحم بالإنسانِ من نفسه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحديد: ٢٢ -٢٣] .

وعن أنس ابن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلًا ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي » . متفق عليه(١) .

وأما تمني الموت على صفةٍ يرضاها الله ﷻ ، فهذا جائز ، كأن يتمنى أن يتوفاه الله على الإسلامِ والإيمانِ والإخلاص وهو راضٍ عنه، كما قال سبحانه عن يوسف ﷺ : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف:١٠١] .

والفرق بين المتوفِي والمتوفيَ ، أن المتوفىَ اسم مفعول ، وهو الذي توفاه الله ﷻ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ ﴾[الزمر:٤٢] .

وأما المتوفِي فهو اسم فاعل ، وهو الإنسان الذي استوفى رزقهُ وأجلهُ وأنفاسه ، ويطلق على الميت اسم المفعول المتوفىَ ، ويجوز إطلاق اسم الفاعل المتوفيَ ، والأول أصح وأشهر .

فهنيئًا لمن مات على التوحيد والإيمان والاستقامة بالجنةٍ ورضوان رب العالمين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠/ ٢٦٨٠).

والموعود الكبير هو الجنة، والموعود الأكبر هو رضوان الله ورؤيتهُ، والموعود الصغير في الدنيا هو النصرُ، كما قال سبحانه:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصف:١٠-١٣] .

٣- الخزانة الثالثة

• **أنواع الموت :**

الموت خمسة أنواعٍ هي :

الأول : انعدامُ القوة النامية في النبات والحيوانِ والإنسان، كما قال سبحانه : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ ﴾ [الحديد:١٧] .

الثاني : زوال القوة الحساسة في الحي ، بحيث لا يحسُ بأحد، كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

الثالث : زوال القوة العاقلة في الإنسان ، فقد كان جاهلًا مغفلًا ، فأحياه الله بنور الإيمان ، كما قال سبحانه : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

الرابع : انعدام السعادة، وحصول الشقاوة بالحزنِ والكدرِ، والألم والضيق، فهي حياةٌ مثل الموت، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ ﴾ [إبراهيم:١٥-١٧] .

الخامس : النوم ، فالنوم موتٌ خفيف، والموت نومٌ ثقيل، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الزمر:٤٢] .

وما بعد الموت من الحسابِ والجزاء ، والربحِ والخسران ، ما هو أعظم من الموت ، فقد وعد الله المؤمنين والمؤمنات على الإيمانِ والعمل الصالح بالموعود الكبير ، وهو الجنة ، والموعود الأكبر ، وهو رضوان الله ، ورؤيتهُ ، وسماع كلامه ، كما قال سبحانه :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس:٥٨] .

وبالموعود الأصغر هو النصر في الدنيا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[الصف:١٠-١٣] .

وتوعد الله الكفار والمشركين والمنافقين بالعذاب الأليم في النار، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

فالمقصود الأعظم ، وهو إعلاء كلمة الله ، وعبادة الله يحبه الله ، أما الموعود الكبير والأكبر والصغير فنحبه نحن ، وإذا قمنا بالمقصود الأعظم الذي يحبه الله من الإيمان والتقوى ، وإبلاغ دين الله للناس فالله يعطينا ما نحبه في الدنيا والآخرة : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[يونس:٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

ولا يعلمُ بمكان وزمانِ موت الإنسان إلا الله وحده لا شريك له ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان: ٣٤] .

- **فقه الموت :**

يجب على المسلم أن يتذكر دائمًا الموت، لا على أنه فراقٌ للأهل والأحباب ولذات الدنيا، فهذه نظرةٌ قاصرة، بل على أن الموت فيه فراقٌ للعمل والحرث للآخرة، وبهذا يستعد الإنسان ، ويزيد في عمل الآخرة، والإقبالِ على الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣ – ١٣٦] .

أما النظرة الأولى فتزيد الإنسان حسرةً وندمًا وألمًا .

وإذا أراد الله قبض عبدٍ بأرضٍ جعل له فيها حاجة ، ويجب على المسلم أن يحُسن الظن بالله تعالى عند الموت لقوله ﷺ : « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يحُسِنُ الظَّنَّ بِالله عَزَّ وَجَلَّ » . أخرجه مسلم(١) .

والموت هو تغير حال الإنسان ، وانتقالهُ من دارٍ إلى دار ، ومن حالٍ إلى حال ، والروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة ، أو منعمة ، ومفارقتها للجسد معناه خروج الجسد عن طاعتها ، وسكونه عن الحركة بفقدها ، فإن الأعضاء والجوارح آلات للروحِ تستعملها .

والروح بنفسها تعلم الأشياء من غير إعلام ، ولذلك قد يتألم الإنسان بنفسه بأنواع الغم والحزن والكمد ، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور ، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

فكل ما هو وصفٌ للروح بنفسها ، فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء ، يتعطل بموت الجسد ، إلى أن تعاد الروح إلى الجسد عند البعث ، وكل أعضاء الإنسان آلاتٌ ، والروح ، مستعملةٌ لها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها على الروح ، والإنسان في الحقيقة هو

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٢/ ٢٨٧٧).

الروح المدرك للعلومِ والآلام واللذات ، وذلك لا يموت ولا ينعدم ، ومعنى الموت انقطاع تصرفهِ عن البدن ، وخروج البدن من أن يكون آلة له ، فحقيقةُ الإنسان نفسهُ وروحهُ وهي باقية .

والموت أشد ما يحاول الإنسان أن يروغ منه أو يبعد ، أو يبعد شبحه عن خاطره ، ولكن أنى له ذلك ، والموت طالبُ لا يمل الطلب ، ولا ببطيء الخُطى ، ولا يخلف الميعاد :﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨] .

والنفس البشرية ترى الحق كاملًا وهي في سكرات الموت، تراه بلا حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل ، وما كانت تجحد ، ولكن بعد فوات الأوان ، حين لا تُقبل توبة ، ولا ينفع إيمان : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[ق:١٩] .

والمؤمن يُكشف له بعد الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كسجن ضيق ، كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستانٍ عظيم واسع الأكناف ، لا يبلغ طرفهُ أقصاه : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[ق: ٢٢] .

ونسبة سعة الآخرة إلى الدنيا ، كنسبة سعة الدنيا إلى الرحم وأعظم : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[العنكبوت:٦٤] .

- **أقسام الناس في الدنيا :**

الناس في هذه الدنيا ثلاثة :

إما منهمك في الدنيا .

وإما تائبٌ مبتدئ .

وإما عارف منتهي .

فالغافل المنهمك في الدنيا لا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ، ويشتغل بمذمته ، وإن ذكر به كرهه ونفر منه .

فهذا يزيده ذكر الموتِ من الله بعدًا ، لجهله وسوء عمله .

قال النبي ﷺ : « أَكْثِرُوا ذِكْرِ هاذم اللذات ». أخرجه الترمذي وابن ماجة[1] .

وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت ، فينبعث من قلبه الخوف والخشية ، فيفي بتمام التوبة ، وربما يكره الموت خوفًا من الموت قبل التوبة ، وإصلاح الذات ، فهذا معذور في كراهة الموت ؛ لأنه ليس يكره الموت ، ولقاء الله ، وإنما يخافُ فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره ، كالذي يتأخر على لقاء الحبيب مشتغلًا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه ، فلا يعد كارهًا للقائه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا شغل له سواه : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١٠-١١]

---

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٠٧) ، وابن ماجة برقم: (٤٢٥٨) .

وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما؛ لأنه موعد لقائه لحبيبه ، والحبيب لا ينسى قط موعد لقاء حبيبه ، فهو مستعد كل وقت في كمال زينته بإيمانهِ وتقواه وطاعته للقاء محبوبه، وهذا غالبًا إما أن يكره الموت، ليكمل استعداداته وزينته للقاء ربه، وإما أن يستبطئ مجيء الموت ، ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل إلى جوار رب العالمين : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم:٨٥] .

فالموت هادم اللذات ، وخطره عظيم ، وما بعده أفظع منه ، وغفلة الناسِ عنه بسبب قلة ذكرهم له ، وقلة فكرهم فيه ، ومن يذكرهُ من الناس لا يذكره بقلبٍ فارغ ، بل يذكره بقلب مشغول بشهوات الدنيا وزينتها ، فلا ينُجع ذكر الموتِ في قلبه ، فالطريق النافع أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه ، وأقرب من شراك نعله إليه ، فإذا باشر ذكر الموت قلبه ، فيوشك أن يؤثر فيه : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦] .

وأنجعُ طريقُ فيه أن يُكثر الإنسان من ذكر أقرانه الذين ماتوا قبله ، فيتذكر صورهم في مناصبهم، وقصورهم، وأحوالهم ، ثم يتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب.

وكيف محا التراب الآن حُسن صورهم ؟ وكيف تقطعت أوصالهم في قبورهم ؟

وكيف خرست ألسنتهم ، وصمت آذانهم ، وعميت أبصارهم ؟ وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أطفالهم ، وقسمت أموالهم ؟ وكيف خلت منهم دورهم ومساجدهم ومجالسهم ؟

وماذا قالوا ؟ وماذا قيل لهم ؟ وماذا عملوا ؟ وماذا وجدوا ؟

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦] .

فما أعظم الخطب ، وما أشد الكرب هناك ، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم :﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج:١- ٢] .

٤ - الخزانة الرابعة

- **أسباب طول الأمل :**

طول الأملِ في الدنيا داءٌ وبلاء وشقاء ، وسببهُ أمران :

أحدهما : الجهل .

الثاني : حب الدنيا .

فأما الجهل فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه وصحته ، فيستبعد قرب الموت مع الشباب ، وليس يعلم أن الموت في الشباب أكثر ، وقد يستبعد الموت لصحته ، ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أن ذلك غير بعيد ، وإن كان بعيدًا فالمرض فجأة غيرٌ بعيد .

والموت يطلب الإنسان كما يطلبه رزقه كما قال النبي ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ » .

أخرجه ابن ماجة ، وابن حبان[1] .

وأما حب الدنيا ، فإنه إذا أنس بها وبشهواتها، ولذاتها ، وعلائقها ، وضيعاتها ، وأرباحها ، ومكاسبها، ثقل على قلبهِ مفارقتها ، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ، ومكدر أُنسها ونعيمها، وكل من كره شيئًا دفعهُ عن نفسه .

والإنسان مشغوفٌ بحب الدنيا ، والأماني الباطلة، فلا يزال يلهو ويلعب، ويبني ويهدم، ويجمع ويفرق، ويسعى لتكميل الشهوات واللذات، ويسوف ويؤخر التوبة، ويظل عاكفًا على عمارة ما أُمر بالتقليل منه ، والإعراض عنه ،

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم:(٢١٤٤) ، وابن حبان برقم: (٣٢٣٩) .

وعلى تخريب ما أمر بتعميره ، والاستكثار منه ، وما يلزم لها من الإيمان والطاعات ، ولا يزال كذلك حتى تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه ، فتطول عند ذلك حسرتهُ ، وتتحقق خسارته : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[الكهف:١٠٣- ١٠٥] .

فما أعظم خسارة هؤلاء : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[الأعراف:٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وإذا عرفنا سبب كراهية الموت ، وأنه الجهل، وحب الدنيا، فلابد للسلامة والنجاة مما بعد الموت من معرفة العلاج، والشروع في التداوي قبل حلول الأجل .

أما الجهل فيُدفع بالفكر والتأمل، وبسماع الحكمة من القلوب الزاكية الطاهرة ، وبذلك يعلم العبد أن عمله الصالح في الدنيا لابد له من جزاءٍ وثوابٍ في الآخرة، ولا يتم ذلك إلا بعد الموت، فالموت باب النعيم للمتقين ، وباب الشقاء للمجرمين :﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الروم:١٢- ١٦] .

وأما حب الدنيا فهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجهُ ، فإخراجه من القلب شديد ، ولا علاج له إلا بالإيمان بالله ، واليوم الآخر ، وما فيه من عظيم العقاب لمن عصى الله ، وجزيل الثواب لمن أطاعه ، ومتى حصل له اليقين بذلك ارتحل عنه ، وارتحل عن قلبهِ حب الدنيا : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

وإذا رأى العبد حقارة الدنيا ، ونفاسة الآخرة ، استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها، ولو أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب ، فإن حب العظيم، هو الذي يمحو من القلب حب الحقير: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

فما أعظم الموت ، وما أعظم الغفلة عنه ، فكم من الخلق جاءهم الموت في وقتٍ لم يحتسبوا ؟ .

أما من كان مستعدا للموت فقد فاز فوزًا عظيمًا ، وأما من كان مغرورًا بطول الأمل ، فقد خسر خُسرانًا مُبينًا : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١- ٣] .

فما أعظم الموت وما أشد سكراته ، وما أعظم هول ما بعده ، ولو لم يكن بين يدي العبد كربٌ ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت في مجردها، لكان جديرًا بأن ينغص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره .

والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات، وأكبر مجالس اللهو واللعب، فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه بخمس خشبات ، لتكدرت عليه لذته ، وفسد عليه عيشه ، وهو في كل نفس يدخل عليه ملك الموت ، وهو عنه غافل ، فما لهذا سببُ إلا الجهل والغرور .

والمشروع للعبدِ أن يكثر من الاستغفار والتوبة ، وذكر الموت ، والتقرب إلى الله ، والمسارعة إليه بالأعمال الصالحة :﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾[الحج:٧٧] .

المشروع عند الموت :

المشروع للمحتضر هو الهدوء والسكينة ، ومن لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة ، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى ، ويستحب أن يُذكَّر للمحتضر محاسن أعماله عند موته ؛ لكي يحسن ظنه بربه .

لقول النبي ﷺ : « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

أخرجه مسلم[1] .

ثم يُغسل الميت، ويصلى عليه، ويدفن ، ويبقى في قبره منتظراً يوم البعث ،

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٢/ ٢٨٧٧).

ويظل في قبره منعماً أو معذباً حسب عمله ، ثم يبعث وينتقل إلى دار القرار في الجنة أو النار، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الروم:١٤-١٨] .

وليس معنى الموت انتهاء الحياة ، وانتهاء المشاكل ، بل معناه انتقال الإنسان من حياة صغيرةٍ قصيرةٍ حقيرة فانية ، إلى حياة أبدية طويلة ، أما في سعادة ، أو في شقاء ، فمعناه نهاية الحياة والأحوال الفانية ، وبداية الحياة الباقية ، والأحوال الأبدية .

والله سبحانه سيجمع الخلائق يوم القيامة ويحاسبهم، ويجازيهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾[هود: ١٠٣-١٠٩] .

والله سبحانه كتب على جميع الكائنات الموت والفناء ، ولكن الإنسان خُلق للبقاء ، ولكنه ينتقل من مرحلة إلى مرحلة ، ومن دار إلى دار ، حتى يستقر في دار المقام في الجنة أو النار .

والإنسان إذا مات وفارق الحياة لا يستطيع أن يأخذ معه من الأموال شيئا ، ولو أخذ كل ذهب الدنيا معه لكان كالتراب بالنسبة لنعيم الجنة .

وكل ما في الدنيا لا يساوي ثواب حسنة واحدة يوم القيامة ، والإنسان إذا مات يذهب بالأعمال إلى الآخرة : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة:٦-٨] .

وبعد الموت إما أن تنتهي المشكلة، ويدخل الجنة، أو تبدأ المشكلة، ويدخل النار: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦٢ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٦٣ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣]

فالناس لابد لهم من السجن؛ فمن دخل السجن في الدنيا ، وأمتثل أوامر الله إلى أن تنتهي مدة سجنه بالموت ، أدخله الله الجنة ، وأطلق شهواته فيها.

فالدنيا لصغرها وضيقها كالسجن للمؤمن الذي يستعد للخروج منها إلى الجنة، وهي كالجنة بالنسبة للكافر الذي سينتقل منها إلى سجن مؤبد في نار جهنم كما قال النبي ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» . أخرجه مسلم[1] .

ومن أطلق شهوته في الدنيا ، ولم يمتثل أوامر الله ، عاقبه الله بالسجن يوم القيامة ، وقيد شهواته وجوارحه ، وعذبه في نار جهنم : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ ﴾[النساء:١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١/ ٢٩٥٦).

فالناس اثنان :

إما خارج من السجن وهو المؤمن

وإما ذاهب إلى السجن وهو الكافر

وحياة الإنسان في الدنيا قصيرة ، ولها بداية ولها نهاية ، وحياة الإنسان في الآخرة مؤبدة لها بداية ، ولا نهاية لها ، وقد فرغ إلى كل عبدٍ من خمس : من عمله ، وأجله ، ورزقه ، وأثره ، وشقي أو سعيد .

ومهما عاش الإنسان فإنه سيموت ، ومهما أحب من الأشياء فأنه سيفارقها ، ومهما عمل من الأعمال فأنه سيلاقيها ، ويحاسب عليها : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وقد خلق الله الإنسان ، وجعله محدود العمر ، محدود المعرفة ، محدود الرؤية ، محدود القدرة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء:-٢٨] .

وكل يوم ، وكل ليلة ، وكل لحظة تمرُّ بالإنسان يزداد من الدنيا بُعدا ، ومن الآخرة قُربا ، فعجبا لهذا الإنسان ، ثم على أثره طالب لا يفوته ، وقد نصب له علَّم لا يجوزه ، فما أسرع ما يبلُغ العلَّم ، وما أوشك أن يلحقه الطالب : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الجمعة: ٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨] .

وقد أخفى الله ﷻ علم الساعة ، ومعرفة الآجال ، رحمة بالعباد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤] .

فلو عرف الإنسان مقدار عمره ؛ فإن كان قصير العمر لم يهنأ بالعيش ، وإن كان طويل العمر ، فهو واثق بالبقاء ، فلا يبالي بالانهماك في الشهوات والمعاصي ويقول : إذا قرب الوقت أحدثت التوبة ، والله غفور رحيم يقول : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] .

وهذا مذهب لا يرتضيه المخلوق ، فكيف يرتضيه الخالق ، فلو أن عبداً من عبيدك عمل على أن يسخطك أعواما ، ثم يرضيك ساعة واحدة إذا تيقن أنه صائر إليك لم تقبل منه ، ولم يفز لديك بما يفوز به من همه رضاك في كل أوقاته ، وكذا سنة الله ﷻ أن العبد إذا عاين الانتقال إلى الله تعالى لم تنفعه التوبة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء:١٧-١٨] .

- **وأوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن :**

الأول : يومٌ يولد الإنسان ، فيلقى نفسه خارجاً مما كان فيه فيصرخ .

الثاني : يومٌ يموت ، فيرى قوماً لم يكن عاينهم من قبل .

الثالث: يومٌ يبعث ، فيرى نفسه في محشر عظيم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨] .

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

٥- الخزانة الخامسة

- **أقسام الأجل :**

الأجل أجلان :

أحدهما : أجلٌ مطلق لا يعلمه إلا الله وحده ، وهذا لا يتبدل ولا يتغير .

الثاني : أجلٌ مقيد وهو ما في صحف الملائكة ، فالله أمر الملك أن يكتب للعبد أجلا وقال : إن وصل رحمه زده كذا وكذا ، والملك لا يعلم يزداد أم لا ؛ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١١]

وقال النبي ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . متفق عليه[1] .

والأجل قسمان :

أحدهما: أجل كل عبد الذي ينقص به عمره .

الثاني: أجل القيامة العامة ، فأجل الموت قد يُعلمه الله لمن شاء من عباده كالملائكة الذي يكتبون رزق العبد وأجله وعمله، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:(٥٩٨٦)، ومسلم برقم: (٢١/ ٢٥٧٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم برقم: (١/ ٢٦٤٣)، واللفظ له.

أما أجل القيامة مسمى عنده وحده ، فلا يعلمه إلا الله ﷻ وحده كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنعام:٢] .

ووقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا غيرهم من المخلوقات، والله يكتب لعبده أجله في صحف الملائكة، وإذا وصل العبد رحمه زاد في ذلك المكتوب ، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب .

والله ﷻ قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، ثم قدر مقادير الخلق حين خلقهم وأوجدهم ، ثم يقدر في ليلة القدر ما يكون في ذلك العام : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[القمر: ٤٩] .

وكذلك يقدر الله خلق كل إنسان في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة كذلك ، ثم يكون نطفة كذلك ، ثم ينفخ فيه الروح ، ويبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

وإذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله الملك إليها فصورها ، وخلق سمعها وبصرها ، وجلدها ولحمها ، ثم إذا ولد قدر مع ولادته كل سنة ما يلقاه في تلك السنة ، وهو ما يقدر ليلة القدر : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾[القدر:١-٣] .

ونظير هذا عرض أعمال العباد على الله ، فيعرض عمل الأسبوع يوم الاثنين والخميس ، كما قال النبي ﷺ : « تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ ، يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ

وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : اتْرُكُوا ، أَوِ ارْكُوا ، هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا » . أخرجه مسلم[1] .

ويعرض عمل النهار في آخره ، وعمل الليل في آخره ، ويرفع عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار .

وهذا الرفع والعرض اليومي أخص من العرض الأسبوعي في الاثنين والخميس ، والعرض فيه أخص من العرض السنوي في شعبان ، ثم إذا انقضى الأجل رفع العمل كله ، وعرض على الله ، وطويت الصحف ، وهذا عرضٌ آخر ، ثم تعرض الخلائق على الله يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الكهف:٤٨] .

وتعرض جهنم على الكفار، كما قال سبحانه : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[الكهف:١٠٠] .

ومن الناس من يحب الموت ، لأنه موعد لقاء الحبيب بحبيبه ، ومنهم من يكره الموت ، إما لضعف محبته لله ، وإما لكونها مشوبة بحب شيء من الدنيا ، أو لأنه يرى ذنوبه ، فيحب أن يبقى ليتوب ، ومنهم من يرى نفسه في ابتداء مقام المحبة ، ويكره عجلة الموت قبل أن يستعد للقاء الله تعالى ، فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال المحبة .

والإحياء والإماتة أمران مكرران في كل الأحوال معروضتان على حسن الإنسان وعقله ، وسر الحياة والموت لا يعلمه إلا الله الذي خلق الموت

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٦).

والحياة : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[الملك:١-٢] .

فسر الحياة والموت غيب لا يعلمه إلا الله الذي خلق الموت والحياة ، ولذلك وصف إبراهيم ﷺ ربه بالصفة التي لا يشاركه فيها أحد ، ولا يستطيعها أحد، كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨ ﴾[البقرة:٢٥٨]

فلما قال الكافر : أنا أحي وأميت ، عدل إبراهيم عن هذه السنة الكونية الخفية ، إلى سُنة أخرى ظاهرة مرئية ، وعدل عن طريقة العرض المجرد ، إلى طريقة التحدي ، وطلب تغير سنة الله لمن ينكر ويجادل في الله ، ليريه أن الرب وحده هو مصرف هذا الكون كله ، وهو رب الناس المشرع لهم فقال : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾[البقرة:٢٥٨]

وتلك حقيقة مكرورة مرئية يومية ، معلومة لكل حد ، فماذا حصل : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ﴾[البقرة:٢٥٨]

فالتحدي قائم ، والأمر ظاهر، ولا سبيل إلى سوء الفهم أو الجدال أو المراء، وكان التسليم أولى، والإيمان أخرى ، ولكن الكبر عن الرجوع إلى الحق أمسك بالذي كفر، ولم يهتدي إلى الحق؛ لأنه لم يلتمس الهداية، ولم يرغب في الحق، وظل ظالماً : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وهذا مثل للضلال والعناد ، يتزود به الدعاة إلى الله ، في مواجهة المنكرين والجاحدين : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

والإحياء والإماتة ، وطلوع الشمس من المشرق ، آيتان عظيمتان معروضتان للبصائر والأبصار بلا تكلف ، يسهل الاهتداء بها في مسألة الإيمان على أي مخلوق .

وإذا كان عمر الإنسان محدوداً ، والأجل مكتوباً ، فلتنظر النفس ما قدمت لغد ، ولتنظر النفس ماذا تريد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر:١٨] .

أتريد هذه النفس أن تقعد عن تكاليف الإيمان ، وأن تحصر همها كله في هذه الأرض ، أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى ، وإلى حياة أكبر من هذه الدنيا : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٥].

وشتان بين حياة ، وبين حياة ، وشتان بين اهتمام وإهمال ، والذي يعيش لهذه الأرض وحدها ، ويريد ثواب الدنيا وحدها ، إنما يحيا حياة الديدان والدواب ، والإنعام والبهائم ، ثم يموت خاسراً في موعده المقدر ، بأجله المكتوب : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧] .

أما الذين يذوقون نعمة الإيمان ، فيحيون حياة الإنسان الذي كرمه الله ، واستخلفه ، وأعلى مكانه ، فيرتفعون عن مدارج الحيوان ، ويشكرون الله على تلك النعمة ، وينهضون بتبعات الإيمان ، ثم يموت هذا الإنسان رابحاً مطمئناً في موعده المقدر ، وأجله المكتوب : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

وبذلك ينقل النفس من الانشغال بالخوف من الموت إلى الانشغال بما هو أمتع للنفس في الحقل الذي تملكه ، وتملك فيه اختيار الدنيا أو الآخرة ، وتنال في الآخرة جزاء ما تختار : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣ – ١٣٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

والله ﷻ وحده الذي يحيي ويميت ، فبيده إعطاء الحياة ، وبيده استرداد ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، وللناس آجال لا يتقدمون عليها ولا يتأخرون ، سواء كان الناس في بيوتهم و بين أهلهم ، أو في ميادين طلب الرزق أو ميادين الغزو ، وعنده الجزاء بعد ذلك ، هذا اعتقاد المؤمن : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١١] .

أما الكفار فلفساد تصورهم لحقيقة ما يجري في هذا الكون العظيم ، لا يرون إلا الأسباب الظاهرة بسبب انقطاعهم عن الله ، وعن قدره الجاري في الحياة ، فعلَّة القتل أو الموت أو الحياة كلها بيد الله سبحانه ، والموتى والقتلى إنما يلبون النداء ، وهو استيفاء الأجل ، وقدر الله وسنته في الحياة والموت، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ ﴾[آل عمران:١٥٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ ﴾[النساء:٧٨] .

إن الأمر لا ينتهي بالموت أو القتل ، هذه ليست نهاية المطاف ، بل هناك حياة أخرى ، ونعيم أعلى خيرٌ مما فيه أهل الدنيا : ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ ﴾[آل عمران:١٥٧] .

وكل الخلق بعد الموت راجعون إلى الله ، للحساب والجزاء، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾[البقرة:١٥٦] .

وهم محشورون إليه جميعاً على كل حال ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ ﴾[الكهف:٤٧] .

سواءٌ ماتوا على فُرُشِهم، أو ما توا وهم يضربون في الأرض، أو قُتِلوا وهم يجاهدون في سبيل الله، وما لهم مصيرٌ سوى هذا المصير، والتفاوت إنما يكون في النية والعمل الصالح، أما النهاية فواحدة موتٌ أو قتل في الموعد المسمى: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[النساء:٧٨] .

وهناك إما مغفرةٌ ورحمة ، أو غضبٌ من الله وعذاب ، وبهذا اليقين تستقر في القلوب حقيقة الموت والحياة ، وحقيقة قدر الله ، وبذلك تطمئن القلوب إلى ما كان من ابتلاءٍ جرى به القدر ، وإلى ما وراء القدر من حكمة ، وما وراء الابتلاء من جزاء : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١١]

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦] .

والله جل جلاله هو القاهر فوق عباده ، وهم تحت سيطرته وقهره، فهم ضعافٌ في قبضة هذا السلطان لا قوةٍ لهم ولا ناصر، وكل نفَسٍ من أنفاسهم بقدر ، خلقهم الله لعبادته، وأرسل إليهم رسلًا يحفظونهم ورسلًا آخرين يدعونهم إلى الله، ورسلًا آخرين يقبضون أرواحهم وكلٌ يؤدي رسالته حسب أمر ربه : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنعام:٦١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

وسيرد جميع الخلق بعد الموت إلى ربهم ومولاهم الذي أنشأهم ، وأطلقهم في الحياة ما شاء ، ثم مردهم إليه عندما يشاء ؛ ليقضي فيهم بحكمه بلا معقب ، فهو وحده الذي يحكم ، ووحده الذي يحاسب ، وهو لا يبطئ في الحكم ولا يمهل في الجزاء : ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام:٦٢] .

فلابد للناس أن يستيقنوا أن الله محاسبهم ومجازيهم على شريعته هو ، لا شريعة غيره ، وأنهم إن لم ينظموا حياتهم ، ويقيموا معاملاتهم ، كما يقيمون شعائرهم وعبادتهم وفق شريعة الله في الدنيا ؛ فإن هذا سيكون من أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله ﷻ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الحجر:٩٢-٩٣] .

وأنهم سيحاسبون على أنهم لم يتخذوا إلهًا في الأرض ، ولكنهم اتخذوا من دونه أربابًا متفرقة ، وأشركوا مع الله غيره من خلقه ، والأمر كله لله، وسنّة الله ماضية لا تتخلف، وأَجَله الذي أجّلّه لا يستعجل لكل حي، ولكل فرد، ولكل أمة : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[يونس:٤٩] .

والآجال كالأرزاق كلها بيد الله وحده ، والأسباب والأمراض ستارٌ وراءه قدرة الله ، والأجل قد ينتهي بالهلاك الحسي هلاك الاستئصال كما وقع لبعض الأمم الخالية كقوم نوح، وعاد ، وثمود ، وفرعون وغيرهم، كما قال سبحانه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٠] .

وقد ينتهي بالهلاك المعنوي ، هلاك الهزيمة والضياع ، وهو ما يقع للأمم إما لفترةٍ تعود بعدها للحياة ، وإما دائمًا فتضمحل ، وتمحي شخصيتها ، وتنتهي إلى اندثارها كاملة ، وإن بقيت كأفراد ، وكل أولئك وفق سنّة الله التي لا تتبدل مصادفةً ولا ظلمًا : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الأحزاب: ٦٢] .

فالأمم التي تأخذ بأسباب الحياة تحيا، والأمم التي تنحرف عنها تضعف أو تضمحل أو تموت بحسب انحرافها، والأمة الإسلامية منصوصٌ على أن حياتها في إتباع رسولها، والرسول ﷺ يدعوها لما يحييها، لا بمجرد الاعتقاد فقط ، ولكن بالعمل الذي تنص عليه العقيدة في شتى مرافق الحياة ، والحياة وفق منهج الله الذي شرعه لها ، والشريعة التي أنزلها ، وإلا جاء الأجل وفق سنّة الله، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾[الأنفال:٢٤-٢٥] .

٦- الخزانة السادسة

- **فقه الحياة والموت :**

الحياة والموت حادثان مكروران يقعان في كل لحظة ، وليس إلا الله وحده يملك الحياة والموت : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[المؤمنون:٨٠] .

فالبشر كلهم أعجز وأقل من بث الحياة في حشرةٍ واحدة ، وأعجز من سلبها عن حيٍ من الأحياء فالذي يملك ويهب الحياة هو الذي يعرف سرها ، ويملك أن يهبها ويستردها ، وهو الله ﷻ وحده : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك:١-٢] .

والبشر قد يكونون سببًا لإزهاق الروح ، لكن تجريد الحي من الحياة بيد الله وحده ، والذي يملك اختلاف الليل والنهار ، هو الله وحده ، وهو سنة كونية كسنة الموت والحياة ، هذه في النفوس والأجساد ، وتلك في الكون والأفلاك ، وكما يسلب الحياة من الحي ، فيعتمه ويهمد ، كذلك هو يسلب الضوء من الأرض ، فتعتم وتسكن .

فسبحان الخالق المالك الذي يملك وحده تصريف هذا الكون العظيم الهائل ، وهذه الأحياء المبثوثة من نباتٍ ، وحيوان ، وطيرٍ ، وإنسان، وملك، وجان : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[يونس:٣].

الله ﷻ بيده وحده أمر الحياة والموت ، وأمر التصريف والتدبير ، وأمر الخلق والإيجاد : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر:٦٢- ٦٣] .

وقد وكل الله ﷻ ملك الموت بقبض جميع الأرواح كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١ ﴾ [السجدة: ١١].

ولملك الموت أعوانٌ من الملائكة، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١ ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١] .

إن أمر النشأة الأولى ونهايتها ، أمر الحياة والموت ، كل ذلك بيد الله وحده ، وهو أمر مألوف وواقع في حياة الناس .

فكيف لا يصدقون أن الله خلقهم ؟

إن ضغط هذه الحقيقة على الفطرة أضخم وأثقل من أن يقف له الكيان البشري ، أو يجادل فيه : ﴿ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ ﴾ [الواقعة:٥٧-٦١] .

إن دور البشرية في أمر هذا الخلق لا يزيد عن أن يودع الرجل ما يُمنِّي رحم المرأة ، ثم ينقطع عمله وعملها، وتأخذ يد القدرة الإلهية في العمل وحدها في هذا الماء المهين؛ تعمل وحدها في خلقه، وتنميته، وبناء هيكله ، وخلق الروح فيه ، حسب أمر الله، حتى يكون خلقاً آخر، حتى يكون بشراً سوياً، له سمعٌ، وبصر، وقلبٌ، وروح، وعقلٌ، وإدراك، ورأس، ولسان، وأيدٍ، وأقدام، يأكل ويشرب، ويضحك ويبكي، ويقوم ويقعد، وينام ويستيقظ : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ

يَوۡمَئِذٖ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [القيامة:١٢-١٦] .

هذه هي البداية، أما النهاية فهي الموت الذي ينتهي إليه كل حي، إنه قدر الله ومن ثمَّ لا يفلت منه أحد، وهو حلقة في سلسلة النشأة التي لابد أن تتكامل: ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الواقعة:٦٠-٦٢] .

والله سبحانه الذي قدر الموت ، هو الذي قدر الحياة ، قدر الموت على أن ينشئ أمثالاً ممن يموتون ، حتى يأتي الأجل المقدر لهذه الحياة الدنيا ، فإذا انتهت عند الأجل الذي سماه الله كانت النشأة الأخرى : ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٠] .

والله سبحانه هو القادر على كل شيء، وله القدرة المطلقة التي لا تتقيد بقيد ، وهذه حقيقة يطبعها القرآن في قلب المؤمن فيعرفها، ويتأثر بمدلولها، ويعلم أنه حين يركن إلى ربه ، فإنما يركن إلى قادر يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج:٦-٧] .

فعلى الإنسان أن يستعد للموت ، ويكثر من ذكره في كل حال، ليفوز ولا يخسر.

والاستعداد للموت يكون بالتوبة من المعاصي ، وإيثار الآخرة ، والخروج من المظالم ، والإقبال على الله بالطاعات ، واجتناب المحرمات : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ

فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون:١٠-١١] .

وعلى المسلم أن يتذكر دائماً أن الموت فيه فراق العمل للآخرة، لا على أنه فراق للأهل والأحباب ولذات الدنيا ، فهذه نظرة قاصرة تزيده حسرة وألما.

وحياة الإنسان خطوات للآخرة ، وأنفاسُ معدودة منصرمة .

كل نفسٍ منها يقابله ألاف الآلاف من السنين في دار البقاء ، والعبد منساق بزمنه إلى دار النعيم ، أو إلى دار الجحيم ، وبقاؤه في الدنيا كساعة من النهار ، فجدير بالعاقل ألا يصرف منها نفساً إلا في أحب الأمور إلى الله ، ولو صرفه فيما يحبه ، وترك الأحب إلى الله لكان مفرطاً .

فكيف إذا صرفه فيما لا ينفعه ، وكيف إذا صرفه فيما يمقته عليه ربه : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١] .

وسيسأل كل إنسان عما قدم وأخر ، وعن كل طاعة عمل بها ، وعن كل معصية فعلها، وعن كل فاحشة أقترفها، وسيرجع الناس إلى ربهم يوم القيامة ، وسيحاسبهم على ما عملوه بعد أن يروه ، وكل ما أسروه وأعلنوه ، وكل ما جمعوه وفرقوه ، وكل ما حفظوه وضيعوه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

٨- فقه البعث والنشور

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾[يس:٥١-٥٤] .

وقال الله تعالى :﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾[يونس:٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن:٧] .

ينفخ إسرافيل ﷺ في الصور النفخة الأولى ، وهي نفخة الفزع والموت ، ثم ينفخ النفخة الثانية ، وهي نفخة البعث والنشور، كما قال سبحانه : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزمر:٦٨] .

فإذا نُفح في الصور نفخة البعث ، خرج الناس من الأجداث والقبور ينسلون إلى ربهم ، ويسرعون للحضور بين يديه الأولون والآخرون ، والإنس والجن ، ليحاسبهم على أعمالهم ، ثم يساقون حسب أعمالهم إلى دار القرار ؛ فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السعير .

فسبحان الله ما أعظم هذا الملك ، إسرافيل بنفخة واحدة منه يصعق أهل السماء ، وأهل الأرض إلا من شاء الله ، وبنفخة أخرى يحيا جميع الخلق ،

ويخرجون من قبورهم قيامٌ ينظرون ، وإذا كانت هذه قوة نفخته فكيف بقوة بدنه ؟ .

وكيف تكون قوة خالقه الذي خلقه وأمره : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [الزمر:٦٧].

وما أعظم ما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإذا صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى، فيقومون دفعةً واحدة، فتوهم نفسك يا أخي المسلم معهم، وقد وثبت متغير الوجه، مغبر البدن، مضطرب الفؤاد ، مبهوتاً من شدة الصعقة، شاخص العين نحو النداء ، وقد ثار الخلق جميعاً ثورة واحدة من القوة التي طال فيها بلاؤهم ، وقد تزعجهم الفزعة والرعب فضلاً عما هم فيه من الهموم والغموم ، وشدة الانتظار لعاقبة الأمر .

وبهذه النفخة يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى أربعين سنة، أو أربعين شهرًا، أو أربعين يومًا .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ » . قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْرًا ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ ، « ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٥)، ومسلم برقم: (١٤١/ ٢٩٥٥)، واللفظ له.

ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية، كما قال سبحانه : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾[الزمر:٦٨] .

ثم أنظر رحمك الله كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غُرلاً إلى أرض المحشر، أرضٌ بيضاء ، وقاعٌ صفصف ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، لا ترى فيها ربوة ، يختفي الإنسان وراءها ، ولا وهده ينخفض عن الأعين فيها ، بل هي صعيدٌ واحد مكشوف ، لا تفاوت فيه يساقون إليه جميعا .

فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إلى أرض المحشر ، لا يتخلف منهم أحد : ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾[الكهف:٤٧- ٤٩] .

فاحضر قلبك ، وانظر إلى صورتك وأنت واقف هناك عارياً، ذليلا، متحيراً ، بهوتا، وجلاً، خائفاً، منتظراً لما سوف يجري عليك، وعلى غيرك من القضاء بالسعادة أو الشقاوة الأبدية .

يستقبلك يومٌ عظيمٌ شأنه ، ترى فيه السماء قد انفطرت ، والكواكب من هوله انتثرت ، والنجوم قد انكدرت ، والشمس قد كورت ، والجبال قد سُيرت ، والبحار قد سُجرت ، والجحيم قد سُعرت ، والجنة قد أُزلفت.

يوم تبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات، يوم تُحمل فيه الأرض والجبال فتدك دكة واحدة ، يومٌ ترج فيه الأرض رجا، وتُبث الجبال بثا ، يومُ يكون فيه الناس كالفراش المبثوث ، يومُ تذهل فيه كل مرضعة عما

أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج:١- ٢] .

وبعد البعث يكون الحساب ، وبعد الحساب يكون الانصراف إما إلى القصور الملكية ، وإما إلى السجون الجهنمية: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨﴾ [الروم:١٤-١٨] .

اللهم إنا نسألك الجنة ، وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل : ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] .

اللهم ارحمنا فوق الأرض ، وتحت الأرض ، ويوم العرض ، يا أرحم الراحمين .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥٥-خزائن الثواب والعقاب

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٥٥- خزائن الثواب والعقاب

١- الخزانة الأولى

- **فقه الوعد والوعيد** :

الوعد : هو الوعد بالخير

والوعيد : هو الوعد بالشر .

وقد وعد الله المؤمنين بالجنة والرضوان كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وتوعد الكفار بالنار، والغض، كما قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

فالله ﷻ إذا وعد لا يخلف الميعاد أبدًا، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[يونس: ٤] .

فما وعد الله به المؤمنين من الخير والأجر واقعٌ لا محالة ، وما توعد الله به الكافرين من العذاب واقعٌ لا محالة ، وما توعد الله به عُصاة المسلمين ، فهذا يجوز أن ينفذه الله ﷻ ، أو يعفو عن صاحبه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

فما وعد الله به الكفار من العذاب لا يمكن أن يخلفه الله بحال ؛ لأن الله لا يبدل القول لديه كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق:٢٨-٢٩] .

وكل كافرٍ ومشرك مات على كفره وشركه فهو في النار قطعًا، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾[الحج:٧٢] .

والله سبحانه إذا وعد لا يخلف الميعاد أبدًا ، أما إخلاف الوعد بالشر فهو من المدح لا من الذم ، فإن من توعدك بشرٍ ، ثم عفا عنك ، وأعطاك الخير ، فهذا من الجميل ، وإنما المذموم القبيح هو إخلاف الوعد بالخير ، والله ﷻ إن وعد بخير فإنه لا يخلف وعده أبدًا ، وإن أوعد بشر فإيعاده بالشر **له حالتان** :

الأولى : وعيد الكفار بالنار ، فهذا الوعيد واقعٌ لا محالة له بكل من مات كافرًا ، ولا يبدل بحال كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ق:٢٨-٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق:١٤] .

الثانية : وعيد الله لعصاة المسلمين بالعذاب ، فهذا الوعيد يجوز أن يُخلف ، فإن الله أوعد كل مسلمٍ ارتكب ذنبًا أن يعذبه في النار بقدر جرمه ، فهذا الوعيد إن شاء الله نفذه ، وإن شاء الله عفا عن صاحبه فكل ذنبٍ دون الشرك فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله عاقب عليه ، وإن شاء عفا عنه ؛ لأنه فعال لما يشاء، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

فإن عاقب سبحانه فبعدله ، وإن عفا فبرحمته ، وكرمه ، وإحسانه ، وهو يملك هذا وهذا ، والإحسان أحب إليه من العدل ؛ لأنه العفو الكريم الرحيم الذي رحمته سبقت غضبه .

وقد أمر سبحانه عباده بالعدل والإحسان ، ورغبهم في الإحسان، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقال الله تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [التغابن:١٤] .

والله أولى بالعفو والمغفرة والإحسان من عباده ، فاللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحب العفو فأعف عنا :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ [البقرة:٢٨٦] .

وقال الله ﷻ : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

فقه الثواب والعقاب :

الله تبارك وتعالى هو العزيز الرحيم الذي خلق الخلق لعبادته سبحانه ، وأرسل إليهم الرسل ؛ ليأمروهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة

ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

فمن آمن بالله وعبده وأطاعة ، أسعده الله في الدنيا ، وأدخله الجنة يوم القيامة ، ومن كفر بالله وعصاه شقى في الدنيا ، وأدخله الله النار يوم القيامة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

أهل الذنوب :

أصل الذنوب نوعان :

أحدهما : ترك مأمورٌ به ، كترك الصلاة والصيام والزكاة ونحو ذلك .

الثاني : فعل منهيٍ عنه ، كشرب الخمر وأكل الربا ونحو ذلك .

وهذان هما الذنبان اللذان أُبتلي الله بهما أبوي الإنس والجن ، ولكل ذنبٍ عقوبة تناسبه بالقدر والعدد، فذنب إبليس ترك مأمورٌ به وهو السجود، وذنب آدم: فعل منهيٍ عنه ، وهو الأكل من الشجرة ، وترك الأمر ، أعظم من فعل النهي .

- **أقسام العقوبات :**

العقوبات نوعان :

عقوباتٌ قدرية .. وعقوباتٌ شرعية .

- **والعقوبات الشرعية ثلاثة أنواع :**

١- القتل .

٢- والقطعُ .

٣- والجلد .

- **وعقوبات الذنوب نوعان :**

١- شرعيةٌ .

٢- وقدرية .

فإذا أقيمة العقوبات الشرعية ، رفعت العقوبات القدرية أو خفت ، وإذا عطلت العقوبات الشرعية ، استحالت قدرية ، وربما كانت أشد أو أخف ، ولكنها تعم ، والشرعية تخص ، والله لا يعاقب شرعًا إلا من باشر الجناية كما قال سبحانه : ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾** ﴾ [المائدة: ٣٨] .

٢- الخزانة الثانية

- **أنواع العقوبات :**

عقوبات الله ﷻ للمخالفين نوعان :

أحدهما : عقوباتٌ على عدم قبول الحق .

الثاني : عقوباتٌ على مخالفة أوامر الرب .

فالأول : كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [فصلت: ١٧]

وقال ﷻ عن الأمم السابقة : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

والثاني : كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] .

وقد عذَّب الله الأمم المكذبة للرسل بعقوباتٌ في الدنيا تناسب جرائمهم ، وأما في الآخرة فمأواهم جهنم ، فبسبب كفرهم وظلمهم ، وتكذيبهم واستكبارهم ، وصدهم عن سبيل الله : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد:٣٤] .

فقوم نوح ذنوبهم مع الشرك الاستكبار والاغترار ، والإصرار على المعصية والسخرية بأهل الإيمان ، فلما كذبوا رسولهم نوحًا ﷺ أغرقهم الله ولم ينجي إلا المؤمنين، كما قال سبحانه : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس:٧٣] .

وجعلهم الله عبرةً لمن بعدهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الفرقان:٣٧] .

وعادٌ قوم هود ذنوبهم مع الشرك الاستكبار ، والتجبر في الأرض ، والظلم ، وشدة البطش ، فلما كذبوا رسولهم هودًا ﷺ عاقبهم الله بريح صرصر عاتية ، تناسب عتوهم واستكبارهم عن الحق ، وقوتهم التي اغتروا بها، كما قال سبحانه عنهم : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت: ١٥]

فلما اجتمعت فيهم هذه الجرائم الكبرى عاقبهم الله ، وطهر الأرض من جرائمهم كما قال سبحانه : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت: ١٦]

أرسل الله عليهم ريحًا عقيمًا، شديدة القوة، مزعجة الصوت كالرعد القاصف : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة:٦-٧] .

فدمرتهم وأهلكتهم وأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم .

وقوم ثمود ذنوبهم مع الشرك انتهاك محارم الله ، وعقر الناقة التي حذرهم الله من مسها بسوء ، والاستكبار عن الحق ، والاستهزاء به ، فلما كذبوا رسولهم صالحًا ﷺ عاقبهم الله بكفرهم وظلمهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [فصلت: ١٧ – ١٨]

وقوم لوط ﷺ ذنوبهم مع الشرك إتيان الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد ، وهي إتيان الذكران من الناس ، فلما حذرهم رسولهم لوطٌ ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف:٨٠- ٨١] .

فلما لم يستجيبوا له، وأصروا على الاستمرار في فعل هذه الفاحشة المنكرة، عاقبهم الله بأن أمر جبريل ﷺ باقتلاع بلادهم بمن فيها، ثم رفعها إلى السماء، ثم قلبها عليهم ، وجعل عاليها سافلها ، وأمطر الله عليهم حجارةً من جهنم متتابعة عليها علامة الغضب والعذاب، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود:٨٢-٨٣] .

وقوم مدين ذنوبهم مع الشرك الظلم في الأموال ، والبخس في المكيال والميزان ، والفساد في الأرض ، فأرسل الله إليهم أخاهم شُعيبًا ﷺ يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، والعدل في الكيل والميزان، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ

عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود:٨٤-٨٥] .

فلما كذبوا رسولهم عاقبهم الله سبحانه بسحابةً أمطرتهم ناراً ، وأحرقت أموالهم التي أخذوها ظلمًا ، وظلوا تحتها خامدين، كما قال سبحانه : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:١٨٩] .

وأنجى الله شعيباً والذين آمنوا معه ، وأهلك الظالمين، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود:٩٤] .

وفرعون وقومه ذنوبهم مع الشرك والكفر العلو والاستكبار ، والفساد في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص:٤] .

وادعى فرعون الربوبية كما قال سبحانه : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات : ٢٤-٢٦] .

وادعى الألوهية، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص:٣٨] .

فما أعظم جرم هذا الطاغية ، وما أشد ظلمه : ﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يونس:٨٣] .

فأرسل الله رسوله موسى ﷺ إلى فرعون وقومه يدعوهم إلى الله فسخروا منه، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزخرف:٤٦-٤٧] .

ولكنَّ فرعون كذَّب موسى وعصاه ، واتهمه مرةً بالجنون حيث قال لقومه : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشعراء:٢٧] .

ومرةً اتهمه بالسحر حيث قال : ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء:٣٤-٣٥] .

ومرةُ إتهمه بالكذب، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [غافر:٢٣-٢٤] .

إن الطغاة والمفسدين والمستكبرين لا يعبئون بالحق ، ولا بمن جاء به ، بل يحاربونه بكل وسيلة ؛ لأنه يردعهم عن قهر العباد وظلمهم ، واستعبادهم لهم ، وهم لا يريدون ذلك ، والله لا يتركهم على هذا الحال ، بل يأمر الرسل أن يذهبوا إليهم ؛ لدعوتهم إلى الله ، ورفع الظلم عن العباد كما قال سبحانه لموسى ﷺ : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات : ١٧-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ

مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٤٥-٤٨] .

فلما كذَّبوا موسى ﷺ ، وردوا ما جاء به ، وأضلوا قومهم عن الهدى ، وزاد طغيانهم وآذاهم ، ساقهم الله إلى مصارعهم ، وعاقبهم بسوء صنيعهم ، وحاق بفرعون وآله سوء العذاب فلما يأس موسى من إيمانهم بعدما رأوا الآيات البيِّنات ، وحقت عليهم كلمة العذاب ، وآن لبني إسرائيل أن ينجيهم الله من أسرهم ، ويمكِّن لهم في الأرض كما وعدهم ، أوحى الله إلى موسى أن يخرج بهم من مصر : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشعراء:٥٢] .

فماذا حصل من فرعون وقومه لما علموا بخروج موسى ﷺ وبني إسرائيل ؟.

لقد حشد فرعون جيشًا عظيمًا من مدائن مصر للقضاء على موسى ﷺ ومن آمن معه : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الشعراء:٥٢-٥٦] .

فأخرجهم الله بحسن تدبيره من بساتين مصر، وجناتها الفائقة، وعيونها المتدفقة، وزروعهم وفواكههم المختلفة ، وساقهم إلى مصارعهم، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الشعراء:٥٧-٥٨] .

وأورث بني إسرائيل فيما بعد هذه الجنات والبساتين ، والزروع والعيون ، والمقام الكريم، كما قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء:٥٩] .

فتبع فرعون وقومه موسى وقومه ، وأدركوهم عند شروق الشمس، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾ [الشعراء:٦٠-٦٢] .

وحان وقت الهلاك للمجرمين ، ونصرة الله للمؤمنين ، فأمر الله موسى ﷺ أن يضرب البحر بعصاه ، ليفتح به طريقًا آمنًا لأوليائه ، ويجعله مقبرةً لأعدائه، كما قال سبحانه : ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٦٨ ﴾ [الشعراء:٦٣-٦٨] .

فسبحان من يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بطاعته ، ويذل من يشاء بمعصيته : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ [آل عمران:٢٦] .

ونزلت عقوبة الله بهؤلاء الطغاة : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ ﴾[الأعراف:١٣٦].

وحق وعد الله لموسى ﷺ ومن معه بالنصر والتمكين في الأرض، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾ [الأعراف:١٣٧] .

فكل أمةٍ من الأمم المكذبة للرسل أخذه الله بذنبه على قدره ، وبعقوبةٍ مناسبةٍ له : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النحل:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٨ – ٤٠] .

أما عقوبة هذه الأمم المكذبة يوم القيامة ، فهي بالنار ، وهم في العذاب متفاوتون ، وأشدهم عذاباً آل فرعون لشناعة جرمهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[غافر:٤٥ -٤٦] .

فجعل سبحانه أهل طاعته الأعلين في الدنيا والآخرة ، وجعل أهل معصيته الأسفلين في الدنيا والآخرة ، كما جعل سبحانه أهل طاعته أكرم خلقه عليه، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣] .

وجعل أهل معصيتها أهون الخلق عليه ، وجعل العزة لأهل طاعته ، والذل والصغار لأهل معصيته : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٨] .

وكلما عمل العبد معصيةٍ نزل إلى أسفل درجة ، ولا يزال في نزولٍ حتى يكون من الأسفلين ، وكلما عمل طاعةً ارتفع بها درجة ، ولا يزال في ارتفاع حتى يكون من الأعلين : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين:٤- ٦] .

فيجب على المؤمن أن يقف بين يدي مولاه موقف المخطئ المذنب مستحيًا منه ، خائفًا منه ، راجيًا له ، محبًا له : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢] .

فأي نعمةٍ وصلت إليه من الله استكثرها على نفسه ، ورأى نفسه دونها ، وأي نقمةٍ أو بليةٍ وصلت إليه ، رأى نفسه أهلًا لما هو أكبر منها ، ورأى مولاه قد أحسن إليه ، إذ لم يعاقبه على قدر جرمه وإسائته : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] .

الشر الذي يصيب الإنسان لا يخلو من أمرين :

أحدهما : إما ذنوبٌ وقعت منه ، فيعاقب عليها ، ويجازي بها ؛ لأنه فعلها بنفسه وقصده كما قال سبحانه : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء:١٢٣] .

الثاني : شرٌ واقعٌ به من غيره ، إما من مكلف كالإنس والجن ، أو غير مكلف مثل الهوام والحيات والعقارب ونحوها ، فيصيبه الله بذلك لحكمٍ يعلمها الله ، حسب حاله ، إما عقوبةً له على معصية ، أو تطهيرًا له من ذنب ،

أو رفعةً لدرجاته ونحو ذلك : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

والشر الأول هو الذنوب وموجباتها ، وهو أعظم الشرين .

وإن الذنب وإن صغر لقبيح ، وإن مقابلة العظيم جلَّ جلاله به لعظيم ، فالله هو العظيم ، الذي لا أعظم منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، القوي الذي لا أقوى منه ، الكريم الذي لا أكرم منه ، ومقابلة العظيم بذلك يعد من أقبح الأمور ، وأعظمها ، وأشنعها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح:١٣- ٢٠] .

فإن مقابلة العظماء ، وسادات الناس ، بمثل ذلك يستقبحه كل أحد مؤمنٌ أو كافر ، وأرذل الناس وأسقطهم مروءة من قابلهم بالرذائل ، فكيف بعظيم السموات والأرض ذي العزة والجبروت ، والملكوت، والكبرياء والعظمة ، أن يليق بالعاقل فضلًا عن المسلم عصيان العظيم في ملكه ، ومخالفة أمره ؟

قال الله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ ﴾[نوح:١٣-١٨].

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك أمنتم بالله، وعبدتموه، وأطعتموه، ولولا أن رحمة الله سبقت غضبه، ومغفرته سبقت عقوبته ، لتزلزلت الأرض بمن قابله بما لا تليق مقابلته به من الذنوب والمعاصي : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥ ﴾[مريم:٩٠-٩٥] .

ولولا حلم الله ومغفرته وعفوه لزالت السماوات والأرض من معاصي العباد وظلمهم : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾[فاطر:٤١] .

٣- الخزانة الثالثة

عقوبة من نسي ربه :

كل من نسي الله عاقبه الله بعقوبتين :

إحداهما : أن الله سبحانه ينساه ، وإذا نسيه الله وأهمله ، وتركه وتخلى عنه ، فالهلاك أدنى إليه من اليد إلى الفم كما قال سبحانه : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[التوبة:٦٧] .

الثانية : أن الله سبحانه يُنسيه نفسه ، فيهمل حظوظها ، وأسباب سعادتها وفلاحها ، وينسيه عيوب نفسه وآفاتها ، فلا يخطر بباله مداواتها ، وإزالة عللها ، وهذه أعظم خسارةً للعبد .

وقد حذرنا الله من ذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الحشر:١٩] .

ومن نسي دين الله في الدنيا ، وعرض عنه ، أشغله الشيطان بما يضره ويبعده عن ربه ، ثم نزلت به عقوبة جنايته، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤- ٤٥] .

ومن نسي الله في الدنيا نسيه الله في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الجاثية:٣٤-٣٥].

والله ﷻ لا يكلف نفسًا إلا وسعها كما قال سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾[البقرة:٢٨٦] .

والأوامر والنواهي الشرعية ليست من الأمور التي تشق على النفوس ، بل هي غذاءٌ للأرواح ، ودواءٌ للأبدان ، وحميةٌ عن الضرر ، فالله سبحانه أمر العباد بما أمرهم به رحمةً منه وإحسانًا : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] .

ولما كان كل عاملٍ سيجازي بعمله ، والإنسان عُرضةً للنسيان والخطأ والتقصير ، أخبر الله سبحانه أنه لا يؤاخذ على الخطأ أو النسيان، كما قال سبحانه : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] . ، فقال الله ﷻ : قد فعلت » . أخرجه مسلم[1] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥] .

- **أقسام النسيان**

النسيان قسمان :

أحدهما : نسيانٌ بمعنى ترك الشيء عمدًا ، والإعراض عنه .

الثاني : ونسيانٌ بمعنى ذهول القلب عما أمره الله به ، فيتركه نسيانًا .

فالأول : محاسبٌ عليه ومعاقب عليه .

والثاني : معفوٌ عنه .

والخطأ أن يقصد الإنسان ما يجوز له فعله ، ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله كأن يرمي صيدًا ، فيصيب إنسانًا خطأً ، فهذا الخطأ والنسيان بمعنى ذهول القلب ، قد عفا الله عنهما عن هذه الأمة رحمةً بهم وإحسانًا : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٠/ ١٢٦).

فمن أتلف مالًا أو إنسانًا خطأً ، فليس عليه إثم ، لكن الضمان مرتبٌ على الإتلاف ، فمن أتلف شيئًا خطأً فعليه ضمانه ، الإنسان بالدية والكفارة ، والمال بمثله .

- **واجبات الدين :**

الله ﷻ هو الملك الحق له أوامر ملكية في ملكة العظيم ، وله أوامر شرعية ، وله أوامر جزائية .

والله تبارك وتعالى أمرنا بأربعة أمور شرعية هي :

١- تعلم الدين .

٢- العمل بالدين .

٣- تعليم الدين .

٤- الدعوة إلى الدين .

أمرنا بتعلم الدين، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

وأمرنا بالعمل بالدينن كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

وأمرنا بتعلم الدين، فقال سبحانه : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وأمرنا سبحانه بالدعوة إلى الدين، فقال سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥] .

فكل سعادة وفلاح في الدنيا والآخرة سببه القيام بهذه الأمور الأربعة ، وكل شقاء وفساد في العالم سببه الإخلال بهذه الأربعة أو بعضها ، وكل نقص فيها نقص من الدين ، وإذا نقص الدين خرج من حياة الأمة تدريجيا ، ثم هلكت ، فحارس البستان المملوء بالزروع والأشجار والثمار ، إذا ترك الحراسة دخلته الكلاب والبهائم و السراق ، فلعبت به ، وأكلت ما فيه وغيرت صورته حتى ينتهي : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

ومن لم يكن من جند الرحمن ، فهو قطعا من جند الشيطان ، فإذا تركنا الدعوة إلى الله، جاءت شياطين الإنس والجن ، فلعبت بالأمة ، وغيرت صورتها ومقصدها ، وحياتها وأخلاقها ، فجاءت البدع مكان السنن ، والمعاصي مكان الطاعات ، والباطل مكان الحق ، والكفر بدل الإيمان ، والجهد للدنيا بدل الجهد للدين .

والله حكيم عليم أعلم عبادة أن سبب المصيبة من عند أنفسهم ، وأنها بقضاء الله وقدره ليوحدوه ، ويتوجهوا إليه وحده بكشفها : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٩] .

وأخبرهم بما له فيها من الحكم ، وما لهم فيها من المصالح ، حتى لا يتهموه في قضائه وقدره ، ويتعرف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

وسلاهم سبحانه بما أعطاهم بما هو أجل قدرًا ، وأعظم مما فاتهم ، فكم من مصيبة وبلية ، تهون أمام مَنَّه الله على المؤمنين بالهداية للإسلام، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤] .

والله قوي عزيز ، وهو على كل شيء قدير ، والمخلوقات كلها بالنسبة لله أصغر من الخردلة ، وهو سبحانه وحده الكبير المتعال : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧].

فقه العقوبات :

الله سبحانه وتعالى لا يستعمل قدرته أمام الطغاة والجبابرة ، بل يهلكهم ويدمرهم ، بأضعف مخلوقاته وأصغرها وأهونها ، ليعلم الناس أنهم ليسوا بشيء ، وأن الله قادر على إهلاكهم بأهون شيء عليهم .

كما أرسل الله البعوض على النمرود فأهلكته ، وفتح ماء السماء والأرض على قوم نوح فأغرقهم ، وكما فتح الله البحر لفرعون وقومه فأغرقهم في جوفه ، وكما فتح السد على قوم سبأ فأهلك زروعهم ، وخرب ديارهم ، وكما أرسل الله الريح على قوم عاد فدمرتهم ، وكما أرسل النار على قوم شعيب فأحرقتهم ، وكما أرسل الصيحة على ثمود فأهلكتهم ، وكما أهلك قوم لوط بطرف جناح جبريل ، وأهلك أصحاب الفيل بالطير الأبابيل ، وأرسل الجراد والقمل والضفادع إلى قوم فرعون : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٧] .

فلا إله إلا الله ما أعظم قدرته ، وما أهون الخلق على الله : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك:١] .

وقد شرع الله سبحانه الجهاد في سبيل الله ، لإعلاء كلمة الله ، ونصرة الدين ، وقمع المعتدين ، وإذا تركته الأمة هلكت كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩﴾[الأنفال:٣٩].

وإذا أقبلت على الدنيا ، وأعرضت عن الآخرة ، سلط الله عليهم الذل حتى تعود إلى ربها كما قال النبي ﷺ : « إذا تبايعتُم بالعِينَةِ ، وأخذتم أذنابَ البقرِ ، ورضيتُم بالزَّرْع ، وتركتُم الجهادَ ، سَلَّط اللهُ عليكم ذُلاًّ لا ينزِعُه حتى تَرجِعُوا إلى دينكم » . أخرجه أبو داود[1] .

فاشتغال الأمة بزينات الدنيا وشهواتها ، وقعودهم عن العمل بالدين ، والجهد للدين ، يجر الأمة إلى عقوبات في الدنيا والآخرة : ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾[التوبة:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾[النور:٦٣] .

وما يبتلى به الإنسان من الذنوب والمعاصي، وإن كان خلقا لله ، فهو عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله من أجله، وهو عبادته سبحانه وحده لا شريك له .

١(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٣٤٦٢).

فلما لم يفعل ما أمره الله به ، زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والبدع والمعاصي ، فلما أعرض عن الله تسلط الشيطان عليه : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .

ولابد لكل إنسان من إرادة وحركة ، فإن تحرك بالذنوب والمعاصي ، إما بفعل محظور، أو ترك مأمور، فهذا عقوبة له لعدم فعل الطاعات، والشيطان مسلط عليه ، فلما لم يتحرك بفعل الحسنات ، حركه الشيطان للسيئات ، عدل من الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم:٨٣] .

وتخصيصه سبحانه لمن هداه بين استعماله ابتداء فيما خلق له ، وفيما يحبه الله ، فضل منه سبحانه ، وهذا منه لا يوجب الظلم ، ولا يمنع العدل ، وهو سبحانه أعلم بمن يستحقه ويشكره ، كما خُصت بعض الأجسام بقوة لا توجد في غيرها : ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[آل عمران:٧٣ -٧٤] .

فإن قيل معصية الكفر كانت في زمان قليل متناهي ، والجزاء في جهنم أبدي غير متناهي ، فكيف ينطبق هذا الجزاء على العدل .

قيل من مات على الكفر ، فالله يعلم أنه لو بقي أبدا لكان كافرا أبدا ، لفساد جوهر الروح ، فهذا القلب الفاسد ، أستعد لجناية غير متناهية ، وبذلك نعلم أن الجزاء الأبدي في مقابلة جناية غير متناهية ، وذلك عين العدالة .

وأيضا الكفر كفران لنعم غير متناهية ، فجزاؤه غير متناهي .

٤ - الخزانة الرابعة

حقيقة الإيمان التوكل على الله وحده، والتأثر من الله وعدم التأثر من غيره.
فالكفار يخوفون الناس بما صنعوه من المدمرات الإنسانية كالقنابل والطائرات والدبابات وغيرها ، أما الأنبياء وأتباعهم فيدعون الناس للإيمان والاستقامة على أوامر الله ، ويخوفونهم بالعقوبات الإلهية ، فمن استجاب فله الجنة ، ومن عصى خوفوه بطش ربه بالدنيا ، وعذابه في الآخرة، كما قاله سبحانه : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[فصلت: ١٣-١٤]
وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران:١٧٥] .
فالأنبياء والرسل والمؤمنون معهم قوة الخالق سبحانه وتعالى، والكفار والأعداء معهم قوة المخلوق ، وقوة الخالق أقوى من قوة المخلوق ، ومن كان الله معه فمعه كل شيء، ومن لم يكن الله معه فليس معه أي شيء ، ولله جنود السموات والأرض من الملائكة ، والإنس ، والجن ، والمياه ، والرياح ، والزلازل ، والخوف ، والرعب ، والحر والبرد وغيرها : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾[المدثر:٣١]
والله ﷻ مع الأنبياء والمؤمنين بنصره وتأييده ، سواء كان معهم شيء أو لم يكن معهم شيء ، فالله ﷻ هو الناصر والنصير ، ينصر بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب ، فمحمد ﷺ أنجاه الله من الكفار حين أرادوا قتله ، وأظهر دينه ، وخذل أعداءه ولم يكن له ملك ولا مال .

وإبراهيم ﷺ أنجاه الله من النار ، وأنجاه من أعدائه ، ولم يكن معه شيء إلا إيمانه بربه .

وموسى ﷺ أنجاه الله من فرعون وملئه وأنجاه من الغرق ، ولم يكن معه إلا إيمانه بربه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر:٥١- ٥٢] .

وقارون خسف الله به الأرض مع كثرة أمواله ، فلما أعرض عن الله أعرض الله عنه فهلك ، وهلكت أمواله، كما قال سبحانه : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص:٨١] .

وفرعون لما طغى واستكبر ، أهلكه الله وجنوده ، مع أن معه الملك والمال : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف:٥٥] .

والنمرود أهلكه الله لما أصر على كفره مع أن معه الملك والمال ، وهكذا كل القرى الظالمة أهلكهم الله بذنوبهم ، ولم ينفعهم ما تعلقوا به من دون الله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف: ٥٩] .

فلينتبه العاقل ، ويتوب الظالم ، ويطع العاصي ، قبل أن تحل بهم عقوبة الظالمين والعصاة : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾[الطارق: ٦ – ١٤]

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢] .

- **عقوبة ترك الدعوة إلى الله :**

إن الدعوة إلى الله ﷻ كما هي وظيفة الأنبياء والرسل ، هي كذلك وظيفة هذه الأمة ، وبها تحصل الهداية للدعاة والمدعوين : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

ولما تركت الأمة الدعوة إلى الله ، عُوقبت بضعف الإيمان ، فعطلت أكثر أوامر الله في الدين ، وأوامر الله في جهود الدين ، حتى خرجت من الأمة أوامر الله ، وسُنن رسول الله ﷺ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَاخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤-١٠٥] .

وليس هذا فقط، بل لما خرجت السُنن والفضائل، أخذت مكانها المحرمات والرذائلُ والبدع ، فجاءت المصائبُ والمشاكل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

وليس هذا فقط ، بل قام في المسلمين من يحارب الله ورسوله ، ويدعو إلى نبذ كتاب الله وراءه ، وترك شرعه ، واقتراف المحرمات والكبائر ، والفواحش والرذائل ، وإتباع سُنن اليهود والنصارى.

كما قال النبي ﷺ : « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حتى لَوْ دَخَلُوا جُحْرِ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِّ ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : « فَمَنْ ؟ ». متفق عليه [1] .

وذلك كله عقوبة ترك الدعوة إلى الله ، وهذا ما حصل بين المسلمين من الافتراق والاختلاف ، وحصول الفتن ، فكيف بأحوال الكافرين : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦]

إن في الدعوة إلى الله إحياءُ دين الله في قلوب المؤمنين ، ودخول الكفار في دين رب العالمين ، وإنشاء الاستعداد في القلوب للأعمال الصالحة ، وبها تُعمر الحياة كما كانت حياة الصحابة رضي الله عنهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢] .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فالحياة حسب أوامر الله بركة ورحمة ، والحياة بدون أوامر الله شقاءٌ وتعاسة : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم(٣٤٥٦) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) .

وجميع البشرية اليوم يعيشون في المصائبِ والمشاكل ، كلٌ خائف ، وكلٌ غير مطمئن في جميع شعب الحياة في نفسه ، وفي بيته ، وفي مجتمعه ، وكلٌ يشكو أحواله ، ويشكوا ربه الرحمن الرحيم إلى خلقهِ ، والمسلمون خاصة في أعظم المصائب والمشاكل ، لتعطيلهم لكثير من أوامر الله : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

فكل مسلم إلا من رحم الله يشكو المصيبة ، بل المصائب في كل مكان ، ويدعو ولا يستجاب له ، والسبب أن المسلمين لم يفكروا في سبب البلاءِ والمرض ، بل يفكرون في الخلاص من البلاء والمرض ، فلا يرتفع البلاء ، ولا يزول المرض ، والنجاة والسلامة أن نعلم أن المصائب من الله ﷻ ، والمصائب تكون بحسب أعمالنا كما قال سبحانه : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء:١٢٣] .

ونحن غافلون عن إصلاح إيماننا وأعمالنا، وبإصلاح أعمالنا تصلح أحوالنا، وترفع عنا العقوبات : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

فعلينا تغيير الداخل بالإيمان والتقوى ، ثم الله يغير الخارج ويصلحه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد:١١] .

وعلينا أن نعيش كحياة الأنبياء والرسل ، لنسعد في الدنيا والآخرة ، ونسلم من العقوبات : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وننقل هذه الحياة الإسلامية الطيبة إلى جميع البشرية بالدعوة إلى الله ، لتسعد البشرية ، وتسلم من العقوبات في الدنيا والآخرة ، فمن عاش كحياة الأنبياء والرُسل ، حصل له الخير ، ثم دخل الجنة بعد الموت : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧١] .

وقد خلق الله الإنسان ، ليعيش في الدنيا كانسان يعرف ربهُ ، ويعبدهُ ، ويطيع أمره ، ليس كالحيوان ، وليس كالشيطان ، وبذلك يسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

فإذا عاش الإنسان كالحيوان ، أو عاش كالشيطان ، جاءت المصائب والمشاكل في الدنيا ، وعُوقبَ بالنارِ في الآخرة : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة:٣٨-٣٩] .

وكلما تشبه المسلم بالملائكة والأنبياء والرسل ، ارتفع مكانه ، وعلت درجاته ، واطمأنت نفسهُ ، وكثر خيرهُ في الدنيا والآخرة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد:٢٨-٢٩] .

وكلما تشبه الإنسان بالحيوانات والشياطين ، ظلم نفسه ، وأذى غيره ، ونزلت قيمته ، وهبطت درجته ، وشقي في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

اللهم إهدنا ، وأهد بنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى .

٥- الخزانة الخامسة

- **فقه العقوبات الشريعة :**

العقوبات الشرعية نوعان :

أحدهما : عقوبة على ذنب ماض ، كجلد الشارب للخمر ، والقاذف ، وقطع يد السارق والمحارب ونحو ذلك .

الثاني : العقوبة لتأدية حق واجب ، وترك محرم في المستقبل ، كما يستتاب المرتد حتى يسلم ، وكما يعاقب تارك الصلاة والزكاة ، وآكل حقوق الناس حتى يؤديها .

وقد شرع الله العقوبات الشرعية على قدر مفسدة الذنب ، وقبول الطبع له ، فإن كان الوازع عنه طبيعيا ، وليس في الطباع داع إليه ، اكتفى الشرع فيه بالتحريم مع التعزيز ، ولم يرتب عليه حدا كأكل النجاسات ، واكل الميتة ، وشرب الدم ، ونحو ذلك .

وما كان بالطباع داع إليه ، رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدتة ، وبقدر داعي الطبع إليه كالقتل والزنا والسرقة ، وجعل عقوبتها القصاص أو الرجم أو الجلد ، ولما كان داعي الطبع للزنا من أقوى الدواعي ، كانت عقوبته العظمى من أشنع القتلات وأعظمها ، وهي الرجم للثيب ، وعقوبته الدنيا أعلى أنواع الجلد مع التغريب ، فالجلد للبكر ، والرجم للثيب .

ولما كانت جريمة اللواط في الدبر ، كان حده القتل في كل حال ، وجعل سبحانه القتل عقوبة الكفر ، وما يليه وما يقرب منه ، وهو الزنا ، وعمل قوم لوط ، فإن هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد الأنساب : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا

مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان:٦٨- ٧٠] .

وجعل سبحانه القطع عقوبة إفساد الأموال الذي لا يمكن الاحتراز منه ، وجعل الجلد عقوبة إفساد العقول ، وإفساد العرض بالقذف ، وكما جعل الله للطاعات ثوابا ، جعل سبحانه للمعاصي عقاباً : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء:١٣- ١٤] .

- **والذنوب ثلاثة أقسام :**

فالأول : ذنب عقوبته الحد الشرعي فقط ، فهذا لم يشرع فيه كفارة ، اكتفاءً بالحد الشرعي كالقتل قصاصا ، وقطع اليد في السرقة ، ونحو ذلك .

الثاني : ذنب ليس فيه حد ، لكن شرعت فيه الكفارة ، كالوطء في نهار رمضان ، وكفارة الظهار ، وقتل الخطأ ، وكفارة اليمن ونحو ذلك .

الثالث : ذنب لم يرتب عليه حد ولا كفارة ، وهو نوعان :

أحدهما: ما كان الوازع عنه طبيعا كأكل العذرة والنجاسات ، وشرب البول ، وشرب الدم ونحو ذلك .

الثاني: ما كانت مفسدتة أقل مما رتب عليه الحد كالنظرة والقبلة ونحوهما .

- **وشرع الإسلام الكفارات ثلاثة أنواع :**

أحدها : ما كان مباح الأصل ، ثم عرض تحريمه ، فباشره الإنسان في الحالة التي عرض فيها التحريم ، كالوطء في حالة الإحرام والصيام ، والوطء حال الحيض والنفاس ونحوهما .

الثاني : ما عقده الإنسان لله من ندر ، أو بالله من يمين ، أو حرمه على نفسه ، ثم أراد حله ، فشرع الله حله بالكفارة ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [التحريم: ٢] .

والثالث : أن تكون فيه الكفارة جابرة لما فات ، مثل كفارة قتل الخطأ ، وكفارة قتل الصيد خطأ ، فإن هذا من باب الجوابر والأول من باب الزواجر ، والأوسط من باب التحلة لما منعه ، ولو اجتمع الحد والتعزير في المعصية ، فإن كان فيه حد أكتفي به ، وإلا أكتفي بالتعزير ، ولا يجتمع الحد والكفارة في معصية ، بل كل معصية فيها حد ، فلا كفارة فيها ، وما فيه كفارة فلا حد فيه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .

- **وعقوبات الذنوب والمعاصي نوعان** :

عقوبات قدرية .. وعقوبات شرعية .

وهي إما في القلب ، وإما في البدن ، وإما فيهما معًا ، عقوبات في الدنيا ، وعقوبات بعد الموت في القبر ، وعقوبات يوم البعث وحشر الإنسان ، وعقوبات في مستقر الكفار والعصاة في النار، كما قال سبحانه : ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد:٣٤] .

وترتب العقوبات على الذنوب ، كترتب الإحراق على النار ، والغرق على الماء ، وفساد البدن على السموم .

والعقوبة قد تقارن الذنب ، وقد تتأخر عنه إما يسيرا وأما مدة ، كما يتأخر المرض عن سببه أو يقارنه .

أما أصل العقوبة فهو واقع على كل ذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠] .

- **أعظم الذنوب :**

أعظم الذنوب ثلاثة :

الشركُ ، والقتلُ، والزنا، وعقوبتها أعظم العقوبات، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨- ٧٠] .

وعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال : سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قَالَ : « أَنْ تجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ » . قُلْتُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ » . قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : « أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ » . متفق عليه[1] .

فأعظم أنواع الشرك أن يجعل العبد لله ندًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء:١١٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤١/ ٨٦).

وأعظم أنواع القتل أن يقتل الإنسان ولده ، خشية أن يطعم معه .
وأعظم أنواع الزنا أن يزني الإنسان بحليلة جاره ، فإن مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكهُ من الحق .
فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظم إثمًا ، وأشد عقوبة ، من المرأة التي لا زوج لها كالبكر، لما فيه من انتهاك حرمة الزوج ، وإفساد فراشه ، وإلحاق نسب به لم يكن منه ، فإن كان زوجها جارًا له فذلك أشد ، وأعظم البوائق .
فإن كان الجار أخًا أو قريبًا من أقاربهِ أنضم إلى ذلك قطيعة الرحم ، فيتضاعف الإثم عليه ، فإن كان الجار غائبًا في طاعة الله كالصلاة وطلب العلم والجهاد تضاعف عليه الإثم ، حتى إن الغازي في سبيل الله يقف له يوم القيامة ، ويقال له خذ من حسناته ما شئت ، فإن اتفق أن كانت المرأة رحمًا منه أنضاف إلى ذلك قطيعة رحمها ، وقطيعة رحمه ، فإن كانت خالته أو عمته أو أخته أو ابنته، فذلك أشد وأعظم، وأقبح وأشنع، نسأل الله السلامة والعافية من الآثام والذنوب ما ظهر منها وما بطن : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢] .
فإن اتفق أن كان الزاني محُصنًا كان الإثم أعظم وأشد ، فإن كان شيخًا كبيرًا كان أعظم إثمًا ، فإن اقترن بذلك أن كان الزنا في شهرٍ حرام ، أو بلدٍ حرام ، أو وقتٍ حرام كالصيام ، أو وقت معظم عند الله كأوقات الصلاة ، تضاعف الإثم ، وتضاعفت العقوبة .
وقد حرم الله عز وجل على اليهود بعض الطيبات ، عقوبة لهم على ظلمهم وبغيهم ، وانتهاكهم حرمات الله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟

وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [النساء:١٦٠-١٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[الأنعام:١٤٦] .

أما الإسلام فقد شرع الله فيه للمسلمين لتكفير خطاياهم أمورًا أخرى غير تحريم الطيبات .

أحدها التوبة النصوحة التي تمحو الذنوب كما يمحو الماء الوسخ كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة: ٣٩] .

الثاني : الحسنات اللاتي يذهبن السيئات، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود:١١٤] .

الثالث : الصدقات التي تطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، كما قال النبي ﷺ : « الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ » . أخرجه الترمذي، وأحمد بسندٍ صحيح[1] .

الرابع : المحن والمصائب التي تتناثر بها الخطايا كما يتناثر ورق الشجر عندما ييبس كما قال النبي ﷺ : « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ » . متفق عليه[2] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، ، وأحمد (٢٢٠٦٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣).

وصار التحريم كله في الإسلام يتبع الضرر ، والخبثَ ، والفساد : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

الناس قسمان :

الأول : حيٌ قابل للانتفاع ، يقبل الإنذار ، وينتفع به .

الثاني : ميت القلب ، لا يقبل الإنذار ، ولا ينتفع به ؛ لأن نفسه غير زاكية ولا قابلةٍ للخير البتة ، فيحق عليه القول بالعذاب ، وتكون عقوبته بعد قيام الحُجة عليه ، لا بمجرد كونه غير قابل للهدى والإيمان بل ؛ لأنه غير قابلٍ ولا فاعل .

وإنما يتبين كون الإنسان غير قابل بعد قيام الحجة عليه بالوحي والرسول ، فإذا رد ما جاء به الرسول تبين أنه غير قابل للهدى، فعوقب لكونه غير فاعل ، فحق عليه القول أنه لا يؤمن ، ولو جاءه الرسول، كما قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[يونس:٣٣] .

وإنما يؤمن هؤلاء إذا رأوا العذاب يوم القيامة ، وذلك لا ينفعهم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾[يونس:٩٦-٩٧] .

٦- الخزانة السادسة

فقهُ العقوبات :

كان النبي ﷺ يجتهد كل أوقاته لدعوة الكفار إلى الإسلام ، ويدعو ربهُ ويبكي لأمتهِ، لعل الله أن يهديهم، والكفار كانوا يسبونهُ ويؤذونهُ ، ويشتمونهُ ويقاتلونه فتحمل ذلك وصبر حتى أظهر الله دينه ، والله ﷻ يأمرهُ بالصبر بقوله : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم:٦٠]

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾[الطور:٤٨].

وفي أيامنا هذه طرد كثيرٌ من المسلمين الدين من حياتهم ، من بيوتهم ، ومن أسواقهم ، ومن معاملاتهم ، ومن معاشراتهم ، ومن أخلاقهم .

وفي هذه المرحلة : يجب أن نكون أشد جهدًا ، واشد بكاءً ، وأشد دعاءًا .

فالكفار زمن النبي ﷺ هم الذين يطردون الرسول ﷺ، والدين، ويحاربونه ، أما اليوم فإن كثيرًا من المسلمين هم الذين يطردون الدين ، وأعمال الرسول ﷺ ، ويعملون بسُنن اليهود والنصارى، ويرضون بالخبائث عن الطيبات ، وبالباطل عن الحق ، وبالمحرمات عما أحل الله ، وبالدنيا عن الآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ ﴾[آل عمران:١٠٠-١٠١] .

وأصبح المسلمون اليوم بسبب ضعف الإيمان ، وترك العمل بأوامر الله كحفرةٍ صغيرة انفصلت من البحر الأعظم ، فصار الناسُ والبهائمُ والسباعُ يلعبون بها لصغرها ، وقلة مائها ، وانفصالها من البحر الأعظم .

فبدأ الأعداء يلعبون بهذه الأمة التي صارت صغيرة بسبب تركها للدين، وجهد الدين ، يلعبون بها ، ولا يخافون منها ، ولا يبالون بها، يلعبون بشبابها ورجالها ، ويلعبون ببناتها وأولادها ، ويلعبون برجالها ونسائها ، ويسخرون بدينها وأخلاقها، ويلعبون بأموالها وأعراضها، وعقولها وأفكارها، وأوقاتها، وحُكامها وشعوبها وتُجارها .

يلعبون بالمسلمين هكذا ، وهم آمنون مطمئنون ، أليس لهذه الأمة صلةٌ متينة بمصدر عزها ومجدها ، وهو القرآن الكريم ، وصدق الله العظيم : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

وأوامر القرآن الكريم لها قوةٌ لا تقف أمامها أي قوةٍ في الأرض ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾[الرعد:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

فشقي بهذه الأحوال المسلمون والكفار معًا ، والجهادُ موجود في العالم الإسلامي ولكنه جهاد من أجل الدنيا وتكميل الشهوات ، جهادٌ لرفاهية البدن ، جهادُ لجمع الحطام ، جهادٌ لتكميل شهوات النفس من المطعم والمشربِ ، والمركبِ والمسكنِ ، والملبسِ والمنكح ، عبثُ في الأوقات ، وإضاعة للطاقات ، واقتراف للمحرمات ، فلله ما أعظم هذه الجناية ، وما أخطرها على أهلها ، وما أشد عقوبتها : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم:٥٩-٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤- ٤٥] .

فسبحان الله كم حل بالمسلمين من العقوبات بسبب هذه الجنايات ، والإقبال على الدنيا ، والإعراض عن الآخرة : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩] .

ولا تزال هذه العقوبات من إغراق وإحراقٍ ، وإهلاكٍ وتدمير ، تحل بالأمم كلما أعرضت عن دين الله ، ومخالفة رسله ، وذلك رحمةً من الله حتى لا يزيد الشر ، ولا يزول الخير من العالم ، وحتى يرجع الناس إلى ربهم : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

وأما الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وإصلاح النفس ، فهو موجود ، ولكن القائمون به قليل ، ومن رحمة الله ﷻ بعباده أن أرسل ، إليهم الرسل يدعونهم إلى التوحيد والإيمان بالله ، فإذا ظهر الشرك والكفر بعد ذلك بعث الله نبيًا آخر يردهم إلى التوحيد والإيمان : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

وقد عاش بنو إسرائيل حياةً شديدةً مؤلمة في ظل حكم فرعون الذي أفسد طبيعة بني إسرائيل ، وملأها بالانطواء من ناحية ، وبالقسوة من ناحية ، وبالجبن من ناحية ، وبالضعف عن تحمل التبعات من ناحيةٍ رابعة ، وتركها مهلهلة بين هذه النزعات جميعًا ، فليس أفسد للنفس البشرية من الذلِ والخضوع للطغيان طويلًا، ومن الحياة في ظل الإرهاب والخوف والتخفي، والالتواء والحركة في الظلام ، مع الذعرِ الدائم ، والتوقع الدائم للبلاء .

وقد عاش بنو إسرائيل في هذا العذاب طويلًا ، وفرعون يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، فإذا فتر هذا النوع من العذاب ، عاشوا حياة الذلْ والكدَّ والمطاردة على كل حال ، حتى جاء موسى ﷺ ، ورفع الله بسببهِ هذا البلاء عنهم .

فدين الله يجعل الناس بأمر الله أعزاء ، ويجب أن يكونوا أعزاء ؛ لأنهم عبيد الله العزيز ، ملك الملوك ، ويجب ألا يضربهم الحُكام فيذلوهم ، لأنهم ليسوا عبيدًا للحكام ، بل عبيد لله وحده : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[البقرة:٤٩] .

وقد حقق الله وعده لبني إسرائيل ، فأنجاهم من عذاب فرعون ، وأهلك أعداءهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[القصص:٤-٦] .

وعقوبة الله واقعةٌ بكل من كفر بالله وعصاه : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد:٣١] .

إن الأمة الإسلامية إذا تركت الدعوة إلى الله ، عوقبت بالدعوةٍ إلى الأموال والأشياء ، ثم بالدعوة إلى الشهواتِ والمحرماتِ ، فجاء في قلوبهم تعظيم المخلوق ، والخوف من المخلوق ، والتأثر منه ، فيسلطه الله علينا فنطيع أمره ، وإن خالف أمر خالقه : ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤- ٤٥] .

والصحابة رضي الله عنهم لما قاموا بالدعوة إلى الله جاء في قلوبهم عظمة الخالق ﷻ ، فزاد إيمانهم ، حسنت أعمالهم ، وتنوعت ، وأطاعوا الله ورسوله ، فرضي الله عنهم ، ورضوا عنه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

والناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب ، وفي هذا تخويفٌ وتحذير لمن سكت عن النهى عن المنكر ، فيكف بمن داهن ؟ فكيف بمن رضي ؟ فكيف بمن أعان ؟ فكيف بمن فعل ؟ .

والعقوبة معناها مؤاخذة المجرم بذنبهِ ، وسميت بذلك ؛ لأنها تعقب الذنب: ﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ

لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾

[العنكبوت:٣٨- ٤٠] .

- **انواع العقوبات :**

العقوبات أنواع :

منها ما يتعلق بالدين ، وهي أشدها ، كأن تخف المعصية في نظر الناس ، أو يتهاونون بترك الواجب ، أو فعل المحرم : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

ومنها العقوبة في النفس كالمرض والخوف ، والإضطراب .

والعقوبة بفقد ألأهل والأولاد .

والعقوبة بفقد المال ونحو ذلك : ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠] .

وإذا أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسُنة ، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما ، وعدلوا إلى خلاف منهج الله ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم ، وظلمةٍ في قلوبهم ، وكدرٍ في أفهامهم ، وأعمتهم هذه الأمور ، وغلبت عليهم ، فلم يروها منكرًا ، وجاءتهم دولة أخرى تقوم بها البدع مقام السُنن ، والنفس مقام العقل ، والهوى مكان الهدى ، والضلال مقام الرشد ، والمنكر مقام المعروف ، والجهل مكان العلم والباطل مقام الحق ، والرياء

مقام الإخلاص ، والظلم مقام العدل ، والظلام مقام النور ، والنفاق مكان الإيمان : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف:٩٦] .

وإذا حصل ذلك فحينذاك باطن الأرض خيرٌ من ظهرها ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد:١٦- ١٧] .

وما ضيع أحد فريضةُ من الفرائض إلا ابتلي بتضييع السُنن ، وما ضيع أحد سُنة من السُنن إلا يوشك أن يبتلى بالبدع ، والله عزيز حكيم ، إذا منع الناس الزكاة ، وحرموا المساكين ، حبس الله عنهم الغيث ، وابتلاهم بالقحط ، لعلهم يتوبون إلى ربهم ، فلما منعوا الحق ، عاقبهم الله بمنع نزول الغيث .

ومن صرف الناس عن الهدى والإيمان ، صرف الله قلبهُ عن الهدى والإيمان ، وصدهم الله عنه كما صدوا عباده عنه ، صدًا بصد ، ومنعًا بمنع : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء:١٢٣] .

٧- الخزانة السابعة

إذا جار القوي على الضعيف ، ولم يؤخذ للمظلوم حقهُ من ظالمهِ ، سلط الله العدو عليهم ، ففعل بهم كفعلهم بضعفائهم .

فسبحان من بهرت حكمته العقول ، وملكت القلوب .

وكفرٌ ساعة يوجب العقاب الأبدي في النار ؛ لأن الكافر كان على عزمٍ أنه لو عاش أبدا لبقي على ذلك الاعتقاد أبدًا ، فلما كان ذلك العزم مؤبدًا ، عوقب بعقاب الأبد : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٣- ١٤] .

وكذا نعم الله على العباد غير متناهية ، فوجب أن تكون العقوبة عليها غير متناهية ، أما المسلم المذنب فإنه يكون على عزم الإقلاع عن ذلك الذنب ، فلا جرم كانت عقوبته منقطعة .

والعبد إذا قصر في طاعة الله ، سلبهً الله ما يؤنسه ، وكلما زاد الإيمان ، زادت الطاعات ، فاستأنس العبد بربه ، واستوحش من غيره، وكلما نقص الإيمان ، قلت الطاعات ، وزادت المعاصي وانشغل الإنسان بالشهوات عن أوامر الله ﷻ : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال:٢- ٤] .

وإذا قامت الحياة على أساس الأموال والأشياء ، لا على أساس الإيمان والتقوى ، سلط الله على الأمة أربعة أشياء :

قحط الدهر .

وخيانة الحُكام .

وظلم الملوك .

وخوف الأعداء .

فالأشياء موجودة لكن النفس لا تشبع ، والأموال موجودة لكن القلوب غير مطمئنة : ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [النحل:٣٣] .

ومن سُنة الله ﷻ أن كل من أعرض عن شيءٍ من الحق ، وقع في باطل مقابل ما أعرض عنه من الحق ، ومن رغب عن العمل لله وحده ، ابتلاه الله بالعمل لوجوه الخلق ، فما أخسره حين رغب عن العمل لمن ضره ونفعه ، وحياته وموته ، وسعادته وشقاوته ، بيده ، إلى العمل لمن لا يملك من ذلك شيئًا : ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

ومن رغب عن إنفاق ماله في طاعة الله ، ابتلي بإنفاقه في معصية الله ، وهو راغب ، ومن رغب عن التعب لله ، ابتلي بالتعب لخدمته أدنى الخلق ، ومن رغب عن الهدى بالوحي ابتلي بكناسة الأراء ، وزبالة الأذهان ، سُنة الله ولن تجد لسُنة الله تبديلًا : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢] .

• **أقسام العقوبات :**

العقوبات تنقسمُ إلى قسمين :

الأول : عقوباتٌ خاصة.

كما عاقب الله قارون وحده ، فخسف به وبداره الأرض ، وكما يعاقب كل عاصٍ بمعصية من المعاصي : ﴿ **مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾** ﴾ [النساء: ١٢٣] .

الثاني : عقوباتٌ عامة .

كما دمر الله فرعون وقومه ؛ لأن فرعون ادعى أنه رب ، وأنه إله ، واستخف قومه فأطاعوه واتبعوه ، فدمر الله الجميع ، وأغرقهم في البحر، كما قال سبحانه : ﴿ **فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾** ﴾ [الزخرف:٥٥] .

وكذا كل من عاند الرسل وكذبهم من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود ، وقوم لوط وقريش ، عاقبهم الله بذنوبهم : ﴿ **فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾** ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾** ﴾ [الرعد:٣١] .

والجرائم في الشريعة الإسلامية لها عقوباتٌ تسمى الحدودُ كالقصاص ، والقطع في السرقة ، والرجم أو الجلد في الزنا ، والجلد في القذف ، ونحو ذلك من الحدود : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨] .

أما عقوبة ترك الدعوة إلى الله ، فهي الاستبدال كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾[محمد:٣٨] .

وكما أن الله ﷻ لم يستثني أحدًا من الخيرية ، كذلك لم يستثني أحدًا من المسئولية والدعوة ليست عملًا اكتسابيًا ، بل هي عمل اجتبائي من الخالق ، وبعد الاجتباء تأتي المسئولية كما قال سبحانه لموسى : ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾[طه:١٣] .

وقد اجتبى الله هذه الأمة كما اجتبى الأنبياء كما قال سبحانه : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨] .

والملوك إذا تعرضوا للدين سلبوا ملكهم ، وذلوا بعد عزهم ، كما حصل لفرعون حين استكبر وعارض موسى أهلكه الله ، وكما حصل لكسرى حين مزق كتاب النبي ﷺ فمزق الله مُلكه : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣] .

وقد أرسل الله ﷻ الأنبياء والرسل السابقين إلى أممهم ، وعاقب من خالفهم بعذاب الاستئصال كقوم نوحٍ وهودٍ وقوم صالح وقوم لوط وغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبًا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٨ – ٤٠] .

والسبب في تأخر عذاب الاستئصال عن هذه الأمة ، أن ذلك العذاب مشروط بشرطين :

الأول : أن عند الله حدًا من الكفر من بلغه عذبه ، ومن لم يبلغه لم يعذبه .

الثاني : أن الله لا يعذب قومًا ، حتى يعلم أن أحدًا منهم لا يؤمن .

فإذا حصل الشرطان أمر الله الأنبياء أن يدعو على أممهم ، فإذا دعوا وشكوا إليه سوء أعمال أقوامهم ، استجاب الله دعاءهم ، وعذب أممهم بعذاب الاستئصال إلا من آمن منهم فينجيه الله وإياهم .

وأكثر المسلمين اليوم ، وإن آمنوا بالله ربا وإلهاً ، إلا أنهم لم يعظموه ، ولم يطيعوه كما يجب أن يعظم وأن يطاع ، ولم يسلموا وجوههم إلى الله ، ولم يتوكلوا عليه ولم يتيقنوا على ذاتهِ وأوامره ، فكانت النتيجة الكبرى أن عوقبت هذه الأمة بعقوبات عظمى ، فارتابت الأمة ، وشكت في أخبار الله ، وشكت في عدالته ، فلم تحكم شرعه ، ولم تذعن لأمرهِ ولا لنهيهِ ، فتركت

كثيرًا من الفرائض والواجبات ، وارتكبت كثيرًا من الكبائر والمحرمات ، فأصابها الخزي والذل : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة:٨٥] .

فقست القلوب ، وضعف الإيمان ، وقلت الطاعات ، وكثرة المعاصي ، وأصبحت الأمة إلا من رحم الله تكره لقاء ربها ، وتخاف من فراق الحياة ، وصارت لا هم لها إلا ما يعمر دنياها ، ويحقق شهواتها ، وانقطعت عن السير في طريق الكمال ، وأسرعت السير في طريق الضلال ، فضلت وتاهت إلا من رحم الله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[البقرة:٨٦] .

وبسببِ ترك الدعوة إلى الله ، نقصت مساحة الإسلام في كثيرٍ من بلاد المسلمين ، وزادت مساحة الكفر ، ومسئولية ضياع الإسلام مسئوليةٌ مشتركة بين أعدائهِ وأوليائهِ ، فأعداء الإسلام كادوا له بإثارة النعرات والنزاعات ، وإيجاد الطرق والمذاهب المتعددة بين أهل الإسلام وشعوبهِ ، وبذروا بذور الفرقة والشقاق في صفوفهم ، لئلا يجتمعوا : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾[البقرة:٢١٧] .

وأولياء المسلمين هم الأمراء والعلماء ، فالأمراء والرؤساء ، فرطوا في إقامة الشرع ، وحماية حدوده ، بما أوتوا من قوة ، وما خولوا من سلطان ، وأكثر العلماء فرطوا في تعليم الدين للناس ، والعمل به ، والدعوة إليه ، وبين كيد

الأعداء ، وتفريط الأولياء ، ضاع المسلمون أو كاد ، وصاروا أمة لا تهاب ولا تحترم ، لكن الإسلام باقٍ في الأرض كأفراد وجماعات تؤمن به ، وتعمل بأحكامه ، وتؤدي فرائضه ، وتقيم حدوده ، وتدعوا إليه في ساحات الأرض كلها ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، كما قال النبي ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى ذلك » . متفق عليه[1] .

والله ﷻ حافظ دينه ، ومُظهره على الدين كله ، وإن أهمله أهله ، وكاد له أعداؤه الذين : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف : ٨- ٩]

اللهم اهدنا ، وأهد بنا ، واجعلنا سبباً لمن اهتدى ، يا أرحم الراحمين .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) ، ومسلم برقم(١٧٤/ ١٠٣٧) واللفظ له .

٨- الخزانة الثامنة

• **فقهُ العقوبات الربانية :**

الله ﷻ يعاقب على الأسباب المحرمة، وعلى ما تولد منها من المعاصي، كما يثيب على الأسباب المأمور بها، وعلى ما تولد منها من الطاعات، فمن دعا إلى بدعةٍ أو ضلالة ، فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها ؛ لأن فعلهم تولد من فعلهِ ، ولذلك كان على ابن آدم القاتل لأخيهِ كفلٌ من ذنب كل قاتل بغير حق إلى يوم القيامة ، ولكل من دلَّ على خير ، فله مثل أجر فاعله .

قال الله تعالى عن الكفار : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل:٢٤ – ٢٥] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم[1] .

والله جل جلاله إنما يسلط الشيطان : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل:١٠٠] .

فلما تولوه من دون الله ، وأشركوا بالله ، عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم ، فهو يؤزهم إلى المعاصي أزاً كما قال سبحانه عن الشيطان : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

ولله ﷻ على أهل المعاصي عقوبتان :

إحداهما : جعل الإنسان خاطئًا مذنبًا ، لا يحس بألم المعصية ومضرتها ، لموافقتها شهوتهُ وإرادتهُ ، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة: ٦٧] .

الثانية : العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات .

فالعقوبة الأولى عقوبة موافقة لشهوته وإرادته فلا يشعر بها ، والثانية مخالفة لما يحبه ويتلذذ به ، فيقاسي ألمها ، وقد ذكر الله ﷻ العقوبتين وقارن بينهما بقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤- ٤٥] .

وعلى المسلم أن يحذر من أمرين لهما عواقب سيئة :

الأول : رد الحق لمخالفته هواه ، فمن فعل ذلك عوقب بتقليب قلبهِ ، ورد ما يرد عليه من الحقِ رأسًا ، فلا يقبله إلا إذا أبرز في قالب هواه : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

الثاني : التهاون بالأمر إذا حضر وقته ، فمن تهاون بذلك ثبطه الله ، وأقعده عن مراضيه وأوامره عقوبةً له كما قال سبحانه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام:١١٠] .

وكل كافر ، وكل مشركٍ يستحق العقوبة لمجرد كفره وشركه ، ولكن إرسال الرسل ، وترك طاعاتهم ، شرط في وقوع العذاب رحمةً من الله .

فالمقتضي قائم ، وهو عدم الإيمان ، لكن وقوع العقوبة مشروط بشرط هو إرسال الرسل ، هو إرسال الرسول ، ومعصية الرسول كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء:١٥] .

أسباب فساد الدين :

فساد الدين يحصل بأمرين :

البدع .. وإتباع الهوى .

وهذان هما داء الأولين والآخرين ، وأصل كل شر وفتنة وكل بلاء عقوبة ، وبهما كذبت الرسل ، وعصي الرب ، ودخلت النار ، وحلت العقوبات .

فالأول من جهة الشبهات ، والثاني حصل من جهة الشهوات، كما قال سبحانه : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[التوبة:٦٩] .

فالاستمتاع بالخلاق وهو النصيب من الدنيا متضمنٌ لنيل الشهوات المانعة من إمتثال الأوامر الإلهية ، والخوض في الباطل شأن النفوس الباطلة التي لم تخلق لنعيم الآخرة ، فهي لا تزال ساعيةً في نيل شهواتها التي تصدها عن أوامر الله : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

فإذا نالت خاضت في الباطل الذي لا يجدي عليها إلا الضرر العاجل والآجل ، ولكن من رحمة الله أن يبتلي هذه النفوس بالشقاء والنصب في

تحصيل مرادها وشهواتها ، فلا تتفرغ للخوض في الباطل إلا قليلًا ، ولو تفرغت لكانت هذه النفوس أئمةً تدعوا إلى النار .

وهذا حال من تفرغ منها كما هو مشاهد في كل زمان وكل مكان ، فالاستمتاع بالشهوات داء العصاة ، والخوض في الباطل داء المبتدعة وأهل الأهواء : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

وما من قرية من القرى المكذبة للرسل إلا ولابد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة ، أو عذابٌ شديد كتاب كتبه الله ، وقضاء قضاه لابد من وقوعه كما قال سبحانه : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] .

وقضاء الله سبحانه قضاء لا مرد له ، أن من اطمأن على شيءٍ سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنًا من كان : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

بل لو اطمأن العبد المسلم إلى علمهِ ، وعملهِ ، وحاله ، سلب ذلك .

وقد جعل الله سبحانه نفوس المطمئنين إلى سواه أغراضًا لسهام البلاء ، ليعلم عباده وأولياءه أن المتعلق بغير الله مقطوع : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وكل ما نراه في الوجود من شرٍ وألمٍ وعقوبةٍ ، وجذبٍ ونقصٍ ، فينا وفي غيرنا ، فهو من قيام الرب تعالى بالقسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وإن أجراه على يدٍ ظالم بسبب له عدم العدل كما قال سبحانه عمن أفسد في الأرض : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ [الإسراء:٤- ٥] .

فالطغاة عصي بيد الله ينتقم بها ، ثم ينتقم منها كما انتقم الله من بني إسرائيل لما خالفوا أمر الله بفرعون ، ثم انتقم الله من فرعون وجنوده بالغرق لما أصروا على الكفر : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الزخرف:٥٥] .

فقه عقوبات الكفارِ والعصاة :

عاقب الله جل جلاله الكفار والعصاة بعقوبات حسب جرائمهم .

١- عقوبات الكفار في الدنيا منها :

الختم على القلوب والأسماع ، والغشاوة على الأبصار ، والأقفال على القلوب ، وجعل الأكنة عليها ، والطبع على القلوب ، وتقليب الأفئدة والأبصار ، والحيلولة ما بين المرء وقلبهِ .

وإغفال القلب عن ذكر الرب ، وإنساءُ العبد نفسهِ ، وترك إرادة الله في قلبهِ ، وجعل الصدر ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء ، وصرف القلوب عن الحق ، وزيادتها مرضًا على مرضها والران على القلوب بحيث تبقى منكوسة ، هذه بعض عقوبات الكفار في الدنيا : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[البقرة:٧] .

أما عقوبات الكفار في الآخرة فهي الخلودُ في النار ، وسخط الرحمان : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾[النساء:٥٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٤].

٢- ومن عقوبات المعاصي أنها تثبط عن الطاعات ، وتبعد عنها ، وتجعل القلب أصم لا يسمع الحق ، أبكم لا ينطق به ، أعمى لا يرى الحق .

ومنها الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به إلى أسفل سافلين ، وصاحبه لا يشعر به .

وعلامة الخسف بالقلب : أنه لا يزال جوالاً حول السفليات والقاذورات والرذائل ، كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالًا حول البر والخير ، والفضائل والطيبات ، والعلويات والمحاسن من الأقوال والأعمال والصفات : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١- ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾[التين:٤- ٨] .

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في القرآن بما أوقع بالمشركين من العقوبات ، وذكر إنجاءه لأهل التوحيد والإيمان ، فيذكر شرك هؤلاء الذين استخفوا به الهلاك ، وتوحيد هؤلاء الذي استحقوا به النجاة ، ثم يخبر أن في ذلك آيةً وبرهانًا للمؤمنين ، ثم يذكر مصدر ذلك كله وأنه صادر عن أسمائه وصفاته سبحانه .

فصدور هذا الإهلاك عن عزته ، وذلك الإنجاء عن رحمته ، كما قال سبحانه بعد عقوبات الأمم المكذبة كقوم نوحٍ وعادٍ وثمود : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الشعراء:١٠٣-١٠٤] .

والله ﷻ أحسن كل شيءٍ خلقه ، وأتقن كل شيءٍ صنعه ، وكل شيءٍ عند مبدأ خلقه بريءٌ من الآفات والعلل ، تام المنفعة لما خُلق له ، وهُيأه له : ﴿ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٦-٧] .

وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمورٍ آخر من مجاورةٍ ، وامتزاجٍ ، أو أسبابٍ آخر تقتضي فساده : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

فلو تُرك على خلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به لم يفسد .

ومن لهم معرفةٌ بأحوال العالم ، يعرف أن جميع الفساد في جوه ، ونباته ، وحيوانه ، وأحوال أهله ، جاءت بعد خلقه بأسباب اقتضت فساده ، ولم تزل أعمالُ بني آدم ومخالفتهم للرسل ، ومن الفساد العام والخاص ، ما يجلب عليه من الآلام والأسقام والأمراض ، ومن القحط والجدب ، والطواعين ، وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها ، وسلب منافعها ، ونقصِ أوزانها وأحجامها ، أمورًا متتابعة، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

ولا زالت تحدث الآفات والعلل كل وقتٍ في الزروع ، والثمار، والأشجار ، والإنسان ، والحيوان ، ويحدث من تلك الآفات آفات آخر متلازمة ، وبعضها آخذ برقابِ بعض .

وكلما أحدث الناس ظلمًا وفجورًا ، أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم ، وفواكههم ، وهوائهم ، ومياههم ، وأبدانهم ، وخلقهم ، وأشكالهم ، وأخلاقهم من النقص والآفات ، ما هو مُوجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم ، لعلهم يتوبون ، ويرجعون إلى ربهم، كما قال سبحانه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

فظهر الفساد في البر والبحر ، وفي أنفسهم ، بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة ، ليعلم العباد أن الله هو المجازي على الأعمال ، فجعل لهم شيئًا يسيرًا من جزاء أعمالهم في الدنيا ، لعلهم يرجعون عن أعمالهم الفاسدة ، التي أثرت فيهم ، والتي أثمرت لهم من الفساد ما أثمرت ، وجلبت لهم من البلاء والمحن ما جلبت لتصلح أحوالهم ، ويستقيم أمرهم .

فسبحان الحكيم العليم الذي أنعم ببلائه ، وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم عقوبة جميع ما كسبوا من السيئات في الدنيا ما ترك على ظهرها من دابة، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر:٤٥] .

وأكثر هذه الآفات والأمراض بقية عذابٍ عذبت به الأمم السابقة فأبقى الله منها بقية مفسدة لمن فعل مثل أفعالهم حكمًا قسدًا وعدلًا ، وقضاءً عدلًا : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣] .

كما سلط الله الريح على قوم عاد سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا ، ثم أبقى في العالم منها بقية لتلك الأيام ، وفي نظيرها عظةٍ وعبرة كما قال النبي ﷺ : « الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . وقَالَ أَبُو النَّضْرِ : « لَا يُخْرِجُكُمْ إِلَّا فِرَارٌ مِنْهُ » . متفق عليه[1] .

والحل الذي يرفع هذه الآفات والبلاء والأمراض الإيمان بالله ، والاستقامة على دينه ، بفعل ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام:٨٢] .

ففي القيام بوظائف الدين الظاهرة والباطنة الأمن والسلامة والعافية في الدنيا والآخرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم : (٣٤٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢١٨).

أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وبذلك نعلم يقينًا أن الرسل وأتباعهم خاصة على سبيل النجاة ، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون ، وإلى دار البلاء صائرون ، والله منفذ لأمره ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر:١- ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد: ١٢] .

٩- الخزانة التاسعة

- **فقه الصلاح والفساد :**

من تدبر أحوال العالم وجدَ كل صلاحٍ في الأرض فسببه توحيدُ الله وعبادته وطاعتهُ وطاعةُ رسوله ، وكل شرٍ في العالم وفتنةٌ وبلاءٍ وقحط وتسليط عدو وغير ذلك **فسببه** :

مخالفة أمر الله ورسولهِ .. وترك الدعوة إلى الله .. والاشتغال بالدعوة إلى غيره ، وبغير ما شرعه رسوله : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾** ﴾[الأنعام:٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾** ﴾[النساء:١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ **فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾** ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

والله ﷻ أصلح الأرض برسوله ، ودينه ، وبالأمر بعبادته ، وتوحيدهِ ، ونهى عن إفسادها بالشرك به ، ومخالفة أمرهِ ، وأمر رسولهِ ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ **ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾** ﴾[الأعراف:٥٥-٥٦] .

والناس قسمان :

ذاكر لربهِ .. وغافلٌ عن ربه .

فمن نسي ربهُ أنساه ذاتهُ ونفسهُ ، وما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعادهِ ، فصار معطلًا مهملًا بمنزلة الأنعام السائبة ، بل هي خيرٌ منه ، لبقائها على هُداها التام الذي أعطاه إياه خالقها : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢] .

وقال الله ﷻ من الكفار : ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان:٤٤] .

فهذا الغافل عن ربهِ خرج عن فطرتهِ التي خُلق عليها ، فنسي ربه فأنساه نفسه ، وما تكمل به ، وما تزكوا به ، وما تسعد به في معاشها ومعادها، كما قال سبحانه : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[الكهف:٢٨]

فلما غفل عن ذكر ربه أنفرط عليه أمرهُ وقلبه .

وأعظم العقوبات نسيان العبد نفسه ، وإهماله لها ، وإضاعته حظها ونصيبها من الله ، ومن نسي ربه أنساه الله نفسه كما قال سبحانه : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[الحشر:١٩] . فهؤلاء عاقبهم الله على نسياهم له ، بأن أنساهم أنفسهم ، فنسوا مصالحها أن يفعلوها ، وعيوبهم أن يصلحوها ، ونقائصها أن يكملوها ، وحظوظها أن يتناولوها : ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧] .

وهذا من أعظم العدل ، فإنه سبحانه نسيهم كما نسوه ، وأنساهم حظوظ أنفسهم ونعيمها وكمالها ، وأسباب سعادتها ولذتها ، عقوبةٌ لهم على نسيان المحسن إليهم بصنوف النعم ، المتحبب إليهم بآلائه ونعمائه : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢] .

فلما قابلوا ذلك بنسيان ذكره ، والإعراض عن شكره ، عدل فيهم بأن أنساهم مصالح أنفسهم فعطلوها ووقعت فيما تفسد به ، وتتألم بفوته : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣-١٤] .

ومن أعظم مصالح النفس وتحصيل حظوظها ، ذكرها لربها ، وفاطرها ، وشكرها له ، وطاعتها لأمره ، فلا نعيم لها ولا سرور، ولا فلاح ولا صلاح، إلا بذكر الله وحبهِ وطاعتهِ ، والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد:٢٨-٢٩] .

فهؤلاء ذكروا الله فذكرهم ، وذَّكرهم بمصالح نفوسهم ففعلوها ، وأوقفهم على عيوبهم فأصلحوها ، وعرفهم حظوظها العالية فبادروا إليها : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٩٠] .

فجازى أولئك على نسيانهم بأن أنساهم الإيمان ، ومحبة الله ، وذكره ، وشكره ، فلما خلت قلوبهم من ذلك لم يجدوا عن ضده محيصًا ، وهذا يبيَّن لنا كمال عدل الله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها ، وإذا كان

قضاء الله على النفس بالكفر والذنوب عدلًا منه عليها ، فالقضاء عليها بالعقوبة أعدلُ وأعدل .

فهو سبحانه حكم عدلٌ ، لا يظلم أحداً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

فالله قضاءان :

١-قضاء السبب .

٢-وقضاء المسُبب .

وكلاهما عدل فيه ، فإن العبد لما ترك ذكر ربه ، وترك فعل ما يحبه ويرضاه ، عاقبهُ بنسيان نفسه ، فأحدث له هذا النسيان ارتكاب ما يبغضه الله ويسخطه بقضائهِ الذي هو عدل، فترتب لهذا العابد العاصي على هذا الفعل والشرك ، عقوبات وآلام لم يكن منها بُد ، بل هي مترتبةٌ عليه ترتب المسُببات على أسبابها ، وهذا عادلٌ محض من الرب سبحانه ، فعدل في العبد أولًا وأخرًا ، فهو محُسن في عدله ، محُبوب عليه .

ودين الله تبارك وتتعالى هو الحق ، وكل ما سواه باطل ، وإنما يكيد المكذبون الظالمون ، ويحتالون ويخادعون ، من اجل ردِ الناس عنه ، والله جل جلاله يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله ﷺ ، وعباده المؤمنين ، عقوبة لهم على جرمهم كما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧]

وكيده سبحانهُ لأعدائه استدراجهم لمصارعهم من حيث لا يعلمون ، والإملاء لهم حتى يأخذهم على غرة وهم على ذنوبهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٢-١٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٥-٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٨] .

فالإنسان إذا أراد أن يكيد غيره ، يظهر له إكرامهُ وإحسانه إليه ، حتى يطمئن إليه ، فيأخذه على غرة كما يفعل الله بأعداء الله ورسوله ، فإذا فعل ذلك أعداءُ الله ورسوله بأوليائهِ ودينهِ كان كيد الله لهم حسنًا لا قبح فيه ، فيعطيهم ويعافيهم وهو يستدرجهم بذلك إلى مصارعهم، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤- ٤٥] .

وكل من استقام على أوامر الله ، أسعده الله وأكرمه في الدنيا والآخرة .

وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم، واختيارهم ، واستقامتهم على أوامر الله كما قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [البقرة:٤٧] .

فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم ، وعصوا رسلهِ ، وقتلوا أنبياءه ، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم ، وأفسدوا في الأرض ، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب ، والذلةِ والمسكنة ، وقضى عليهم بالتشريد ، وحق عليهم الوعيد، كما قال سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة:٧٨] .

وقال سبحانه عنهم : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[المائدة:١٣] .

وقال سبحانه عنهم : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾: [البقرة:٦١] .

وقال سبحانه عنهم : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[النساء:١٦٠- ١٦١] .

١٠- الخزانة العاشرة

- **عقوبة استحلال المحرمات :**

الربا من كبائر الذنوب ، يدمر الأمم ، ويحطم الأخلاق ، ويُوجب اللعنة والطرد من رحمة الله ، وقد أعلن اللهُ الحرب على أهله من الله ورسوله ، وهي حربٌ شاملةٌ داهمةٌ غامرة أعمُ من القتال .

والداخل فيها من الخلق مهزوم قطعًا ، فهي حرب عظيمة ، حرب على الأعصابِ والقلوب ، وحربٌ على البركة والرخاء ، وحربٌ على السعادة والطمأنينة ، وحربُ المطاردة والمشاكسة ، وحرب الغبن والظلم ، وحرب القلق والحزن، حرب يسلطُ اللهُ فيها بعض العصاة لدينه ومنهجه على بعض، وأخيرًا حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول .

ولهذا حذر الله المؤمنين من جميع المعاملات الربوية بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[آل عمران:١٣٠-١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٧٩] .

إنها حرب عظيمة تشتعل الآن في العالم كله ، من جُراء النظام الربوي المقيت ، وأيسرُ ما يقع إن لم يقع هذا كله ، هو خراب النفوس ، وانهيار الأخلاق ، وانطلاق سعار الشهوات ، وتحطيم الكيان البشري كله من أساسه ، وهي حربٌ مشبوبةٌ دائما ، وقد أعلنها الله على المتعاملين بالربا ، وهي مُسعرةٌ الآن تأكل الأخضر واليابس في حياة البشرية الضالة عن هدى ربها ، وهي غافلةٌ تحسبُ أنها تكسب وتتقدم ، بينما هي خاسرة قطعًا ، فإن المرابين يحاربون الله ورسوله ، ومن يحاربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو هالكٌ وخاسرٌ قطعًا، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٧٩] .

وهذا الإنتاج العظيم ، والمال الوفير ، لو أنه نشأ من منبتٍ زكيٍ طاهر لأسعد البشرية ، ولكنه نبت من أرض الربا الملوث ، فأشقى البشرية ، وخنق أنفاسها ، وحطم أخلاقها ، وأثقل كواهلها بالديون ، وأشعل الفتن والحروب ، وتسبب لها بأعظم العقوبات : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود: ١٠٢] .

والحل واحد بالاستقامة على أوامر الله ، وتجنب هذا المورد العفن النتن الآسن ، وهو الربا ، وإتباع وطاعة الله ورسوله فيما أنزل من أحكام عادلة ، وإلا فهي العقوبة والهلاك بلا ريب : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

فيا الله كم يعم أوكار الوحوش الربوية من المسلمين ؟ وكم تسعى هذه الفرائس إلى الفخاخ بأقدامها ؟ .

وإذا كانت الطاعات محسوبة ، والمعاصي محسوبة ، والمعاملات مكتوبة ، والسرائر مكشوفة ، فهلا نسارع إلى الخيرات ، وهلا نخاف الله ، ونخاف يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[البقرة:٢٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحديد:١٦- ١٧] .

والكفر بآيات الله سواءً كان بإنكارها أصلًا ، أو عدم الاحتكام إليها بواقع الحياة ، وقتل الأنبياء بغير حق ، وطرد سننهم من الحياة ، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس جسديًا أو معنويًا ، وعصيان الجبارِ سبحانه في ملكه ، والاستعداء على حق الله ، وحق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحق عباده ، هذه هي المؤهلات لغضب الله ، وللهزيمة والذلة والمسكنة ، يتقدم بها من يسمون أنفسهم مسلمين بغير حق إلى ربهم ، فينالون عليها كل ما كتبه الله على اليهود من الهزيمة والذلة ، والمسكنة والغضب : ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[آل عمران:١١٢] .

فاليهود لا يطمئنون ولا يستقرون ، حيث عاقبهم الله بالذل في بواطنهم ، والمسكنة في ظواهرهم ، فلا يطمئنون إلا بحبلٍ من الله ، وحبلٍ من الناس ، فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم ، تؤخذ منهم الجزية ويستذلون ، أو تحت أحكام وحكم النصارى ، وباؤا مع ذلك بأعظم العقوبات ، وهي غضب الله عليهم ولعنته .

وقد حذر الله المؤمنين من طاعة الذين كفروا ، فطاعة الذين كفروا عاقبتها الخسارة المؤكدة ، وليس فيها ربحٌ ولا منفعة ، بل فيها الانقلاب على الأعقاب إلى الكفر، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران:١٤٩-١٥٠].

فالذي لا يكافح الكفر والشر والضلال ، والباطل والظلم والطغيان ، لابد أن يتخاذل ، أو يتقهقر ويرتد على عقبيه إلى الكفر والشر والضلال والطغيان ، فالإيمان والكفر ضدان ، فالذي لا يتحرك إلى الأمام بإيمانه ، لابد أن يرتد إلى الوراء بكفره ، والذي لا يعلو بإيمانه وأعماله الصالحة ، لابد أن ينزل إلى أسفل بكفره وأعماله السيئة : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين:٤-٦] .

ومن كان الله مولاه فما حاجته بولاية أحدٍ من خلقه ، ومن كان الله ناصره فما حاجته لنصرة أحدٍ من العبيد ، والله تبارك وتعالى لطيف بعباده ، رحيم بهم ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة:١٤٣] .

وهو سبحانه غنيٌّ عن عذاب العباد ، فما به سبحانه من نقمةٍ ذاتيةٍ عليهم يصب عليهم من أجلها العذاب ، وما به سبحانه من حاجة لإظهار سلطانه وقوته عن هذا الطريق ، وما به سبحانه من رغبةٍ ذاتيةٍ في عذاب الناس ، وإنما هو صلاح العباد بالإيمان والشكر لله عز وجل، كما قال سبحانه : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾[النساء:١٤٧] .

فعذاب الله جزاءٌ على الجحود والكفرانِ ، والعصيان ، هو تهديدٌ لعله يقود إلى الشكر والإيمان ، إنها ليست شهوة التعذيب ، ولا رغبة التنكيل ، فمتى اتقى الإنسان ربه بالشكر والإيمان ، فهنالك المغفرة والرضوان ، وهناك شكر الله سبحانه لعباده : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

وإذا كان الخالق المنعم المتفضل الغني عن العالمين يشكر العباد على صلاحهم وإيمانهم وشكرهم ، وهو غنيٌّ عنهم ، وعن إيمانهم وشكرهم ، فماذا ينبغي للمخلوقين المغمورين بنعم الله ؟ وماذا يجب عليهم تجاه الخالق الرازق المنعم المتفضل ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

عقوبات الجرائم الكبرى :

أعظم الكبائر والمنكرات والفواحش ثلاثة :

١-الشرك بالله .

٢-والزنا .

٣-وقتل النفس بغير حق .

وكل هذه جرائم قتل في الحقيقة .

فالجريمة الأولى ، وهي الشرك بالله جريمة قتل الفطرة .

والثانية : جريمة قتل الجماعة ، وهي الزنا .

والثالثة : جريمة قتل النفس البريئة .

فالفطرة التي لا تعيش على التوحيد والإيمان فطرة ميتة : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

والجماعة التي تشيع فيها الفاحشة جماعةً ميتة منتهية قطعًا إلى الدمار : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء: ٣٢] .

والمجتمع الذي تشيع فيه المقاتل والثارات مهدد بالدمار ، ومن ثم جعل الله عقوبة هذه الجرائم الثلاث ، وهي الشرك ، والزنا ، وقتل النفس بغير حق ، هي أقسى العقوبات ؛ لأنه سبحانه يريد حماية خلقه من عوامل الدمار ، ولذا وصف الله عباده المؤمنين بالبراءة منها، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ

فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨- ٧٠] .

وقد ذكر الله سبحانه سُنته في عقوبة الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق في قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٦] .

عاقبهم سبحانه بصرفهم عن آياته ، فلا ينتفعون بها ، ولا يستجيبون لها ، آيات الله في كتابه المنظور ، وآياته في كتبه المنزلة على رسله : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وذلك ؛ لأنهم تكبروا وكذبوا بآيات ربهم ، فكانوا عنها غافلين ، فالكبرياء صفة لله وحده ، لا يقبل فيها شريكًا ، وحيثما تكبر الإنسان في الأرض كان ذلك تكبرًا في الأرض بغير حق : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٢ – ٢٣] .

وشر التكبر ادعاء حق الربوبية في الأرض على عباد الله ، ومزاولة هذا الحق في التشريع لهم من دون الله ، وتعبيدهم لهذا التشريع الباطل ، ومن هذا التكبر تنشأ سائر ألوان التكبر ، فهو أساس الشر كله ، ومنه ينبعث وينفجر .

وهؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق جبلتهم مقلوبة ضالة تجنح عن سبيل الرشد حيثما رأت ، وتجنح إلى سبيل الغي حيثما لاح لها ، وهذا الصنف من الناس موجود مشهود يتجنب الرشد ، ويتبع الغي ، دون جهدٍ منه ، ودون تفكير ولا تدبر ، فهو يعمى عن طريق الرشد ويتجنبه ، وينشرح لطريق الغي ويتبعه ، إنه يرى الحق باطلًا ، والباطل حقًا ، ويعمل بذلك ، ويدعو إلى ذلك وهو في الوقت ذاتهِ مصروف عن آيات الله الكونية ، وآياته الشرعية ، لا يراها ولا يتدبرها ، ولا تتأثر بها نفسه ، فما أعظمها من عقوبة .

وما يظلم الله هذا الصنف من الناس بهذا الجزاء المؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة ، إنما هو الجزاء الحق لمن يكذب بآيات الله ، ويغفل عنها : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ ﴾[الأعراف:١٤٧] .

إن الذي يكذب بآيات الله المبثوثة في صفحات هذا الكون المنظور ، أو آياته المتلوة في كتابه المسطور التي يحملها الرسل ، ويكذب تبعًا لهذا بلقاء الله في اليوم الآخر ، إن هذا الكائن المسيخ روحُ ضالة شاردة عن طبيعة هذا الكون المسلم ، ونواميسه ، لا تربطه بهذا الكون رابطة ، فالكون كله يسبح بحمد ربه، كما قال سبحانه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤] .

وكل عملٍ يصدر عن هذا المسيخ المقطوع هو عمل حابط ضائع ، ولو بدا أنه قائم وناجح ، كالدابة التي تأكل النبات السام فتنتفخ ، فيحسبهُ الناس عافية وسمنة ، وإنما الهلاك يترصدها بعد الانتفاخ والحبوط : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣] .

وكلما تكررت جريمة الكذب والافتراء على الله ، تكررت العقوبة كما حصل من بني إسرائيل حين عبدوا العجل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٢] .

فهو جزاءُ متكرر كلما تكررت جريمة الافتراء على الله ، وقد كتب الله على الذين اتخذوا العجل الغضب والذلة ، وكان آخر ما كتب الله عليهم بأن يبعث عليهم ، يوم القيامة من يسوموهم سوء العذاب : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٧] .

فإذا بدأ في فترةٍ من الفترات أن بني إسرائيل يطغون في الأرض ويستعلون ، وأنهم يملكون سلطان المال والإعلام ، وأنهم يستدلون بعض عباد الله ، ويطردونهم من أرضهم وديارهم في وحشية ، والدول الضالة تساندهم فليس هذا بناقض لوعيد الله ، ولا لما كتبه الله عليهم ، فهم بظلمهم وأفعالهم وصفاتهم السيئة يختزنون النقمة في قلوب البشر ، ويهيئون الرصيد الذي

يستخفون به السخط والغضب ، غير أن هذه الحالة لا تدوم ، إنها فترة غيبوبة المسلمين عن سلاحهم الوحيد ، فإذا عادوا إلى ربهم رد هؤلاء إلى الذلة التي كتبها الله عليهم ، أما الذين يعملون السيئات ، ثم يتوبون إلى الله ، فإن الله يتوب عليهم ، ويغفر لهم ، وهذه سنة الله في كل زمانٍ ومكان ؛ لأنه رءوف رحيم بعباده : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأعراف:١٥٣] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥٦-خزائن المناهي الشرعية

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٥٦-خزائن المناهي الشرعية

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

• **فقه الابتلاء :**

الله ﷻ هو الحكيم العليم ، وقد اقتضت حكمته البالغة أن يكون الإنسان مكلفًا مختارًا ، يؤمن أو يكفر ، يطيع أو يعصي كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الكهف : ٢٩ – ٣٠] .

وقد ابتلى الله ﷻ كل إنسان بثلاثة أمور :

بالشهوات الحيوانية .. وبالأوامر الإلهية .. وبالمصائب القدرية .

كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف:٧] .

وقال ﷻ : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال ﷻ : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١]

ولما كان التكليف من الله ﷻ يستلزم أمرين ، ليتم الاختيار ، فقد أمر الله ﷻكل إنسان ونهاه ، فأمره بفعل ما ينفعه ويصلحه ونهاه عما يضره ويفسده : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾[الإنسان : ٢-٣] .

وقد ابتلى الله ﷻ آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام ، حيث أمرهما بالسكنى في الجنة ، وتناول ما شاءا رغدًا ، ونهاهم عن الاقتراب من الشجرة التي نهاهم الله ﷻعنها : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٣٥] .

فأكلا من الشجرة ، ثم تابا فتاب الله عليهما .

أما إبليس فكان ذنبه العظيم ترك الأمر وذلك يدل على الكبر والعجب ، وأما ذنب آدم وزوجه فهو الضعف والأكل مما نهى الله ﷻ عنه كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[البقرة:٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[البقرة: ٣٤] .

وكذلك كانت سنة الله ﷻ في ذرية آدم عليه الصلاة والسلام ، حيث ابتلاهم بالأوامر والنواهي ، والطاعات والمعاصي ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤] .

وكمال العبودية يحصل بثلاثة أشياء :

تصديق الأخبار .. وامتثال الأوامر .. واجتناب النواهي .

كما قال سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام : ١١٥] .

صدقًا في الأخبار ، وعدلًا في الأحكام ، فالله ﷻ ما أمر بشيء إلا أعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا أغنى عنه ، ولا أباح شيئاً إلا سهل الوصول إليه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر : ٧] .

وقال ﷻ ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزمر:٣٣].

والأوامر الشرعية غذاء تتغذى به الأبدان والقلوب ، والمناهي الشرعية سمومٌ مهلكة للأبدان والقلوب ، والأوامر الشرعية ثقيلة على النفوس ، لأن النفوس تحب الشهوات ، والنواهي الشرعية خفيفة على النفوس : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

واجتناب المناهي الشرعية ، أشد من فعل الأوامر الشرعية ، لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه ، لأنها ضارة ، بينما الأوامر الشرعية قيدت بالاستطاعة كما قال سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[التغابن: ١٦] .

وقال النبي : ﷺ « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَائْتُوا منه ما استطعتم » . متفق عليه[1] .

فأعمال البر سهلة يعملها البر والفاجر ، أما المعاصي فلا يتركها إلا صدّيق ، وبذلك نعلم أن كمال العبودية في اجتناب المناهي الشرعية .

لهذا منّ الله ﷻ علينا بعونه وفضله ، ببيان المناهي الشرعية ، في ضوء القرآن والسنة ، ليحذرها الناس ، ويبتعدوا عن شرها ، وضررها ، وخطرها ، فإن المناهي إذا استطار شرها وقع فيها العبد ، وأفسدت دنياه وآخرته؛ لأنها تضر بلا شك، وضررها على القلوب كضرر السموم في الأبدان ، على اختلاف درجاتها في الضرر : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

ليس في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي .

فالذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده ، ولعنه، ومسخ ظاهره ، وباطنه ، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع ، وبُدل بالقرب بعدًا ، وبالرحمة لعنًا ، وبالجمال قبحًا ، وبالجنة نارًا تلظى ، وبالإيمان كفرًا ، ذلك كله بسبب الذنوب والمعاصي ، وذلك حين امتنع عن السجود لآدم ، وعصى ربه كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٠/ ١٣٣٧).

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم ، حتى علا الماء فوق رءوس الجبال في عهد نوح ﷺ ، إلا الذنوب والمعاصي ؟ ! وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كلهم كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية ، ودمرت ما مرت عليه ، ديارهم و حروثهم و زروعهم ، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة إلا الذنوب والمعاصي .

وما الذي أرسل على ثمود الصيحة ، حتى قطّعت قلوبهم في أجوافهم ، وماتوا عن آخرهم إلا الذنوب والمعاصي ؟ ! .

وما الذي رفع قرى اللوطية ، حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ثم قلبها عليهم ، فجعل عاليها سافلها ، وأهلكهم جميعًا ، ثم أتبعهم بحجارة من السماء أمطرها عليهم ، إلا الذنوب والمعاصي .

وما الذي أرسل على قوم شعيب ﷺ سحائب العذاب كالظلل إلا الذنوب والمعاصي .

وما الذي ألقى فرعون وجنوده في البحر ، ثم نقل أرواحهم إلى جهنم ، فالأجساد للغرق ، والأرواح للحرق ، إلا الذنوب والمعاصي .

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله إلا الذنوب والمعاصي ؟ ! .

وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأسٍ شديد ، فجاسوا خلال الديار ، وقتلوا الرجال ، وسبوا الذرية والنساء ، وأحرقوا الديار ، ونهبوا الأموال ، إلا الذنوب والمعاصي .

وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرةً بالقتل والسبي ، وخراب البلاد ، ومرة بجور الملوك ، ومرة بمسخهم قردة وخنازير ، إلا الذنوب والمعاصي : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء:١٢٣] .

وقال الله تعالى عن الأمم المكذبة للرسل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت:٤٠] .

فما أعظم عقوبة الله لمن أصر على كفره ، وكذب رسله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] .

فنعوذ بالله من معصية الله ، ومن مخالفة أمره ، وارتكاب نهيه ، و الجرأة على معصيته : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[آل عمران:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٨] .

فقه المناهي الشرعية

كمال العبودية لله يحصل للعبد بثلاثة أمور :

تصديق الأخبار الواردة في القرآن والسنة .

وامتثال الأوامر الواردة في القرآن والسنة .

واجتناب المناهي الواردة في القرآن والسنة .

فيجب على كل مسلم ومسلمة امتثال الأوامر الشرعية ، حسب الاستطاعة ، واجتناب المناهي الشرعية مطلقًا .

والأمور المنهي عنها هي الأحوال التي ورد النهي عنها ، والنهي مقابل الأمر ، فالأمر طلب فعل ، والنهي طلب الكف عن الفعل ، ويكون التعبير عنه بلا الناهية كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء:٣٦] .

أو التحذير منه بإياك ، أو إياكم ، أو الحذر ، أو الوعيد على الفعل ، أو ذم الفاعل ، وإيجاب الكفارة في الفعل ، ونحو ذلك مما جاء في القرآن ، والسنة النهي عنه : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور : ٦٣] .

والمناهي الشرعية هي كل فعل طلب الله ورسوله تركه ، أو ذم فاعله ، أو عتب عليه ، أو لعنه ، أو مقته ، أو مقت فاعله ، أو نفى محبته إياه أو محبة فاعله ، أو نفى الرضا به ، أو الرضا عن فاعله ، أو شبّه فاعله بالبهائم ، أو بالشياطين ، أو جعله مانعًا من الهدى ، أو من القبول ، أو وصفه بسوء ، أو كراهة .

ومن المناهي الشرعية ، كل ما استعاذ الأنبياء منه ، أو أبغضوه ، أو حذروا منه ، أو كان سببًا لنفي الصلاح ، أو كان سببًا لعذابِ عاجل أو آجل ، أو كان سببًا للذم ، أو للضلالة ، أو للمعصية ، أو وصف بخبثٍ ، أو رجسٍ ، أو نجس ، أو بكونه فسقًا ، أو إثمًا ، أو سببًا لإثم ، أو رجسٍ ، أو لعنٍ ، أو غضبٍ ، أو زوال نعمة ، أو حلول نقمة : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤ ﴾[النساء: ١٣- ١٤] .

ومن المناهي الشرعية ما كان موجبًا لحدٍ من الحدود الشرعية ، أو كان سببًا لقسوةٍ أو خزي ، أو ارتهان نفسٍ ، أو لعداوةٍ الله ، أو لمحاربته أو الاستهزاء به ، وسخريته .

أو جعله الرب سببًا لنسيانه لفاعله ، أو وصف نفسه بالصبر عليه ، أو بالحلم ، والصفح عنه ، أو دعاه إلى التوبة منه ، أو وصف فاعله بخبثٍ ، أو احتقارٍ أو نسبة إلى عمل الشيطان وتزيينه ، أو لولي الشيطان ، أو تولي الشيطان لفاعله ، أو وصفه بصفة ذم مثل كونه ظلمًا ، أو بغيًا ، أو عدوانًا ، أو إثمًا ، أو تبرأ الأنبياء منه ، أو من فاعله : ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[الأعراف: ٣٣] .

ومن المناهي الشرعية ما ترتب عليه حرمان من الجنة ، أو وصف فاعله بأنه عدو لله ، ورسوله ، وأن الله عدوه ، أو أعلم فاعله بحرب من الله ورسوله ، أو قيل فيه لا ينبغي هذا ، ولا يصلح ، أو أُمر بالتقوى عند السؤال عنه ، أو وصف فاعله بالضلالة ، أو أنه ليس من الله في شيء ، أو أنه ليس من

الرسول وأصحابه ، أو قُرن بمحرم ظاهر التحريم في الحكم ، والخبر عنهما في خبر الواحد ، أو جُعل اجتنابه سببًا للفلاح ، أو فعله سببًا لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين ، أو قيل لفاعله : هل أنت منته ؟ ، أو نُهى الأنبياء عن الدعاء لفاعله ، أو رُتب عليه إبعاد وطرد من رحمة الله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة : ٩٠ – ٩١] .

ومن المناهي الشرعية من أخبر الله أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليه ، ولا يزكيه ، وأن الله لا يصلح عمله ، ولا يهديه ، وأن فاعله لا يفلح ، ولا يكون يوم القيامة من الشهداء ، ولا من الشفعاء ، أو أن الله يغار من فعله ، أو منه على وجه المفسدة فيه ، أو أخبر أنه لا يقبل من فاعله صرفًا ، ولا عدلًا ، أو أخبر أن من فعله قيض له شيطانًا فهو له قرين ، أو جعل الفعل سببًا لإزاغة الله قلب فاعله ، أو صرفه عن آياته ، وفهم كلامه ، أو سؤال الله تعالى عن علة الفاعل لم فعل ، نحو لم تصدون عن سبيل الله ، ولم تلبسون الحق بالباطل ، ما منعك أن تسجد إذ أمرتك ، ونحو ذلك ، وكذا لفظة ما يكون لك ، وما يكون لنا كما قال سبحانه عن إبليس : ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾[الأعراف:١٣] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾[الأعراف:٨٩] .

وقال ﷻ : ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾[المائدة:١١٦] .

ونحو ذلك من الألفاظ الشرعية الواردة في القرآن والسنة .

فكل ذلك يدل على النهي عن الفعل ، والمنع منه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[النساء:١١٥] .

والأصل في خطاب الشرع ، أن الأوامر نفعل منها ما نستطيع ، والمناهي الشرعية ، نجتنبها بالكلية .

قال النبي ﷺ : « ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . متفق عليه[1] .

ومن لوازم النهي عن الشيء ، النهي عن الوسائل المفضية إليه ، والذرائع الموقعة فيه ، ويدخل في ذلك تحريم الحِيل ، التي يتوصل بها الناس إلى تحليل ما حرم الله ، والنظر المحرم إلى الأجنبيات ، والنهي عن الشيء نهيٌ عما لا يتم اجتنابه إلا به ، كما إذا اختلط ميتة بالمذكاة ، فإن كل ذلك يحرم ، تناول الميتة بعلة الموت ، والمذكاة بعلة الاشتباه .

وتحريم الشيء مطلقًا يقتضي تحريم كل جزء منه .

فتحريم الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، فإن النهي عن الشيء ، نهي عن بعضه ، ما لم يرد استثناء صحيح ، صريح ، والنهي يدل على أن فساد المنهي عنه راجح على صلاحه ، وأصل ذلك أن يعلم العبد أن الله لم يأمرنا إلا بما فيه صلاحنا ، ونفعنا ، ولم ينهانا إلا عما فيه فسادنا ، وهلاكنا .

ولهذا يثني الله ﷻ على العمل الصالح ، ويأمر بالصلاح ، والإصلاح ، وينهى عن الفساد ، ولا يحبه ، ولا يرضاه ، ولا يأمر به : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٠/ ١٣٣٧).

قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

والأمور التي نهى الله ورسوله عنها على مراتب :

ففيها الحرام الصراح كالنهي عن الشرك والظلم ، والربا والزنا ونحو ذلك .

وفيها المكروه كراهة تحريمية .

وفيها المكروه كراهة تنزيهية .

وألفاظ التحريم على مراتب :

فأعلاها الأمر بالاجتناب ، ثم الزجر ، ثم حرّم ، ثم كره .

والأصل في خطاب الشرع أن النهي الصريح يقتضي التحريم ، ولا يصرف عن معناه إلا باستثناء ، أو قرينة .

والكراهة في كلام الله ورسوله ، غالبًا يراد بها التحريم كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٨] .

اللهم أرنا الحق حقًا ، وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا ، وارزقنا اجتنابه ، ياذا الجلال والإكرام : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

٢- الخزانة الثانية

أنواع المناهي الشرعية

المناهي الشرعية تكون بالقلب ، واللسان ، والجوارح .

فتكون بالقلب ؛ كالنهي عن الكفر ، والشرك ، والنفاق ، والرياء .

وتكون باللسان؛ كالنهي عن الغيبة ، والنميمة ، والسب والشتم ونحو ذلك.

وتكون بالجوارح ؛ كالنهي عن الزنا ، والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وسنورد بعون الله هذه المناهي الشرعية في ضوء القرآن والسنة ؛ ليتم الحذر منها واجتنابها ، وتحذير الناس منها .

أولًا : عقوبة الكفر والشرك :

الكفر والشرك بالله ، من أكبر الكبائر ، بل هو أكبر الكبائر ، والكفر أغلظ من الشرك ، لانه جحد للرب بالكلية .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء:٤٨] .

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء: ١٣٦] .

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة:٧٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ﴾[الحج: ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان:١٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهَّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي بكرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ ثَلاثًا ، قَالُوا : بَلى يا رَسُولَ الله ، قَالَ : الإِشْراكُ بِالله وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ وَجَلَسَ ، وَكانَ مُتَّكِئًا ، فَقالَ : أَلاَ وَقَوْلُ الزّورِ قَالَ فَماَ زَالَ يُكَرِّرُها حَتّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَت » . متفق عليه[2] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ ، أي الذنب عند الله أكبر ؟ قال : أن تجعل لله ندًّا وهو خلَقك ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدَك خشية أن يطعَمَ معك ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزانيَ حليلة جارك » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٦١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤١/ ٨٦).

ثانياً : النفاق ، وبيان علاماته وعقوبته :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[النساء:١٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣] .

وقال سبحانه : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ۙ ﴾[النساء:١٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة:٦٤-٦٨] .

وقال الله تعالى عن المنافقين : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[المنافقون:٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ قال : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » . متفق عليه[1] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبيﷺ قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » .متفق عليه[2] .

وعن حذيفة ﷺ قال : إنما كَانَ المُنَافِقُونَ عَلَى عَهْدِ النبي ﷺ ، أَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَان . أخرجه البخاري[3] .

ثالثاً : تحريم الرياء ، وبيان أنواعه ، وشدة عقوبته :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء:١٤٢] .

وقال الله تعالى :﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الماعون:٤-٧] .

وقال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦/ ٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٧١١٤).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧ ﴾[الأنفال: ٤٧] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّركِ ، مَنْ عَمِل عَمَلا أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّار » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

وعن جندب بن عبد الله ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ سَمّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ » . متفق عليه[1] .

فالكفر والشرك ، والنفاق والرياء ، أعظم المناهي المتعلقة بالقلب .

رابعاً : تحريم الحلف بغير الله ﷻ :

عَنِ ابنِ عُمَر ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَك » . أخرجه أبو داوود والترمذي بسند صحيح[2] .

وَعَنْ عَبْدِ الله بِنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أَنْ رَسُولَ الله ﷺ « أَدْرَكَ عُمَرُ بِنُ الخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يحَلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ : أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمُ أَنْ تحَلِفُوُاْ بِآَبَائِكُمُ ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفَ بِالله أَوْ لِيَصْمُتَ ، قَالَ عُمَرَ : فَوَالله مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنذُ سَمِعْتُ النَّبِيُّ ﷺ ذَاكِرًا أَوْ آَثِرًا » . متفق عليه[3] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لَا تحَلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ ، وَلَا تحَلِفُوا إِلَّاَ بِالله ، وَلَا تحَلِفُوا بِالله إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونْ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[4] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٧/ ٢٩٨٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٢٥١)، والترمذي برقم: (١٥٣٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ١٦٤٦).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٢٤٨)، والنسائي برقم: (٣٧٦٩).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٢٥٣)، وأحمد برقم: (٢٣٠٣٠).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ فَقَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح(١) .

• **ما جاء في النهي أن يقول الإنسان : ما شاء الله وشئت :**

عَنْ حُذَيْفَةَ بِنِ اليَمَانِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :« لا تَقُولُوْا: مَا شَاءَ اللهُّ وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُّ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ» أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح(٢) .

• **ما جاء في النهي عن سَبِّ الدهر :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « قَالَ اللهُ ﷻ : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَقُولُ : يَا خَيبَةِ الدَّهْرِ ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا خَيْبَةِ الدَّهْرِ ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا » . متفق عليه(٣) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « لَا تَسُبُّوا الدَّهْر، فَإِنَّ اللهَّ هُوَ الدَّهْر» . أخرجه مسلم(٤) .

• **ما جاء في النهي عن التَّفَكُّر في ذات الله :**

أمرنا الله عز وجل بالتفكر في آياته ومخلوقاته ، ونهانا عن التفكر في ذاته .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٢٥٨)، والنسائي برقم: (٣٧٧٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٨٠)، وأحمد برقم: (٢٣٢٦٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٩١)، ومسلم برقم: (٣/ ٢٢٤٦)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٢٢٤٦).

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ ، فَيَقُولَ : مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهَّ وَلْيَنْتَهِ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الرَسُولَ ﷺ قال: « إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ، فَيَقُولُ اللهَّ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللهَّ ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقْرَأْ آمَنْتُ بِاللهَّ وَرُسُلِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهِبُ عَنْهُ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[2] .

وَعَنْ أَنَسِ بِنْ مَالِكِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: قال اللهُ ﷻ : « إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَزَالُونَ يَقُولُونَ مَا كَذَا ، مَا كَذَا ، حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللهَّ ، خَلَقَ الخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَّ ؟ » . أخرجه مسلم[3] .

فعلى الإنسان أن يَتَفَكَّر فيما أُمر به، يتفكر في الآيات الكونية، ويتدبر الآيات القرآنية، ولا يتفكر في ذات الله، لأن الحكم على الشيء وبيانه فرعٌ عن تصوره، والله سبحانه هو العلي العظيم ، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، لا نعلم كيفية ذاته، ولا كيفية صفاته: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[الشورى:١١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٤/ ١٣٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٦٢٠٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢١٧/ ١٣٦).

• **تحريم الكِهانة وإتيان الكُهَّان وتصديقهم :**

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾[النساء:٥١] .

وَعَن صَفِيَّة بِنْتِ أَبِي عُبَيدَة عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنهن ، أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيء فَصَدَّقَهُ ، لم تقْبَل لَهُ صَلاةٌ أربعينَ لَيلَةً » . أخرجه مسلم(١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قال : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً حَائِضًا ، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، فَقَدْ بَرِىءَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح(٢) .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ ، وَقَدْ جَاءَ اللهُّ بِالإِسْلَامِ ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ ، قَالَ : فَلَا تَأْتِهِمْ ، قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ ، قَالَ : ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ » . أخرجه مسلم(٣) .

• **ما جاء في النهي عن الطِّيَرَة :**

التطير هو التشاؤم بزمان ، أو مكان ، أو إنسان ، أو حيوان، أو طير ونحو ذلك: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢٥/ ٢٢٣٠).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٩٠٤)، والترمذي برقم: (١٣٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٣٣/ ٥٣٧).

تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل:٤٥-٤٧] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَال : « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ ، وَالكَلِمَةُ الحَسَنَة » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله، يَقُولُ: « لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفأْلُ، قَالُوا: وَمَا الْفأْلُ ؟ ، قَالَ : الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةِ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ » . متفق عليه[2] .

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ، والشؤمُ في ثلاثٍ : فِي المَرأةِ ، وَالدَّارِ ، وَالدَّابَّةِ » . متفق عليه[3] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : « الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إِلَّا ، وَلَكِنَّ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[4] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ ، فَقَدْ أَشْرَكَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[5] .

- **ما جاء في النهي عن الرُّقَى ، والتَّمائِم :**

قال الله تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١١/ ٢٢٢٤).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٠/ ٢٢٢٣).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ٢٢٢٥).
(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٩١٠)، والترمذي برقم: (١٦١٤).
(٥) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٧٠٤٥).

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧ – ١٨] .

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً ، وَتَرَكْتَ هَذَا ؟ قَالَ : « إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا ، فَبَايَعَهُ وَقَالَ : مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ » . أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح[1] .

وَعَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا ، وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ » . متفق عليه . [2]

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ : مَا هَذَا ؟ ، أُمَّتِي هَذِهِ ! ، قِيلَ : بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، قِيلَ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الْأُفُقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ مَا هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأُفُقَ ، قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا : نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ ، فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٤٥٨)، والحاكم برقم: (٧٥١٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٥) ، ومسلم برقم: (١٠٥/ ٢١١٥)، واللفظ له.

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ محِصَنٍ : أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَامَ آخَرُ ، فَقَالَ : أَمِنْهُمْ أَنَا ؟ قَالَ : سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » . متفق عليه[1] .

فالتمائم وتعليقها من شعائر الجاهلية ، وهي لا تجلب نفعًا ، ولا تدفع ضرًا ، بل هي من أوهام الإنسان ، وسوسة الشيطان ، ولذا كَثُرَت عندهم بشكل ملحوظ .

- **ما جاء في النهي عن الاستسقاء بالأنواء :**

قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الواقعة:٦٨-٧٠] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : « لَا عَدْوَى ، وَلا هَامَةَ ، وَلا نَوْءَةَ ، وَلا صَفَرَ » . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيَّ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُوهُنَّ : الْفَخْرُ بِالأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىَ المَيِّتِ » . أخرجه مسلم[3] .

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ ، قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَىَ أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ فِي اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهَّ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٧٤/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢/ ٢٢٢٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٩/ ٩٣٤).

مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي ومُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ يُنْزِلُ اللهُ الْغَيْثَ ، فَيَقُولُونَ : الكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا » . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ، قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٥] . حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الواقعة: ٨٢] » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٢٧/ ٧٣).

٣- الخزانة الثالثة

فقه المناهي الشرعية

- **ما جاء في النهي عن الذبح لغير الله ، ولعن فاعله :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٧٣] .

وقال الله تعالى :﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام/ ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى :﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾[الكوثر:١-٣] .

وَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّه أَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيِّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ ، قَالَ فَغَضِبَ وَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيِّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيئًا يَكْتُمُهُ عَنِ النَّاسِ ، غَيْرُ أَنَّهُ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ ، قَالَ : فَقَالَ : مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ ، قَالَ : قَالَ : « لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ » . أخرجه مسلم(١) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً ، قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : رَجُلٌ أَخَذَ فَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ ، وَأُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَلِيهِ ؟ ، قُلْنَا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ،

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ١٩٧٨).

قَالَ : رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَعْتَزِلُ شُرُورَ النَّاسِ ، وَأُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً ؟ ، فَقُلْنَا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : الَّذِي يُسْأَلُ بِاللهَّ الْعَظِيمِ وَلَا يُعْطِي بِهِ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح(١) .

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تُرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود بسند صحيح(٢) .

- **ما جاء في النهي عن محبة أهل الأهواء ومخالطتهم :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء:١٤٠] .

وقال الله تعالى :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : تَلَا رَسُولُ الله ﷺ هذه الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٦٥٢) ، والنسائي برقم: (٢٥٦٩).

(٢) صحيح/ أخرجه البخاري برقم: (٢١٦)، وأبو داود برقم: (١٦٧٢).

[آل عمران:٧] . قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَإِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ » . أخرجه البخاري[١] .

• **ما جاء في النهي عن الخيانة ، وتضييع الأمانة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأنفال:٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ في مجَلِسٍ يحُدِّثُ القَومَ ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ ، فَمَضَى رسولُ الله ﷺ يحُدِّثُ ، فَقالَ بَعْضُ القَومِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قالَ : « أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ » . ، قال : هَا أنا يَا رسُولَ الله ، قال : إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ قال : كَيفَ إِضَاعَتُهَا ؟ ، قال : إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » . أخرجه البخاري[٢] .

• **ما جاء في النهي عن المعاصي جملة ، وبيان نقص الإيمان بها :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٥٤٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٩).

يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » .متفق عليه .[1]

وَعَن عَبدِ الله بِن مَسعودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . متفق عليه[2] .

وَعَنْ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيِّ ﷺ في حَجَّةِ الْوَداعِ : « اسْتَنْصِتِ النَّاسَ ، فَقالَ : لا تَرْجِعُوا بَعْدي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ » . متفق عليه[3] .

وعَن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ » .أخرجه مسلم[4] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : « لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ » . متفق عليه[5] .

- **ما جاء في النهي عن التألِّي على الله ﷻ :**

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ أَنَّ الرَسُولَ ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : وَاللهَّ لا يَغْفِرُ اللهَّ لِفُلانٍ ، وَإِنَّ اللهَّ تَعَالَىَ قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلِيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ ، فَإِنِّي غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ ، أَوْ كَمَا قَالَ » . أخرجه مسلم[6] .

إن الاغترار بالعمل يورث النظر إلى الناس بعين المقت ، وهو مدرجة للشيطان أن يستنزل المغتر ، ليحكم على الناس بجهنم ، فيسارع في القسم قائلًا : والله لا يغفر الله لفلان ، أو لا يدخل الجنة فلان ، وهذا القول محبط

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٥٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٧٦)، ومسلم برقم: (١١٦/ ٦٤)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٨٠) ، ومسلم برقم: (١١٨/ ٦٥)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٢١/ ٦٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٣/ ٦٢).

(٦) أخرجه مسلم برقم: (١٣٧/ ٢٦٢١).

للعمل ، فليحذره المسلم : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

• **ما جاء في النهي عن القنوط من رحمة الله ، واليأس من روحه :**

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الحجر:٥٥-٥٦].

وقال يعقوب ﷺ : ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يوسف:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر:٧] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » . أخرجه مسلم[1] .

• **ما جاء في تحريم السحر ، وقتل الساحر :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا هُنَّ ، قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣/ ٢٧٥٥).

حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » .متفق عليه[1] .

وعَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ بَجَالَةَ ، يَقُولُ : كَتَبَ عُمَرُ ﷺ : أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ ، وَسَاحِرَةٍ ، فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَوَاحِرَ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[2] .

والسحر ثابتٌ في القرآن والسُّنَّة ، وهو من المحرمات ، لما فيه من الكفر ، والشرك ، والضرر ، والإضرار بالغير ، وقد أمرنا الله ﷻ بالاستعاذة من السحر والسحرة ، فقال ﷻ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق:١-٥] .

وقال الله تعالى :﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الأنبياء:٣] .

وقال ﷻ عن سحرة فرعون : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[الأعراف:١١٦] .

فالسحر شرٌ ، وضررٌ ، وخطرٌ كبير ، فلذلك بَيَّنَ الشرع حرمته ، وغلَّظ في ذلك ، فجعله قرين الشرك بالله ، فإن الشياطين لا تخدم الساحر إلا إذا كفر بالله ﷻ .

وقد نُقِلَ عن بعض السحرة أعمالًا خبيثة ، وأفعالًا مُكَفِّرَة ، فأحدهم يضع أوراق المصحف تحت البساط ، ليدوسه برجليه ، وآخر يَسْتَجْمِرُ بالمصحف عياذًا بالله ، وعليه فإن تَعلُّمَ السحر حرام ، مهما كانت الدواعي والحجج : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٥٧)، وأبو داود برقم: (٣٠٤٣).

• **ما جاء في النهي عن تَعلِّم العلم لغير وجه الله تعالى :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ الرَّسولَ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء في الزَّجرِ عن العلم بأمر الدنيا والانهماك فيها ، والجهل بأمر الآخرة ومجانبة أسبابها :**

قال الله تعالى : ﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم:٦-٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٦٤)، وابن ماجة برقم: (٢٥٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٧].

- **ما جاء من النهي والجهل بمقاصد الشريعة :**

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يجُاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلَهُمْ أَجْرًا لمِنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا يخرج قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يجُاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ ، يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٣٠) ، ومسلم برقم: (١٠٦٦)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٣٢) ، ومسلم برقم: (١٤٣/ ١٠٦٤)، واللفظ له.

• **ما جاء من تغليظ تحريم الكذب على الله ورسوله ﷺ :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل: ١١٦ – ١١٧] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ المُغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَده مِنْ النَّار » . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدُبَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ حَدَّثَ حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ » . أخرجه ابن ماجة بسند صحيح[3] .

فما أشنع الكذب على الله ، وعلى رسوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٩١)، ومسلم برقم: (٣/ ٣)، واللفظ ل.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٤/ ٤).

(٣) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٤١).

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الأنعام:٢١] .

- **ما جاء من النهي عن الحديث بكل ما سمع :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » . أخرجه مسلم[1] .

فما أشنع ، وما أعظم الكذب على الله ، وعلى رسوله ، وعلى كتابه : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل:١١٦-١١٧] .

- **ما جاء من النهي عن كتمان العلم :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فكَتَمَهُ ، أُلْجِمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٥٨)، والترمذي برقم: (٢٦٤٩).

• **ما جاء من النهى عن العلم الذى لا ينتفع به :**

عَنْ زَيْدِ بْن أَرْقَمَ ﷺ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بكَ مِنْ عِلْم لا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْب لا يخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْس لا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لهَا » . أخرجه مسلم(١) .

• **ما جاء من النهي من أن يتعلم ولا يعمل بعلمه :**

قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢-٣] .

وقال سبحانه إخبارًا عن شعيب ﷺ : ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود : ٨٨] .

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « يجُاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ : أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ ، قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعْرُوفِ ، وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَن المُنْكَرِ ، وَآتِيهِ » . متفق عليه(٢) .

فالعلم مقرون بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل ، ولن تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل ، عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا فعل به .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٣/ ٢٧٢٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٩٨٩).

• **ما جاء من النهي عن الدعوة بغير القرآن والسنة :**

قال الله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾[آل عمران:١٨٨] .

وَعَنْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ . فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ، قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ ، فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ ، . . . الحديث » . متفق عليه[1] .

• **ما جاء من النهي عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم :**

قال الله تعالى : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[البقرة:١٣٦] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: « كَانَ أَهْلُ الْكُتَّابُ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعَبْرَانِيَّةِ ، وَيُفَسِّرُونهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ ، فَقَالَ الرَّسُولَ ﷺ: لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا . الآيَةَ ».أخرجه البخاري[2] .

• **ما جاء من النهي عن المراء والجدل والخصومة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٠٤-٢٠٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٠/ ٢٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٨٥).

وقال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم : ٩٧] .

وَعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِنَّ أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهَّ الأَلَدُّ الْخَصِمُ » . متفق عليه . (١)

وَعَنْ أَبى عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ : « إِنِّى لجَالِسٌ تحْتَ مِنْبَرِ عُمَرَ ، وَهُوَ يخْطُبُ الْنَّاس فَقَالَ فِى خُطْبَتِهِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ اَلأُمَّةِ ؛ مُنَافِقٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ » . أخرجه أحمد وأبو يعلى بسند صحيح(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، قَالَ فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهُ ﷺ وَفِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلافِهِمْ فِي الْكِتَابِ » . أخرجه مسلم(٣) .

والجدال المذموم : هو الجدال بغير حجة ، والجدال في الباطل ، والمراء في كتاب الله ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى :﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٨٨) مسلم برقم: (٥/ ٢٦٦٨)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٣١٠)، وأبو يعلى برقم: (٤٦٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢/ ٢٦٦٦).

وأما الجدال المحمود : فمن النصيحة لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، وأئمة المسلمين ، وعامتهم ، كما قال الله تعالى عن قوم نوح : ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود:٣٢] .

- **ما جاء من النهى عن كثرة السؤال من غير حاجة :**

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ﷺ عَن النَّبىِّ ﷺ قَالَ : « ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بكَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بشَىءٍ فَائْتُوا مِنْهُ مَا اَسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَدَعُوُهُ » . متفق عليه[1] .

وعن المُغيرةِ بن شُعبةَ ، عنْ الرَّسُولِ ﷺ قَالَ : « إنَّ اللهَّ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا : قِيلَ : وَقَالَ : وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » .متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٨)، ومسلم برقم: (٤١٢/ ١٣٣٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٠٨) ، ومسلم برقم: (١٢/ ٥٩٣)، واللفظ له.

٤ - الخزانة الرابعة

فقه المناهي الشرعية

• **ما جاء من النهى عن الإملال والسآمة فى الموعظة :**

عَنْ أَبى وَائِل ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللهَّ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِى كُلِّ يَوْم خمِيس ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَن لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْم ؟ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِى مِنْ ذَلِكَ أَنِّى أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ ، وَإِنِّى أَتخَوَّلُكُمْ بالمَوْعِظَةِ ، كَمَا كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَتخَوَّلُنَا بهَا ، مخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا . متفق عليه[1] .

وقال الله تعالى : ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

والعلم الشرعي يلتمس عند الأكابر ، وهم العلماء الربانيون ، ولا يلتمس عند الأصاغر ، وهم أهل البدع والأهواء : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩] .

• **ما جاء من النهي لأن يكون الغالب على الإنسان الشعر ، حتى يصده عن العلم والقرآن والسنة :**

قال الله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٢/ ٢٨٢١).

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٤٧] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رجل قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا » .متفقٌ عليه[1] .

والشعر منه ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم ، وإن من الشعر لحكمة ، فعلى الإنسان أن يكون غالب كلامه من القرآن والسُنة ، ولا يستكثر من الشعر .

- **ما جاء من النهى عن الاختلاف :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣ – ١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران:١٩] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهلكوا » . أخرجه البخاري[2] .

وعن البراء بن عازب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ٢٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٤١٠).

• **ما جاء من النهي عن قول : نسيت آية كذا :**

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بِئْسَمَا لأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ : نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ » . متفق عليه[٢] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺقال : قال رسول الله ﷺ « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ » . أخرجه مسلم[٣] .

• **ما جاء من النهي عن الأغلوطات والمسائل :**

وهي التي قل أن تقع أو يقول فيها السائل : أرأيت إن وقع ذلك وهو لم يقع ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[ص: ٨٦] .

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺأن النبي ﷺ قال : « إِنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا ، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ » . متفق عليه[٤] .

وعن سهل بن سعد ﷺ : أن الرسول ﷺ كَرِهَ المَسَائِلَ وَعَابَهَا . متفقٌ عليه[٥] .

• **ما جاء من النهي عن الفتوى بغير علم :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

فمن أُفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه .

قال النبي ﷺ : « مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُه عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ ومَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ » . أخرجه أبو داود وأحمد[١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٦٦٤)، والنسائي برقم: (٨١١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٣٢) ، ومسلم برقم: (٢٢٨/ ٧٩٠)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٩/ ٧٩٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٢/ ٢٣٥٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ١٤٩٢).

فلا تجوز الفتوى بغير علم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأعراف:٣٣] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ : اللهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ : اللهُ أَعْلَمُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[ص: ٨٦] . » . متفق عليه[٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

- **ما جاء من النهي عن التكسب بالقرآن :**

من أخذ على تعليم القرآن قوسًا ، قلده الله قوسًا من نارٍ يوم القيامة .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : « عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ ، فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا ، فَقُلْتُ : لَيْسَتْ بِمَالٍ ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهَّ ﷻ ، لآتِيَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَلأَسْأَلَنَّهُ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَهْدَى رَجُلٌ إِلَيَّ قَوْسًا مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُ الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ ، وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللهَّ ، قَالَ : إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ بِطَوْقٍ مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[٣] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ فَقَالَ : اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ ، وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ

---

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٥٧)، وأحمد برقم: (٨٢٦٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨٠٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٠/ ٢٧٩٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٤١٦)، وابن ماجة برقم: (٢١٥٧).

يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ » . أخرجه احمد وأبو داود بسند صحيح[1] .

- **ما جاء عن النهي من قراءة القرآن في أقل من ثلاث :**

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

- **ما جاء من النهي عن التنجيم وتحريم تصديق المنجمين :**

عن بن عباس ﷺ قال : قال رسول ﷺ : « من اقتبَسَ علْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتبَسَ شُعبَة مِن السِّحرِ ، زادَ ما زادَ » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند حسن[3] .

والمنهي عن علم النجوم ما يدعيه أهل التنجيم ، من معرفة الحوادث التي لم تقع في مستقبل الزمان مثل : إخبارهم وقت هبوب الرياح ، ومجيء المطر ، ووقوع الثلج ، وظهور الحر والبرد ، وتغير الأسعار ونحوها ، وذلك كله لا يعلمه إلا الله ﷻ ، وهو الذي استأثر بعلمه وحده لا شريك له كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٩١٦)، وأبو داود برقم: (٨٣١).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١٣٩٤)، والترمذي برقم: (٢٩٤٩).

(٣) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٩٠٥)، وابن ماجة برقم: (٣٧٢٦).

وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة

• **ما جاء في تغليظ تحريم ترك السنة ، وارتكاب البدع والأهواء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن جابِرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وعَلَا صَوْتُهُ ، واشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ ، يقولُ : صَبَّحَكُمْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨)، واللفظ له.

وَمَسَّاكُمْ » . ويقولُ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ويَقْرُنُ بين إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والْوُسْطَى ويقولُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ ، كِتَابُ اللهِّ ، وخَيْرُ الْهُدَى ، هُدَى محُمَّدٍ ﷺ، وشَرُّ الْأُمُورِ محُدْثَاتُهَا، وكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .أخرجه مسلم[1] .

وعن الْعِرْبَاضُ بن سارية ﷺ قال صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللهِّ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِّ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمحُدْثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ محُدْثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

وعن سَهْل بْن سَعْدٍ ﷺ قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لا يَظْمَأُ أَبَدًا وليردن على قوم أعرفهم ويعرفونني ، ثُمَّ يحُالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » . متفقٌ عليه[3] .

- **ما جاء من النهي عن البداءة بالشر خوف أن يستن به الناس :**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[النحل:٢٤-٢٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ٨٦٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي برقم: (٢٦٧٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٥٨٣)، ومسلم برقم: (٢٦/ ٢٢٩٠)، واللفظ له.

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت:١٣-١٤] .

عن جرير بن عبد الله : ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » . أخرجه مسلم(١) .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « منْ دَعَا إِلَى هُدًى ، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْتَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثامهم شَيْئًا » .أخرجه مسلم(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ من دمها لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ » . متفقٌ عليه(٣) .

- **ما جاء من النهي على الاقتصار على الكتاب دون السنة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء:٨٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢٦٧٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧/ ١٦٧٧).

وعَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الكندي ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لحْمُ الحِمَارِ الأَهْلِيِّ وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ ولا لُقَطةُ مُعاهَدٍ إلا أنْ يستغنيَ عنها صاحِبُها ، ومن نزلَ بقومٍ ، فعليهم أن يَقْرُوه ، فإنْ لم يَقرُوه فله أن يُعقِبَهم بمثل قِرَاه » . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1] .

فالسنة النبوية الصحيحة تفسر القرآن ، وتقيد مطلق القرآن ، وتخصص عموم القرآن ، وتفصل مجمل القرآن ، وتوضح مبهم القرآن ، وتنسخ القرآن ، وتبين مشكل القرآن ، وتزيد على ما في القرآن مما لم يرد في القرآن كتحريم كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها .

- **ما جاء من الزجر عن الرغبة عن سنة الرسول ﷺ القولية والعملية :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المائدة:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧١٧٤)، وأبو داود برقم: (٤٦٠٤).

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، فقَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَال : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهَّ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » . متفقٌ عليه[1] .

وعن عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا: « صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهَّ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهَّ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً » .متفقٌ عليه[2].

- **ما جاء من النهي عن الاعتراض على السنة بأي وجه :**

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

عن عبد الله بن الزبير أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ، فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النبي ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « اسْقِ يَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ١٤٠١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٠١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٧/ ٢٣٥٦).

زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ ، فَقَالَ : إن كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : يَا زُبَيْرُ ، اسْقِ ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ » . متفقٌ عليه[1] .

قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللهِ ، إِنِّي لأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ ، نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[النساء:٦٥] .

- **ما جاء من النهي عن إيواء المبتدع والمحدث :**

قال علي ﷺ : مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ غَيْرَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، فَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِيهَا أَشْيَاءُ مِنْ الجِرَاحَاتِ وَأَسْنَانِ الْإِبِلِ ، وَفِيهَا المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَمَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ » . متفقٌ عليه[2] .

فمن آوى محدثًا أو مبتدعًا ، فقد أعان على هدم الإسلام ؛ وبذلك استحق اللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين :﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[آل عمران:٨٦-٨٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٢٣٥٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٦٧/ ١٣٧٠).

فالمبتدع اشترك في اللعنة مع من كفر بعد إيمانه ، واشترك أيضًا مع من كتم ما أنزل الله وبينه في كتابه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾[البقرة:١٥٩-١٦٠] .

- **ما جاء من النهي عن إتباع سنن الجاهلية :**

قال الله تعالى : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩ ﴾[التوبة:٦٩] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَن » . متفقٌ عليه[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله : ﷺ « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ : مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطْلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ » . أخرجه الْبُخَارِيُّ[2] .

فيجب على الإنسان الاعتصام بالكتاب والسنة ، وترك ما عليه أهل الجاهلية : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ﴾[لقمان: ٢١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٨٨٢).

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠] .

- **ما جاء من الزجر عن الغلو والتنطع :**

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة:٧٧] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ﴾ [النساء:١٧١] .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ « هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ ، قَالهَا ثَلَاثًا » .أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧/ ٢٦٧٠).

٥- الخزانة الخامسة

مناهي العبادات

- **ما جاء من الزجر عن مسح القدمين في الوضوء :**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: تخلف النبي ﷺ عنا في سفرة سفرناها فأدركنا وقد أرهقنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادي بأعلى صوته: « وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا ». متفقٌ عليه[١] .

وفى رواية عند مسلم : « تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ ، فَتَوَضَّئُوا وَهُمْ عِجَالٌ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمَسَّهَا المَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنْ النَّارِ أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ » . أخرجه مسلم[٢] .

- **ما جاء من النهي عن الإسراف في الوضوء وغيره :**

قد قال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وعن أبي نعام أن عبد الله ابن مغفل سمع ابنه يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الجَنَّةِ ، إِذَا دَخَلْتُهَا . فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ ، سَلْ اللهَ الجَنَّةَ وَعُذْ بِهِ مِنْ النَّارِ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ » .أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[٣] .

والوضوء يكون مرة مرة، ومرتين مرتين، وأعلاه ثلاث مرات ، فهذا الوضوء المشروع فمن زاد عن ثلاث فقد أساء وتعدى وظلم .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦/ ٢٤١).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم:٩٦، وابن ماجة برقم: (٣٨٦٤).

• **ما جاء من النهي عن البول في المساجد :**

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ : مَهْ مَهْ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا تَزْرِمُوهُ ، دَعُوهُ . فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ ، إِنَّمَا لِذِكْرِ اللهِ ﷻ ، وَالصَّلَاةِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ . وَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ ، فَسَنَّهُ عَلَيْهِ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (١)

• **ما جاء من النهي عن الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار :**

عن سلمان قيل له : قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ قَالَ : فَقَالَ : أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ » . أخرجه مسلم(٢) .

• **ما جاء من النهي عن تحريم الاستنجاء بروث أو عظم :**

عن عبد الله ابن مسعود ﷺقال : أتى النبيُّ ﷺ الغائطَ ، فأمَرني أن آتيَه بثلاثةِ أحجارٍ، فوجدتُ حجرينِ، والتمستُ الثَّالِثَ فلم أجِدْه، فأخذتُ رَوْثةً، فأتيتُه بها، فأخَذَ الحجرينِ، وألْقى الرَّوْثةَ، وقال: هذا رِكسٌ» . أخرجه البخاري(٣) .

وعن أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول نهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَمَسَّحَ بِعَظْمٍ ، أَوْ بِبَعْرٍ » . أخرجه مسلم(٤) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٩)، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢٨٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٧/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٥٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥٨/ ٢٦٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قَال: قَدِمَ وَفْدُ الجِنِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ انْهَ أُمَّتَكَ أَنْ لَا يَسْتَنْجُوا بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثَةٍ أَوْ حُمَمَةٍ ، فَإِنَّ اللهَّ سبحانه وتَعَالَى جَعَلَ لَنَا فِيهَا رِزْقًا، فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ». أخرجه أبو داود والبغوي بسند صحيح[1] .

والحممة : كل محترق كالفحم ونحوه .

• **ما جاء في كراهة غمس المتوضئ ، وغيره بيده في الإناء قبل غسلها ثلاث :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : « إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاثًا ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ » . متفق عليه[2] .

• **ما جاء من النهي عن البول في الماء الراكد ، والاغتسال والوضوء والشرب منه :**

عن جابر ابن عبد الله ﷺ أن الرسول ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي المُاءِ الرَّاكِدِ . أخرجه مسلم[3].

وعن أبي هريرة ﷺ عن محمد رسول الله ﷺ أنه قال : « لَا تَبُلْ فِي المُاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يجَْرِي ثُمَّ تَغْتَسِلُ مِنْهُ » . متفق عليه[4] .

• **ما جاء من النهي عن التخلي في الطرق والظل ونقع الماء :**

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ ، قَالُوا : وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ » .أخرجه مسلم[1].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٩)، والبغوي برقم: (١٨٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٦٠)، ومسلم برقم:٨٧/ ٢٧٨، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٤/ ٢٨١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٩) ، ومسلم برقم: (٩٦/ ٢٨٢)، واللفظ له.

وعن معاذ ابن جبل ﷺقال : قال الرسول ﷺ : « اتَّقُوا المَلَاعِنَ الثَّلَاثَ : الْبَرَازَ فِي المَوَارِدِ ، وَالظِّلِّ ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ » .أخرجه أبو داود وابن ماجه[٢].

- **ما جاء في تغليظ تحريم عدم الاستبراء من البول :**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ : بَلَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً . فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِّ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا » . متفق عليه[٣] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْ الْبَوْلِ » . أخرجه أحمد وابن ماجة بسند صحيح[٤] .

- **ما جاء من النهي عن الاستنجاء باليمين ، ومس الذكر :**

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ وَإِذَا أَتَى الخَلَاءَ فَلَا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ».متفقٌ عليه[٥].

وعن سلمان قيل له : قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ قَالَ : فَقَالَ : أَجَلْ لَقَدْ نهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٨/ ٢٦٩) .

(٢) حسن ، أخرجه أبو داود برقم (٢٦)، وابن ماجة برقم (٣٢٨) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢١٣) ، ومسلم برقم (٢٩٢).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٩٠٤٧) ، وابن ماجة برقم (٣٤٨) .

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٣/ ٢٦٧).

بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ » . أخرجه مسلم[1] .

فيأخذ الإنسان عند الاستنجاء ذكره بشماله ، فيمره على حجر ضخم لا يزول عن مكانه ، وإن تعذر عليه ذلك أخذ الحجر بيمنيه ، وأمر العضو عليه بشماله من غير أن يحرك يمينه .

- **ما جاء من النهي عن استقبال القبلة أو استدبارها ببول أو غائط :**

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال : أن النبي ﷺ قال : « إِذَا أَتَيْتُمْ الْغَائِطَ ، فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ قال أبو أيوب : فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ قَدْ بُنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ ، فَنَنْحَرِفُ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ ؟ قَالَ : نَعَمْ » . متفقٌ عليه[2] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ري الله عنه ، قَالَ : قال رسول الله ﷺ « إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلا يَسْتَدْبِرْهَا » . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء من النهي عن الوضوء من الشك حتى يستيقن :**

عن سعيد بن المسيب وعن عباد بن تميم عن عمه : أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ الرَّجُلُ الَّذِي يخُيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يجَِدُ الشَّيْءَ فِي الصَّلاَةِ ؟ فَقَالَ : « لاَ يَنْفَتِلْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يجَِدَ رِيحًا » .متفقٌ عليه[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٧/ ٢٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٩٤) مسلم برقم: (٥٩/ ٢٦٤)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٦٠/ ٢٦٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٨/ ٣٦١).

وعن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺ قال : « إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا ، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا ، فَلَا يخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا ، أَوْ يجِدَ رِيحًا » . أخرجه مسلم[1] .

ويحرم على الإنسان أن يغتسل عريانًا في الأماكن العامة كالحمامات وشواطئ البحار ، أما الاغتسال في الخلوة عريانًا فهو جائز ، والتستر أولى .

عن أبو هريرة ﷺعن النبي ﷺ « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدرُ قَالَ : فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ قَالَ : فَجَمَحَ مُوسَى بِإِثْرِهِ يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فقَالُوا : وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ فَقَامَ الْحَجَرُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ قَالَ : فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبُ مُوسَى بِالْحَجَرِ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال : « بَيْنَمَا أَيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ فَجَعَلَ يحْثِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى ؟ قَالَ بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ » . أخرجه البخاري[3] .

والتستر أثناء الغسل أولى ؛ لأن الله أحق أن يُستحي منه من الناس ، ويجوز أن ينظر الرجل إلى عورة زوجته ، وهي كذلك .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ٣٦٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٨) مسلم برقم: (١٥٥/ ٣٣٩)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٩١).

• **ما جاء في تحريم دخول الرجال الحمام بغير أُزر ، ومن دخول النساء بأُزرٍ وغيرها :**

عن جابر ﷺأن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدْخُلُ بغير إزار ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُدْخِلَّ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يَقْعُدْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدار عَلَيْهَا الْخَمْر » . أخرجه الترمذي ، والنسائي بسندٍ حسن[1] .

وعن أم الدرداء قالت : « خَرَجْتُ مِنَ الحَمَّامِ فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ ؟ » . قَالَتْ : مِنَ الحَمَّامِ ، فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّهَاتِهَا ، إِلَّا وَهِيَ هَاتِكَةٌ كُلَّ سِتْرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّحْمَنِ » .أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[2] .

• **ما جاء في تغليظ تحريم جماع المرأة في المحيض :**

قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، أَوْ كَاهِنًا وصدقه بما يقول ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » .أخرجه الترمذي[3] .

---

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٨٠١)، والنسائي برقم: (٤٠١).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٠٣٨).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (١٣٥).

• **ما جاء في نهي الحائض عن الصلاة والصوم :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَال : يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قال : تكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِير ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ » قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ : بَلَى ، قَال : ذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا ، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُم قُلْنَ : بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا » .

أخرجه البخاري[1] .

• **ما جاء في نهي الحائض عن الطواف بالكعبة :**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ النبي ﷺ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الحَجَّ حَتَّى جِئْنَا سَرِفَ ، فَطَمِثْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النبي ﷺ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ : « مَا يُبْكِيكِ » ، فَقُلْتُ : وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أحج الْعَامَ ، قَالَ : « مَا لَكِ لَعَلَّكِ نَفِسْتِ » ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : « هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ ، افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الحَاجُّ ، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي » .متفق عليه [2] .

والحائض إذا طهرت ، فإنها تقضي الصوم الفرض ، ولا تقضي الصلاة .

عن معاذة أنها سألت عائشة رضي الله عنها : مَا بَالُ الحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ ، ولَا تَقْضِي الصَّلَاةَ ؟ فَقَالَتْ لهَا : " أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٠٤) .

(٢)متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٠٥) ، ومسلم برقم (١٢١١).

وَلَكِنِّي أَسْأَلُ . فَقَالَتْ : كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ ». متفق عليه[1].

- **ما جاء في تحريم ترك الصلاة :**

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧ ﴾[الماعون:٤-٧] .

وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن بريدة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح[3] .

فترك الصلاة من موجبات الكفر ، ولا خلاف بين المسلمين في كفر تارك الصلاة ، منكرًا لوجوبها ، إلا أن يكون قريب عهدٍ بالإسلام ، أو لم يبلغه وجوب الصلاة .

ومن ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها ، ومنكرًا لها ، واستهزاءًا بها ، فهو كافر .

أما من تركها تهاونًا وكسلًا من غير إنكار لفرضيتها أو جحد لأهميتها أو استحلال لتركها ، فإنه لا يكفر .

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُّ عَلَى الْعِبَادِ ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِّ عَهْدٌ

---

(١)متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٢١) ، ومسلم برقم (٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٤/ ٨٢).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٢١)، والنسائي برقم: (٤٦٣).

أَنْ يُدْخِلَهُ الجْنَّةَ ، وَمَنْ لمَ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهَّ عَهْدٌ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجْنَّةَ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[1] .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن تأخير صلاة العصر إلى اصفرار الشمس :**

عَنِ الْعَلَاءِ بن عبد الرحمن : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ فِي دَارِهِ حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ وَدَارُهُ بِجَنْبِ المَسْجِدِ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قَالَ أَصَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ فَقُلْنَا لَهُ إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ قَالَ فَصَلُّوا الْعَصْرَ فَقُمْنَا فَصَلَّيْنَا الْعَصْرَ فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ « تِلْكَ صَلَاةُ المُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَّ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا » . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي المليح قال : كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ ، فَقَالَ : بَكِّرُوا بِصَلَاةِ العَصْرِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ » . أخرجه البخاري[3] .

وعن ابن عمر ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ » .متفقٌ عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٥)، والنسائي برقم: (٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٩٥/ ٦٢٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٢)، ومسلم برقم: (٢٠٠/ ٦٢٦)، واللفظ له.

٦- الخزانة السادسة

مناهي العبادات

- **ما جاء في الأوقات التي تكره فيها الصلاة :**

عن عقبة بن عامر قال : ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا : حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَازِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ ، وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ » . أخرجه مسلم[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : شَهِدَ عِنْدِي رِجَالٌ مَرْضِيُّونَ وَأَرْضَاهُمْ عِنْدِي عُمَرُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَشْرُقَ الشَّمْسُ ، وَبَعْدَ العَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ . متفقٌ عليه[٢] .

وعن عمر بن عبس ﷺقال في حديث طويل : فَقُلْتُ : يَا رسول اللهَّ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُّ وَأَجْهَلُهُ ، أَخْبِرْنِي ، عَنِ الصَّلَاةِ ، قَالَ : " صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، حَتَّى تَرْتَفِعَ ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لهَا الْكُفَّارُ ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ محَضُورَةٌ ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ محَضُورَةٌ ، حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لهَا الْكُفَّارُ » . أخرجه مسلم[٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٣/ ٨٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨٦/ ٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٤/ ٨٣٢).

وعن أبي بَصْرَةَ الغفاري ﷺ قال : صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ بِالمُخَمَّصِ ، فَقَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا ، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَهَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ » .أخرجه مسلم(١) .

فالأوقات التي تكره فيها الصلاة خمسة:

عند طلوع الشمس، وعند غروبها ، وبعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العصر ، وعند الاستواء نصف النهار .

- **ما جاء من النهي بكراهة النوم قبل العشاء :**

عن أبي هريرة ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا » . متفقٌ عليه(٢) .

- **ما جاء من النهي عن السمر بعد العشاء ، وما يجوز منها :**

عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ ، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا » . متفقٌ عليه(٣) .

وعن أنسٌ ﷺ قال : انْتَظَرْنَا النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، حَتَّى كَانَ شَطْرُ اللَّيْلِ يَبْلُغُهُ ، فَجَاءَ فَصَلَّى لَنَا ، ثُمَّ خَطَبَنَا ، فَقَالَ : أَلاَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلَّوْا ثُمَّ رَقَدُوا ، وَإِنَّكُمْ لَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ ، قَالَ الحَسَنُ وَإِنَّ القَوْمَ لاَ يَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا انْتَظَرُوا الخَيْرَ » . أخرجه البخاري(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٢/ ٨٣٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٧/ ٦٤٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٧/ ٦٤٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠).

وعن عمر بن الخطاب ﷺقال : كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لَا يَزَالُ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ اللَّيْلَةَ ، كَذَلِكَ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ ، وَإِنَّهُ سَمَرَ عِنْدَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا مَعَهُ » . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

فيجوز الحديث بعد العشاء في العلم ، وفيما لا بد منه من أمور المسلمين ، ومع الأهل والضيف ، فإن السهر يؤدي إلى مخافة غلبة النوم آخر الليل عن القيام لصلاة الصبح في جماعة أو الإتيان بها بعد خروج وقت الفريضة .

- **ما جاء من النهي عن أخذ الأخرة على الآذان :**

عن عثمان بن أبي العاص ﷺ أنه قال : يا رسول الله اجْعَلْنِي إِمَامَ قَوْمِي ، فَقَالَ : « أَنْتَ إِمَامُهُمْ وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ ، وَاتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[2] .

- **ما جاء من النهي عن الاستعجال إذا أقيمت الصلاة :**

عن أبي هريرة ﷺقال : قال رسول الله : ﷺ « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا » . متفقٌ عليه[3] .

وعن أبي قتادة قال : بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَسَمِعَ جَلَبَةً ، فَقَالَ : « مَا شَأْنُكُمْ ؟ » . قَالُوا : اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ ، قَالَ : فَلَا تَفْعَلُوا ، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا ، وَمَا سَبَقَكُمْ فَأَتِمُّوا » . متفقٌ عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٥)، والترمذي برقم: (١٦٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٣١)، والنسائي برقم: (٦٧٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥١/ ٦٠٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٥)، ومسلم برقم: (١٥٥/ ٦٠٣)، واللفظ له.

• **ما جاء من النهي عن القيام للصلاة حتى يرى الناس الإمام :**

عن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ ، فَلاَ تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي » . متفقٌ عليه[1] .

• **ما جاء من النهي عن صلاة النافلة إذا أقيمت الصلاة :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي الله ﷺ قال : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المُكْتُوبَةُ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن عبد الله بن سرجس قال : دَخَلَ رَجُلٌ المَسْجِدَ وَرَسُولُ الله ﷺ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فِي جَانِبِ المَسْجِدِ ، ثُمَّ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ الله ﷺ ، قَالَ : « يَا فُلَانُ بِأَيِّ الصَّلَاتَيْنِ اعْتَدَدْتَ ؟ أَبِصَلَاتِكَ وَحْدَكَ ، أَمْ بِصَلَاتِكَ مَعَنَا ؟ » . متفقٌ عليه[3] .

• **ما جاء من النهي وكراهة الصلاة إذا حضر الطعام ، وأقيمت الصلاة :**

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إذا حضرَ العَشاءُ وأقيمتِ الصَّلاةُ فابدءوا بالعَشاءِ » .متفقٌ عليه[4] .

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ وَلاَ يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ » .متفقٌ عليه[5] .

• **ما جاء في تحريم الخروج من المسجد بعد الآذان إلا لعلة :**

عنِ أبي الشعثاءَ قال : كُنَّا قُعُودًا فِي المَسْجِدِ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٦/ ٦٠٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ٧١٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٦٨) ، ومسلم برقم: (٦٧/ ٧١٢)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٥٧).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٦/ ٥٥٩).

المُسْجِدِ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَمَّا هَذَا ، فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ خرَج ، وقد أُقيمَتِ الصلاةُ وعُدِّلَتِ الصُفوفُ ، حتى إذا قام في مُصَلَّاه ، انتَظَرْنا أن يُكَبِّرَ ، انصَرَف ، قال : على مكانِكم . فمكَثْنا على هيئَتِنا ، حتى خرَج إلينا يَنطِفُ رأسُه ماءً ، وقد اغتَسَل » . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم تزويق المساجد ، وتشيدها وزخرفتها :**

عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أُمِرتُ بتَشييدِ المساجِدِ » . أخرجه أبو داود والبغوي بسندٍ صحيح[3] .

والتشييد رفع البناء وتطويله ، وأمر عمر ﷺ ببناء المسجد وقال أَكنَّ النَّاسَ منَ المطرِ ، وإيَّاكَ أن تحمِّرَ أو تصفِّرَ فتفتنَ النَّاسَ » . أخرجه البخاري معلقا[4] .

فلا يجوز تشييد المساجد وزخرفتها ؛ لما في ذلك من شغل بال المصلي عن الصلاة ، وكل ما أشغل عن الخشوع منهي عنه ، ولما في ذلك من التباهي والمفاخرة في بناء المساجد .

- **ما جاء من الزجر الشديد عن التباهي في المساجد :**

عن انس بن مالك ﷺ قال : نهى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يتباهى النَّاسُ في المساجِدِ .أخرجه بن حبان بإسنادٍ صحيح[5] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨/ ٦٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٥٧/ ٦٠٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٤٨)، والبغوي برقم: (٤٦٣).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً برقم: (١١٧).

(٥) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (١٦١٣).

وفي رواية : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي المَسَاجِدِ » .أخرجه أبو داود وابن ماجة بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء من النهي عن الجلوس قبل صلاة ركعتي تحية المسجد :**

عن أبي قتادة السلمي أن الرسول ﷺ قال : « إذا دخَل أحدُكمُ المسجدَ فليركَعْ ركعتَينِ قبلَ أن يجلِسَ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن أبي قتادة صاحب رسول الله ﷺ قال : دخلتُ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ بين ظَهرانيَ الناسِ قال : فجلستُ فقال رسولُ الله : ﷺ ما منعكَ أن تركع ركعتَينِ قبلَ أن تجلسَ ؟ قال فقلتُ : يا رسولَ اللَه ! رأيتُك جالسًا والناسُ جلوسٌ ، قال : « فإذا دخل أحدُكم المسجدَ ، فلا يَجلِسْ حتى يركعَ ركعتَينِ » . أخرجه مسلم[3] .

وعن جابر بن عبد الله قال : جاء سليكٌ الغطفانيُّ يومَ الجمعةِ ، ورسولُ الله ﷺ يخطبُ ، فجلس ، فقال له يا سليكُ ! قم فاركع ركعتينِ . وتجوَّزْ فيهما . ثم قال إذا جاء أحدكم يومَ الجمعةِ ، والإمامُ يخطبُ ، فليركع ركعتينِ ، وليتجوَّزْ فيهما » . متفقٌ عليه[4] .

• **ما جاء من النهي عن التشبيك بين الأصابع عند الخروج إلى المسجد :**

عن أبي ثمامة الحناط أنَّ كعب بن عُجْرة أدركه وهو يُريدُ المسجدَ، أدرك أحدُهما صاحبَه، قال: فوجدني وأنا مُشَبِّك بيديَ ، فنهاني عن ذلك وقال:

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٤٩)، وابن ماجة برقم: (٧٣٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٩/ ٧١٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٧١٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٣١) مسلم برقم: (٥٩/ ٨٧٥)، واللفظ له.

إنّ رسولَ الله ﷺ قال: إذا توضّأ أحدُكم فأحسَنَ وضوءَه، ثمَّ خرج عامِداً إلى المسجدِ فلا يُشَبكَنَّ يَدَيهِ ، فإنه في صلاةٍ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[1].

- **ما جاء في تحريم البيع والشراء في المسجد :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « إذا رأَيْتُم الرَّجُلَ يبيعُ ويشتري في المسجِدِ فقولوا : لا أربَح اللهُ تِجارَتَكَ » .أخرجه الترمذي[2] .

- **ما جاء في تحريم الخصومة ورفع الصوت في المسجد :**

عن السائب بن يزيد قال : كنتُ قائمًا في المسجدِ ، فَحَصَبَني رجلٌ ، فنظرتُ فإذا عُمَر بن الخطابِ ، فقال : اذهب فأتِني بهذينِ ، فَجِئْتُهُ بهِما ، قال : مَن أنْتُما ، أو من أين أنْتُما ؟ قالا : من أهل الطَّائِفِ ، قال : لو كنْتُما من أهل البلَدِ لأوجَعْتُكُما ، تَرْفعانِ أصْواتكُما في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ » . أخرجه البخاري[3] .

- **ما جاء في تحريم نشد الضوال في المسجد :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَن سمعَ رجلًا ينشدُ ضالَّةً في المسجدِ ، فليقُلْ : لا ردَّها اللهُ عليكَ ، فإنَّ المساجِدَ لم تُبنَ لهذا » .أخرجه مسلم[4] .

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال : إِنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي المُسْجِدِ فَقَالَ : مَن دعا إلى الجملِ الأحمرِ ؟ فقال النبي ﷺ : « لا وَجَدْتَ ؛ إنما بُنِيَتِ المساجدُ لما بُنِيَتْ » .أخرجه مسلم[5] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٦٢)، والترمذي برقم: (٣٨٦).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (١٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٠).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٧٩/ ٥٦٨).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٨٠/ ٥٦٩).

و عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إذا رأيتُم من يبيعُ أو يبتاعُ في المسجدِ ، فقولوا : لا أربحَ اللهُ تجارتَك . وإذا رأيتُم من ينشدُ فيه ضالة فقولوا : لا ردَّ اللهُ عليكَ » .أخرجه الترمذي والدارمي بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء من النهي عن أكل الثوم والبصل والكرات عند الذهاب إلى المسجد ؛ لحضور صلاة الجماعة :**

عن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – يَعْنِي الثُّومَ – فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا » . متفقٌ عليه[2] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلاَ يَقْرَبْنَا – أَوْ : لاَ يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا » .متفقٌ عليه[3] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ » . متفقٌ عليه[4] .

وفي رواية : « مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » . أخرجه مسلم[5] .

فأكل هذه البقول ، البصل والكرات والثوم ليس محرمًا ، ولكن من أراد أن يذهب لصلاة الجماعة في المسجد ، فعليه اجتنابهما ؛ لأن رائحتها كريهةٌ وخبيثة ؛ ولذلك يلحق بها كل ذي ريحٍ كريه مثل : الفجل ؛ لما يتولد عن أكله من الجشاء القبيح ، وكذلك الدخان فإنه خبيث ، وريحه منتن ، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ؛ ولذلك ينبغي للمسلم أن يكون

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٣٢١)، والدارمي برقم: (١/ ٣٢٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٥٦٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٠/ ٥٦٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٣/ ٥٦٤).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٧٤/ ٥٦٤).

طيب الرائحة وخاصة في أماكن العبادة ، وعند حضور مجامع المسلمين ، وحلقات العلم والتعليم ؛ حتى لا تُكره مجالسته .

• **ما جاء في تحريم البصاق وإلقاء الأقذار في المسجد :**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا » .متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي ذرٍ ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا ، فَوَجَدْتُ فِي محَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي المُسْجِدِ ، لَا تُدْفَنُ » .أخرجه مسلم[2] .

وعن أنسٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » . أخرجه مسلم[3] .

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَفَلَ تجُاهَ الْقِبْلَةِ ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَفْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » . أخرجه أبو داود وابن خزيمة بسندٍ صحيح[4] .

• **ما جاء من النهي عن منع النساء من إتيان المسجد للصلاة فيه :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ ، فَقِيلَ لهَا : لِمَ تخَْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ ؟ قَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي ؟ قَالَ : يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللهِّ ﷺ : لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِّ مَسَاجِدَ اللهِّ » .متفقٌ عليه[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٥/ ٥٥٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٧/ ٥٥٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٠/ ٢٨٥).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٢٤)، وابن خزيمة برقم: (٩٢٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٠٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٦/ ٤٤٢).

وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا اسْتَأْذَنَتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمُسْجِدِ فَلَا يَمْنَعْهَا » .متفقٌ عليه[1] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تمَنْعُوا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمُسَاجِدِ بِاللَّيْلِ » .متفقٌ عليه[2] .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن شهود المرأة المسجد متعطرة :**

عن زينب امرأة عبد الله قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَيَّبْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ » . أخرجه مسلم[3] .

فيجوز للنساء شهود الجماعة بشرط ألا يترتب على خروجهن للمسجد لصلاة الجماعة فتنة .

وعن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : لَوْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لمنَعَهُنَّ الْمُسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ » . قَالَ : فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ : أَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمُسْجِدَ ؟ قَالَتْ : « نَعَمْ » . متفقٌ عليه[4] .

والفتنة تحدث بكل ما يحرك الشهوة كحسن الملبس ، واتخاذ الزينة الظاهرة، والحلي الفاخرة ، والروائح العطرة وكذا الاختلاط بالرجال والله أعلم .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٨) مسلم برقم: (١٣٤/ ٤٤٢)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه مسلم البخاري برقم: (٨٢٧) برقم:١٣٨/ ٤٤٢، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٤١/ ٤٤٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٣١) مسلم برقم: (١٤٤/ ٤٤٥)، واللفظ له.

٧- الخزانة السابعة

مناهي العبادات

ما جاء من النهي عن المرور بالسهام والسلاح في المساجد من غير قبضٍ على نصولها :

عن جابرٍ عن الرسول ﷺ أنه أَمَرَ رَجُلًا ، كَانَ يَتَصَدَّقُ بِالنَّبْلِ فِي الْمَسْجِدِ ، أَنْ لَا يَمُرَّ بِهَا إِلَّا وَهُوَ آخِذٌ بِنُصُولِهَا . أخرجه مسلم[١] .

- **ما جاء من النهي عن الاستلقاء في المسجد :**

عن جابرٍ بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يستلقيَنَّ أحدُكم ثم يضعُ رجلَيْهِ على الأُخرَى » .أخرجه مسلم[٢] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ « أَنَّهُ نهَى أَنْ يَسْتَلْقِيَ الرَّجُلُ ، وَيَثْنِيَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى » .أخرجه مسلم [٣].

والاستلقاء المنهي عنه أن ينصب الرجل ركبته ، فيعرض عليها رجله الأخرى ولا إزار عليه ، أو إزارُه ضيق ينكشف معه بعض عورته ، فإن كان الإزار سابغًا بحيث لا تبدو منه عورته فلا بأس بذلك ، وكذا لو كانت الأرجل مبسوطة على الأرض .

عن عباد بن تميم عن عمه ، أنه رَأَى رَسُولَ الله ﷺ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمَسْجِدِ وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى » . متفقٌ عليه[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢٢/ ٢٦١٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٤/ ٢٠٩٩).

(٣) أخرجه ابن حبان برقم: (٥٥٥٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٥)، ومسلم برقم: (٧٥/)٢١٠٠، واللفظ له.

• **ما جاء في تحريم شد الرحال لغير المساجد الثلاثة :**

عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجِدَ: المسجِدِ الحرامِ والمسجِدِ الأقصى ومسجدي ». متفقٌ عليه[1].

• **ما جاء في تغليظ تحريم اتخاذ القبور مساجد :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعَنَ اللهُ اليهودَ والنصارَى اتخَذوا قُبورَ أنبيائِهم مساجدَ . قالتْ : فلولا ذلك أُبرِزَ قبرُه . غيرَ أنه خَشِيَ أن يُتَّخَذَ مسجدًا » . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال الرسول ﷺ : « قاتل اللهُ اليهودَ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ » . متفق عليه[3] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمةَ ذكرتا كنيسةً رأَيْنَهَا بالحبشةِ فيها تصاويرُ لرسول الله ﷺ ، فقال الرسول ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات ، بَنَوْا على قَبرِهِ مَسجِدًا ، وصَوَّرُوا فيه تلك الصورَ ، أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ الله يومَ القيامةِ » . متفق عليه[4] .

وعن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول « قد كان لي فيكم إخوةٌ وأصدقاءُ ، وإني أبرأُ إلى الله أن يكون لي فيكم خليلٌ ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا من أمتي خليلًا لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلًا ، وإنَّ ربي اتَّخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا ، ألا إنَّ من كان

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٨٨) ، ومسلم برقم: (٥١١/ ١٣٩٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٦٥) ، ومسلم برقم: (١٩/ ٥٢٩)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣٧)، ومسلم برقم: (٢٠/ ٥٣٠)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٨٧٣)، ومسلم برقم: (١٦/ ٥٢٨)، واللفظ له.

قبلكم كانوا يتَّخِذون قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجدَ ، ألا فلا تتَّخِذوا القبورَ مساجدَ ، إني أنهاكم عن ذلك » . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء في تحريم دخول المشركين المسجد الحرام :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التوبة:٢٨] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : بعثني أبو بكرٍ في الحجَّةِ التي أمَّره عليها رسولُ الله ﷺ قبل حَجَّةِ الوداعِ في رَهْطٍ ، يؤذِّنونَ في النَّاسِ يومَ النَّحْر : لا يحُجُّ بعد العامِ مُشْرِكٌ ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُريانٌ » . متفق عليه[2] .

- **ما جاء في تحريم الصلاة إلى القبور :**

عن أبي مرثد الغنوي قال : سمعت الرسول ﷺ يقول: « لا تُصلُّوا إلى القبورِ، ولا تجلِسوا عليها » . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء في تحريم الصلاة في المقابر والحمام :**

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال : « اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلاَتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا » . متفق عليه[4] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لا تجْعَلوا بُيوتَكم مقابرَ ؛ إنَّ الشيطانَ ينفِرُ من البيتِ الذي تُقرأ فيه سورةُ البَقرة » . أخرجه مسلم[5] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣/ ٥٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣٦٣)، ومسلم برقم: (٤٣٥/ ١٣٤٧)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٩٨/ ٩٧٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠٨/ ٧٧٧).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢١٢/ ٧٨٠٩.

• **ما جاء من النهي عن الصلاة في مواضع الإبل :**

عن عبد الملك بن الربيع عن أبيه عن جده عن الرسول ﷺ قال : « صلُّوا في مُرَاحِ الْغَنَمِ، ولا تُصلُّوا في مُرَاحِ الإبل» . أخرجه أحمد وابن ماجة بسند حسن[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ: « إِنْ لَمْ تجِدُوا إِلَّا مَرَابِضَ الْغَنَمِ ، وَأَعْطَانَ الْإِبِلِ ، فَصَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ » . أخرجه الترمذي وابن واجه بسند صحيح[2] .

• **ما جاء من النهي عن الصلاة في الكنائس والبيع التي فيها تماثيل وصور :**

عن عائشة رضي الله عنها ، أن أمَّ حبيبةَ وأمَّ سلمةَ ذكرتا كنيسةً رأَيْنَهَا بالحبشةِ فيها تصاويرُ لرسول الله ﷺ ، فقال الرسول ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات ، بَنَوْا على قَبرِهِ مَسجِدًا ، وصَوَّرُوا فيه تلك الصورَ ، أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ الله يومَ القيامةِ » . متفق عليه[3] .

• **ما جاء من النهي عن الصلاة في مواضع الخسف والعذاب :**

عن ابن عمر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال لأصحاب الحجر : « لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ » . متفق عليه[4].

• **ما جاء في تغليظ الزجر في التخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ : « إنَّ أثقلَ صلاةٍ على المنافقِينَ صلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ ، ولو يعلمون ما فيهما لأتَوهُما ولو حَبوًا ، ولقد

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٤/ ٨٥)، وابن ماجة برقم: (٧٦٩).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٤٨)، وابن ماجة برقم: (٧٦٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٨٧٣) ، ومسلم برقم: (١٦/ ٥٢٨)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٣) ، ومسلم برقم (٢٩٨٠) .

هممتُ أن آمرَ بالصلاةِ فتقامُ ، ثم آمرُ رجلًا فيُصلِّي بالناسِ ، ثم أنطلقُ معي برجالٍ معهم حِزَمٌ من حطبٍ ، إلى قومٍ لا يشهدون الصلاةَ ، فأُحَرِّقُ عليهم بيوتَهم بالنارِ » . متفق عليه[1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : من سرَّه أن يلقَى اللهَ غدًا مسلمًا فلْيحافظْ على هؤلاءِ الصلواتِ حيثُ يُنادَى بهنَّ ، فإنَّ اللهَ شرع لنبيِّكم سَننَ الهُدى وإنهن من سَننِ الهُدى ، ولو أنكم صليتُم في بيوتِكم كما يُصلِّي هذا المُتخلِّفُ في بيتِهِ لتركتُم سنةَ نبيِّكم ، ولو تركتُم سنَّةَ نبيِّكم لضلَلْتُم ، وما من رجلٍ يتطهَّرُ فيحسنُ الطُّهورَ ثم يعمدُ إلى مسجدٍ من هذه المساجدِ إلا كتب اللهُ له بكلِّ خُطوةٍ يخطوها حسنةً ، ويرفعُهُ بها درجةً ، ويحطُّ عنه بها سيِّئةً ، ولقد رأيتُنا وما يتخلَّفُ عنها إلا منافقٌ ، معلومُ النفاقِ ، ولقد كان الرجلُ يُؤتى به يُهادَى بينَ الرَّجُلَينِ حتى يُقامَ في الصَّفِّ . أخرجه مسلم[2] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « مَن سمعَ النِّداءَ فلم يجُب فَلا صلاةَ لَهُ إلَّا مِن عُذرٍ » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[3] .

- **ما جاء من النهي عن إمامة الزائر إلا بإذن المزور :**

عن ابن مسعود الأنصاري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤمُّ القومَ أقرؤُهم لكتابِ الله ، فإنْ كانوا في القِراءةِ سواءً ، فأعلمُهم بالسُّنَّة ، فإنْ كانوا في السُّنَّة سواءَ ، فأقدمُهم هِجرةً ، فإنْ كانوا في الهجرةِ سَواءً ، فأقدمُهم سِلمًا ، ولا يؤمنَّ الرَّجُلُ الرجلَ في سُلطانِه ، ولا يَقعُدْ في بيتِه على تكرمتِه إلَّا بإذنِه » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٨٨)، ومسلم برقم: (٢٥٢/ ٦٥١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧/ ٦٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٥١)، وابن ماجة برقم: (٧٩٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٠/ ٦٧٣).

وعن بديل بن ميسرة العقيلي عن أبي عطية قال : كانَ مالِكُ بنُ الحُوَيْرِثِ يَأتينا في مُصلَّانا يتَحدَّثُ فحضرَتِ الصَّلاةُ يَومًا فقُلنا تقدَّم فقالَ : ليتقدَّمْ بعضُكم حتَّى أُحدِّثَكم لِمَ لم أتقدَّمُ سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ « مَن زارَ قَومًا فلا يَؤمَّهُم وليؤُمَّهُم رجلٌ منهُم » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

• **ما جاء من النهي عن اختلاف الصفوف في الصلاة ، وترك الفرج بين المصلين :**

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان رسول ﷺ يمسح مَنَاكِبَنا في الصلاةِ ويقولُ : استووا ولا تختلفوا فتختلفَ قلوبُكم ، ليلني منكم أولو الأحلامِ والنهى ، ثم الذين يلونهَم ثم الذين يلونهَم » . أخرجه مسلم[2] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أقيمُوا الصفوفَ وحاذُوا بين المناكبِ ، وسُدُّوا الخَلَلَ ، ولِينوا بأيدي إخوانِكم ، ولا تذَروا فُرجاتٍ للشيطانِ ومن وصل صفًّا وصله اللهُ ، ومن قطع صفًا قطعه اللهُ » . أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح[3] .

• **ما جاء من النهي عن صلاة المأموم خلف الصف وحده إلا من عذر :**

عن وابصة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يصلِّي خلفَ الصفِّ وحدَه فأمره أن يُعيدَ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[4] .

فإذا لم يجد المصلي فرجة في الصف ، صف خلف الصف وحده ، لأن الواجب يسقط بالعجز عنه .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٩٦)، والترمذي برقم: (٣٥٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٢٢/ ٤٣٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٥٧٢٤)، وأبو داود برقم: (٦٦٦).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٦٨٢)، والترمذي برقم: (٢٣١).

• **ما جاء في تغليظ الزجر في تخلف الرجال عن الصفوف الأولى وتغليظ الزجر في تقدم النساء إلى الصفوف الأولى إذا لم تكن سترة أو جدار :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ صفوفِ الرجالِ أولُها وشرُّها آخرُها ، وخيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها وشرُّها أولُها » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا ، فقال لهم تقدَّموا فائتموا بي ولْيأتم بكم من بعدكم . لا يزال قومٌ يتأخرون حتى يؤخرهم اللهُ » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء في تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود أو غيرهما :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « أمَا يخَشَى أحدُكم- أو : ألا يخَشَى أحدُكم- إذا رفَعَ رأسَه قبلَ الإمامِ ، أن يجعلَ اللهُ رأسَه رأسَ حمارٍ ، أو يجعلَ اللهُ صورتَه صورةَ حمارٍ ؟ ! » . متفق عليه[3] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : صلَّى بِنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ فلمَّا قضَى الصَّلاةَ أَقبلَ علينا بوجهِه ، فقال : « أيُّها الناسُ ، إنِّي إمامُكم ؛ فلا تَسبِقوني بالرُّكوعِ ، ولا بالسُّجودِ ، ولا بالقيامِ ، ولا بالانصرافِ فإني أراكم من أمامي ومن خلفي » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم:١٣٢/ ٤٤٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم:١٣٠/ ٤٣٨.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٦٩١، واللفظ له، ومسلم برقم:١١٤/ ٤٢٧.

(٤) أخرجه مسلم برقم:١١٢/ ٤٢٦.

• **ما جاء من النهي عن التصفيق في الصلاة للرجال وأنه للنساء :**

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « ما لي رأَيْتُكم أكثَرْتُم التَّصفيقَ ؟ ! مَن نابَهُ شيءٌ في صلاتِه فليُسبِّحُ ، فإنَّه إنْ سبَّح التُفِتَ إليه وإنَّما التَّصفيقُ للنِّساءِ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « التَّسبيحُ للرِّجالِ والتصفيقُ للنِّساءِ » . متفق عليه[2] .

• **ما جاء من تغليظ الزجر لمن ترك الجمعة لغير عذر :**

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ : قالَ لَقومٍ يتخلَّفونَ عنِ الجُمعةِ : « لقد هَممتُ أن آمُرَ رجلًا يصلِّي بالنَّاسِ ، ثمَّ أحرِّقَ على قَومٍ يتخلَّفونَ عنِ الجمُعةِ في بيوتِهِم » . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي هريرة وبن عمر رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على عود منبره : « لَيَنْتَهِينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجمُعَاتِ أو لَيَخْتَمَنّ الله على قُلوبهم ثم ليَكونن من الغَافلين » . أخرجه مسلم[4] .

• **ما جاء من النهي عن التفريق بين الرجلين يوم الجمعة :**

عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن اغتَسَل يومَ الجُمعةِ ، وتَطهَّرَ بما استطاعَ من طُهرٍ، ثم ادَّهن أو مسَّ مِن طِيب، ثم راح فلمْ يُفرِّقْ بين اثنينِ ، فصلَّى ما كُتِبَ له، ثم إذا خرَجَ الإمامُ أَنصتَ ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجُمُعةِ الأُخرى » . أخرجه البخاري[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٤) ، ومسلم برقم: (١٠٢/ ٤٢١)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٠٣) مسلم برقم: (١٠٦/ ٤٢٢)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٤/ ٦٥٢).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ٨٦٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٩١٠).

• **ما جاء في تحريم إقامة الرجل من موضعه الذي سبق إليه يوم الجمعة :**

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لا يُقيمَنَّ أحدُكم أخاه يومَ الجُمُعةِ . ثم لِيخالفَ إلى مقعدِه فيقعدُ فيه ، ولكن يقولُ : أَفسِحُوا » . أخرجه مسلم[1] .

• **ما جاء في تغليظ الزجر عن الكلام والإمام يخطب :**

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إذا قُلتَ لصاحبِكَ يومَ الجُمُعةِ : أنصِتْ والإمامُ يخَطُبُ ، فقد لغوتَ » . متفق عليه[2] .

• **ما جاء من النهي عن مس الحصى يوم الجمعة والإمام يخطب :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن تَوضَّأَ ، فأَحْسَنَ الوضوءَ ، ثم أتى الجُمُعةَ فاستمَعَ ، وأَنْصَتَ غُفِرَ له ما بَينَه وبينَ الجُمُعةِ وزيادةَ ثلاثةِ أيَّامٍ ، ومَن مسَّ الحَصَى فقدْ لغَا » . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء من النهي عن وصل صلاة الجمعة بغيرها :**

عن عمر بن عطاء بن أبي الخوار : أنَّ نافعَ بنَ جُبَيْرٍ ، أرسلَهُ إلى السَّائبِ ابنِ أختِ نَمِرٍ يسأَلُهُ عن شيءٍ رآهُ منهُ معاويةُ في الصَّلاةِ ، فقالَ : نعَم صلَّيتُ معَهُ الجمعةَ في المقصورةِ فلمَّا سلَّمَ الإمامُ قمتُ في مقامي فصلَّيتُ ، فلمَّا دخلَ أرسلَ إليَّ ، فقالَ : لا تَعُدْ لما فعلتَ إذا صلَّيتَ الجمعةَ فلا تَصِلها بصَلاةٍ حتَّى تتَكَلَّمَ أو تخرجَ فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَنا بذلِكَ أن لا نوصِلَ صلاةً حتَّى نتَكَلَّمَ أو نخرجَ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٧٠) مسلم برقم: (٣٠/ ٢١٧٨)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ٨٥١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ٨٥٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٧٣/ ٨٨٣).

• **ما جاء في كراهة رفع الأيدي عند الدعاء على المنبر :**

عن حصيب قال : « سمعت عمارةُ بنُ رُويْبَةَ الثقفي وبشرَ بنَ مرْوانَ يخطب فرفعَ يديهِ في الدعاء فقال عمارةُ قبَّحَ اللهُ هاتينِ اليدينِ القصيرتين لقدْ رأيتُ رسول الله ﷺ وما يزيدُ على أن يقول هكذا وأشار هشيم بالسبابةَ». أخرجه مسلم[1].

فإذا دعا الإمام أثناء الخطبة فيرفع إصبعه السبابة اليمنى عند الدعاء ولا يرفع يديه .

• **ما جاء في نفي قبول صلاة المرء حتى يتوضأ :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء في نفي قبول صلاة المرأة بغير خمار :**

عن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ أنه قال : « لا يَقبَلُ اللهُ صلاةَ حائضٍ إلا بخِمارٍ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

• **ما جاء من النهي عن الصلاة لغير سترة :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُصَلِّ إلَّا إلى سُترةٍ ولا تدَعْ أحدًا يمُرُّ بينَ يدَيْك فإنْ أبى فلتُقاتِلْه فإنَّما هو شيطانٌ » . أخرجه ابن خزيمة وابن حبان بسند صحيح[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٣/ ٨٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢/ ٢٢٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٦٤١)، والترمذي برقم: (٣٧٧).

(٤) صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٨٠٠)، وابن حبان برقم: (٢٣٦٢).

• **ما جاء في تحريم المرور بين يدي المصلي :**

عن بسر بن سعيد : أنَّ زيدَ بنَ خالدٍ أرسَله إلى أبي جُهَيم ، يَسأَلُه : ماذا سمِع من رسولِ الله ﷺ في المارِّ بينَ يدَيِ المُصلِّي ؟ فقال أبو جُهَيم : قال رسولُ الله ﷺ : « لو يَعلَمُ المارُّ بين يدَيِ المُصلِّي ماذا عليه ، لكان أن يَقِفَ أربعينَ خيرًا له من أن يمُرَّ بين يدَيه ، قال : أبو النَّضرِ : لا أدري ، أقال أربعينَ يومًا ، أو شهرًا ، أو سنةً » . متفق عليه[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أحدُكم يُصلِّي فلا يدَعْ أحدًا يمُرُّ بينَ يدَيْه وليدرَأْه ما استطاع فإنْ أبى فليُقاتِلْه فإن معه قرين » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء من النهي عن التشويش على المصلي :**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ يومًا في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال : « ألا إنَّ كلَّكم مناجٍ ربَّه ؛ فلا يؤذينَّ بعضُكم بعضًا ، ولا يرفَعْ بعضُكم على بعضٍ في القراءة أو قال : في الصلاةِ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[3] .

• **ما جاء من الزجر عن تفل المصلي قدامه أو يمينه :**

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلا يَبزُقنَّ عَنْ يَمِينِهِ وَلا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ تحْتَ قَدَمَيْهِ » . متفق عليه[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦١/ ٥٠٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٠/ ٥٠٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١١٨٩٦)، وأبو داود برقم: (١٣٣٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢١٤) مسلم برقم: (٥٤/ ٥٥١)، واللفظ له.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ أبصر نُخامَةً في قِبلَةِ المسجدِ فحَكَّها بحَصاةٍ ثم نَهى أن يَبزُقَ الرجلُ بين يديه أو عن يمينِه أو أمامَه ، ولكن يَبزُقُ عن يَسارِه أو تحتَ قدمِه اليُسرى » . متفق عليه[1] .

وعن بن عمر رضي الله عنهما : « أن النبي ﷺ رأى بُصاقًا في جِدارِ القِبلَةِ فحَكَّه ثم أقبَل على الناسِ فقال إذا كان أحدُكم يُصلِّي فلا يَبصُقْ قِبَلَ وجهِه فإنَّ اللهَ قِبَلَ وجهِه إذا صلَّى » . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ ، فَلاَ يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنُهَا » . أخرجه البخاري[3] .

- **ما جاء من النهي عن التطبيق في الصلاة :**

عن مصعب بن سعد قال : صليتُ إلى جنبِ أبي فطبقتُ بين كفيَّ ثم وضعتهما بين فخذيَّ فنهاني أَبي ، وقال : إنَّا كنَّا نفعلُ هذا فنُهِينا عنه ، وأُمِرْنا أن نَضعَ أَيدِيَنا على الرُّكَبِ » . متفق عليه[4] .

والسنة وضع الأكف على الركب في حال الركوع كأنه قابض عليهما ، ولا يطبقه التطبيق بأن يلصق بين باطني كفيه في حال الركوع ويضعها بين فخذيه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤١٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٢/ ٥٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٠٦) مسلم برقم: (٥٠/ ٥٤٧)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٤١٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ٥٣٥).

• **ما جاء من النهي عن قراءة القرآن في حال الركوع والسجود في الصلاة :**

عن بن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا ، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : نَهَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ أَقْرَأَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء من النهي عن الاعتماد على اليد اليسرى في الصلاة وخارجها :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ نهَى رجُلًا وهُوَ جالِسٌ مُعْتَمِدٌ علىَ يَدِهِ اليُسْرَى في الصلَاةِ ، فقال : « إِنَّهَا صلاةُ اليهودِ » . أخرجه الحاكم بسند صحيح[3] .

وعن السويد بن شريد ﷺ قال : مرّ بي رسولُ الله ﷺ وأنا جالسٌ هكذا وقد وضعتُ يدِي اليُسرى خلفَ ظهري واتّكأتُ علىَ إلْيةِ يديّ فقال أتقعُدُ قعدَةَ المغضوبِ عليهِم » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٧/ ٤٧٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٩/ ٤٨٠).

(٣) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم: (٢٧٢).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٩٤٧٢)، وأبو داود برقم: (٤٨٤٨).

• **من جاء من تغليظ الزجر من رفع المصلي بصره إلى السماء :**

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « ما بالُ أقوامٍ ، يَرفعونَ أبصارهمْ إلى السماءِ في صلاتهمْ . فاشْتَدَّ قولُهُ في ذلكَ ، حتى قال : لَيَنْتَهُنَّ عن ذلكَ ، أو لتُخْطَفَنَّ أبصارُهُمْ » . أخرجه البخاري[1] .

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَينتهينَّ أقوامٌ يرفعونَ أبصارَهم إلى السَّماءِ في الصَّلاةِ ، أو لا ترجعُ إليهم » . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لينتَهيَنَّ أقوامٌ عن رفعِ أبصارِهم عندَ الدُّعاءِ في الصَّلاةِ إلى السَّماءِ أو لتُخطَفنَّ أبصارُهُم » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٧/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٨/ ٤٢٩).

٨- الخزانة الثامنة

مناهي العبادات

- **ما جاء في الزجر عن مسح الحصى وغيره في موضع السجود :**

حَدَّثَنِي مُعَيْقِيبٌ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : فِي الرَّجُلِ يُسَوِّي التُّرَابَ حَيْثُ يَسْجُدُ ، قَالَ : « إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا فَوَاحِدَةً » . متفق عليه[١] .

- **ما جاء من الزجر أن يفترش المصلي ذراعيه في السجود :**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « اعتدِلوا في السُّجودِ ، ولا يبسُطْ أحدُكم ذراعَيْهِ انبساطَ الكلب » . . متفق عليه[٢] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا سجدَ أحدُكُم فليعتَدِلْ ، ولا يفترِشْ ذراعَيهِ افتراشَ الكلب » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يَنهى أنْ يفترشَ الرجلُ ذراعَيهِ افتراشَ السبُعِ . أخرجه مسلم[٤] .

فينبغي للساجد في الصلاة أن يضع كفيه على الأرض ، ويرفع مرفقيه عن الأرض ، ويبعدهما عن جنبيه ويرفع بطنه عن فخذيه .

- **ما جاء في تحريم الالتفات في الصلاة :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال:« هو اختلاسٌ يختلِسُه الشَّيطانُ مِن صلاةِ العبدِ». أخرجه البخاري[١] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٧/ ٥٤٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٣/ ٤٩٣).

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٥) ، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٨٩١).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠/ ٤٩٨).

فيحرم على المصلي أن يلوي عنقه من غير ضرورة ، لأن الالتفات نقص في الصلاة ، ومُذهب للخشوع ، وما أدى إلى ذلك فهو حرام .

- **ما جاء من النهي عن إقعاء السبع في الصلاة :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ينهى عن عقبةُ الشيطانِ . أخرجه مسلم[٢] .

والإقعاء المنهي عنه ، وإقعاء السبع أو القرد أو الكلب ، هو أن ينصب الرجل ساقيه ، ويلزق إليتيه بالأرض ، ويضع يديه بالأرض ، وهذه حركة المستخوف غير المطمئن، والجائز هو وضع أَلْيَتَيْهِ عَلَى عَقِبَيْهِ بَيْن السَّجْدَتَيْنِ.

- **ما جاء من النهي عن وضع اليد على الخاصرة في الصلاة :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نُهِيَ عن الخَصرِ في الصلاةِ » . أخرجه البخاري[٣].

والتخصر في الصلاة هو وضع اليدين على الخاصرة في الصلاة .

- **ما جاء من النهي عن عقص الرأس في الصلاة :**

عن بن عباس رضي الله عنهما أنه رأى عبد الله بن الحارث يصلي ورأسه معقوص من ورائه فقام فجعل يحله ، فلما انصرف أقبل إلى ابن عباس فقال : مالك ورأسي فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّما مَثَل هذا ، مَثَل الذي يصلِّي وهو مكتوف » . أخرجه مسلم[٤] .

والعقص هو إدخال أطراف الشعر في أصوله .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠/ ٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٢١٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٢/ ٤٩٢).

• **ما جاء من الزجر من عدم إتمام الركوع والسجود وإقامة الصلب بينهما :**

عن أبي مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُجزئ صلاةٌ لا يُقيم الرجلُ فيها ظهرَه في الركوع والسجود » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[١] .

وعن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أسوَأُ النَّاسِ سرِقةً الَّذي يسرِقُ صلاتَه قيل : يا رسول الله وكيفَ يسرِقُ صلاتَه ؟ قال : لا يُتِمُّ ركوعَها ولا سجودَها » . . أخرجه أحمد وابن خزيمة بسند صحيح[٢] .

وعن طلق بن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَنظرُ اللهُ إلى صلاةِ عبدٍ لا يقيمُ فيها صلبَهُ بينَ رُكوعِها وسجودِها » . . أخرجه أحمد بسند صحيح[٣] .

وعن حذيفة ﷺ أنه رأى رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال: « ما صلَّيْتَ، ولو مِتَّ مِتَّ على غيرِ الفِطرةِ التي فطَرَ اللهُ محمَّدًا ﷺ عليها » . أخرجه البخاري[٤] .

• **ما جاء في الزجر عن اشتمال الصماء في الصلاة :**

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ نهى عن بيعتَينِ ، وعن لُبستَينِ ، وعن صلاتَينِ : نهى عن الصلاةِ بعدَ الفجرِ حتى تَطلُعَ الشمسُ ، وبعدَ العصرِ حتى تغرُبَ الشمسُ، وعن اشتِمالِ الصمَّاءِ، وعن الاحتِباءِ في ثوبٍ واحدٍ ، يُفْضي بفرجِه إلى السماءِ ، وعن المُنابذَةِ ، والمُلامسَةِ » . أخرجه البخاري[٥] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٨٥٥)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٦٥).

(٢)صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٦٦٣) ، وأخرجه أحمد برقم: (١١٥٣٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٠٧٩٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٧٩١).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٤).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان لأحدكم ثوبانِ فليُصَلِّ فيهما ، فإن لم يكن إلَّا ثوبٌ واحدٌ فليَتَّزِرْ بهِ ولا يَشْتَمِلِ اشتمالَ اليهودِ » . . أخرجه أبو داود والبيهقي بسند صحيح[1] .

وعن جابر بن عبد الله أن الرسول ﷺ نهى أنْ يأكُلَ الرَّجلُ بشِمالِه أو يمشيَ في نعلٍ واحدةٍ وأنْ يشتمِلَ الصَّمَّاءَ أو يحتبيَ في ثوبٍ واحدٍ كاشفًا عن فَرْجِه » . أخرجه مسلم[2] .

واشتمال الصماء أن يجعل ثوبه على عاتقيه فيبدو أحد شقيه .

- **ما جاء في كراهة الصلاة في ثوب مزركش ومخطط :**

عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلاَمٌ ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلاَمِهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : « اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاَتِي » . . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ » . . ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا ، وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي » . . متفق عليه[3] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، كَانَ قِرَامٌ لِعَائِشَةَ سَتَرَتْ بِهِ جَانِبَ بَيْتِهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَمِيطِي عَنَّا قِرَامَكِ هَذَا ، فَإِنَّهُ لاَ تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ فِي صَلاَتِي » . أخرجه البخاري[4] .

- **ما جاء في تحريم الصلاة والمصلي مكشوف العاتقين :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُصلِّي أحدُكم في الثوبِ الواحدِ ليسَ على عاتقيه شيءٌ » . متفق عليه[1] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٦٣٥)، وأخرجه البيهقي برقم: (٣٢٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٢٠٩٩).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦١/ ٥٥٦).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٣٧٤).

من صلى في ثوب واحد فالسنة أن يتوشح بطرفي الثوب على عاتقيه ليحصل الستر للجزء من أعالي البدن وهذا ما لم يكن ضيقًا ، فإن كان الثوب ضيقًا فالسنة أن يتزر ويشده على حقويه ثم يصلي ولا حرج عليه .

- **ما جاء من الزجر عن كف الثوب والشعر في الصلاة :**

عن بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أن أسجُدَ على سبعةِ أعظُمٍ . ولا أكِفَ ثَوبًا ولا شعرًا » . أخرجه مسلم[٢] .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن إسبال الثياب في الصلاة :**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَنْظُر اللهّ إلى صلاة رجل يجرّ إزارَه بَطَراً » . أخرجه ابن خزيمة بسند صحيح[٣] .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خُيَلَاءَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي حِلٍّ وَلَا حَرَامٍ» . أخرجه أبو داود بسند صحيح[٤] .

والإسبال يكون في السراويل والإزار والقميص والعمامة .

عن بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « الإسبالُ في الإزارِ والقميصِ والعمامةِ من جرَّ منها شيئًا خيلاءَ لم ينظرِ اللهُّ إليهِ يوم القيامة » . . أخرجه أبو داوود والنسائي بسند صحيح[٥] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧٧/ ٥١٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٢٨/ ٤٩٠).

(٣) صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٧٨١).

(٤) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٦٣٧).

(٥)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٠٩٤)، وأخرجه النسائي برقم: (٥٣٣٤) .

• **ما جاء من النهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام :**

عن جابر بن سمرة ﷺ قال : كنَّا إذا صلَّيْنا مع النبيِّ ﷺ قُلْنا : السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله ، السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله ، وأشار بيدِه إلى الجانبينِ ، فقال لهم النبيُّ ﷺ : علامَ تُومِئونَ بأيديكم كأنَّها أذنابُ خيلٍ شُمْسٍ ؟ اسكُنوا في الصَّلاةِ ، إنَّما يكفي أحَدَكم أنْ يضَعَ يدَيْهِ على فخِذَيْه ثم يُسلِّمَ على أخيه مِن عن يمينِه ومِن عن شِمالِه » . . أخرجه مسلم[1] .

• **ما جاء في تحريم الكلام العادي في الصلاة :**

عن أبي عمرو الشيباني قال : قال لي زيد بن أرقم إن كنا لَنتكَلَّمُ في الصلاةِ ، على عهدِ النبيِّ ﷺ ، يُكَلِّمُ أحدُنا صاحبَه بحاجَتِه ، حتى نزَلَتْ : ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٨]. ، فأُمِرْنا بالسُّكوتِ » . .وزاد مسلم : « وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ » . . متفق عليه[2] .

وعن معاوية بن حكم السلمي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ مِن كلامِ النَّاسِ ، إنَّما هو التَّسبيحُ ، والتَّكبيرُ ، وقِراءةُ القرآن » . . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء في كراهة التثاؤب في الصلاة :**

عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال : « إنَّ التَّثاؤبُ في الصَّلاةِ منَ الشَّيطانِ فإذا تثاءبَ أحدُكم فليَكظِم ما استطاعَ » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٢٠/ ٤٣١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٠٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٥/ ٥٣٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٣٣/ ٥٣٧).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٥٦/ ٢٩٩٤).

• **ما جاء في الزجر عن الصلاة بحضرة طعام ، أو وهو حاقن :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ » . . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَبِهِ أَذًى » . أخرجه ابن ماجة بسند صحيح[2] .

• **ما جاء في نفي قبول صلاة شارب الخمر :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء: ٤٣] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا » . . أخرجه ابن خزيمة والحاكم بسند صحيح[3] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ تَوْبَتَهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ تَوْبَتَهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ » . . ثلاثًا أو أربعًا ، قال الأوزاعيُّ : ما أَدْري في الثالثة أو في الرابعة : « فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْغَةِ الخَبَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ » . . . قال الأوزاعيُّ : رَدْغَةُ الخَبال : صَديدُ أهل النَّار » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٦٧/ ٥٦٠).

(٢) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٦١٨).

(٣)صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٩٣٩) ، وأخرجه الحاكم برقم: (٩٤٥).

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٦٦٤٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٨٦٢).

• **ما جاء في الزجر أن يوتر المسلم في الليلة الواحدة مرتين :**

عن قيس بن طلق قال : زارنا طلقُ بنُ علي في يومٍ مِنْ رَمضانَ وأمسى عندنا وأفْطَرَ ، ثم قام بنا الليلةَ، وأوتَر بنا، ثم انحدَرَ إلى مسجده فصَلَّى بأصحابه، حتى إذا بقي الوِتر، قدَّم رجلاً فقال: أوترْ بأصحابك، فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: لا وِتْرانِ في ليلةٍ » . أخرجه أبو داوود والنسائي بسند صحيح(١) .

• **ما جاء في كراهة ترك قيام الليل وإن كانت تطوعًا لا فرضًا :**

عَنْ عَبْدِ اللهِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ، قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ ، فَقِيلَ : مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ ، فَقَالَ : « بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ » . . أخرجه البخاري(٢) .

• **ما جاء في النهي عن صلاة الإنسان وقراءته حال النعاس :**

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ » . . متفق عليه(٣) .

• **ما يُكره من التشديد في العبادة :**

قال الله تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ** ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

قال الله تعالى : ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ** ﴾ [التغابن:١٦] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبيُّ ﷺ ، فإذا حَبْلٌ ممدودٌ بينَ الساريتيْنِ ، فقال : ما هذا الحَبْلُ . قالواْ : هذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ ، فإذا فَتَرَتْ

---

(١)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٤٣٩)، وأخرجه النسائي برقم: (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١١٤٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٢/ ٧٨٦).

تعلَّقَتْ . فقال النبيُّ ﷺ : « لا ، حُلُّوهُ ، لِيُصَلِّ أحدكم نشاطَهُ ، فإذا فَتَرَ فليَقْعُدْ » . . متفق عليه[1] .

فالتشديد في العبادة يؤدي إلى الملل على فاعله ، فينقطع عن عبادة يتقرب بها إلى الله ﷻ ، فالقصد القصد تبلغوا .

- **ما جاء في تحريم تخصيص ليلة الجمعة بصلاة من بين الليالي :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لَا تخْتَصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَام مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي ، وَلَا تخُصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم صيام يوم العيد :**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : هذان يومانِ نهى رسولُ الله ﷺ عن صيامِهما: يومُ فِطْرِكم من صيامِكم، واليومُ الآخَرُ تأكلونَ فيه من نُسُكِكم». متفق عليه[3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عن صيامِ يومينِ : يومِ الفِطرِ ، ويومِ النَّحرِ . متفق عليه[4] .

- **ما جاء في كراهة حمل السلاح قصداً في يوم العيد :**

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ حِينَ أَصَابَهُ سِنَانُ الرُّمْحِ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ ، فَلَزِقَتْ قَدَمُهُ بِالرِّكَابِ ، فَنَزَلْتُ ، فَنَزَعْتُهَا وَذَلِكَ بِمِنًى ، فَبَلَغَ الحَجَّاجَ فَجَعَلَ يَعُودُهُ ، فَقَالَ الحَجَّاجُ : لَوْ نَعْلَمُ مَنْ أَصَابَكَ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : « أَنْتَ أَصَبْتَنِي » . . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : « حَمَلْتَ السِّلاَحَ فِي يَوْمٍ لَمْ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٥٠) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٩/ ٧٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٨/ ١١٤٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٩٠) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٨/ ١١٣٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٩/ ١١٣٨).

يَكُنْ يحْمَلُ فِيهِ ، وَأَدْخَلْتَ السِّلاَحَ الحَرَمَ وَلَمْ يَكُنِ السِّلاَحُ يُدْخَلُ الحَرَمَ » . . أخرجه البخاري[1] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٩٦٦).

٩- الخزانة التاسعة

رسائل الجنائز

• **ما جاء من الزجر عن تمني الموت :**

عن قيس بن أبي حازم قال : دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابٍ ، نَعُودُهُ ، وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ ، وَلَوْلاَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ ، إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ » . . متفق عليه[١] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ مِنْ ضُرٍّ أصابَه ، فإن كان لا بُدَّ فاعِلًا ، فليقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحياةُ خيرًا لي ، وتوفَّنِي إذا كانت الوَفاةُ خيرًا لي » . . متفق عليه[٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت الرسول ﷺ يقول : « لا يتمنَيَنَّ أحدُكم الموتَ إمَّا محسنًا فلعلَّه يزدادُ خيرًا وإمَّا مسيئًا فلعلَّه يستعتبُ » . أخرجه البخاري[٣] .

وعن أم الفضل رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال : « يَا عَمِّ ، لَا تَتَمَنَّ المَوْتَ ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ محْسِنًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ تَزْدَدْ إِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِكَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئًا فَإِنْ تُؤَخَّرْ فَتُسْتَعْتَبْ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ ، فَلَا تَتَمَنَّ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢/ ٢٦٨١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠/ ٢٦٨٠).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٣).

الْمَوْتَ » . . هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذَا اللَّفْظِ ، إِنَّمَا اتَّفَقَا عَلَى حَدِيثِ قَيْسٍ ، عَنْ خَبَّابٍ ، لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَتَمَنَّى الْمَوْتَ لَتَمَنَّيْتُهُ » . . أخرجه الحاكم بإسناد صحيح[1] .

- **ما جاء من الزجر عن تطويل الأمل في عمارة الدنيا :**

قال الله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مرَّ علينا رسولُ الله ونحن نعالج خُصًّا لنا وَهَى فقال « ما هذا فقلنا خُصٌّ لنا وَهَى فنحن نصلحُه فقال ما أرى الأمرَ إلا أعجلَ من ذلك » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

- **ما جاء من النهي عن غسل شهيد المعركة :**

عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال في قتلى أحد : « لَا تُغَسِّلُوهُمْ ، فَإِنَّ كُلَّ جُرْحٍ - أَوْ كُلَّ دَمٍ - يَفُوحُ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ » . . أخرجه أحمد بسند صحيح[3] .

- **ما جاء من النهي عن تغطية رأس المحرم ووجهه إذا مات :**

عن بن عباس ﷺ قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ ، إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا » .متفق عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الحاكم برقم: (١٢٥٤).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٣٥) ، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٣٣٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٤١٨٩).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٤/ ١٢٠٦).

• **ما جاء من النهي عن إحداد المرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج :**

عن زينب بنت أبي سلمة قالت : لمَّا جَاءَ نَعْيُ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ الشَّأْمِ ، دَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِصُفْرَةٍ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ ، فَمَسَحَتْ عَارِضَيْهَا ، وَذِرَاعَيْهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي كُنْتُ عَنْ هَذَا لَغَنِيَّةً ، لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا » . متفق عليه[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:« لا يحِلُّ لامرأةٍ تؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أنْ تحِدَّ على ميِّتٍ فوقَ ثلاثٍ إلَّا على زوجِها » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما يحرم على المرأة في الإحداد :**

عن أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « لا يحِلُّ لامرأةٍ تؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أنْ تحِدَّ على ميِّتٍ فوقَ ثلاثٍ إلَّا على زوجٍ فإنَّها تحِدُّ عليهِ أربعةَ أشهُرٍ وعشْرًا لا تكتحِلُ ولا تلبَسُ ثوبًا مصبوغًا إلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ ولا تمسُّ طِيبًا إلَّا عندَ أدنى طُهرِها إذا اغتسلت مِن محيضِها نُبذةَ قُسْطٍ وأظفارٍ » . متفق عليه[3] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « المُتوفَّى عنها زوجُها لا تلبَسُ المُعصفَرَ مِن الثِّيابِ ولا المُمشَّقَ ولا الحُلِيَّ ولا تختَضِبُ ولا تكتَحِلُ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٨٠) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٨/ ١٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٤٨٧ .

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٨١) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٩/ ١٤٨٦).

(٤)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢٣٠٤)، وأخرجه النسائي برقم: (٣٥٣٥).

• **ما جاء في تغليظ الزجر عن النياحة :**

عن المغيرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نِيحَ عليهِ فإنَّهُ يُعذَّبُ بما نِيحَ عليهِ » . . متفق عليه[1] .

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « أربعٌ في أمَّتي من أمرِ الجاهليَّةِ ، لا يتركونهنَّ : الفخرُ في الأحسابِ ، والطَّعنُ في الأنسابِ ، والاستسقاءُ بالنُّجومِ ، والنِّياحةُ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن إبن البرد عن أبيه قال : لمَّا أُصيبَ عمرُ ﷺ ، جعلَ صهيبٌ يقولُ : واأخاهُ ، فقال عمرُ : أما علمتَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : إنَّ الميتَ ليُعَذَّبُ ببكاءِ الحيِّ » . . متفق عليه[3] .

• **ما جاء في تحريم لطم الخدود ، وشق الجيوب ، وحلق الشعر ، عند المصيبة :**

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « ليسَ منَّا مَن شقَّ الجيوبَ وضربَ الخدودَ ودعا بدَعوَى الجاهليَّةِ ». متفق عليه[4] .

وعن إبن أبي موسى قال : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا شَدِيدًا ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ ، قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ: « بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ » . متفق عليه[5].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٩١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨/ ٩٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٩/ ٩٣٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٨٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨/ ٩٢٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٥/ ١٠٣).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٧/ ١٠٤).

والصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والشاقة التي تشق ثوبها عند المصيبة .

• **ما جاء في تغليظ الزجر عن إسعاد المرأة النساء على البكاء :**

عن أم سلمة لمَّا مات أبو سلَمةَ قلت : غريبٌ في أرضِ غُربةٍ : لأبكيَنَّ بكاءً يتحدَّثُ عنه وكُنْتُ قد هيَّأْتُ البكاءَ عليه إذ أقبَلَتِ امرأةٌ مِن المُسعداتِ تُريدُ أنْ تُسعِدَني فاستقبَلها رسولُ الله ﷺ قال : « تُريدينَ أنْ تُدخِلي الشَّيطانَ بيتًا أخرَجه اللهُ منه ؟ قالت : فكفَفْتُ عن البكاءِ فلم أبكِ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّسَاءِ حِينَ بَايَعَهُنَّ أَنْ لَا يَنُحْنَ ، فَقُلْنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ نِسَاءَ أَسْعَدْنَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَفَنُسْعِدُهُنَّ فِي الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَا إِسْعَادَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَا جَلَبَ ، وَلَا جَنَبَ ، وَمَنِ انْتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا » . . أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[2] .

والإسعاد هو مساعدة المرأة الثكلى على النياحة .

والشغار هو الزواج البدل ، أن ينكح الرجل الرجل أخته أو ابنته على أن يفعل الأخر مثله معه ، والعقر هو ذبح الإبل عند قبور الموتى بضرب قوائمها بالسيف وهي قائمة .

• **ما جاء في تحريم الذبح عند القبور :**

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عقرَ في الإسلامِ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠/ ٩٢٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٣٠٥٥)، وأخرجه النسائي برقم: (١٨٥٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٢٢٢).

• **ما يُكره من الصلاة على المنافق معلوم النفاق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:٨٤] .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، أَنَّهُ قَالَ : لمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا : كَذَا وَكَذَا ؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ : « أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ » . . فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : « إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا » . . قَالَ : فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا ، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة:٨٤] . إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:٨٤] . قَالَ : فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » . . أخرجه البخاري[1] .

ويحرم الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى .

كما قال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة:١١٣-١١٤] .

• **ما جاء في نهي النساء عن اتباع الجنائز :**

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: نُهِينَا عن اتِّباع الجنائِزِ، ولم يُعْزَمْ عَلَيْنا » . متفق عليه[2] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٣٦٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٥/ ٩٣٨).

• **ما جاء في تغليظ تحريم زيارة النساء القبور :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : لعنَ رسول الله ﷺ زوَّاراتِ القُبور » . . وفي رواية « لعنَ الله » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

• **ما جاء من النهي عن الدفن في أوقات النهي :**

عن عقبة بن عامر ﷺ قال : ثلاثُ ساعاتٍ كان رسولُ الله ﷺ ينهانا أن نُصَلِّيَ فيهنَّ، وأن نَقْبُرَ فيهِنَّ موتانا: حين تَطْلُعُ الشَّمْسُ بازغَةً حتى ترتفِعَ، وحين يقومُ قائِمُ الظَّهيرةِ حتى تزولَ، وحين تَضَيَّفُ الشَّمْسُ للغُروبِ حتى تغرب . أخرجه مسلم[2] .

فلا يجوز دفن الموتى في هذه الساعات الثلاث إلا لضرورة .

• **من جاء من النهي لمن قارف أهله من دخول القبر :**

عن أنس ﷺ أن رقية رضي الله عنها لما ماتت قال الرسول ﷺ: «لا يدخُل القبرَ رجلٌ قارَفَ اللَّيلةَ أَهْلَهُ، فلم يدخُلْ عثمانُ بنُ عفَّانَ ﷺ القبر » . أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح[3] .

• **ما جاء في تحريم كسر عظم الميت المسلم :**

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « كَسْرُ عَظْمِ الميِّت ككَسْرِه حياً ». أخرجه أحمد وأبو داوود بسند صحيح[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ : « لعن المُخْتَفي والمُخْتَفِيةَ » . . أخرجه البيهقي بسند صحيح[5] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٢٣٦)، وأخرجه أحمد برقم: (٨٤٣٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٩٣/ ٨٣١).

(٣)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٣٤٢٢)، وأخرجه الحاكم برقم: (٦٨٥٢).

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٥٣٥٦)، وأخرجه أبي داود برقم: (٣٢٠٧).

(٥) صحيح/ أخرجه البيهقي برقم: (١٧٢٤٤).

والمختفي هو نباش القبور .

- **ما جاء في تحريم اتخاذ الأبنية على القبور وتجصيصها :**

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُجَصصَ القبرُ وأن يُقعدَ عليه وأن يُبنَى عليه » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن الكتابة على القبور :**

عن جابرﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيصِ القبور والكتابةِ عليها والبناءِ عليها والجلوسِ عليها ». أخرجه النسائي والترمذي بسند صحيح[2] .

- **ما جاء من تغليظ الزجر على الجلوس على القبور :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَأَنْ يجْلِسَ أحدُكم على جَمْرَةٍ فتَحْرِقَ ثيابَه ، فتَخْلُصَ إلى جِلْدِه ؛ خيرٌ له من أن يجْلِسَ على قَبرٍ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي مرثد الغنوي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجْلِسوا على القبورِ ولا يصلوا إليها » . أخرجه مسلم[4] .

- **ما يُنهى عنه عند زيارة القبور :**

عن بريدة بن الحصيب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « كنتُ نهَيتُكُمْ عنْ زيارَةِ القبورِ ألَا فَزُورُوهَا فإنَّهَا تُرِقُّ القلْبَ ، وتُدْمِعُ العينَ ، وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ ، ولَا تَقُولُوا هُجْرًا » . . أخرجه مسلم[5] .

والهجر هو الكلام الباطل الذي يُسخط الرب ﷻ .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٩٤/ ٩٧٠).

(٢)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢٠٢٩)، وأخرجه الترمذي برقم: ( )١٠٥٢.

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٩٦/ ٩٧١).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٩٧/ ٩٧٢).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (٣٧/ ١٩٧٧) .

• **ما جاء من النهي عن اتخاذ القبور عيدًا :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تجْعَلُوا بُيُوْتَكُمْ قُبُوْرًا ، وَلَا تجْعَلُوا قَبْرِيْ عِيْدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح(١) .

• **ما جاء من النهي عن الاجتماع للتعزية في مكان خاص :**

عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال : كُنَّا نَرَى الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ ، وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ ، مِنْ النِّيَاحَةِ » . أخرجه أحمد وابن ماجة بسند صحيح(٢) .

• **ما جاء من النهي عن سب الأموات والقدح فيهم :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : « لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا » . . أخرجه البخاري(٣) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ذُكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال : « لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » . . أخرجه النسائي بسند صحيح(٤) .

وعن بن شعبة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسَبُّوا الأمواتَ فتُؤذُوا الأحياءَ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح(٥) .

فيحرم سب الأموات ، لأنهم وصلوا إلى ما قدموا من خير أو شر فلا فائدة من سبهم ، ولأن ذلك يؤذي الأحياء من قراباتهم .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٨٠٤)، وأخرجه وأبي داود برقم: (٢٠٤٢).

(٢)صحيح/ أخرجه برقم: (٦٩٠٥)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٦١٢).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٣).

(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٩٣٥).

(٥)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٢٠٩)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٢).

١٠- الخزانة العاشرة

مناهي العبادات

• **ما جاء من الزجر عن أن يكون المرء عبدًا للدرهم ، والدينار :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، إِنْ أَعْطَى رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ » . أخرجه البخاري[1] .

• **ما جاء من الزجر عن الشُحِ ، والبُخل :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة:٣٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣] .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ ، وَلا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا » . أخرجه أحمد والنسائي بسندٍ صحيح[2] .

• **ما جاء من الزجر عن إمساك المال ، والحرص عليه :**

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللهِ لَيْسَ لِي شَيْءٌ إِلَّا مَا أَدْخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَرْضَخَ مِمَّا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٨٨٦).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٧٤٧٤)، وأخرجه النسائي برقم: (٣١٠٧).

يُدْخِلُ عَلَيَّ فَقَالَ : ارْضَخِي مَا اسْتَطَعْتِ وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ » . . متفق عليه[1] .

وعَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ ، بِأَفْسَدَ لهَا مِنْ حِرْصِ الرَّجُلِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

- **ما جاء من الزجر عن استبطاء الرزق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات:٢٢-٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف:٣٢] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ العَبْدُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقِهِ وَهُوَ لَهُ ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ : أَخْذِ الحَلالِ أَوْ تَرْكِ الحَرَامِ » . أخرجه ابن حبان والحاكم بسندٍ صحيح[3] .

- **ما جاء من الزجر عن إحصاء الصدقة :**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : جَاءَ سَائِلٌ ، فَأَمَرَتْ لَهُ عَائِشَةُ بِشَيْءٍ ، فَلَمَّا أَخْرَجَتْ الخَادِمُ دَعَتْهَا فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا تُخْرِجِينَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٩/ ١٠٢٩).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٧٨٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٣٧٦).

(٣)صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٣٢٣٩)، وأخرجه الحاكم برقم: (٢/ ٤).

من شَيْءٌ إلا بِعِلْمِكِ ؟» ، قَالَتْ : إِنِّي لأَعْلَمُ ، فقَالَ لهَا : « لا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ » . أخرجه أبو داوود والنسائي بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء في تغليظ الزجر ممن منع الزكاة :**

قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[التوبة:٣٤-٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [التغابن:٦-٧] .

وعَنِ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لا يَفْعَلُ فِيهَا حَقِّهَا إِلا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ قَطُّ ، وَأُقْعِدَ لهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَسْتَنُّ عَلَيْهَا بِقَوَائِمِهَا ، وَأَخْفَافِهَا ، وَلا صَاحِبَ بَقَرٍ لا يَفْعِلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ ، وَأُقْعِدَ لهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطَؤُهُ بِقَوَائِمِهَا ، وَلا صَاحِبَ غَنَمٍ لا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ مَا كَانَتْ ، وَأُقْعِدَ لهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا ، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا لَيْسَ فِيهَا جَمَّاءُ ، وَلا مُنكسر قَرْنُهَا ، وَلا صَاحِبَ كَنْزٍ لا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ ، فَيُنَادِيهُ : خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَّأْتَهُ ، فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضِمَهَا قَضْمَ الْفَحْلِ » . . أخرجه مسلم[2] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٦٩٩)، وأخرجه النسائي برقم: (٢٥٥١).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ٩٨٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا ، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ، ثُمَّ تَلاَ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾[آل عمران:١٨٠] . أخرجه البخاري[1] .

- **ما جاء في تحريم المراءات ، والسمعة في الصدقة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾[النساء: ٣٨ – ٣٩] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ في حديثه الطويل في أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة « وفيه رَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم المَنِّ والأذى :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾[البقرة:٢٦٤] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٤٥٦٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ » قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ « الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ » . أخرجه مسلم(١) .

والقول الطيب خير من الصدقة التي يتبعها مَنٌّ وأذى ،كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾[البقرة:٢٦٢-٢٦٣] .

والله ﷻ غنيٌ كريم لا يقبل صدقةً من غلول .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ » . أخرجه مسلم(٢) .

- **ما جاء من النهي للمُتصدق أن يشتري صدقته ممن تَصَّدق عليه :**

عَنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ حَمَلَ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِّ ، فوَجَدَهَ يُبَاع ، فَأَرَادْ أَنْ يبْتَاعَهُ ، فَسَأَلْ رَسُولَ اللهِّ ﷺ عن ذَلِكَ ، فَقَالَ : لا تَبْتَاعْهُ ، وَلا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ » . متفق عليه(٣) .

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ : أَنَّهُ حَمَلَ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِّ ، فَوَجَدَهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَقَدْ أَضَاعَهُ وَكَانَ قَلِيلَ المَالِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَهُ فَأَتَى رَسُولَ اللهِّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « لَا تَشْتَرِهِ وَإِنْ أُعْطِيتَهُ بِدِرْهَمٍ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْعَائِدِ فِي صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ » . . متفق عليه(٤) .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٢٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣/ ١٦٢١).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٩٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢/ ١٦٢٠).

• **ما جاء في تحريم هدية العامل وأنها غلول :**

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ : اسْتَعْمَلَ النبي ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي ، قَالَ : « فهلا جلس فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ فينْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا ، وَالَّذِي نَفْسُ محمد بِيَدِهِ لَا يَأْخُذ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يحْمِلُهُ عَلَى رَقَبتِهِ إِنْ كَان بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةٌ لهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ ثُمَّ رَفَعَ بيَدَهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثلاثا » . أخرجه البخاري[1] .

• **ما جاء من النهي عن الجمع بين المُتفرق ، والتفريق بين المُجتمع ، في الصدقة :**

عَنَّ أَنَس ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ كَتَبَ لَهُ الَّتي فَرَضَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « وَلا يجُمَعُ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ ، وَلا يُفَرَّقُ بَيْنَ مجُتَمِعٍ خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ » . . أخرجه البخاري[2] .

• **ما جاء من الزجر عن أخذِ خيار المال في الصدقات :**

عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ ، لمَّا بَعَثَ مُعَاذَ ﷺ على الْيَمَنِ ، قَالَ : إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيه عِبَادة الله فَإِذَا عَرَفُوا الله ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا فَعلوا الصلاة ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً من أَمْوَالهِمْ ، وَتُرَدُّ عَلَى فَقِرائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعوا بِها ، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ » . . أخرجه البخاري[3] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (١٥٠٠).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٦٩٥٥).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٧٣٧٢).

• **ما جاء من النهي عن إعطاء الزكاة لغني ، أو قوي مكتسب :**

عَنْ أبي هريرة ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لا تحَِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ ، وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ » . . أخرجه النسائي وابن ماجة بسندٍ صحيح(١) .

وقال رسول الله ﷺ : « لَا تحَِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ إِلَّا لخَِمْسَةٍ : لِعَامِلٍ عَلَيْهَا ، أَوْ لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللهَّ ، أَوْ لِغَنِيٍّ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ ، أَوْ فَقِيرٍ تُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَأَهْدَاهَا لِغَنِيٍّ ، أَوْ غَارِمٍ » . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسندٍ صحيح(٢) .

• **ما جاء في تحريم الصدقة على رسول الله ﷺ وأهل بيته :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ الرسول ﷺ أنه قَالَ : « إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي ، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي ، ثُمَ أَرْفَعُهَا لِيأكُلَهَا ، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً ، فَأُلْقِيهَا » . . متفق عليه(٣) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنهما تمَْرَةً مِنْ تمَْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ : النبي ﷺ : « كِخْ كِخِ ارْمِ لِيَطْرَحَهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ » . . متفق عليه(٤) .

وعَنْ أَبِي رَافِعٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مخَْزُومٍ عَلَى الصَّدَقَةِ ، فَقَالَ لِأَبِي رَافِعٍ : اصْحَبْنِي كَيْمَا تُصِيبَ مِنْهَا ، فَقَالَ : لَا ، حَتَّى آتِيَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَأَسْأَلَهُ ، فَانْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تحَِلُّ لَنَا ، وَإِنَّ مَوَالِيَ القَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح(٥) .

---

(١)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢٥٩٧)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٨٣٩).

(٢)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٦٣٥)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٨٤١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٢/ ١٠٧٠).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٩١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦١/ ١٠٦٩).

(٥)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٠١٥)، وأخرجه الترمذي برقم: (٦٥٧).

• **ما جاء من النهي عن إخراج الرديء في الصدقة :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة:٢٦٧] .

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ في الآية التي قال الله ﷻ « ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٧] . قال : هو الجُعْرور ولون حُبيق، فنهى رسول الله ﷺ أن تؤخذ الصدقة الرذالة» .أخرجه النسائي وابن خُزيمة بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء من الزجر عن عيب المُتصدق ولمزه :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[التوبة:٧٩] .

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : لمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ ، فَقَالُوا : مُرَائِي ، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ، فَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا ، فَنَزَلَتِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[التوبة:٧٩] » . أخرجه البخاري[2] .

• **ما جاء بتغليظ الزجر عن المسألة ، وتحريمها مع الغني :**

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾[البقرة:٢٧٣] .

---

(١)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢٤٩٢) ، وأخرجه ابن خزيمة برقم: (٢٣١٢).

(٢)أخرجه البخاري برقم: ( )١٤١٥.

وعَنْ ابْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لحَمٍ » . . متفق عليه[1] .

وعَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ : ﷺ « لَا تُلْحِفُوا فِي المَسْأَلَةِ ، فَوَاللهَّ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا ، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا ، وَأَنَا كَارِهٌ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا ، فلْيَسْتَقِلَّ ، أو ليَستكْثِرْ » . . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء من الزجر عن أخذ ما دُفع من غير طيب نفس المعطي :**

عن حكيم بن حزام ﷺ قال : سَأَلْتُ النبي ﷺ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيب نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفسٍ لمَ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى » . متفق عليه[4] .

- **ما جاء في تحريم حبس النفقة عن النفس والأهل والرقيق :**

عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو ، إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَقَالَ : أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ ؟ ، قَالَ : لَا ، قَالَ : فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ ، قَالَ : رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ » . أخرجه مسلم[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٧٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٤/ ١٠٤٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ١٠٣٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٠٥/ ١٠٤١).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٥/ ١٠٣٤).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ٩٩٦).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥٢- خزائن المناهي الشرعية

القسم الثاني

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٥٢-خزائن المناهي الشرعية

القسم الثاني

١- الخزانة الأولى

مناهي العبادات

- **ما جاء من عدم الصوم حتى يُرى الهلال :**

عَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قال : قال رَسُولَ اللهَّ ﷺ : « لا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلالَ ، وَلا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوُه ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ » . متفق عليه[١] .

- **ما جاء في عدم تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين :**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذلِكَ الْيَوْمَ » . . متفق عليه[٢] .

فلا يجوز استقبال رمضان بالصيام يومٍ أو يومين على نية الاحتياط ، أما من وافق صومه ذلك اليوم بأن يكون قد اعتاد صوم يوم الاثنين مثلًا أو كان يصوم صوم داود فلا بأس بذلك .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣/ ١٠٨٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩١٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١/ ١٠٨٢).

• **ما جاء في تحريم صوم يوم الشك :**

عن ابن عَبَّاسٌ ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ غَرة سحابٍ أَوْ فَترة فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلاثِينَ » . أخرجه النسائي وابن ماجة بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء في أنه لا صوم لمن لم يُبيت النية من الليل :**

عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أن الرَسُولِ ﷺ قَالَ : « مَنْ لَمْ يجُمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلا صِيَامَ لَهُ ». أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

فتبييت نية الصيام قبل الفجر مخصوص بصيام الفرض : كرمضان ، والقضاء ، والكفارات ، والنذر دون التطوع .

• **ما جاء في تغليظ تحريم قول الزور ومساوئ الأخلاق في الصوم وغيره :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهَّ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » . أخرجه البخاري[3] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ « قَالَ اللهُّ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ محُمَّدٍ بِيَدِهِ لخَُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهَّ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » . متفق عليه[4] .

---

(١)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢١١٦)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٦٥٥).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٧٣٠)، وأخرجه أبي داود برقم: (٢٤٥٤).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦١/ ١١٥١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قال : قال رسول الله : ﷺ « رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ وَالْعَطَشُ » . . أخرجه أحمد وابن ماجة بسندٍ صحيح .

• **ما جاء في تغليظ تحريم الجماع في الصوم وبيان أنه مفسد له :**

عن أبي هُرَيْرَة ﷺ قال : « جَاءَ رَجُلٌ النبي ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ: ومَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ قَالَ: هَلْ تجِدُ ما تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَهَلْ تجِدُ ما تُطْعم سِتِّينَ مِسْكِيناً ؟ قَالَ: لا قَالَ: ثُم جَلَس فأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تمرٌ فقَالَ: تَصَدَّقَ بِهذا قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا فمَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أحوج إليه مَنَّا. فَضَحِكَ النبي ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَال: اذهب أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ ». متفق عليه[1] .

• **ما جاء في نهي الصائم عن المبالغة في الاستنشاق :**

عَنْ لَقِيطِ بْنِ صَبِرَةَ ﷺ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْوُضُوءِ ؟ فَقَالَ : أَسْبِغِ الْوُضُوءَ ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ إِلا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح .

• **ما جاء في تحريم الوصال في الصوم :**

عن عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : نهّى رَسُولَ اللهَّ ﷺ عن الوِصال قِيلَ لَهُ أَنْتَ تُوَاصِلُ قَالَ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى » . متفق عليه[2] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، يَقُولُ : « لا تُوَاصِلُوا ، فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ فقَالُوا : فإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٣٦)، ومسلم برقم: (٨١/ ١١١١) واللفظ له.

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٦١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٥/ ١١٠٢).

اللهَّ ، قَالَ : إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي ، وَسَاقٍ يَسْقِيَنِي » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : نَهَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنِ الوِصَالِ فِي الصَّوْمِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: « وَأَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ »، فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الوِصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوُا الْهِلَالَ، فَقَالَ: « لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ » .كَالتَّنْكِيلِ لَهُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا » . . متفق عليه[2] .

والوصال في الصوم أن يصوم يومين لا يطعم بالليل شيئًا .

- **ما جاء في تحريم الصوم على الحائض والنفساء :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، فَقُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرِ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ : وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ قُلْن : بَلَى ، قَالَ : فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا » . . متفق عليه[3] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (١٩٦٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٧/ ١١٠٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٢/ ٧٩).

• **ما جاء في كراهة الصوم في السفر :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَرَأَى رَجُلًا قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « مَا لَهُ ؟ » . . قَالُوا : رَجُلٌ صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ » . . متفق عليه[1] .

• **ما جاء في كراهة ترك رخصة الإفطار في السفر على وجه التشديد والتنطع .**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا ، أَنّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ فَصَامَ النَّاسُ ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرِبَ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ ، فَقَالَ : أُولَئِكَ الْعُصَاةُ أُولَئِكَ الْعُصَاةُ » . أخرجه ابن خزيمة وابن حبان بإسنادٍ صحيح[2] .

• **ما جاء من النهي عن تأخير الفطر إلى ظهور النجم :**

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ ، أن الرَسُولُ ﷺ قال : « لا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومَ » . . أخرجه ابن خزيمة وابن حبان بإسنادٍ صحيح[3] .

• **ما جاء من النهي عن صوم يوم الجمعة مُفردًا :**

عن محمد بن عباد قال : سَأَلْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ : نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الجُمُعَةِ » . . متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٢/ ١١١٥).

(٢)صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٢٠١٩)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٢٧٠٦).

(٣)صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٢٠٦١)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٣٥١٠).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ » . . متفق عليه[٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال سمعت النَّبِيِّ ﷺ يَقولُ : « لا تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الْأَيَّامِ إِلا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ » . . أخرجه مسلم[٣] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « لا تَصُومُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فإِنَّه يَوْمُ عِيدٍ صِيَامِكُمْ ، إِلاَّ أَنْ تَصُلُوه بأيامٍ » . . أخرجه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح[٤] .

وعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ ، فَقَالَ : أَصُمْتِ أَمْسِ ؟ قَالَتْ : لا ، قَالَ : تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا ؟ قَالَتْ : لا ، قَالَ : فَأَفْطِرِي » . . أخرجه البخاري[٥] .

- **ما جاء في كراهة صوم يوم عرفة للحاج :**

عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: « يومُ عرفةَ ويومُ النَّحرِ وأيَّامُ التَّشريقِ عيدُنا أهلَ الإسلامِ وهي أيَّامُ أكلٍ وشربٍ ». . أخرجه أبو داوود والترمذي بسندٍ صحيح[٦] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٦/ ١١٤٣).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٨٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٧/ ١١٤٤).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٤٨/ ١١٤٤).

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٠٢٥)، والحاكم برقم: (١٥٩٥) واللفظ له.

(٥)أخرجه البخاري برقم: (١٩٨٦).

(٦)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم :(٢٤١٩)، والترمذي برقم: (٧٧٣).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ وعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْا قَالا : لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلا لِمَنْ لَمْ يجِدْ الْهَدْيَ » . . أخرجه البخاري[1] .

وعَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم صوم الدهر :**

عن عبدِ اللهِ بن عمرو رضي اللهُ عنهما قال : أُخْبِرَ رسول الله ﷺ أَنِّه يقُول : لأَقُومنَّ اللَّيْلَ وَلأَصومَنَّ النَّهَارَ ، ما عشْتُ ، فَقَالَ رسُول اللهِ ﷺ : أَنْتَ الَّذِي تَقُول ذلك ؟ فَقُلْت له : قَدْ قُلتُه يا رسولَ اللهِ ، فقَالَ الرسول ﷺ : فَإِنكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلِكَ ، فَصُمْ وأَفْطِرْ ، ونَمْ وَقُمْ ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحسنَةَ بعَشْرِ أَمْثَالهَا ، وذلكَ مثْلُ صِيامِ الدَّهْرِ قُلْت : فَإِنِّي أُطيق أفْضَلَ منْ ذلكَ قالَ : صمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ ، قُلْت : فَإِنِّي أُطُيق أفْضَلَ مِنْ ذلكَ يا رسولَ اللهِ ، قَالَ : صُم يَوْماً وَأَفْطِرْ يوْماً ، فَذلكَ صِيَام دَاوود عليه السلام ، وَهُو أَعْدَل الصِّيَامِ ، قُلْتُ : فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلكَ ، قال رسول اللهِ ﷺ : لا أَفْضَلَ منْ ذلك » . . متفق عليه[3] .

وعن عبد الله بن الشخير ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « منْ صَامَ الْأَبَدَ ، فلَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ » . . أخرجه النسائي وابن ماجة بسندٍ صحيح[4] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (١٩٩٧) .

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٤٤/ ١١٤١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٨٠)، ومسلم برقم: (١٨١/ ١١٥٩)واللفظ له.

(٤)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢٣٧٣)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٧٠٥) .

وعَن أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : « مَنْ صَامَ الدَّهْرَ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا وَقَبَضَ كَفَّهُ وعقد تسعين » . أخرجه أحمد وابن خزيمة بسندٍ صحيح[1] .

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ الله لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهَّ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » . . متفق عليه[2] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٩٧١٣)، وأخرجه ابن خزيمة برقم: (٢١٥٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ١٤٠١).

٢- الخزانة الثانية

مناهي العبادات

• **ما جاء في تغليظ الزجر عن تأخير الحج مع القدرة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

• **ما جاء في أنه لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » . . متفق عليه[1] .

فجميع المعاصي محُرمة في الحج ، وهي وإن كانت محُرمة في الحج ، وغيره فهي في الحج أشدُ ، وآكد ، والفسوق هو جميع المعاصي .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج:٢٥] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٥٠).

• **ما جاء في نهي المرأة أن تسافر إلا مع محرمٍ أو زوج :**

عن ابن عَبَاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال : سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ : « لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّاَ ومَعَهَا ذُو محْرَمٍ ، وَلَا تُسَافِرُ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي محْرَمٍ » . . فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اَللهِ ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً ، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : انْطَلِقْ ، فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ » . . متفق عليه[1] .

فلا يلزم المرأة حج إذا لم تجد رجلًا ذا محرمٍ يخرج معها .

• **ما جاء من النهي عن الإحرام بالحج في غير أشهر الحج :**

قال الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧] .

• **ما جاء في ما لا يلبس المحرم من الثياب :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، مَا يَلْبَسُ المُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : لاَ يَلْبَسُ القُمُصَ ، وَلاَ العَمَائِمَ ، وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ ، وَلاَ البَرَانِسَ ، وَلاَ الخِفَافَ ، إِلَّا أَحَدٌ لاَ يَجِدُ نَعْلَيْنِ ، فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ ، ولا تَلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ شَيئًا مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ أَوْ وَرْسٌ » . . متفق عليه[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « لاَ تَتَنَقَّبْ المَرْأَةُ المحرمة ، ولاَ تلبَسْ القُفّازَيْنِ » . . أخرجه البخاري[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٢٤/ ١٣٤١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٧٧).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (١٨٣٨).

وقطع الخُفين منسوخ ، فإذا لم يجد النعلين فليلبس الخُفين ، والخف ما يغطي الكعبين .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لَمْ يجِدِ نَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ خُفَّيْنِ، وَمَنْ لَمْ يجِدْ إِزَاراً فَلْيَلْبَسْ سَّرَاوِيلَ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء في نهي المُحرم ألا ينكَح ولا يُنكَح ولا يخطب :**

عن عُثْمَانَ بن عَفان ﷺ قال : قال : رَسُولَ الله ﷺ : « لَا يَنْكِحُ المُحْرِمُ ، وَلَا يُنْكِحُ ، وَلَا يخْطُبُ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في نهي المُحرم عن الصيد :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥] .

عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهَّ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ فَرَدَّهُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ » . . متفق عليه[3] .

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ حَاجًّا وَخَرَجْنَا مَعَهُ فَصَرَفَ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ فَقَالَ : خُذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ حَتَّى تَلْقَوْنِي ، قَالَ : فَأَخَذُوا سَاحِلَ الْبَحْرِ ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قِبَلَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ أَحْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلاَّ أَبَا قَتَادَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يحْرِمْ فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَوْا حُمُرَ وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا فَنَزَلُوا فَأَكَلُوا مِنْ لحْمِهَا ، قَالَ : فَقَالُوا : أَكَلْنَا لحْمًا وَنَحْنُ محْرِمُونَ ، قَالَ : فَحَمَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لحْمِ الأَتَانِ فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّا كُنَّا أَحْرَمْنَا وَكَانَ أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يحْرِمْ فَرَأَيْنَا حُمُرَ

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥/ ١١٧٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٤١/ ١٤٠٩).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٠/ ١١٩٣).

وَحْشٍ فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَبُو قَتَادَةَ فَعَقَرَ مِنْهَا أَتَانًا فَنَزَلْنَا فَأَكَلْنَا مِنْ لَحْمِهَا فَقُلْنَا نَأْكُلُ لَحْمَ صَيْدٍ وَنَحْنُ مُحْرِمُونَ فَحَمَلْنَا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا ، فَقَالَ : « هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ ، قَالُوا : لاَ ، قَالَ : فَكُلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا » . متفق عليه[1] .

أما صيد البحر فحلالٌ للمُحرم ، كما قال سبحانه : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة:٩٦].

وكذا ذبح ما ليس بصيد كبهيمة الأنعام ، والدجاج فهي حلالٌ للمحرم .

• **ما جاء في الزجر عن عضد شوك الحرم ، والتقاط لقطته إلا أن يكون مُنشدًا :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَوْمَ الفَتح فَتْحِ مَكَّةَ : « فإِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُّ يَوْمَ خَلَقَ اللهُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ؛ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ ، وَلا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا ، وَلا يُخْتَلَى خَلاهُ ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِلاَّ الإِذْخِرَ ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ ، فَقَالَ : إِلاَّ الإِذْخِرَ » . . متفق عليه[2] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : لمَّا فَتَحَ اللهُّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ اللهَّ حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ مَكَّةَ وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لا تحِلُّ لأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٠/ ١١٩٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤٥/ ١٣٥٣).

نَهَارٍ وَإِنَّهَا لن تحِلُّ لأحَدٍ بَعْدِي فَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلا تحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلا لمِنْشِدٍ وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ : إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا فَقَالَ : الرَسُولُ ﷺ إِلا الإِذْخِرَ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء في لعن من أحدث في الحرم حدثًا أو آوى محُدثًا :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « المُدِينَةُ حَرَمٌ ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا ، أَوْ آوَى محُدِثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا » . . أخرجه مسلم[2] .

وعَن أَنَسِ بن مَالك ﷺعَنِ النبي ﷺ قَالَ : « المُدِينَةُ حَرَمٌ من كَذَا إلى كَذَا لا يُقْطَعُ شَجَرُهَا ، ولا يحُدَثُ فِيها حَدَث ، من أحْدَثَ حَدَثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » . . متفق عليه[3] .

- **ما جاء في تحريم القتالِ في مكة :**

عَنْ أَبِي الْعَدَوِيِّ ﷺ : « قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ ، فَسَمِعَتْهُ أُذُنَايَ ، وَوَعَاهُ قَلْبِي ، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ ، حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ : أَنَّهُ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ ، وَلَمْ يحُرِّمْهَا النَّاسُ ، فَلا يحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً ، وَلا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً ، فَإِن تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُولُوا لهُ : إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَلَمْ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤٨/ ١٣٥٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٤٦٩/ ١٣٧١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤٦/ ١٣٥٤).

يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أُذِنَ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من الزجر عن حمل السلاح في الحرم :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لا يَحِلُّ لأَحَدٍكم أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلاحَ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في ألا يطوف بالبيت عريان ، ولا يحج مُشرك :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾[التوبة:٢٨] .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَن أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ، بَعَثَهُ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا رَسُولُ الله ﷺ ، قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ ، فِي رَهْطٍ، يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ : أَلاَ أَلاَ لاَ يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ ، وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ » . . متفق عليه[3] .

- **ما جاء من الزجر عن قود المسلم بخيطٍ ونحوه عند الطواف :**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ وَهُوَ بِالكَعْبَةِ بِإِنْسَانٍ رَبَطَ يَدَهُ إِلَى إِنْسَانٍ بِسَيْرٍ أَوْ بِخَيْطٍ أَوْ بِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَطَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : قُدْهُ بِيَدِهِ » . . أخرجه البخاري[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٠/ ١٦٧٩).
(٢)أخرجه مسلم برقم: (٤٤٩/ ١٣٥٦).
(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٦٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٣٥/ ١٣٤٧).
(٤)أخرجه البخاري برقم: (٦٧٠٣).

• **ما جاء من نفي جواز الإفاضة من مزدلفة ووجوبها من عرفات :**

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : « كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الْحُمْسَ ، وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ ، وَمَا وَلَدَتْ ، وَكَانَتِ الْحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا ، وَتُعْطِي الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا ، فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الْحُمْسُ طَافَ بالبيت عُرْيَانًا ، وَكَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنْ عَرَفَاتٍ ، وَيُفِيضُ الْحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْحُمْسِ ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[البقرة:١٩٩] .، قَالَ : فَكَانُوا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ فَدُفِعُوا إِلَى عَرَفَاتٍ » . . متفق عليه[١] .

• **ما جاء في أنه لا يُمنع أحد من الطواف بالكعبة في أي وقت :**

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ مَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا ، فَلا يمْنَعُن أَحَدًا طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، وصَلَّى أَيَّ سَاعَةٍ شَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[٢] .

• **ما جاء من نهي الحائض على الطواف بالبيت حتى تطهر :**

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : خَرَجْنَا لاَ نَرَى إِلاَّ الحَجَّ فَلَمَّا كُنَّا بِسَرِفَ حِضْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قَالَ : مَا لَكِ أَنُفِسْتِ فقُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ فَاقْضِي مَا يَقْضِي الحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حتى تطهري » . متفق عليه[٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٦٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢١٩/ ١٥٢).

(٢)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٥٧)، وأخرجه الترمذي برقم: (٨٦٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢١١/ ١١٩).

• **ما جاء من النهي عن الكلام في الطواف إلا بخير :**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الطَّوَافُ حَوْلَ البَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ ، إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِخَيْرٍ » . .

أخرجه الترمذي والدارمي بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء من الزجر عن ضرب الناس عند رمي الجمار :**

عن قدامةَ بنِ عبدِ الله ﷺ قال : رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ رْمِي الجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى نَاقَةٍ صَهْبَاءَ ، لاَ ضَرْبَ وَلاَ طَرْدَ وَلاَ إِلَيْكَ إِلَيْكَ » . . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح[2] .

• **ما جاء في تحريم وطء النساء للمُحرم قبل طواف الإفاضة :**

قال الله تعالى : ﴿ **ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ** ﴾[البقرة:١٩٧] .

والرفث هو : الجماع .

وعن أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » . . متفق عليه[3] .

• **ما جاء في نهي المرأة عن حلق رأسها :**

عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله : ﷺ « لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ الحَلْقُ إِنَّمَا عَلَى النِّسَاءِ التَّقْصِيرُ » . أخرجه أبو داود والدارمي[4] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٩٦٠)، وأخرجه الدارمي برقم: (١٨٨٩).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٩٠٣)، وأخرجه النسائي برقم: (٣٠٦١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٣٨/ ١٣٥٠).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١٩٨٥)، والدارمي برقم : (١٩٠٥).

• **ما جاء من النهي أن ينفر الحاج حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت :**

عَنِ عَبد الله ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ » . . أخرجه مسلم[1] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ ، عَنِ الحَائِضِ » . . متفق عليه[2] .

• **ما جاء من النهي عن إعطاء الجزار أجرته من الهدي شيئًا :**

عَنْ عَلِي ﷺ قَالَ : أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى الْبُدْنِ ، وَلَا أُعْطِي عَلَيْهَا شَيْئًا فِي جِزَارَتِهَا » . . متفق عليه[3] .

وهذا إذا أعطاه على معنى الأجرة ، أما أن يتصدق عليه بشيء من الهدي فلا بأس به .

• **ما جاء في تحريم المدينة وصيدها وشجرها :**

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : « المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . . متفق عليه[4] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ رَأَيْتُ الظِّبَاءَ تَرْتَعُ بِالمُدِينَةِ مَا ذَعَرْتُهَا ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ » . . متفق عليه[1] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٣٧٩/ ١٣٢٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: ٣٨٠/ ١٣٢٨.

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: ٣٤٩/ ١٣١٧.

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٦٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٦٧/ ١٣٧٠ .

وعن جابر ﷺ قَالَ النَّبِيُّ: ﷺ « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي حَرَّمْتُ المُدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا لَا يُقْطَعُ عِضَاهُهَا وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا » . . أخرجه مسلم[٢] .

- **ما جاء في تحريم كيد أهل المدينة :**

عَنْ سَعْدٍ بن أبي وَقَّاص ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا يَكِيدُ أَهْلَ المُدِينَةِ أَحَدٌ ، إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي المَاءِ » . . متفق عليه[٣] .

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ : « مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ » . . أخرجه مسلم[٤] .

وعَنْ جابرِ بْنِ عَبد الله ﷺ قَالَ : قال رَسُولَ اللهِ ﷺ : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المُدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ » . أخرجه أحمد وابن حبان بسندٍ صحيح[٥] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: ٤٧١/ ١٣٧٢.

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٤٧٥/ ١٣٧٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٩٣/ ١٣٨٦).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٤٩٤/ ١٣٨٧).

(٥)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٥٥٩) ، وأخرجه ابن حبان برقم: (٣٧٣٨).

٣- الخزانة الثالثة

مناهي المعاملات

• **ما جاء في الزجر عن غش المسلمين في أنواع المعاملات :**

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ ، قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ ، مَنْ غَشَّ ، فَلَيْسَ مِنِّي » . أخرجه مسلم[١] .

وعَنْ أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » . أخرجه مسلم[٢] .

• **ما جاء من الزجر عن إنفاق السلعة بالحلف الكاذب :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[آل عمران:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل:٩٤-٩٦] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٠٢).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٦١/ ٩٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، يَقُولُ : « الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ممَحْقَةٌ لِلْبَرَكَةِ » . . متفق عليه[1] .

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأنصاري أنه سمع رَسُولُ اللهَّ ﷺ يقول : « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلْفِ في الْبَيْعِ ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يُمْحَقُ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلهَُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ : المُسْبِلُ وَالمَنَّانُ وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الْكَاذِبِ » . . أخرجه مسلم[3] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُّ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يداك » . . أخرجه البخاري[4] .

وعن أبي سعيد الخُدري ﷺ قال : مَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِشَاةٍ ، فَقُلْتُ : تَبِيعُنِيهَا بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ ؟ ، قَالَ : لَا وَاللهَّ ، ثُمَّ بَاعَنِيهَا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « بَاعَ آخِرَتَهُ ، بِدُنْيَاهُ » . أخرجه ابن حبان بإسنادٍ صحيح[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣١/ ١٦٠٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٣٢/ ١٦٠٧).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٩).

(٥) صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٤٩٠٩).

• **ما جاء في تحريم الكتمان والخداع في البيع :**

عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال : « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » . . متفق عليه[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا : أَنَّ رَجُلًا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ يُخْدَعُ فِي الْبُيُوعِ ، فَقَالَ : « إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لاَ خِلاَبَةَ » . . متفق عليه[2] .

• **ما جاء في تحريم احتكار قوت المسلمين :**

عن معمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا فَهُوَ خَاطِئ » . أخرجه مسلم[3] .

والاحتكار هو : شراء البضاعة حال الرخاء وحبسها لتقل في السوق ، فيغلو سعرها .

وتحريم الاحتكار من أجل دفع الضرر عن عامة الناس .

• **ما جاء في تحريم بيع الدم :**

قال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾[المائدة:٣] .

وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أن النبي ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ ، وَثَمَنِ الكَلْبِ » . أخرجه البخاري[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٧/ ١٥٣٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١١٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٨/ ١٥٣٣).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٢٩/ ١٦٠٥).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٥٩٤٥) .

• **ما جاء في تحريم ثمن الكلب :**

وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أن النبي ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ ، وَثَمَنِ الكَلْبِ . أخرجه البخاري[1] .

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ : سَأَلْتُ جَابِرًا عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَالسِّنَّوْرِ قَالَ : زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن رافع بن خديج ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « شَرُّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغِيِّ وَثَمَنُ الْكَلْبِ وَكَسْبُ الحَجَّامِ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ . متفق عليه[4] .

ولا يجوز اقتناء الكلاب إلا كلب صيدٍ أو ماشية أو زرع ، ومن اقتناه نقص من أجره كل يوم قيراطان لقول النبي ﷺ : « مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا إلا كَلْبِ صَيْدٍ أو مَاشِيَةٍ نَقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ » . . أخرجه مسلم[5] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ وَلا مَاشِيَةٍ وَلا أَرْضٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ » . . أخرجه مسلم[6] .

• **ما جاء في تحريم ثمن السنور :**

عن أبي الزُّبَيْر قال : سألتُ جابرًا عن ثَمَن الكَلْب والسِّنَّوْر ؛ قال : زَجَرَ النَّبيُّ ﷺ عن ذلك . أخرجه مسلم[1] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٥٩٤٥) .

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٤٢/ ١٥٦٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ١٥٦٨) .

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٩/ ١٥٦٧).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٨١)، ومسلم برقم: (٥٠/ ١٥٧٤).

(٦)أخرجه مسلم برقم: (٥٧/ ١٥٧٥).

• **ما جاء في الزجر عن بيع الخمر وشرائه :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾[المائدة:٩٠].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : قال النَّبِيُّ ﷺ : « حُرِّمَتِ التِّجَارَةُ فِي الْخَمْرِ » . . متفق عليه[٢] .

وعَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما « أن رجلاً أُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَاوِيَةُ خَمْرٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَهَا ؟ ، قَالَ : لا ، فَسَارَّ إِنْسَان ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : بِمَ سَارَرْتَهُ ؟ ، فقَالَ : أَمَرْتُهُ أَنْ يَبِيعَهَا ، فقَالَ : إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا ، قَالَ : فَفَتَحَ المزادة ، حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهَا » . . أخرجه مسلم[٣] .

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ » . . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسندٍ صحيح[٤] .

• **ما جاء في الزجر عن بيع فضل الماء :**

عن أبى هُريرة ﷺ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ المَاءِ لِيُمنَعَ بِهِ الكَلأُ » . . أخرجه مسلم[٥] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٤٢/ ١٥٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٩/ ١٥٨٠).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ١٥٧٩).

(٤) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٦٧٤)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٣٣٨٠).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (٣٦/ ١٥٦٦).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ فَضْلِ المَاءِ . أخرج مسلم[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يداك » . . متفق عليه[2] .

- **ما جاء في تحريم بيع الغرر :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الحَصَاةِ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ . أخرجه مسلم[3] .

وبيع الغرر هو : بيع الجهالة والخطر والضرر ، فكل بيع كان المعقود عليه في مجهولٍ أو معجوزٍ عنه غير مقدور ، عليه ، فهو غرر مثل بيع الطير في الهواء ، والسمك في الماء .

- **ما جاء في النهي عن بيع الولاء وهبته :**

عَنْ ابن عمر رضي الله عنهما قال : نهي رَسُولَ الله ﷺ عَنْ بَيْعِ اَلْوَلاءِ ، وَهِبَتِهِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[4] .

- **ما جاء من الزجر عن تلقي الركبان :**

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَلَقِّي الْبُيُوعِ . متفق عليه[1] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ١٥٦٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٦٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٤/ ١٠٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٤/ ١٥١٣) .

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٣٥) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦/ ١٥٠٦).

وعَنِ عَبد الله ابْنِ عُمَرَ ﷺ « أَنَّ الرَسُولَ ﷺ نهَى أَنْ تُتَلَقَّى السِّلَعُ حَتَّى تَبْلُغَ الْأَسْوَاقَ » . . أخرجه مسلم[٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : إن رسول الله ﷺ قال : « لاَ تَلَقَّوْا الجَلَبَ ، فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ ، فَإِذَا أَتَى سَيِّدُهُ السُّوقَ ، فَهُوَ بِالخِيَارِ » . أخرجه مسلم[٣] .

ويتلقي الركبان والبيوع أو الجلب صورته أن يقع الخبر في قدوم عيرٍ تحمل المتاع فيتلقي رجل يشترى منهم شيئًا قبل أن يقدم السوق ، ويعرف سعر البلد ، ويرخص .

- **ما جاء من الزجر عن بيع الحاضر للبادي من الأعراب :**

عَنْ جَابِرَ بن عَبد الله ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ » . . أخرجه مسلم[٤] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: « لا يبعْ حاضرٌ لباد » متفق عليه[٥] .

وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال : نهى رسول الله ﷺ أن تتلقى الركبان ، وأن يبيع حاضر لباد ، قال : فقلت لابن عباس : ما قوله حاضر لباد ؟ ، قال : لا يكون له سمسارًا » . . متفق عليه[٦] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥/ ١٥١٨).

(٢)أخرجه ومسلم برقم: (١٤/ ١٥١٧).

(٣)أخرجه ومسلم برقم: (١٧/ ١٥١٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٠/ ١٥٢٢).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨/ ١٥٢٠).

(٦)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩/ ١٥٢١).

• **ما جاء من النهي عن بيع المرء على بيع أخيه المسلم :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وفي رواية إلا أَنْ يأذَّن لَه ». متفق عليه والزيادة أخرجها مسلم[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ وَلَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا » . . متفق عليه[2] .

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ ، لا يَحِلُّ لمُؤْمِنٍ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَلا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ » . . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء في تحريم بيع النجش :**

النجش : أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليرتفع قيمتها .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّجْشِ . متفقٌ عليه[4] .

• **ما جاء في النهي ألا يسوم الرجل على سوم أخيه :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ التَّلَقِّي ، وَأَنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ لِلْأَعْرَابِيِّ ، وَأَنْ تشْتَرِطَ المَرْأَةِ طَلَاقَ أُخْتِهَا ، وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ ، وَنهَى عَنْ النَّجْشِ ، وَعَنْ التَّصْرِيَةِ » . . متفقٌ عليه[1] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٩/ ٢٥٦٣).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٢٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٢/ ١٤١٣).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٥٦/ ١٤١٤).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣/ ١٥١٦).

• **ما جاء من الزجر عن بيع المصراة :**

عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لَا يُتَلَقَّى الرُّكْبَانُ لِبَيْعٍ ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ ، وَلَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، فَمَنِ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا ، فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تمْرٍ » . . متفقٌ عليه[٢] .

فالتصرية هي حبس اللبن مدةً ليوهم المشتري أنها ذات لبن .

وتحرم تصرية بهيمة الأنعام عند بيعها الإبل والغنم والبقر .

وصورتها أن يمتنع صاحبها عن حلبها أيامًا حتى يجتمع اللبن في ضرعها ، فإذا احتلبها المشتري حسبها غزيرة فزاد في ثمنها ثم يظهر له بعد ذلك نقص لبنها .

• **ما جاء من الزجر عن بيع الحصاة :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : نَهَى الرَسُولُ ﷺ عَنْ بَيْعِ الحَصَاةِ ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ. أخرجه مسلم[٣] .

• **ما جاء في تحريم بيع المنابذة والملامسة :**

عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ نهى عن عَنِ المُلَامَسَةِ وَالمُنَابَذَةِ. متفقٌ عليه[٤].

وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عَن المُنَابَذَةِ وَهِي طَرْحُ الرجُل ثَوْبَهُ بِالْبَيْعِ إلَى الرَّجُل قبْلَ أنْ يُقَلبَهُ أو يَنْظُرَ إلَيهِ وَنَهَى عَنِ المُلامَسَةِ ، وَالمُلامَسَةِ : لمس الثَّوْبَ لا يَنْظُرُ إلَيْهِ » . . متفقٌ عليه[١] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ( )٢١٦٢، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤/ ١٥١٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ١٥١٥).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٤/ ١٥١٣) .

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ١٥١١).

• **ما جاء من الزجر عن بيع السنين :**

عن جابرٍ ﷺ قال : نَهَى النبي ﷺ عَنْ بَيْعِ السِّنِينَ . أخرجه مسلم[٢] .

وبيع السنين : هو بيع الشجر سنتين وثلاثًا فصاعدًا قبل أن يظهر الثمر وهو حرامٌ وباطل ، لأنه بيع ما لم يُخلق .

• **ما جاء من الزجر عن بيع الطعام قبل أن يستوفيه :**

عن ابن عباسِ رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ ابْتَاعَ طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ » . . متفقٌ عليه[٣] .

وعن ابن عباسٍ أن الرسول ﷺ نَهَى أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ طَعَامًا حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ . أخرجه البخاري[٤] .

وعن ابن عمر ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ اشترى طَعَامًا فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ ويقبضه » . . متفقٌ عليه[٥] .

وكل شيءٍ كالطعام لا يُباع حتى يستوفيه صاحبه .

عن حكيم بن حزام قال : قلت : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي رَجُلٌ أَشْتَرِي المتَاعَ ، فَمَا الَّذِي يحَِلُّ لِي مِنْهَا وَمَا الذي يحَْرُمُ عَليَّ ؟ فَقَالَ : « يَا ابْنَ أَخِي ، إِذَا ابْتَعْتَ بَيْعًا فَلَا تَبِعْهُ حَتَّى تَقْبِضَهُ » . . أخرجه أحمد وابن حبان بسندٍ صحيح[٦] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣/ ١٥١٢) .

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٠١/ ١٥٣٦).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٢٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٥٢٥).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٢١٣٢).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٥٢٥).

(٦)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٣١٦)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٤٩٨٣).

• **ما جاء من الزجر عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه :**

عن جابر ﷺ قال : نهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَطِيبَ ، وَلاَ يُبَاعُ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَّا بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَم ، إِلَّا العَرَايَا . متفقٌ عليه[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللهَ بْن عُمَرَ رَضيَ الله عَنْهُمَا : أن رَسُول الله ﷺ نهَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن بَيْع الثَّمَرَةِ حتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا، وكانَ إذَا سُئِلَ عن صَلَاحِهَا قالَ: حتَّى تَذْهَبَ عَاهَتُهُ . متفقٌ عليه[2] .

وعن ابن عمر ﷺ : أن الرسول ﷺ نهَى عَنْ بَيْع النَّخْلِ حَتَّى يَزْهُوَ، وَعَنِ السُّنْبُل حَتَّى يَبْيَضَّ وَيَأْمَنَ الْعَاهَةَ، نهَى الْبَائِعَ وَالمُشْتَرِيَ . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء من الزجر عن المزابنة والمحاقلة :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهَى عَنِ المُزَابَنَةِ ، وَالمُزَابَنَةُ : بَيْعُ الثَّمَرِ بِالتَّمْرِ كَيْلًا ، وَبَيْعُ الزَّبِيبِ بالكرم كَيْلًا . متفقٌ عليه[4] .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهَى عَنِ المُزَابَنَةِ . قَالَ : وَالمُزَابَنَةُ : أَنْ يَبِيعَ الثَّمَرَ بِكَيْلٍ: إِنْ زَادَ فَلِي، وَإِنْ نَقَصَ فَعَلَيَّ » . متفقٌ عليه[5] .

فيحرم بيع المزابنة وهي بيع الرطب بالتمر ، وبيع العنب بالزبيب كيلًا ، والمحاقلة وهي بيع الزرع القائم بالحب كيلًا ، فالمزابنة في النخل ، والمحاقلة في الحرث .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١/ ١٥٣٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٨٦) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٩/ ١٥٣٤).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٥٠/ ١٥٣٥).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٠/ ١٥٤٠).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥/ ١٥٤٢).

عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لا تَبِيعوا الذَّهبَ بِالذَّهبِ إِلا مِثْلا بِمِثْلٍ ولا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ ولا تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلا مِثلاً بِمِثْلٍ وَلا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ ولا تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ ». متفقٌ عليه[1] .

وعن عثمان بن عفان ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « لا تَبِيعُوا الدِّينَارَ بِالدِّينَارَيْنِ وَلا الدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمَيْنِ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ يَدًا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربا ، الآخذ والمُعطي فيه سواء » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ أَبى بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : نَهَى رَسُولُ الله ﷺ ، عَن الْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ ، وَالذَّهَبِ بِالذَّهَبِ ، إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَشْتَرِيَ الْفِضَّةَ بِالذَّهَبِ كَيْفَ شِئْنَا ، وَنَشْتَرِيَ الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ كَيْفَ شِئْنَا » . . ، قَالَ : فَسَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَدًا بِيَدٍ ؟ فَقَالَ : « هَكَذَا سَمِعْتُ » . متفق عليه[4] .

وعن أبى سعيد الخدري ﷺ قال : جَاءَ بِلالٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِتَمْرٍ بَرْنِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : مِنْ أَيْنَ هَذَا ؟ قَالَ بلال : كَانَ عِنْدَنَا تمرٌ رَدِيٌّ فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ لِيُطْعِمَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : عِنْدَ ذَلِكَ أَوَّهْ أَوَّهْ عَيْنُ الرِّبَا عَيْنُ الرِّبَا لا تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِيهِ ». متفقٌ عليه[5].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٧٤ (، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥/ ١٥٨٤).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٧٨/ ١٥٨٥).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٨٠/ ١٥٨٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧/ ١٥٦٠).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٦/ ١٥٩٤).

• **ما جاء من الزجر عن أخذ ثمن ثمرٍ بعد أن أصابته الجائحة :**

عن جابرٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « لَوْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا ، فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ، فَلَا يحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا ، بِمَ تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ ؟ » .

أخرجه مسلم[1] .

• **ما جاء في إثم من باع حرًا :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « قال الله : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعطِهِ أَجْرَهُ » . أخرجه البخاري[2] .

• **ما جاء من النهي عن بيع الميتة والخنزير والأصنام :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع الرسول ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح : «أَنَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللهَّ أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ : لَا هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللهُّ الْيَهُودَ إِنَّ اللهَّ لمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ » . متفقٌ عليه[3] .

• **ما جاء من النهي عن المحاقلة والمخاضرة والمخابرة :**

عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال : نَهَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنْ المُحَاقَلَةِ ، وَالمُخَاضَرَةِ ، وَالمُلَامَسَةِ ، وَالمُنَابَذَةِ ، وَالمُزَابَنَة . أخرجه البخاري[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ١٥٥٤).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ١٥٨١).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٠٧).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نَهَى رسول الله ﷺ عَنِ المُحَاقَلَةِ وَالمُزَابَنَةِ وَالمُخَابَرَةِ . أخرجه مسلم[1] .

فتحرم المحاقلة ، وهي بيع الزرع قبل إدراكه بكيل معلوم من الطعام .

وتحرم المخاضرة وهي بيع الزرع الأخضر ، أو ثمر النخل قبل بدو صلاحه.

وتحرم المخابرة وهي معاملة الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع ، الثلث والربع .

وقد حُرمت هذه البيوع إما مظنة الربا لعدم علم التساوي أو للغرر .

- **ما جاء في تحريم بيع ما لا يملكه الإنسان :**

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قلت : يَا رَسُولَ اللهَّ يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيُرِيدُ مِنِّي الْبَيْعَ لَيْسَ عِنْدِي ، أَفَأَبْتَاعُهُ لَهُ مِنْ السُّوقِ ؟ فَقَالَ : لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

- **ما جاء من تغليظ الزجر على إعانة المرابي :**

عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لَعَنَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ، قَالَ قُلْتُ: وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ قَالَ إِنَّمَا نُحَدِّثُ بِمَا سَمِعْنَا». أخرجه مسلم[3].

وعن عون بن أبي جحيفة قال : رَأَيْتُ أَبِي اشْتَرَى عَبْدًا حَجَّامًا فَأَمَرَ بِمَحَاجِمِهِ فَكُسِرَتْ فَسَأَلْتُهُ عن ذلك فَقَالَ : إن النَّبِيُّ ﷺ نهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّم وثَمَنِ الْكَلْبِ وكسب الأمة وَلعن الْوَاشِمَةِ وَالمُوْشُومَةِ وَآكِلِ الرِّبَا وَمُوكِلِهِ وَلَعَنَ المُصَوِّر » أخرجه أحمد. [4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٨١/ ١٥٣٦).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٥٠٣)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٢٣٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٠٥/ ١٥٩٧).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٧٥٦).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لَعَنَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ ، قَالَ قُلْتُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وقال : هم سواء » . . أخرجه مسلم[1] .

• **ما جاء في تغليظ تحريم الربا :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن جابر بن عبد الله قال : لَعَنَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ ، قَالَ قُلْتُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وقال : هم سواء . أخرجه مسلم[3] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٨١/ ١٥٣٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ١٥٩٨).

٤ - الخزانة الرابعة

مناهي المعاملات

• **ما جاء من الزجر عن بيع حبل الحبلة :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن الرسول ﷺ أنه نهَى عَنْ بَيْعِ حَبَلِ الْحَبَلَةِ » . أخرجه مسلم[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن الرسول ﷺ نهَى عَنْ بَيْعِ حَبَلِ الْحَبَلَةِ وَكَانَ بَيْعًا يَتَبَايَعُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ الرَّجُلُ يَبْتَاعُ الْجَزُورَ إِلَى أَنْ تُنْتَجَ النَّاقَةُ ثُمَّ تُنْتَجُ الَّتِي فِي بَطْنِهَا » أخرجه البخاري[٢] .

• **ما جاء من الزجر في أن يبيع الرجل أرضه أو داره حتى يعرضه على شريكه:**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَانَ لَهُ شَرِيكٌ فِي رَبْعَةٍ أَوْ نَخْل فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَبِيعَ حَتَّى يُؤْذِنَ شَرِيكَهُ ، فَإِنْ رَضِيَ أَخَذَ ، وَإِنْ كَرِهَ تَرَكَ » . . أخرجه مسلم[٣] .

والشفعة : انتقال حصة شريكٍ إلى شريكه بمثل العوض المسمى إذا باع على غيره ، وهي حقٌ واجبٌ فيما لم يُقسم .

عن جابرٍ رضي الله عنه قال : « قَضَى النبي ﷺ بِالشُّفْعَةِ فِي كُلِّ مَا لَمْ يُقْسَمْ ، فَإِذَا وقعت الْحُدُودُ ، وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ ، فَلَا شُفْعَةَ » . . متفقٌ عليه[٤] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥/ ١٥١٤).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٣٨٤٣).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٣٣/ ١٦٠٨).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢١٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٤/ ١٦٠٨) .

• **ما جاء من النهي عن كسب الحجام :**

عن رافع بن خديج ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « شَرُّ الَكسَبِ مَهْرُ الْبَغِيِّ ، وَثَمَنُ الْكَلْبِ ، وَكَسْبُ الحَجَّام » . أخرجه مسلم[1] .

والزجر عن كسب الحجام للتنزية عن الكسب الدنيء .

عن بن عباسٍ رضي الله عنهما قال : احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْطَى الحجام أجره . متفقٌ عليه[2] .

في رواية « احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْطَى الَّذِي حَجَمَهُ ، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يُعْطِهِ » . . أخرجه البخاري[3] .

• **ما جاء في تحريم مهر البغي :**

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ نهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ وَمَهْرِ الْبَغِيِّ ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ ». أخرجه أبو داود[4] .

• **ما جاء في تحريم عسب الفحل ، وضراب الجمل :**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ : « نهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَسْبِ الْفَحْل » . . أخرجه البخاري[5] .

و عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِّ رضي الله عنهما قال : « نهَى رَسُولُ اللهِّ ﷺ عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الجَمَلِ » . . أخرجه مسلم[6] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ١٥٦٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٢٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٦/ ١٢٠٢).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٢١٠٣).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٤٢٨).

(٥)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٨٤).

(٦)أخرجه مسلم برقم: (٣٥/ ١٥٦٥).

والمشروع إعارة الفحل .

عن جابرٍ ﷺ: « سئل النبي ﷺ مَا حَقُّ الْإِبِلِ ؟ فقَالَ : حَلَبُهَا عَلَى المَاءِ وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا وَإِعَارَةُ فَحْلِهَا وَمَنْحُهَا وَحمَلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ » .أخرجه مسلم[1] .

ويجوز للمستعير أن يُكرمه بشيء .

عن أنسٍ ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا مِنْ كِلَاب سَأَلَ النَّبِيّ ﷺ عَنْ عَسْب الْفَحْل فَنَهَاهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُول اللهَّ إِنَّا نُطْرِق الْفَحْل فَنُكْرَم ، فَرَخَّصَ لَهُ فِي الْكَرَامَة » . .

أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح[2] .

- **ما جاء في إثم من منع أجر الأجير :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعطِهِ أَجْرَهُ » . . أخرجه البخاري[3] .

- **ما جاء من النهي عن استعمال من طلب العمل :**

عن أبي موسى ﷺ قال : « أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلاَنِ مِنْ الأَشْعَرِيِّينَ فَقُلْتُ مَا عِلْمتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ فَقَالَ لَنْ أَوْ لاَ نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ« أخرجه البخاري[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٨/ ٩٨٨).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٢٧٤).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٧).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٦١).

• **ما جاء من الزجر عن مجاوزة الحد في الاشتغال بأمور الدنيا :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩] .

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : « وَرَأَى سِكَّةً وَشَيْئًا مِنْ آلَةِ الحَرْثِ ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الذُّلَّ ». أخرجه البخاري[1].

وعن عَبْدِ اللهَّ بنِ مسعودٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيا ». أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

وقال النبي ﷺ : « إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمْ الجِهَادَ ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ». أخرجه أبو ادود[3] .

• **ما جاء في إثم من منع ابن السبيل فضل الماء :**

عن أبي هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ، فَقَالَ: وَاللهَّ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا ، و صَدَّقَهُ رَجُلٌ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران:٧٧] ». متفقٌ عليه[4].

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٢٣٢١).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٤٢٣٤) ، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٣٢٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٤٦٢).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٣/ ١٠٨).

• **ما جاء في أنه لا حمى إلا لله ولرسوله :**

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : إن الصعب بن جثامة قال : « لاَ حِمَى إِلَّا للهِ وَلِرَسُولِهِ » . أخرجه البخاري[1] .

والحمى ، هو منع الرعي في أرضٍ مخصوصة من المباحات ، فلا يجوز لأحدٍ من الأئمة بعد رسول الله ﷺ أن يحمي لخاصة نفسه ، وإنما يجوز على نحو ما حمى الرسول ﷺ لمصالح المسلمين .

• **ما جاء من التشديد في الدَّين :**

عن عائشة زوجة النبي ﷺ أن الرسول ﷺ كان يدعو بالصلاة : « اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عذاب القبر ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المسيح الدجال وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا والمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَم وَالمَغْرَم فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ ، فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ ، حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذنبٍ إِلَّا الدَّيْنَ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « أَنَّهُ قَامَ فيهم ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجِهَادَ في سبيل الله ، وَالإِيمَانَ بالله أَفْضَلُ الأَعْمَالِ ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سبيل الله ، تُكَفَّرُ عَنّي خَطَايَايَ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ نَعَمْ ، إِنْ قُتِلْتَ في سبيل الله ، وَأَنْتَ صَابِرٌ محْتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبر ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ : كَيْفَ قُلْتَ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله ، أَتُكَفَّرُ

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٢٣٧٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٥٨٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١١٩/ ١٨٨٦).

عَنّي خَطَايَايَ ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : نَعمْ ، وَأَنْتَ صَابرٌ محُتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ ، إلا الدَّيْنَ ؛ فإنَّ جِبريلَ عليه السلام قَالَ لي ذلِكَ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ ، دَخَلَ الجَنَّةَ ؛ من الْكِبْرِ ، وَالْغُلُولِ ، وَالدَّيْنِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

فمن مات قبل وفاء الدين بغير تقصيرٍ منه كأن يكون مُعسرًا أو جاءه الموت ، وكان نيته وفاء دينه ، ولم يُقلع عنه في الدنيا ، تكفل الله عنه لصاحب الدين .

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ » . . أخرجه البخاري[3] .

وعن ميمونة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: « من حُمِّلَ من أمَّتي دَينًا ثمَّ جَهدَ في قضائِهِ ثم ماتَ قبل أن يقضيَهِ فأنا وليُّهُ ما من أحدٍ يدَّانُ دَينًا يعلمَ اللهُ أنَّهُ يريدُ قضاءَهُ إلَّا أدَّاهُ اللهُ عنْهُ في الدُّنيا » .أخرجه النسائي ، وابن ماجه[4] .

- **ما جاء في تحريم مطل الغني :**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْم » . متفقٌ عليه[5] .

- **ما جاء في تحريم إضاعة المال :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾[النساء:٥] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١١٧/ ١٨٨٥).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٣٦٩)، وأخرجه النسائي برقم: (٨٧١١).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٢٣٨٧).

(٤)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٤٦٨٦)، وابن ماجه برقم: (٢٤٠٨) باختلاف يسير.

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٠٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٣/ ١٥٦٤).

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧] .

وعن المُغيرةِ بنِ شُعبةَ ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « إنَّ اللهَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ . وَكَرِهَ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » . . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَّ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعًا ، وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ، قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السؤال ، وإضاعة المال » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء من النهي عن الاختلاف والتخاصم :**

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢-١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٥] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال:٤٦] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢/ ٥٩٣).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٠/)١٧١٥.

وعن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال : « سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافَهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِّ ﷺ فَقَالَ كِلَاكُمَا محُسِنٌ لَا تخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا » . أخرجه البخاري[1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ » . . أخرجه مسلم[2] .

وهيشات الأسواق : اختلاطها ، والمنازعات ، والخصومات ، وارتفاع الأصوات واللغط .

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال : « خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ : مَالِي أَرَاكُمْ عِزِينَ ؟ أي متفرقين » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال : « كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا قَالَ عَمْرٌو كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنْ الشَّيْطَانِ ، قال : فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[4] .

والاختلاف سنة من سنن الله في الحياة :﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[هود:١١٨-١١٩] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٢٤١٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٢٣/ ٤٣٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١١٩/ ٤٣٠).

(٤)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٦٢٨)، وأخرجه أحمد برقم: (١٧٧٣٦) .

ولا يجوز إخفاء الخلاف أو كتمانه ، وأهم أسباب القضاء على الخلاف هو الاعتصام بحبل الله المتين ، ورد الاختلاف والتنازع إلى الله ورسوله .

قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[الشورى:١٠] .

وقال الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء :٥٩] .

فالتفرق في أمور الدنيا ، وأمور الدين ، كلاهما من كيد الشيطان وتلبيسه : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١ ﴾[النساء: ١١٩-١٢١] .

- **ما جاء من النهي عن أخذ ضوال الإبل :**

عن خالد بن زيد الجهني ﷺ قال : « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَلْتَقِطُهُ ؟ قَالَ : عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ احْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِهَا وَإِلَّا فَاسْتَنْفِقْهَا قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ فَضَالَّةُ الْغَنَمِ ؟ قَالَ : لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ قَالَ : ضَالَّةُ الْإِبِلِ ؟ فتمعر وجه الرسول ﷺ فقَالَ : مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا حِذَاؤُهَا وسِقَاؤُهَا تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ » . متفقٌ عليه[1] .

- **ما جاء من الزجر عن لُقطة أهل مكة والحاج :**

عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي ﷺ : « أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ لُقَطَةِ الحَاجِّ » . . أخرجه مسلم[2].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ١٧٢٢).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١١/ ١٧٢٤).

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في حديثه الطويل : « وَلا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ : « وَلَا تحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لمِنْشِدٍ » . أخرجه البخاري[2] .

فلا يجوز التقاط لقطة الحاج وأهل مكة إلا للتعريف والإنشاد .

- **ما جاء من النهي عن حلب ماشية أحد بغير إذنه ، ولا يؤخذ شيء من ماله إلا بطيب نفسه :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « لاَ يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ امْرِئٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تُؤْتَى مَشْرُبَتُهُ فَتُكْسَرَ خِزَانَتُهُ ، فَيُنْتَقَلَ طَعَامُهُ ، فَإِنَّمَا تَخْزُنُ لَهُمْ ضُرُوعُ مَاشِيتِهِمْ أَطْعِمَتِهِمْ ، فَلاَ يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةَ أَحَدٍ إِلاَ بِإِذْنِهِ » . . متفقٌ عليه[3] .

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يحِلُّ لامْرِئٍ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ منه ، قال ذَلِكَ لِشِدَّةِ مَا حَرَّمَ اللهُ مَالَ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ » . . أخرجه أحمد وابن حبان بسندٍ صحيح[4] .

أما المضطر، وابن السبيل، أو حال المجاعة فليأكل من الطعام ما يسد حاجته .

عن سمرة بنت جندب رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « إذا أَتَى أحدُكم على ماشيةٍ ، فإن كان فيها صاحبُها فليستأذِنْه ، فإن أذِن له فليحلِب

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٣١٨٩).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (١١٢).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣/ ١٧٢٦).

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٠٦) ، وأخرجه ابن حبان برقم: (٥٦٧٠).

وليشْرب ، فإن لم يكن فيها فليصوِّت ثلاثًا ، فإن أجابه فليستأذِنْه وإلاَّ فليحْلب ويشرب ، ولا يحتمل » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ سُئِلَ عَنِ الثَّمَرِ المُعَلَّقِ ، فَقَالَ : « مَنْ أَصَابَ بِفِيهِ مِنْ ذِي حَاجَةٍ غَيْرَ مُتَّخِذٍ خُبْنَةً فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ حسن[2] .

- **ما جاء من الزجر عن كتم اللقطة ، وعدم تعريفها :**

عن الجارود العبدي ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « ضَالَّةُ المُسْلِمِ حَرَقُ النَّارِ » . . أخرجه أحمد والدارمي بسندٍ صحيح[3] .

وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ آوَى ضَالَّةً فَهُوَ ضَالٌّ مَا لَمْ يُعَرِّفْهَا » . . أخرجه مسلم[4] .

- **ما جاء في تحريم الظلم :**

قال الله تعالى ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الفرقان:١٩] .

وقال الله تعالى :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣] .

وعن صفوان بن محرز المازني قال : « بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٦١٩) ، وأخرجه الترمذي برقم: (١٢٩٦).
(٢)حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (١٧١٠)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٢٨٩).
(٣)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٣١٤)، وأخرجه الدارمي برقم: (٢٦٤٣).
(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٢/ ١٧٢٥).

النَّجْوَى فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللهَّ يُدْنِى المُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أي رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى في نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالمُنَافِق فَيَقُولُ : الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهَّ عَلَى الظَّالمِينَ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حَرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي ، وجعلتُه بينكم محرَّما ، فلا تَظَالموا » . أخرجه مسلم[2] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . . متفقٌ عليه[4] .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللهَّ لَيُمْلِي لِلظَّالمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لمَْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالمِةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ » . متفقٌ عليه[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٢/ ٢٧٩٤).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٥٦/ ٢٥٧٨).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٦/ ٢٥٧٨).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٦٨٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦١/ ٢٥٨٣).

والظلم هو وضع الشيء في غير محله ، وأخذ مال الغير بغير حق .

والظلم قسمان :

الأول : الظلم الأكبر ، وهو الاعتقاد ، الكفر والشرك بالله كما قال سبحانه عن لقمان أنه قال لابنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان:١٣] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾[البقرة:٢٥٤] .

الآخر : وهو الظلم الأصغر كالمعاصي ، وأكل حقوق الناس ، أما المعاصي والذنوب التي تتعلق بحق الله ، فهي تحت المشيئة إن شاء الله غفرها وإن شاء عذب عليها ، وأما حقوق العباد فلا تسقط إلا بالأداء بالدنيا أو التسامح والله أعلم .

- **ما جاء في إثم من ضرب سوطًا ظلمًا :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » . أخرجه مسلم[1] .

ومن ظلم مملوكه ظلمًا ومظلمةً فكفارته أن يعتقه .

عن بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥٢/ ٢١٢٨).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٩/ ١٦٥٧).

وعن أبي مسعودٍ الأنصاري ﷺ قال : « كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لي ، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا : اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله . فَقَالَ : أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارأَوْ لمَسَّتْكَ النَّارُ » . أخرجه مسلم[1] .

نعوذ بالله من الظلم ومن الظلمة والمظالم .

- **ما جاء في تحريم أكل أموال الناس بالباطل :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء:١٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهَّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ » . . متفقٌ عليه[2] .

- **ما جاء في إثم من خاصم في باطل وهو يعلم :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ فَقَدْ ضَادَّ اللهَّ فِي مُلْكِهِ ، وَمَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، وَلَكِنَّهَا الحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهَّ حَتَّى يَنْزِعَ ، وَمَنْ قَالَ

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ١٦٥٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ حُبِسَ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ حَتَّى يأتي المخرج مِمَّا قَالَ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1] .

وردغة الخبال هي عصارة أهل النار .

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ : « سَمِعَ خُصُومَةً بِبَابِ حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِذَلِكَ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لْيَتْرُكْهَا » متفقٌ عليه[2] .

وعن هشام بن حكيم بن حزام ﷺ « أنه مر بأُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ بِالشَّام قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالُوا حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ اللهَّ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا« أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء في إثم من أخذ شيئًا من الأرض بغير حق :**

عن سعيد بن زيد ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ ظَلَمَ مِنْ الْأَرْضِ شَيْئًا طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » . . متفق عليه[4] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ ». أخرجه البخاري[5].

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٥٩٧)، وأخرجه أحمد برقم: (٥٣٨٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٨١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٢/ ١٦١٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١١٨/ ٢٦١٣).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٢/ ١٦١٢).

(٥)أخرجه البخاري برقم: (٢٤٥٤).

وعن أبي هريرة ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . أخرجه مسلم[1] .

وعن وائل بن حجر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا ، لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن عامر بن وائل قال : « كنت عند علي بن أبي طالب ﷺ ، فأتاه رجل فقال : مَا كَانَ النَّبِيِّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ ، قَالَ : فَغَضِبَ وَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيِّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيئًا يَكْتُمُهُ عَنِ النَّاسِ ، غَيْرُ أَنَّهُ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ ، فَقَالَ : مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ ، قَالَ : قَالَ : لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى محُدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ » . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء من الزجر عن إعانة الظالم :**

قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة : ٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رضيﷺ الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « مَن نَصَرَ قَومه عَلَى غَيْرِ الحَقِّ فهوُ كالْبَعِيرِ رُدِّيَ فِي بِئْرٍ فَهُوَ يَمُدُّ بِذَنَبِهِ » . أخرجه أحمد وأبو داوود بسندٍ صحيح[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٤١/ ١٦١١).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٢٤/ ١٣٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٤٣/ ١٩٧٨).

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٥١١٧)، وأخرجه أبو داود برقم: (٣٧٢٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من أعانَ على خصومةٍ بِظُلمٍ فقد باءَ بغضَبٍ اللهَّ وَجَلَّ . أخرجه أبو داوود وابن ماجه بسندٍ صحيح[1] .

• **ما جاء من الزجر عن ظلم المسلم لأخيه المسلم :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللهُّ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللهُّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَترَ مُسْلِمًا ، سَترَهُ اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ قَالُوا : المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ ، فَقَالَ : إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » . . أخرجه مسلم[3] .

---

(١)صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٣٢٠)، وأخرجه أبو داود برقم: (٢٣٢٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٢/ ٢٥٦٤).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٥٩/ ٢٥٨١).

٥- الخزانة الخامسة

مناهي المعاملات

- **ما جاء في تغليظ تحريم سفك الدماء بغير حق :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة:٣٢] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » . متفق عليه[1].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهَّ ثَلَاثَةٌ : مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ » . أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي الدرداء ﷺقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُّ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا » . أخرجه أبو داود ، وابن حبان بسندٍ صحيح[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٧/ ١٦٧٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٦٨٨٢).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٧٠)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٥٩٨٠).

• **ما جاء من النهي أن يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره :**

عن أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « لاَ يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ » ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : « مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ، وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ » . . متفق عليه[1] .

• **ما جاء في تحريم النهب :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾[النساء:٢٩] .

و عن عبدِ اللهِ بْنِ يَزِيْدٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: « نَهَى النبي ﷺ عن النُّهْبَى وَالمُثْلَةِ ». أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « لا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . متفق عليه[3] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « ليس على المنتهبِ قطعٌ ، ومن انتهبَ نُهبةً مشهورةً ، فليس منَّا » .أخرجه أبو داود ، وأحمد[4]

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٦/ ١٦٠٩).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٢٤٧٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٥٧).

(٤)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٣٩١)، وأحمد برقم:(١٥٠٧٠) واللفظ لهما.

• **ما جاء من النهي عن تكليف العبيد ما لا يطيقون :**

قال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وعن المعرور بن سويد قال : « رأيت أبو ذر الغفاري ﷺ ، وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألناه عن ذلك ، فقال : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَشكاني إلى الرسول ﷺ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ ثم قال : ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ » . متفق عليه[1] .

• **ما جاء من التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال أبو القاسم ﷺ : « مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ » . . متفق عليه[2] .

• **ما جاء في إثم العبد الآبق :**

عن جرير عن النبي ﷺ : « أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ » . أخرجه مسلم[3] .

وعن جرير أن النبي ﷺ قال: « أيما عبدٍ أَبَق فقد برئت منه الذمة ». أخرجه مسلم[4].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٨/ ١٦٦١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٧/ ١٦٦٠).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٢٢/ ٦٨).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٢٣/ ٦٩).

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أَبَق العبد لم تُقبَل له صلاةٌ » . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من النهي عن ضرب العبيد :**

عن أبي أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ قال : « كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي ، « اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ » ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ ، قَالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : « اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ » ، قَالَ : فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي ، فَقَالَ : « اعْلَمْ ، أَبَا مَسْعُودٍ ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ » . . ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا » . وفي رواية : « فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله ، فَقَالَ : « أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ » . . ، أَوْ « لَمَسَّتْكَ النَّارُ » . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء من التحريم لتولي العتيق غير مواليه :**

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ، قال : كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَى كُلِّ بَطْنٍ عُقُولَهُ » ، ثُمَّ كَتَبَ : « أَنَّهُ لَا يحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يُتَوَالَى مَوْلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِ »، ثُمَّ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ لَعَنَ فِي صَحِيفَتِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ». أخرجه مسلم[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَوَلَّى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ ، وَلا يُقْبَلُ مِنْهُ عَدْلٌ ولا صَرْفٌ » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٢٤/ ٧٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ١٦٥٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٧/ ١٥٠٧).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ١٥٠٨).

وعن أنس بن مالك ﷺ ، قال سمعت الرسول ﷺ يقول : « مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ المُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ » . .

أخرجه أبو داوود بسندٍ صحيح[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِيمَانِ مِنْ عُنُقِه » . . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[2] .

- **ما جاء في تحريم تفضيل بعض الأولاد على بعض في النحل :**

عنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما « أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ ، سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ المُوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا ، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ ، فَقَالَتْ : لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي ، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ ، فَأَتَى رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ » . . متفق عليه[3] .

- **ما جاء من الزجر عن رجوع الإنسان في هبته :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « الْعَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَقِيءُ ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِه » . . متفق عليه[4] .

والهبة التي يحرم الرجوع فيها ما كانت لغير الولد .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٥١١٣).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٨١٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤/ ١٦٢٣).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ١٦٢٢).

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال : أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إني عطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « أعطيت سائر ولدك مثل هذا ، قال : لا ، فقال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » ، قال : فرجع ، فرد عطيته » . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من النهي عن رد هدية المسلم ، أوهبته :**

عن خالد بن عدي الجهني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ عَنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ ، فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ » . . أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح[2] .

- **ما جاء في الزجر عن رد المرء الطيب إذا عُرض عليه :**

عن عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : « دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَنَاوَلَنِي طِيبًا ، قَالَ : كَانَ أَنَسٌ رضي الله عنه لاَ يَرُدُّ الطِّيبَ قَالَ : وَزَعَمَ أَنَسٌ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَرُدُّ الطِّيبَ » . . أخرجه البخاري[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن عُرِضَ عليه رَيحَانٌ ، فَلا يَرُدَّهُ ، فإنَّه خَفيفٌ المَحْمِلِ طَـيِّبُ الرَّائِحَةِ » . . أخرجه مسلم[4] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ الْوَسَائِدُ وَالدُّهْنُ وَاللَّبَنُ » . أخرجه الترمذي والبغوي بسندٍ صحيح[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨/ ١٦٢٣).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٩٣٦)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٥١٠٨).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٢٥٨٢).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٢٠/ ٢٢٥٣).

(٥)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٩٠)، وأخرجه البغوي برقم: (٣١٧٣).

• **ما جاء من النهي عن قبول هدية المشرك :**

عن حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ، قَالَ : « كَانَ محُمَّدٌ ﷺ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا تَنَبَّأَ ، وَخَرَجَ إِلَى المَدِينَةِ شهد حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ المَوْسِمَ وهو كافر ، فَوَجَدَ حُلَّةً لِذِي يَزَنٍ تُبَاعُ فاشتراها بِخَمْسِينَ دينارًا لِيُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، فَقَدِمَ بِهَا عَلَيْهِ المدينة ، وَأَرَادَهُ عَلَى قَبْضِهَا هدية فَأَبَى ، قَالَ عُبَيْدُ اللهَّ : حَسِبْتُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّا لا نَقْبَلُ مِنَ المُشْرِكِينَ شَيْئًا ، وَلَكِنْ أَخَذْنَاهَا بِالثَّمَنِ ، فَأَعْطَيْتُهَ حين أبى علي الهدية » . . أخرجه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح[1] .

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ « أَنَّهُ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ هَدِيَّةً لَهُ أَوْ نَاقَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَسْلَمْتَ » ، قَالَ : لَا ، قَالَ : « فَإِنِّي نُهِيتُ عَنْ زَبْدِ المُشْرِكِينَ » . أخرجه أبو داوود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

وقد قبل النبي ﷺ : بعض الهدايا من بعض المشركين، تأليفًا له على الإسلام.

• **ما جاء من الزجر عن العمري ، والرقبى التي فيها فساد المال :**

عن بن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « لَا تَرْقُبُوا أَمْوَالَكُمْ ، فَمَنْ أَرْقَبَ شَيْئًا فَهُوَ لِمَنْ أَرْقَبَهُ » . . أخرجه النسائي وابن حبان بسندٍ صحيح[3] .

وعن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تُرْقِبُوا ، ولا تُعْمِرُوا ، فمن أُرْقِبَ شيئاً أو أُعمِره ، فهو لِورثَته » . . أخرجه أبو داوود والنسائي بسندٍ صحيح[4] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٣٢٣)، وأخرجه الحاكم برقم: (٦٠٥٠).

(٢)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٠٥٧)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٥٧٧) .

(٣)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٦٥٠٤)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٥١٢٦).

(٤)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٣٧٥٣)، وأخرجه أبي داود برقم: (٣٥٥٦).

وعن جابر ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمْسِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا تُفْسِدُوهَا ، فَإِنَّهُ مَنْ أَعْمَرَ عُمْرَى فَهِيَ لِلَّذِي أُعْمِرَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَلِعَقِبِهِ » . . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « لَا عُمْرَى ، فَمَنْ أُعْمِرَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ » . . أخرجه النسائي وابن ماجه بسندٍ حسن[2] .

والعمري أن يقول رجل لآخر : أعمرتك هذه الدار ، أو جعلتها لك عُمرك ، والرقبى أن يقول رجل : هذه لفلان ما عاش، فإذا مات فهي لفلان .

والعمري أو الرقبى حكمها كالهبة ، فهي جائزة ، وهي تمليك لمن أعمرها أو أرقبها .

- **ما جاء في الزجر عن كتم الشهادة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾[البقرة:٢٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾[البقرة:٢٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ [النساء:١٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[المائدة:١٠٦] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٦/ ١٦٢٥).

(٢)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٣٧٥٣) ، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٢٣٧٩).

ما جاء في كراهة الشهادة لمن لم يستشهد :

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، قال : قال النبي ﷺ : « خَيْرَكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قال عمران : لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة ، قال النبي ﷺ : إن بعدكم قومًا يخُونُونَ وَلَا يُؤْتمَنُونَ ، يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ » . . متفق عليه[1] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » . . متفق عليه[2] .

فيكره أداء الشهادة بدون طلب ، بخلاف من علم شهادة ، ولم يعلم به صاحبها ، كأن رأى رجلًا يقتل رجلًا ، أو يغصبه ماله ، فله أن يسارع للشهادة قبل أن يسألها ، وعلى هذا الحال دل قول النبي ﷺ .

فعن زيد بن خالد ﷺ أن النبي ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاء الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْل أَنْ يُسْأَلهَا » . [3] .

- **ما جاء في تغليظ شهادة الزور :**

قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج:٣٠-٣١] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٤/ ٢٥٣٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٢/ ٢٥٣٣).

(٣)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٠٤٠).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان:٧٢] .

وعن أنس ﷺ قال : سئل النبي ﷺ عن الكبائر ، قال : « الكَبَائِرُ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ » . . متفق عليه[1] .

وعن أبي بكر ﷺ قال النبي ﷺ : « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ ثَلاثًا ، قَالُوا : بَلى يا رَسُولَ الله، قَالَ : الإِشْراكُ بِالله وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ وَجَلَسَ، وَكانَ مُتَّكِئًا ، فَقالَ: أَلا وَقَوْلُ الزّورِ قَالَ فَما زَالَ يُكَرِّرُها حَتّى قُلْنا لَيْتَهُ سَكَتَ» .

متفق عليه[2].

- **ما جاء في تحريم الشهادة على جورٍ وباطل إذا أشهد :**

عن النعمان بن البشير رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « فَلاَ تُشْهِدْنِي إِذاً فَإِنِّي لاَ أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ » . . متفق عليه[3] .

- **ما جاء من النهي عن قبول شهادة القاذف ، والسارق ، والزاني :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [النور:٤-٥] .

- **ما جاء من الكراهية من الإطناب في المدح :**

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : سمع النبي ﷺ رجلًا يثني على رجل ويطريه في مدحه ، فقال : « لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ » . متفق عليه[4].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤/ ١٦٢٣).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٧/ ٣٠٠١).

وعن أبي بكر ﷺ « أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ يَقُولُهُ مِرَارًا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا محَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ وَالله حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهَّ أَحَدًا » . . متفق عليه[1] .

وعن أبي معمر قال : « قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنْ الْأُمَرَاءِ فَجَعَلَ المِقْدَادُ يحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَقَالَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ المُدَّاحِينَ التُّرَابَ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في أنه لا تقبل شهادة أهل الشرك :**

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِاللهَّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إليكم » . . أخرجه البخاري[3] .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا قَالَ : « يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللهَّ تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللهَّ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللهَّ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمْ الْكِتَابَ فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهَّ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَفَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنْ الْعِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ وَلَا وَاللهَّ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنْ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ » . . أخرجه البخاري[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٥/ ٣٠٠٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٣٠٠٢).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٧٣٦٢).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٧٣٦٣) .

فلا يجوز قبول شهادة أهل الشرك على المسلمين مطلقًا ، ويستثنى من ذلك حالة السفر ، وفقدان الشاهد المسلم كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾[المائدة:١٠٦] .

- **ما جاء من النهي عن صلح الجَور وأنه مردود :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . . متفقٌ عليه[1] .

وعن زيد بن خالد الجُهنيّ وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ صَدَقَ اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ إِنَّ ابْنِيْ كَانَ عَسِيْفًا عَلَى هَذَا فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ فَقَالُوْا لِيْ عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ فَفَدَيْتُ ابْنِيْ مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيْدَةٍ ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوْا : إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله أَمَّا الْوَلِيْدَةُ وَالْغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ عَامٍ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا فَارْجُمْهَا فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا » . . أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ ، إِلا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلالًا » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ حسن[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٧١٩٣).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٥).

• **ما جاء في تحريم فساد ذات البين :**

عن أبي الدرداء ﷺ عن الرسول ﷺ قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والقيام قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هي الحَالِقَةُ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

• **ما جاء من الزجر عن الشروط التي ليست في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « مَا بَالُ أُنَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله ، مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ الله فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ شَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ ، شَرْطُ اللهِ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ » . . متفق عليه[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها أَن النبي ﷺ قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء من النهي عن الوصية بأكثر من الثلث .**

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا ، قَالَ : « يَرْحَمُ اللهَّ ابْنَ عَفْرَاءَ » . . ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ ؟ قَالَ : « لاَ » . . ، قُلْتُ : فَالشَّطْرُ ، قَالَ : « لاَ » . . ، قُلْتُ : الثُّلُثُ ، قَالَ : « فَالثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ » . . متفق عليه[4] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٨٧٧٠)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٥٠٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ١٥٠٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ١٧١٨).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ١٦٢٨).

• **ما جاء في أنه لا وصية لوارث :**

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ في خطبته عام حجة وداعه يقول : « إِنَّ اللهَّ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ » . .

أخرجه أبو داود والترمذي في سند صحيح[1] .

فلا تجوز الوصية لوارث سواء كان من أصوله أو فروعه ولا للأقارب الوارثين ، وتبقى الوصية للوالدين اللذَين لا يرثان والأقارب اللذين لا يرثون : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ ﴾[البقرة:١٨٠] .

• **ما جاء من الزجر عن الوصية في حال الاحتضار :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ﴾[البقرة:٢٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١ ﴾[المنافقون:١٠-١١] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهَّ أَيُّ الصَّدَقَةِ أفضل ؟ قَالَ : أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى وَلَا تمُهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » . . متفق عليه[2] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢١٢١)، وأخرجه أبو داود برقم: (٢٨٧٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٢/ ١٠٣٢).

٦- الخزانة السادسة

رسائل الجهاد

• **ما جاء في تغليظ تحريم الرياء في الجهاد في سبيل الله :**

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ » . . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء من تغليظ الزجر عن ترك الجهاد :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٨١٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٩/ ١٩٠٤) .

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٥٢/ ١٩٠٥).

وعن أبي هريرة ﷺ الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من النهي عن تمنّي لقاء العدوّ :**

عن عبيد الله بن أبي أوفى كتب إلى عمر بن عبيد الله حين سار إلى الحرورية يخبره أن الرسول ﷺ كان في بعض الأيام التي لقي فيها العدوّ ينتظر إذا مالت الشمس قام فيهم فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ لَا تمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسَأَلُوا اللهَّ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تحَْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .متفق عليه[2] .

- **ما جاء في لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة :**

عن أسلم بن أبي عمران قال : « غَزونا من المدينة ، نريد القسطنطينية ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم مُلصقون ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل على العدو ، فقال الناس : مَهْ ! مه لا إله إلا الله ، يلقي بيده إلى التهلكة ! قال أبو أيوب الأنصاري : إنما نزلت هذه الآية فينا مَعشرَ الأنصار ! لما نَصرَ الله نبيه وأظهرَ الإسلام ، قُلنا : هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ﴾ [البقرة:١٩٥] .

فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة : أن نُقيم في أموالنا ونُصلحها ، وندعُ الجهاد . قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجُاهدُ في سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية » . . أخرجه أبو داود والبيهقي بسند صحيح[3] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٥٨/ ١٩١٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٨١٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ١٧٤٢).

(٣)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢٥١٢)، وأخرجه البيهقي برقم: (١٨١٩٥).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا » .أخرجه أحمد . [1] .

- **ما جاء من تحريم القتال تحت راية عميّة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ ». أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم التنازع والاختلاف في الحرب .**

قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال:٤٦- ٤٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا » . . متفق عليه[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٣٥٧٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٥٣/ ١٨٤٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٣٣).

• **ما جاء في كراهة الخروج للجهاد وهو مشغول بغيره :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيَّ ﷺ : « غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : « لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا ، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا ، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا » . . متفق عليه[1] .

• **ما جاء فيما يُبطل الجهاد في سبيل الله :**

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : « نَزَلْنَا عَلَى حِصْنِ سِنَانٍ بِأَرْضِ الرُّومِ مَعَ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ المُلِكِ ، فَضَيَّقَ النَّاسُ المَنَازِلَ ، وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ ، فَقَالَ مُعَاذٌ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ غَزْوَةَ كَذَا وَكَذَا ، فَضَيَّقَ النَّاسُ الطَّرِيقَ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُنَادِيًا فَنَادَى : « مَنْ ضَيَّقَ مَنْزِلًا أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا فَلَا جِهَادَ لَهُ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[2] .

• **ما جاء في تغليظ تحريم التولي يوم الزحف :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[الانفال:١٥-١٦]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٢/ ١٧٤٧).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٦٤٨) ، وأخرجه أبي داود برقم: (٢٦٢٩) .

حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من الزجر عن ترك الرمي بعد تعلمه :**

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ : « أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ ؟ قَالَ عُقْبَةُ : لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ أُعَانِيهِ ، قَالَ الْحَارِثُ : فَقُلْتُ لِابْنِ شَمَاسَةَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَالَ : مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء من النهي عن الخذف :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ : « أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ ، فَقَالَ لَهُ : لاَ تَخْذِفْ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الخَذْفِ ، أَوْ كَانَ يَكْرَهُ الخَذْفَ وَقَالَ : « إِنَّهُ لاَ يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ وَلاَ يُنْكَى بِهِ عَدُوٌّ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَكْسِرُ السِّنَّ، وَتَفْقَأُ العَيْنَ » . متفق عليه[3] .

- **ما جاء في تحريم الاستعانة بالمشركين في القتال :**

قال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ : « خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبْرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ فِيهِ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ :

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٦٩/ ١٩١٩).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٦/ ١٩٥٤).

جِئْتُ لأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : أَتُؤْمِنُ بِاللهَّ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : لا ، قَالَ : فَارْجِعْ ؛ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، قَالَ : ثُمَّ مَضَى ، حَتَّى كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، قَالَ : فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ ، قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ : أَتُؤْمِنُ بِاللهَّ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : فَانْطَلِقْ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من النهي عن الوحدة :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ » . . أخرجه البخاري[2] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ ، أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ أَوْ يُسَافِرَ وَحْدَهُ » أخرجه أحمد بإسناد صحيح[3] .

- **ما جاء في تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : « وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةٌ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَنَهَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ » متفق عليه[4].

وعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « اغْزُوا بِاسْم اللهَّ ، فِي سَبِيلِ اللهَّ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٥٠/ ١٨١٧).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٢٩٩٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٥٦٥٠).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥/ ١٧٤٤).

وعَنْ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ ﷺ قَالَ : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ ، فَرَأَى النَّاسَ مجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ ، فَبَعَثَ رَجُلا ، فَقَالَ : انْظُرْ عَلَى مَا اجْتَمَعَ هَؤُلاءِ ، فَجَاءَ ، فَقَالَ : عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ ، فَقَالَ : مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ ، قَالَ : وَعَلَى المُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَبَعَثَ رَجُلا ، فَقَالَ : قُلْ لِخَالِدٍ : لا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا عَسِيفًا » . . أخرجه أبو داود والبيهقي بسند صحيح[٢] .

وَعَنْ الْأَسْوَدِ بْنَ سَرِيعٍ ﷺ قَالَ : « أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَغَزَوْتُ مَعَهُ ، فَأَصَبْتُ ظَهْرَ أَفْضَلِ النَّاسِ يَوْمَئِذ حَتَّى قَتَلُوا الْوِلْدَانَ وَقَالَ مَرَةً : الذُرِيَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ قَوَمٍ جَاوَزَهُم الْقَتْلُ الْيَومَ حَتَّى قَتَلُوا الذُرِيَةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله إِنَّمَا هُم أَوْلَادُ المُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ خِيَارَكُم أَبْنَاءُ المُشْرِكِينَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِيَةً ، أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِيَةً ، قَالَ : كُلُّ نَسَمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا ، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا أَوْ يُنَصِّرَانِهَا » . أخرجه أحمد الطبراني بسند صحيح[٣] .

ويجوز قتل النساء والذراري إذا قاتلوا المسلمين .

عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ قَالَ : « سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الذَّرَارِيِّ مِنْ المُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ ، فَقَالَ هُمْ مِنْهُمْ » . . متفق عليه[٤] .

وعَنْ عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ ﷺ ، قَالَ : « كُنْتُ فِيمَنْ حَكَمَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَشَكَوْا فِيَّ ، أَمِنَ الذُّرِّيَّةِ أَنَا أَمْ مِنَ المُقَاتِلَةِ ؟ فَنَظَرُوا إِلَى عَانَتِي ، فَلَمْ يَجِدُوهَا نَبَتَتْ ، فَأُلْقِيتُ فِي الذُّرِّيَّةِ ، وَلَمْ أُقْتَلْ » . أخرجه أبو داود وابن حبان بسند صحيح[١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣/ ١٧٣١).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢٦٦٩) ، وأخرجه البيهقي برقم: (١٨٠٨٩).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٥٨٩)، و أخرجه الطبراني برقم: (٨٣٤).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠١٢)، ومسلم برقم: (٢٦/ ١٧٤٥)، واللفظ له.

• **ما جاء من النهي عن اتخاذ الكلب والجرس في السفر :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلَا جَرَسٌ » . . أخرجه مسلم[٢] .

• **ما جاء في تحريم السفر بالمصحف إلى أرض العدو :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : « أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ » . . متفق عليه[٣] .

وتحريم السفر به إلى أرض العدو؛ خوفًا أن يناله العدو أو يتمكن منه فيهينه. أما إذا كان العسكر عظيمًا فلا بأس باصطحاب المصاحف ، وقد سافر النبي ﷺ وأصحابه في أرض العدو وهم يتعلمون القرآن .

• **ما جاء في تحريم التعذيب بالنار :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :« بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْثٍ ، وَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وَفُلانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وَفُلانًا، وَإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إِلا اللهُ ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا ، فَاقْتُلُوهُمَا » . . أخرجه البخاري[٤] .

وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ » . . أخرجه البخاري[٥] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢٦٦٩)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٤٧٨١).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٠٣/ ٢١١٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٩٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٢/ ١٨٦٩).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٣٠١٦).

(٥)أخرجه البخاري برقم: (٣٠١٧).

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فِي سَفَرٍ ؛ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا ، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تُفَرِّشُ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا ، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا ، فَقَالَ : مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟ قُلْنَا : نَحْنُ ، قَالَ: إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[1] .

- **ما جاء في تغليظ حرمة نساء المجاهدين على القاعدين :**

عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنْ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ ؛ فَمَا ظَنُّكُمْ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم قتل من اعتصم بالسجود أو قال كلمة التوحيد :**

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ قَالَ: « بَعَثَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ، فَاعْتَصَمَ نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ، فَأَسْرَعَ فِيهِمْ الْقَتْلَ، قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ » . أخرجه الترمذي[3] .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ : « بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا : أَسْلَمْنَا ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : صَبَأْنَا صَبَأْنَا ، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ ، فَقُلْتُ : وَاللهَّ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي ، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ ، حَتَّى

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٦٧٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٣٩/ ١٨٩٧).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٦٠٤).

قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ » . . أخرجه البخاري[1] .

وعن المِقْدادُ بْنُ عَمْرٍو الْكِنْدِيُّ رضي الله عنه قَالَ : « قُلْت لِرَسُولِ الله : ﷺ أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفّارِ ، فَاقْتَتَلْنا ، فَضَرَبَ إِحْدى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَها ، ثُمَّ لاذَ مِنّي بِشَجَرَةٍ ، فَقالَ أَسْلَمْتُ ، أَأَقْتُلُهُ يا رَسولَ الله بَعْدَ أَنْ قَالَها ؟ فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ : لا تَقْتُلْهُ ، فَقالَ : يا رَسُولَ الله إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدى يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ ما قَطَعَها ؛ فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ : لا تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقولَ كَلِمَتُه الَّتي قَالَ » . . متفق عليه[2] .

- **ما جاء في تحريم المثلة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل:١٢٦] .

وعَنْ عَبْدَ الله بْنَ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه قَالَ : « نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النُّهْبَةِ وَالمُثْلَةِ » . . أخرجه البخاري[3] .

وعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : « اغْزُوا باسْمِ الله في سَبيلِ الله ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تمَثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا » . أخرجه مسلم[4] .

فيحرم تشويه القتلى بقطع الآذان والأنوف ، ويجوز تشويه قتلى الأعداء إذا شوَّه الأعداء قتلى المسلمين بمثل ذلك .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٤٣٣٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٠١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٥/ ٩٥).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٥٥١٦).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٣/ ١٧٣١).

كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النحل:١٢٦] .

- **ما جاء في أنه لا تُغزى مكة إلى قيام الساعة :**

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْبَرْصَاءِ قَالَ : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقُولُ لاَ تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[1] .

- **ما جاء في أنه لا يُقتل قرشي صبرًا :**

عَنْ مُطِيعُ بنُ الأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ : لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه مسلم[2] .

وهذا دليل على أن قريشًا يُسلمون كلهم ، ولا يرتدّ أحد منهم كما ارتدّ غيرهم بعده ﷺ ممن حورِبَ وقُتِلَ صبرًا .

- **ما جاء من النهي عن اتخاذ ظهور الدواب كراسي :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ فَإِنَّ اللهَّ تعَالَىَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ ، وَجَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ، فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَاتِكُمْ » . . أخرجه أبو داود والبيهقي بسند صحيح[3] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٤٠٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٦١١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٨/ ١٧٨٢).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٦٧)، وأخرجه البيهقي برقم: (١٠٣٣٥).

وعَنْ سَهْلِ ابْنِ الحَنْظَلِيَّةِ ﷺ قَالَ : « مَرَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ اتَّقُوا اللهَّ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ المُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالحِةً وَكُلُوهَا صَالحِةً » . . أخرجه ابن خزيمة وأبو داود بسند صحيح[1] .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ ﷺ عَنْ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « ارْكَبُوا هذهِ الدوابَّ سالمِةً ، وايْتَدِعُوهَا سالمِةَ ، ولا تتَّخِذوهَا كرَاسِيَّ » . . أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح[2] .

فإن كان الجلوس على ظهر الدابة لغرض أو لحاجة لا يُدرك مع النزول إلى الأرض فذلك مباح ، وقد خطب النبي ﷺ على راحلته ، واقفًا عليها ، ووقف عليها يدعو في حجة الوداع في عرفات .

(١)صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٢٥٤٥) ، وأخرجه أبو داود برقم: (٢٥٤٨).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٦٣٠)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٥٦١٩).

٧- الخزانة السابعة

مناهي الجهاد في سبيل الله

• **ما جاء في تحريم إنزاء الحمير على الخيل :**

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : « أُهْدِيَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَغْلَةٌ ، فَرَكِبَهَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : لَوْ حَمَلْنَا الْحَمِيرَ عَلَى الْخَيْلِ لَكَانَتْ لَنَا مِثْلَ هَذِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[١] .

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدًا مَأْمُورًا مَا اخْتَصَّنَا بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ إِلَّا بِثَلَاثٍ، أَمَرَنَا أَنْ نُسْبِغَ الْوُضُوءَ، وَأَنْ لَا نَأْكُلَ الصَّدَقَةَ، وَأَنْ لَا نُنْزِيَ حِمَارًا عَلَى فَرَسٍ ». أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح[٢].

• **ما جاء في تحريم جزّ نواصي الخيل وأذنابها :**

عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لا تَقُصُّوا نَوَاصِي الْخَيْلِ وَلَا مَعَارِفَهَا وَلا أَذْنَابَهَا ، فَإِنَّ أَذْنَابَهَا مَذَابُّهَا ، وَمَعَارِفَهَا دِفَاؤُهَا ، وَنَوَاصِيَهَا مَعْقُودٌ فِيهَا الْخَيْرُ » . . أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح[٣] .

• **ما جاء في أنه لا يحل للإمام من الغنائم إلا الخمس :**

عن عمرو بنِ عبسةَ قالَ : صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ إلى بعيرٍ منَ المَغنمِ فلمَّا سلَّمَ أخذَ وبرةً من جنبِ البعيرِ ثمَّ قالَ ولا يحلُّ لي من غنائمِكم مثلُ هذا إلَّا الخمسُ والخمسُ مردودٌ فيكم » . أخرجه أبو داود والحاكم بسند صحيح . [٤] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٤٣)، وأخرجه النسائي برقم: (٣٥٨٠).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٧٠١)، وأخرجه النسائي برقم: (٣٥٨١).

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٦٣٦)، وأخرجه النسائي برقم: (٣٥٦١).

(٤)صحيح/ أخرجه ابو داود برقم: (٢٧٥٥) واللفظ له ، والحاكم برقم: (٦٥٨٣) .

فلا يأخذ الإمام من الغنيمة إلا الخُمس ، ويُقسم الباقي منها بين الغانمين ، والخُمس الذي يأخذه أيضًا لسهم له وحده لا يجب عليه أن يرُدَّه على المسلمين على حسب ما فصّلهم الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[الانفال:٤١]

وأهل البيت لهم خُمس الخُمس .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « رَغِبَتُ لَكُمْ عَنْ غُسَالَةِ الأَيْدِي ، لأَنَّ لَكُمْ مِن خُمْسِ الْخُمْسِ مَا يُغْنِيكُمْ وَ يَكْفِيكُمْ » . .

أخرجه ابن أبي حاتم بسند حسن[1] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم الغلول :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾[آل عمران:١٦١] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : « قَامَ فِينَا النَّبِيِّ ﷺ ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ ، قَالَ : لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَغِثْنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ ، يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَغِثْنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، أَو عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تخْفِقُ ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَغِثْنِي ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ أَبْلَغْتُكَ » . . متفق عليه[2] .

---

(١) حسن/ أخرجه ابن أبي حاتم برقم: (٩٠٩٣).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٤/ ١٨٣١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ : « كَانَ عَلَى ثَقَل النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ فَمَاتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ هُوَ فِي النَّارِ ، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا » . . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : « لمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُل فَقَالُوا : فُلاَنٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ : « كَلاَّ ، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ ، فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا ، أَوْ عَبَاءَةٍ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء من الزجر عن الانتفاع بشيء من المغانم قبل أن تُقسم :**

عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْم الآخِرِ فَلا يَسْقِيَنَّ مَاءَهُ وَلَدَ غَيْرِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْم الآخِرِ فَلا يَأْخُذَنَّ دَابَّةً مِنَ المَغَانِم فَيَرْكَبَهَا حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِي المَغَانِم ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْم الآخِرِ فَلا يَلْبَسْ ثَوْبًا مِنَ المَغَانِمِ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِي المَغَانِمِ » . . أخرجه ابن حبان والبيهقي بسند حسن[3] .

- **ما جاء في تحريم نقض ذمة الله وذمة رسوله ﷺ :**

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه فِي حَدِيثٍ طَوِيل قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهَّ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهَّ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِممَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهَّ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ». أخرجه مسلم[4] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٣٠٧٤).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٣٥/ ١٩٤٠).

(٣)حسن/ أخرجه ابن حبان برقم: (٤٨٥٠)، وأخرجه أبي داود برقم: (٢٧١١).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٣/ ١٧٣١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهَّ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَّ فِي ذِمَّتِهِ » . . أخرجه البخاري[1] .

- **ما جاء من تغليظ الزجر في قتل المعاهَد من المشركين :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا ». أخرجه البخاري[2] .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا بِغَيْرِ حِلِّهَا، حَرَّمَ اللهَّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا » .أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[3] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « أَلَا مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللهَّ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَقَدْ أَخْفَرَ بِذِمَّةِ اللهَّ فَلَا يُرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » . . أخرجه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح[4] .

- **ما جاء في تحريم الغدر :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ » . . متفق عليه[5] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُنْصَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِغَدْرَتِهِ » . . متفق عليه[6] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٥٥٦٣).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٣١٦٦).

(٣)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٠٣٨٣)، وأخرجه النسائي برقم: (٨٦٩٠).

(٤)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٤٠٣) ، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٢٠٥٤).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٨٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩/ ١٧٣٥).

(٦)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ١٧٣٥).

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ » . . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِواءٌ عِندَ إسْتِه يَوْمَ القِيامةِ » . . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ ». أخرجه مسلم[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « قَالَ اللهُّ : ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ » . . أخرجه البخاري[4] .

- **ما جاء في النهي عن نقض العهد ، وحبس رُسُل الكفار :**

عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ ، أَنَّ أَبَا رَافِعٍ أَخْبَرَهُ ، قَالَ : « بَعَثَنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنِّي وَاللهَّ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ ، وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ ، قَالَ : فَذَهَبْتُ ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ ». أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[5].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢/ ١٧٣٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٥/ ١٧٣٨).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ١٧٣٨).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٧).

(٥)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٣٨٥٧)، وأخرجه أبو داود برقم: (٢٧٥٨).

• **ما جاء من الزجر عن مضاهاة خلق الله ﷻ :**

عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : « حَشَوْتُ للنّبي ﷺ وسَادَةً فيهَا تَمَاثيلُ كَأَنّهَا نُمْرُقَةٌ ، فَجَاءَ فَقَامَ بَيْنَ النَاسِ وَجَعَلَ يَتَغَيّرُ وَجْهُهُ ، فَقُلْتُ : مَا لَنَا يَا رَسُولَ اللّه ؟ قَالَ : « مَا بَالُ هَذه ؟ » . . ، قُلْتُ : وسَادَةٌ جَعَلْتُهَا لَكَ لتَضْطَجعَ عَلَيْهَا ، قَالَ : أَمَا عَلمْت أَنّ المَلاَئكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فيه صُورَةٌ ، وَأَنّ مَنْ صَنَعَ الصُّورَةَ يُعَذّبُ يَوْمَ القيَامَة وَيَقُولُ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » . . متفق عليه[1] .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنِّي رَجُلٌ أُصَوِّرُ هَذِهِ الصُّوَرَ ، فَأَفْتِنِي فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ : ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : ادْنُ مِنِّي ، فَدَنَا حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، قَالَ : أُنَبِّئُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْساً ، فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ ، وَقَالَ : إِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَاصْنَعِ الشَّجَرَ ، وَمَا لاَ نَفْسَ لَهُ » . . أخرجه مسلم[2] .

عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، قَالَ : « دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ، دَارًا بِالمَدِينَةِ ، فَرَأَى أَعْلاَهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قال الله ﷻ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً » . . متفق عليه[3] .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَةَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٣/ ٢١٠٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ٢١١٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢١١١).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٩٦/ ٢١٠٧).

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء في نفي خسوف الشمس والقمر لموت أحد أو حياته :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يخْسِفَانِ لمِوْتِ أَحَدٍ وَلا لحِيَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهَّ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهمُا فَصَلُّوا » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يخْسِفَانِ لمِوْتِ أَحَدٍ وَلَا لحِيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللهَّ » . . متفق عليه[3] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا « أَنّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ : إِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهَّ لاَ يخْسِفَانِ لمِوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لحِيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهمُا فَافْزَعُوا إِلَى الصَّلاَةِ » . . متفق عليه[4] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : « خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ فَزِعًا يخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ حَتَّى أَتَى المُسْجِدَ، فَقَامَ يُصَلِّي بِأَطْوَلِ قِيَام وَرُكُوع وَسُجُودٍ ، مَا رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ لَا تَكُونُ لمِوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لحِيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا، يخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ » . أخرجه مسلم[5] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٩٨/ ٢١٠٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩/ ٩٠٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧/ ٩٠٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨/ ٩١٤).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (٢٤/ ٩١٢) .

وَعَنْ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ﷺ قال : « انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهَّ ، لَا يَنْكَسِفَانِ لمِوْتِ أَحَدٍ ، وَلَا لحِيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللهَّ وَصَلُّوا حَتَّى تَنْكَشِفَ » . . متفق عليه[1] .

وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهَّ وَإِنَّهُمَا لاَ يَنْكَسِفَانِ لمِوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء من النهي عن قتل حيّات البيوت :**

عَنْ أَبِي لُبَابَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَا تَقْتُلُوا الجِنَّانَ إِلَّا كُلَّ أَبْتَرَ ذِي طُفِيلَتَيْنِ فَإِنَّهُ يُسْقِطُ الْوَلَدَ وَيُذْهِبُ الْبَصَرَ فَاقْتُلُوهُ » . . أخرجه البخاري[3] .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ « أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ الحَيَّاتِ ، فَحَدَّثَهُ أَبُو لُبَابَةَ أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ جِنَّانِ الْبُيُوتِ ، فَأَمْسَكَ عَنْهَا » . . متفق عليه[4] .

فلا يجوز قتل عوامر البيوت ؛ لأنه قد يكون من مسلمي الجن ، وإن بدا شيء من الحيات في البيوت فيُعلَّم ثلاثة أيام ويحُرَّج عليه بأن يقول : أنت في حرج ، فإن لم يذهب أو ظهر بعد ذلك فيُقتل فإنما هو شيطان كافر .

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ لهِذِهِ الْبُيُوتِ عَوَامِرَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَحَرِّجُوا عَلَيْهَا ثَلَاثًا ، فَإِنْ ذَهَبَ ، وَإِلَّا فَاقْتُلُوهُ ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ » . . أخرجه مسلم[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٦٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ٩١٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٠/ ٩٠٤).

(٣)أخرجه البخاري برقم: ٣٣١١ .

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٢/ ٢٢٣٣).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (١٤٠/ ٢٢٣٦).

• **ما جاء من النهي عن التفريق بين الأنبياء :**

قال الله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[البقرة:١٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥].

قال الله ﷻ : ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[آل عمران:٨٤] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَقَالَ مَنْ ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ ، قَالَ ادْعُوهُ ، فَقَالَ : أَضَرَبْتَهُ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ قُلْتُ أَيْ خَبِيثُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ فَقال النبي ﷺ : لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى » . . متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٩٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩/ ٢٣٧٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ » . . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إلَى أَبِيهِ » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ، يَعْنِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لِي أَنْ يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ » . . متفق عليه[3] .

وفي رواية : « مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ، فَقَدْ كَذَبَ » . . أخرجه البخارى[4] .

وقد فضل الله ﷻ بعض النبيين على بعض كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٢] .

وقال ﷻ : ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الإسراء:٥٥] .

- **ما جاء في تحريم إطراء الأنبياء :**

عَنْ عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارى ابْنَ مَرْيَم فإِنَّمَا أنا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ » . أخرجه البخاري[5] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٣٤١٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤١٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٧/ ٢٣٧٧).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٩٥) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٦/ ٢٣٧٦).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٤٦٠٤).

(٥)أخرجه البخاري برقم: (٣٤٤٥).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ « أَنَّ رجُلًا قال للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا سَيِّدَنا، وابنَ سَيِّدَنا، ويا خَيْرَنا، وابنَ خَيرِنا، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: يا أيُّها الناسُ، قُولوا بقَولِكم، ولا يَستَهوِيَنَّكمُ الشَّيطانُ، أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله، ورسولُ الله، والله ما أُحِبُّ أنْ تَرفَعوني فَوقَ ما رفَعَني اللهُ » . أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[1] .

- **ما جاء من النهي عن دخول ديار المعذَّبين :**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا « أَنَّ النَّبِيُّ ﷺ لمَّا مَرَّ بِالحِجْرِ قَالَ : لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْل » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ : « أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْضَ ثَمُودَ ، الحِجْرَ ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا ، وَاعْتَجَنُوا بِهِ ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا ، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ العَجِينَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ » . . متفق عليه[3] .

وعنه يقول : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الحِجْرَ : « لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ، أَنْ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ » . . متفق عليه[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٣٥٢٩) واللفظ له، وأخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٠٧٧) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٩/ ٢٩٨٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٩/ ٢٩٨٠).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٨/ ٢٩٨٠).

• **ما ورد أن النبي ﷺ لا يدخل بيتًا مزوقًا :**

عَنْ سَفِينَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ : « أَنَّ رَجُلًا أَضَافَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : لَوْ دَعَوْنَا رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَأَكَلَ مَعَنَا ، فَدَعُوهُ فَجَاءَ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى عِضَادَتَيِ الْبَابِ ، فَرَأَى الْقِرَامَ قَدْ ضُرِبَ بِهِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، فَرَجَعَ ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : لِعَلِيٍّ الحَقْهُ فَانْظُرْ مَا رَجَعَهُ ، فَتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ مَا رَدَّكَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَيْسَ لِي أَوْ لِنَبِيٍّ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا مُزَوَّقًا » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[1] .

• **ما جاء في أنه لا ينقش أحد على نقش خاتم الرسول ﷺ :**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قال : « اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتمًا مِنْ ذَهَبٍ ثُمَّ أَلْقَاهُ ، ثُمَّ اتَّخَذَ خَاتمًا مِنْ وَرِقٍ وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهَّ ، وَقَالَ : لَا يَنْقُشْ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِ خَاتمِي هَذَا » . . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : رضي الله عنه « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ اتَّخَذَ خَاتمًا مِنْ فِضَّةٍ ، وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهَّ ، وَقَالَ : إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتمًا مِنْ وَرِقٍ ، وَنَقَشْتُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهَّ ، فَلا يَنْقُشَنَّ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ » . . متفق عليه[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٥٥)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (٣٣٦٠).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٠٩١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠٩٢).

٨- الخزانة الثامنة

رسائل الجهاد

• **ما جاء في أنه ليس لنبي أن يُغمِز :**

عن سعدٍ قال : « لمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْح مَكَّةَ ، اخْتَبَأَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْح عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ! بَايِعْ عَبْدَ اللهَّ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى ، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ ، فَيَقْتُلُهُ ؟ فَقَالُوا : مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللهَّ مَا فِي نَفْسِكَ ، أَلا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح(١) .

• **ما جاء من النهي عن التكنّي بأبي القاسم :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : « نَادَى رَجُلٌ رَجُلًا بِالْبَقِيعِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله فَقَالَ يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ إِنَّمَا دَعَوْتُ فُلَانًا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي » . متفق عليه(٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ﷺ قَالَ : « وُلِدَ لِرَجُل مِنَّا غُلامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ ، فَقُلْنَا لاَ نَكْنِيكَ أَبَا الْقَاسِم ، وَلا نُنْعِمُكَ عَيْنًا ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ » . متفق عليه(٣).

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٣٥٩)، وأخرجه النسائي برقم: (٤٠٦٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٢١٣١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣/ ٢١٣٣).

وفي رواية : « وُلِدَ لِرَجُل مِنَّا غُلامٌ فَسَمَّاهُ الْقَاسِمَ ، فَقَالُوا : لاَ نَكْنِيهِ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : « سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي ». أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ : « سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْهُ « أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ نهَى أَنْ يجْمَعَ أَحَدٌ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَيُسَمَّى محُمَّدًا أَبَا الْقَاسِمِ » . أخرجه أحمد والترمذي[3] .

- **ما جاء من التحريم من التبرّي من نسب معلوم :**

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَيْسَ مِنَّا رَجُل ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهْوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ بِاللهَّ ، وَمَنِ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَب فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . . متفق عليه[4] .

وَعَنْ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ » . . أخرجه البخاري[5] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكِمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ » . . متفق عليه[6] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٦١٨٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ٢١٣٣).

(٣) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٩٥٩٩)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٨٤١).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٥/ ٦٣).

(٥)أخرجه البخاري برقم: (٣٥٠٨).

(٦)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٣/ ٦٢).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « مَنِ ادَّعَى أَبًا فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ أَبِيهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ : وَأَنا سَمِعَتْهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء في تحريم دعوى الجاهلية :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ ﷺ قَالَ : « غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنْ المُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا ، وَكَانَ مِنْ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا ، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا ، وَقَالَ : الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ ، وَقَالَ : المُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ ؟ ثُمَّ قَالَ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ : أي دعوى الجاهلية » . . أخرجه البخاري[2] .

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ ، وَشَقَّ الجُيُوبَ ، وَدَعا بِدَعْوى الجَاهِلِيَّةِ » . . أخرجه البخاري[3] .

فحرم الفخر بالآباء ، والأنساب ، وخصوصًا بالجاهلية والتعظيم لها وبها ، أما التفاخر فيكون بالتقوى، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات:١٣] .

التفاخر يكون بالاعتزاز بالإسلام، والانتساب له، والعمل به، والدعوة إليه .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣٢٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٤/ ٦٣).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٠).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (١٢٩٧).

• **ما جاء في تحريم سبّ أصحاب النبي ﷺ :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيَّ ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ » . . متفق عليه[1] .

• **ما جاء في النهي عن سد خوخة أبي بكر ﷺ :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ النَّاسَ وَ قَالَ : « إِنَّ اللهَّ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللهَّ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ ، أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ ، فَكَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ هُوَ المُخَيَّرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنَّ أَمِنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلا غَيرَ اللهَ لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا ، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلامِ وَمَوَدَّتُهُ لا يَبْقَيَّنَ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلا سُدَّ إِلا بَابُ أَبِي بَكْر » . . متفق عليه[2] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢١/ ٢٥٤٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٦٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢/ ٢٣٨٢).

• **ما جاء من النهي عن بغض عمّار بن ياسر :**

عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ قَالَ : « كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ كَلَامٌ ، فَانْطَلَقَ عَمَّارٌ يَشْكُو إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، قَالَ : فَجَعَلَ خَالِدٌ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا غِلْظَةً وَرَسُولُ اللهَّ ﷺ سَاكِتٌ ، قَالَ : فَبَكَى عَمَّارٌ وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَلَا تَسْمَعُهُ ؟ قَالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِلَيَّ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَنْ عَادَى عَمَّارًا عَادَاهُ اللهُّ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَهُ اللهُّ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ فَمَا كَانَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا عَمَّارٍ فَلَقِيتُهُ فَرَضِيَ » . . أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[1] .

• **ما جاء من النهي عن إغضاب فاطمة رضي الله عنها :**

عَنْ المِسْوَرِ بْنِ مخَرْمَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي » . . أخرجه البخاري[2] .

فاطمة بنت محمد ﷺ خير نساء عصرها ومن بعدهن ، وهي سيدة نساء أهل الجنة .

• **ما جاء من الزجر عن بغض علي بن أبي طالب ﷺ :**

قَالَ عَلِيٍّ ﷺ : « وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ أَنْ لا يحُبَّنِي إِلا مُؤْمِنٌ ، وَلا يَبْغَضَنِي إِلا مُنَافِقٌ » . . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٨١٤)، وأخرجه النسائي في (السنن الكبرى) برقم: (٧/ ٣٥٦) .

(٢)أخرجه البخاري برقم: ٣٧١٤ .

(٣)أخرجه مسلم برقم: ١٣١/ ٧٨.

• **ما جاء من الزجر عن بغض الأنصار :**

عَنْ البَرَاءِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « الْأَنْصَارُ لَا يحُبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ » .

متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لا يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ » . . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء في أنه من لم يتغنّى بالقرآن فليس منَّا :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » . . أخرجه البخاري[4] .

• **ما جاء من الزجر عن الاختلاف في القرآن :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ : ﷺ « أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ خِلاَفَهَا ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « كِلاَكُمَا محُْسِنٌ فَاقْرَآ ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَأُهْلِكُوا » . . أخرجه البخاري[5] .

وَعَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيُّ ، قَالَ : « كَتَبَ إِلَيَّ عَبْدُ الله بْنُ رَبَاح الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ، قَالَ : هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا ، قَالَ : فَسَمِعتُ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٧٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٤).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٣٠/ ٧٦).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٧).

(٥)أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٢).

أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من النهي عن إتباع متشابه القرآن والتحذير من مُتَّبِعه :**

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهَ عَنهَا قَالَتْ : تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] . قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ » . . متفق عليه[2] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢/ ٢٦٦٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٢٦٦٥).

٩- الخزانة التاسعة

مناهي النكاح

• **ما جاء في تحريم التبتل والخصاء :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[المائدة:٨٧].

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : « كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ ، لَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهَّ أَلَا نَسْتَخْصِي ؟ فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ ». أخرجه البخاري[١] .

وَعَنْ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ : « رَدَّ رسول اللهَّ ﷺ على عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ ، وَلَوْ أَذِنَ له لاخْتَصَيْنَا » . . متفق عليه[٢] .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : « جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ ﷺ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهَّ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ». أخرجه البخاري[٣] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٥٠٧٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ١٤٠٢).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٣).

• **ما جاء من تحريم النكاح دون وليّ :**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهَ عَنهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ » . . ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ « فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَالمُهْرُ لَهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا ، فَإِنْ تَشَاجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

وَعَنْ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ ﷺ قَالَ : « زَوَّجْتُ أُخْتًا لي مِنْ رَجُل فَطَلَّقَهَا ، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يخْطُبُهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ ، فَطَلَّقْتَهَا ، ثُمَّ جِئْتَ تخْطُبُهَا ، لاَ وَاللهَّ لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا ، وَكَانَ رَجُلًا لاَ بَأْسَ بِهِ ، وَكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ** ﴾ ، فَقُلْتُ : الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ » . أخرجه البخاري[3] .

ولا يجوز للمرأة أن تُزوّج المرأة ، كما أنه لا تُزوّج نفسها ؛ لقوله ﷺ : « لا تُزَوِّج المَرْأَةُ المَرْأَةَ ، وَلا تُزَوِّج المَرْأَةُ نَفْسَهَا فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا » . . أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح[4] .

• **ما جاء في تغليظ تحريم التحليل :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ » . . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[1] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٠٨٣)، وأخرجه الترمذي برقم: (١١٠٢).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٠٨٥)، وأخرجه الترمذي برقم: (١١٠١).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٥١٣٠).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١١١٩)، أخرجه ابن ماجة برقم: (١٩٣٤).

• **ما جاء في تحريم الخطبة على خطبة الرجل المسلم :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ ، وَلاَ تَنَاجَشُوا ، وَلاَ يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَلاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ ، وَلاَ تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا » . . متفق عليه[٢] .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَلَا يخْطُبُ بَعْضُكُمْ عَلَى خِطْبَةِ بَعْضٍ » . . متفق عليه[٣] .

• **ما جاء في تحريم وطء السبايا حتى يستبرئها ، والحامل حتى تضع :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي سَبَايَا أَوْطَاسٍ : « لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ ، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ حَمْلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً » . . أخرجه أحمد وأبو داود[٤] .

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « أَنَّهُ أَتَى بِامْرَأَةٍ مجِحٍّ عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ ، فَقَالَ : « لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا » . . ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنًا يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ ، كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ ؟ » . . أخرجه مسلم[٥] .

• **ما جاء في تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تجِيءَ لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » . . متفق عليه[٦] .

---

(١)صحيح/ أخرجه البزار برقم: (١٠٠٥٨)، أخرجه ابن ماجة برقم: (١٨٨٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٤٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥١/ ١٤١٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٩/ ١٤١٢).

(٤)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: ١١٦١٤ ، أخرجه أبو داود برقم: (٢١٥٧).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (١٣٩/)١٤٤١.

(٦)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٢/ ١٤٣٦).

وفي رواية : « إِذَا بَاتَتْ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ » . . متفق عليه[1] .

وفي رواية : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُل يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا » . . أخرجه مسلم[2] .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لاَ تؤذي امرأةٌ زوجَها في الدُّنيا ، إلاَّ قالت زوجتُهُ منَ الحورِ العينِ لاَ تؤذيهِ قاتلَكِ اللهُ فإنَّما هوَ عندَكِ دخيلٌ يوشِكُ أن يفارقَكِ إلينا » . . أخرجه الترمذي وأحمد بسند صحيح[3] .

- **ما جاء في المحرمات من النساء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٠/ ١٤٣٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٢١/ ١٤٣٦).

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١١٧٤)، وأحمد برقم: (٢٢١٠١) واللفظ لهما.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النساء:٢٢-٢٥] .

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ ، قَالَتْ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ : هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ، قَالَ : فَأَفْعَلُ مَاذَا ؟ قُلْتُ تَنْكِحُ ، قَالَ : أَتُحِبِّينَ ؟ قُلْتُ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِيكَ أُخْتِي ، قَالَ : إِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لي ، قُلْتُ : بَلَغَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ ، قَالَ : ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ ، قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي مَا حَلَّتْ لي ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةُ ، فَلاَ تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ » . . متفق عليه[1] .

وعنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُوْلَ الله مَا لَكَ تَنَوَّقُ فِي قُرَيْشٍ وَتَدَعُنَا ، فَقَالَ : وَعِنْدَكُمْ شَيْءٌ ، قُلْتُ : نَعَمْ بِنْتُ حَمْزَةَ فَقَالَ رَسُوْلُ الله : ﷺ إِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِي إِنَّهَا اِبْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما يحرم من الجمع بين النساء :**

عَنْ ابْنِ عُمَرَرضي الله عنهما : « أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَسْلَمْنَ مَعَهُ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَخَيَّرَ منهن أَرْبَعًا » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٠٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥/ ١٤٤٩).
(٢)أخرجه مسلم برقم: (١١/ ١٤٤٦).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال : « لاَ يُجْمَعُ بَيْنَ المَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا ، وَلاَ بَيْنَ المَرْأَةِ وَخَالَتِهَا » . . متفق عليه[٢] .

وعن جابر ﷺ « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُنْكَحَ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا » . . أخرجه البخاري[٣] .

وعن فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيَّ قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَتَحْتِي أُخْتَانِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اخْتَرْ أَيَّتَهُمَا شِئْتَ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٤] .

فيحرم على الرجل أتن يجمع في عصمته بين أكثر من أربع نساء .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء:٣].

- **ما جاء في تحريم نكاح الشغار .**

عنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ الشِّغَارِ ، وَالشِّغَارُ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الْآخَرُ ابْنَتَهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ ». متفق عليه[٥].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ » . أخرجه النسائي وابن ماجة بسند صحيح[٦] .

---

(١)صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (١٩٥٣) ، وأخرجه الترمذي برقم: (١١٢٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٠٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٣/ ١٤٠٨).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٥١١٠).

(٤)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٢٤٣)، وأخرجه الترمذي برقم: (١١٢٩).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٥١١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٧/ ١٤١٥).

(٦)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٣٣٣٦)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٨٨٥).

• **ما جاء في تحريم نكاح المتعة وبيان أن إباحتها منسوخة .**

عنْ عَلِيٍّ ﷺ « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ لحُومِ الحُمُرِ الْإِنْسِيَّة » . . متفق عليه[1] .

عن الرَّبيع بن سبرة الجهني عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ نهَى عَنِ المُتْعَةِ وَقَال : « أَلاَ إِنَّهَا حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ومن كان أعطى شيئًا فلا يأخذه » . . أخرجه مسلم[2] .

ونكاح المتعة هو أن تُنكح المرأة بصداق قل أو كثر إلى أجلٍ معلوم .

• **ما جاء في تحريم نكاح الدبر .**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون:٥-٧] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فيمَا قال ، أو أَتَى امرأة حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا ، فَقَدْ برئ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى محُمَّدٍ ﷺ » . .

أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

وعن جابر قال : « كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأة من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزلت : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٣] . [4] .

وقال الرسول ﷺ: « مُقْبِلَةً وَمُدْبِرَةً ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْفَرْجِ » . . متفق عليه[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٤٠٧).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٨/ ١٤٠٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٦٣٩)، وأخرجه الترمذي برقم: (١٣٥).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١١٧/ ١٤٣٥).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٢٨، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٨/ ١٤٣٥).

• **ما جاء في تحريم نكاح الزانية والزاني :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور:٣] .

• **ما جاء من الزجر عن كفران العشير :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الكسوف : « ورأيت النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ، قَالُوا لم يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : بِكُفْرِهِنَّ ، قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللهَّ ، قَالَ : يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ » . . أخرجه البخاري [١] .

• **ما جاء في الزجر عن أن يتزوج الرجل بالمرأة العقيم :**

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي أَحببت امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجمَالٍ وَإِنَّهَا لا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ قَالَ : لا ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[٢] .

• **ما جاء من الزجر من أن تأذن الزوجة لأحدٍ في بيتها إلا بإذن زوجها :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ » . . متفق عليه[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٠٥٠)، والنسائي برقم: (٣٢٢٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨٤/ ١٠٢٦).

• **ما جاء في تحريم أن تهب المرأة نفسها للرجل دون مهر ، وبيان أنه من خصائص النبي ﷺ :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾[الأحزاب:٥٠] .

وعن عروة بن الزبير قال : « كانت خُولَةُ بِنْتُ حكيم مِنَ اللائِي وهَبْنَ أَنْفُسُهُنَّ للنبيِّ ﷺ ، فقالت عائشةُ : أما تَسْتَحِي المرأةُ أَنْ تهَبَ نفسَها للرَّجُلِ ؟ فلما نزلت : ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ ﴾[الأحزاب:٥١] . قلتُ : يا رسولَ الله ، ما أرى ربَك إلا يُسَارِعُ في هواكَ » . . متفق عليه[1] .

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قال : « أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ امرأة فقالت : إنها قد وهبت نفسها لله وللرسول ﷺ ، فَقَالَ : مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ فَقَالَ رَجُلٌ زَوِّجْنِيهَا قَالَ : أعطها ثوب ، قال : لا أجد ، قَالَ أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتمًا مِنْ حَدِيدٍ قَالَ : فاعتل له ، فقَالَ فَمَا معك مِنْ الْقُرْآنِ قَالَ : كَذَا وَكَذَا قَالَ فَقَدْ زوجتكها بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ » . . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٥١١٣، واللفظ له، ومسلم برقم:٤٩/ ١٤٦٤.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٥١٤١، واللفظ له، ومسلم برقم:٧٦/ ١٤٢٥.

• **ما جاء في أنه لا تنكح البكر والثيب إلا برضاهم :**

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « لاَ تُنْكَحُ الأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ ، وَلاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ ، قَالُوا : كَيْفَ إِذْنُهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَسْكُتَ » . متفق عليه[1] .

واستئذان البكر والثيب شرط في صحة العقد .

عنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِدَامٍ الْأَنْصَارِيَّةِ « أَنَّ أَبَاهَا ، زَوَّجَهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ ، فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ، فَأَتت رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَرَدَّ نِكَاحَهَا » . . أخرجه البخاري[2] .

• **ما جاء في تحريم الخلوة بالأجنبية ، والدخول على المغيبة :**

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ؟ قَالَ : الْحَمْوُ الْمَوْتُ » . . متفق عليه[3] .

والحمو أخو الزوج وما أشبهه من أقاربه .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي محَرْمٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً ، وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ » . . متفق عليه[4] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « أَلَا لَا يَبِيتَنَّ رَجُلٌ عِنْدَ امْرَأَةٍ ثَيِّبٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَاكِحًا أَوْ ذَا محَرْمٍ » . . أخرجه مسلم[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٧٠) ، ومسلم برقم: (٦٤/ ١٤١٩)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٩٤٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢١٧٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٢٤/ ١٣٤١).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (١٩/ ٢١٧١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ « أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ فَرَآهُمْ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهَّ ﷺ وَقَالَ : لَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا ، فقال رسول الله ﷺ : إِنَّ اللهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال : لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ ، بَعْدَ يَوْمِي هَذَا ، عَلَى مُغِيبَةٍ ، إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن دخول المخنثين على النساء :**

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اَللهُ عَنْها : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مخُنَّثٌ فَقَالَ المُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللهُّ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا أَدُلُّكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُنَّ » . . متفق عليه[2] .

والمخنث هو الذي يلين في قوله وينكسر في مشيته ، ويتمايل فيها كالنساء .

عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : « كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مخُنَّثٌ فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ ، قَالَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً ، قَالَ : إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا أَرَى هَذَا يَعْرِفُ مَا هَاهُنَا لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ ، قَالَتْ : فَحَجَبُوهُ » . . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢/ ٢١٧٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٢/ ٢١٨٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٣٣/ ٢١٨١).

• **ما جاء من النهي ألا تباشر المرأة المرأة والرجل الرجل :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : « لَا تُبَاشِرُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا » . أخرجه البخاري[1] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَا يَنْظُرِ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا تَنْظُرِ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ وَلَا يُفْضِ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ وَلَا تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ » . . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء في أنه لا يطرق الرجل أهله ليلًا :**

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا » . أخرجه البخاري[3] .

وفى رواية : « إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا » . . متفق عليه[4] .

وفى أخرى : « إِذَا دَخَلْتَ لَيْلًا ، فَلاَ تَدْخُلْ عَلَى أَهْلِكَ ، حَتَّى تَسْتَحِدَّ المُغِيبَةُ ، وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ » . . متفق عليه[5] .

وعن أنس ﷺ قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَطْرُقُ أَهْلَهُ ، كَانَ لاَ يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً » . . متفق عليه[6] .

وعن جابر ﷺ قال : « نهى النبي ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنَهُمْ أَوْ يَطْلُبَ عَثَرَاتِهِم » . . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٤٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٤/ ٣٣٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٤٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٤٤)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٤/ ٧١٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٤٦)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٢/ ٧١٥).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٠)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨٢/ ٧١٥).

• **ما جاء من تحريم الميل مع إحدى النساء الضرائر :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء:١٢٩] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « من كانت له امرأتان فمال مع إحداهما على الأخرى جاء يَومَ القيامَةِ وشِقُّه ساقط » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٢] .

• **ما جاء من الزجر عن الضرب المبرح للزوجة :**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْنهار » . . متفق عليه[٣] .

وعن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فسمعه يقول : « أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْتغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ » . . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند حسن[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤/ ٧١٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢١٣٣) ، والترمذي برقم: (١١٤١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٠٤)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٨٥٥).

(٤) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (١١٦٣) ، وابن ماجة برقم: (١٨٥١).

وعن معاوية بن حيدة ﷺ قال : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ! مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ ، أَوْ اكْتَسَبتَ ، وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ ، وَلَا تُقَبِّحْ ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ » . . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسند صحيح[1] .

وعن جابر ﷺ في حديثه عن حجة الوداع ، قال رسول الله ﷺ : « اتَّقُوا اللهَّ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهَّ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهَّ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلهَُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم مصافحة النساء :**

عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ ﷺ ، قال : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تحَِلُّ لَهُ » . . أخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن[3] .

وعن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ ، إِنَّمَا قَوْلِي لمِِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ » . . أخرجه مالك والنسائي بسندٍ صحيح[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « وَاللهَّ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي المُبَايَعَةِ ، وَمَا بَايَعَهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ : قد بايعتك على ذلك » . . أخرجه البخاري[5] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢١٤٢)، وابن ماجة برقم: (١٨٥٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٧/ ١٢١٨).

(٣) حسن/ أخرجه الطبراني برقم: (٤٨٦).

(٤) صحيح/ أخرجه مالك برقم: (٨٩٧)، والنسائي برقم: (٤١٨١).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٢٧١٣).

فيحرم على الرجل مصافحة المرأة الأجنبية عنه ، ومن فعل ذلك فهو آثم .

• **ما جاء في أنه لا تطيع امرأةً زوجها في معصية الله :**

عن عائشة رضي الله عنها : « أَنَّ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا ، فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا ، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَتْ : إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا ، فَقَالَ : لَا ، إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ المُوصِلَاتُ » . . أخرجه البخاري[1] .

• **ما جاء في تحريم التبرج والسفور :**

قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣٠- ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٠٥).

عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ المُائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » أخرجه مسلم(١).

• **ما جاء في أنه لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء :**

عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل ، فكأنه تغير وجهه كأنه كره ذلك ، فقالت : إنه أخي ، فقال : « انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ المُجَاعَةِ » . . متفق عليه(٢) .

وعنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لَا تحَرِّمْ المَصَة والمَصَتَان » . أخرجه مسلم(٣) .

والرضاعة المحرمة أن تكون خمس رضاعات معلومات في الحولين ، فلا تحرم المصة ولا المصتان .

• **ما جاء من النهي عن الطلاق في الحيض :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ ﴾[الطلاق:١] .

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال : « طَلَّقْتُ امْرَأَتِي وَهِيَ حَائِضٌ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَغَيَّظَ الرسول ﷺ ، ثم قال : مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا حَتَّى تحَيِضَ حَيْضَةً أُخْرَى مُسْتَقْبَلَةً سِوَى حَيْضَتِهَا الَّتِي طَلَّقَهَا فِيهَا ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا ، فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا مِنْ حَيْضَتِهَا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا ، فَذَلِكَ الطَّلَاقُ لِلْعِدَّةِ كَمَا أَمَرَ اللهُ » . . متفق عليه(٤) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢٥/)٢١٢٨.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٤٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٢/ ١٤٥٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٧/ ١٤٥٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٥١) ، ومسلم برقم: (٤/ ١٤٧١)، واللفظ له.

• **ما جاء في تحريم سؤال المرأة زوجها الطلاق دون بأس :**

عن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « المُخْتَلِعاتِ المُنْتَزِعاتِ هنَّ المنافقاتُ » . . أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[2] .

• **ما جاء في تحريم تخبيب المرأة على زوجها :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَبَّبَ خَادِمًا عَلَى أَهْلِهِ فَلَيْسَ مِنَّا ، مَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا فَلَيْسَ مِنَّا » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[3] .

وعن بريدة بن الحصيب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ ، وَمَنْ خَبَّبَ عَلَى امْرِئٍ زَوْجَتَهُ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا » . أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح[4] .

• **ما جاء في أنه لا طلاق إلا فيما يملك :**

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن النبي ﷺ قال : « لَا طَلَاقَ إِلَّا فِيمَا تَمْلِكُ ، وَلَا عِتْقَ إِلَّا فِيمَا تَمْلِكُ ، وَلَا بَيْعَ إِلَّا فِيمَا تَمْلِكُ ، وَلَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ إِلَّا فِيمَا تَمْلِكْ » . . أخرجه أبو داود والترمذي [5].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٢٢٦)، والترمذي برقم: (١١٨٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩٣٥٨) ، والنسائي برقم: (٣٤٦١).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢/ ٣٩٧)، وأبو داود برقم: (٢١٧٥).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٩٨٠) ، والحاكم برقم: (٧٨١٦).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢١٩٠)، والترمذي برقم: (١١٨١).

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: لا طلاقَ إلَّا فيما تملِكُ، ولا عِتقَ إلَّا فيما تَملِكُ، ولا بَيعَ إلَّا فيما تملِكُ، زادَ ابنُ الصَّبَّاحِ، ولا وفاءَ نذرٍ إلَّا فيما تملِكُ » . أخرجه أبو دواد والترمذي[1] .

- **ما جاء في أنه لا تسأل المرأة طلاق أختها :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « لاَ يحَلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا ، فَإِنَّمَا لهَا مَا قُدِّرَ لهَا » . . متفق عليه[2] .

- **ما جاء في تحريم أخذ مهر المرأة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ [النساء:١٩-٢١] .

- **ما جاء من النهي عن الإيلاء فوق أربعة أشهر :**

قال الله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٦ – ٢٢٧] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود (٢١٩٠) واللفظ له، والترمذي (١١٨١) مختصراً.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٥٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٨/ ١٤٠٨).

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول في الإيلاء الذي سمى الله تعالى : « لاَ يحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدَ الأَجَلِ إِلَّا أَنْ يُمْسِكَ بِالمَعْرُوفِ ، أَوْ يَعْزِمَ بِالطَّلاَقِ كَمَا أَمَرَ اللهُ ﷻ » . . أخرجه البخاري[1] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم الظِهار :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ ﴾[المجادلة:٢-٤] .

- **ما جاء في نهي المطلقة أن تكتم حملها وحيضها :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨ ﴾[البقرة:٢٢٨] .

- **ما جاء في أنه لا تحل المطلقة ثلاثًا لمطلقها حتى تنكح زوجًا غيره :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٩٠).

غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة:٢٢٩-٢٣٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رفاعة القرظي تزوج امرأة ، ثم طلقها فتزوجت آخر ، فأتت النبي ﷺ فذكرت له أنه لا يأتيها ، وأنه ليس معه إلا مثل هدبة ، فقال : « لَا ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء في أنه لا نفقة للمبتوتة ولا سكنى لها :**

عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب ، فأرسل إليها وكيله بشعير ، فسخطته فقال : والله ما لكِ علينا من شيء ، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك ، فقال : « لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْتَدَّ فِي بَيْتِ أُمِّ شَرِيكٍ ، ثُمَّ قَالَ : تِلْكِ امْرَأَةٌ يَغْشَاهَا أَصْحَابِي ، اعْتَدِّي عَنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُوم ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ ، فَإِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي » . . أخرجه مسلم[2] .

فالمطلقة ثلاثًا ليس لها نفقة ولا سُكنى إلا أن تكون حاملًا فلها النفقة من أجل قوله ﷺ : « لَا نَفَقَةَ لَكِ إِلَّا أَنْ تَكُونِي حَامِلًا » . أخرجه أبو داود بإسناد صحيح[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٣١٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١١/ ١٤٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٦/ ١٤٨٠).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٢٩٠).

١٠- الخزانة العاشرة

مناهي الأطعمة والأشربة

• **ما جاء في تحريم الأكل بالشمال :**

عن جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَأْكُلُوا بِالشِمَالِ فَإِنَّ الشَيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِمَالِ » . . أخرجه مسلم[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا » . . أخرجه مسلم[٢] .

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال : « كُلْ بِيَمِنِكْ قَال : لَا أَسْتَطِيعْ ، قال : لَاسْتَطَعْت مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْر ، قال : فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهْ » . . أخرجه مسلم[٣] .

فيحرم على الإنسان الأكل أو الشرب بالشمال ، لأن ذلك من فعل الشيطان ، فينبغي مخالفته ، وعدم التشبه به .

• **ما جاء من الزجر عن الأكل من أعلى الصحفة :**

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا ، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا » . . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٤/ ٢٠١٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ٢٠٢٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧/ ٢٠٢١).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٧٣)، وابن ماجة برقم: (٣٢٧٥).

وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلْ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ وَلَكِنْ لِيَأْكُلْ مِنْ أَسْفَلِهَا فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

- **ما جاء في تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة :**

عن ابن أبي ليلى قال : « كَانَ حُذَيْفَةُ ، بِالمَدَايِنِ ، فَاسْتَسْقَى ، فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلَّا أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ ، وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَقَالَ : هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ » . . متفق عليه[2] .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « الَّذي يَشرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ إنما يجُرجِرُ في بَطْنه نارَ جَهنَّمَ » . متفق عليه[3] .

وفي رواية : « إِنَّ الَذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّة والذَهَبْ » . . أخرجه مسلم[4] .

- **ما جاء في تحريم تخصيص الأغنياء بالدعوة :**

عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول : « بِئْسَ الطَعَام طَعَامُ الوَلِيمَة ، يُدْعَى إِلَيْهِ الأَغْنِيَاء ، ويُتْرَك المَسَاكِين . فَمَنْ لَمْ يَأْتِي الدَعْوَة ، فَقَدْ عَصَى الله وَرَسُولَه » . . متفق عليه[5] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٧٢)، والترمذي برقم: (١٨٠٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٢)، واللفظ له: ومسلم برقم: (٤/ ٢٠٦٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٤)، ومسلم برقم: (١/ ٢٠٦٥)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٦٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٧٧)، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٤٣٢)، واللفظ له.

وفي رواية أن النبي ﷺ قال : « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا ، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يجُبِ الدَّعْوَةَ ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن الأكل متكئًا :**

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنِّي لَا آكُلُ مُتَّكِئًا » . أخرجه البخاري[2] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « مَا رُئِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ مُتَّكِئًا قَطُّ ، وَلَا يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلًا » . . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[3].

- **ما جاء من النهي عن مسح اليد قبل لعقها :**

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا » . . متفق عليه[4] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » . . أخرجه مسلم[5] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢١٣٩).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٧٠) ، وابن ماجة برقم: (٢٤٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٥٦)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢٩/ ٢٠٣١).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (١٣٤/ ٢٠٣٣).

• **ما جاء في كراهة البيتوتة وفي يده غَمَر (وهو ما يعلق باليد من الدسم) :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٍ وَلَمْ يَغْسِله ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1].

• **ما جاء من النهي عن التكلف للضيف :**

عن شقيق قال : « دخلت أنا وصاحبي على سلمان ﷺ فقرب إلينا خبزًا وملحًا ، فقال : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف ، لتكلفت لكم » . . أخرجه الحاكم بسند حسن[2] .

ولا يجوز للضيف أن يثوي عند مضيفه حتى يحرجه .

عن أبي شريح الكعبي ﷺ أن الرسول ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّام ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَلَا يحِلُ لَهُ أَنْ يَثْوِي عِنْدَهُ حَتَى يحْرِجَه » . . متفق عليه[3] .

• **ما جاء من النهي عن الأكل في آنية المشركين :**

عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال : « أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إنا بأرض قوم من أهل الكتاب ، نأكل في آنيتهم ، وأرض صيدٍ ، أصيد

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٥٢)، والترمذي برقم: (١٨٥٩).

(٢) حسن/ أخرجه الحاكم برقم: (٧١٤٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤/ ٤٨).

بقوسي وأصيد بكلبي الذي ليس بمعلم ، فأخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك ؟ ، قال : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّكُمْ بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ، تَأْكُلُون فِي آنِيَتِهِمْ ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَ آنِيَتِهِمْ ، فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا ، وَإِنْ لَمْ تجِدُوا فَاغْسِلُوهَا ، ثُمَّ كُلُوا فِيهَا ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ أَنَّكَ بِأَرْضِ صَيْدٍ ، فَمَا أَصَبْتَ بِقَوْسِكَ ، فَاذْكُرْ اسْمَ اللهَّ ، ثُمَّ كُلْ ، وَمَا أَصَبْتَ بِكَلْبِكَ المُعَلَّمِ ، فَاذْكُرْ اسْمَ اللهَّ ، ثُمَّ كُلْ ، وَمَا أَصَبْتَ بِكَلْبِكَ الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ ، فَكُلْ » . . متفق عليه[1] .

وفي رواية « لَا تَطْبُخُوا فِي قُدُورِ المُشْرِكِين ، فَإِنْ لَمْ تجِدُوا غَيْرَهَا فالحْظُوهَا لحَظًا حَسَنًا ، ثُمَّ اطْبُخُوا وَكُلُوا » . . أخرجه ابن ماجه[2] .

- **ما جاء من الزجر عن الأكل حتى الشبع :**

عن مقدام بن معد كرب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنه ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا محَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح[3].

وعن سعد بن أبي وقاس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرة مِنَ الأَرْضِ » . . أخرجه أحمد والبيهقي بسندٍ صحيح[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٨٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨/ ١٩٣٠).
(٢) صحيح / أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٨٣١).
(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٨٠)، والنسائي برقم: (٦٧٣٧).
(٤) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (١٥١٧) ، والبيهقي برقم: (٤٦٢٤).

• **ما جاء في تحريم أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ، وما ذبح على النصب :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الأنعام:١٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة:١٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٥] .

• **ما جاء في تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة:١٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة:٣] .

- **ما جاء في تحريم كل ذي ناب من السباع ، ومخلبٍ من الطير :**

عن أبي ثعلبة : ﷺ « أن الرسول ﷺ نهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ فَأَكْلُهُ حَرَامٌ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن جابر ﷺ : « أنه سُئل عن الضبع ، أَصَيْدٌ هِيَ ؟ فقَالَ : نعم ، فقلت : أيأكل ؟ قَالَ : نعم ، فقلت : أسمعته من الرسول ﷺ ؟ فقَالَ : نعم » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[4] .

والضبع ليس لها ناب ، وجميع أسنانها عرض واحد كصفيحة نعل الفرس .

- **ما جاء في تحريم الحمر الأهلية :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ نهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ ، وَعَنْ لحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ » . . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٠)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤/ ١٩٣٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٥/ ١٩٣٣).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ١٩٣٤).
(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٠١)، والترمذي برقم: (٨٥١).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ : « أن الرسول ﷺ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَعَنْ أَكْلِ لحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ » . . متفق عليه[٢] .

وعن جابر ﷺ قال : « نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخص في الخيل » . . متفق عليه[٣] .

- **ما جاء من النهي عن أكل طعام المتباريين :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يُؤكل » . . أخرجه أبو داود والبيهقي بسند صحيح[٤] .

- **ما جاء من النهي عن أكل المجثمة :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نهى رسول الله ﷺ عن لبن الجلَّالة ، وعن أكل المجثمة وهي التي تُصَبَر بالنَبْل ، وعن الشرب من في السِقاء » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٥] .

- **ما جاء من النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن الرسول ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ ، وَعَنْ لحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ » . . متفق عليه[٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢١٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٠/ ١٤٠٧).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢١٦)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٢/ ١٤٠٧).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢١٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٠/ ١٤٠٧).
(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٥٤)، والبيهقي برقم: (٥٦٨١).
(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٩/ ٣٣٤)، والترمذي برقم: (١٨٢٥).
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم :(٤٢١٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٠/ ١٤٠٧).

وعن أبي سعيد ﷺ قال : « نهى رسول الله ﷺ عَنِ الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ ، قُلْنَا : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، أَحَرَامٌ هُوَ ؟ قَالَ : لَا » . . أخرجه الطيالسي بإسناد حسن[1] .

وعن جابر بن عبد الله قال : « نهى رسول الله ﷺ عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ ». أخرجه مسلم[2] .

والنهي عن أكل الثوم والبصل والكراث إذا كان نيئًا ، ويتأكد تحريمه عند حضور الجمعة والجماعات ، والنهي للكراهة وليس للتحريم .

- **ما جاء من النهي عن أكل الجلَّالة :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « نهى الرسول ﷺ عن الجلَّالة في الإبل أن يركب عليها » . . أخرجه أبو داود بإسناد صحيح[3] .

والجلَّالة هي الدابة التي تأكل العذرة من الأنعام .

ويحرم من الجلالة ثلاث ، هي :

ركوبها .. وشرب ألبانها .. وأكل لحومها .

وإذا أراد المرء أكل الجلالة ، فإنه يحبسها حتى يتغير طعمها ، لأن ابن عمر « كان يحبس الدجاجة الجلالة ثلاثًا » . . أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح[4] .

والجلالة هي التي تأكل العذرة من الدواب التي تؤكل .

---

(١) حسن/ أخرجه الطيالسي برقم: (٢٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٢/ ٥٦٣).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٥٨).

(٤) صحيح/ أخرجه ابن أبي شيبة برقم: (٨/ ٣٣٥).

• **ما جاء من النهي عن أكل الضب :**

عن ابن عباس عن خالد بن الوليد رضي الله عنه « أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ بَيْتَ مَيْمُونَةَ ، فَأُتِيَ بِضَبٍّ محَنْوُذٍ ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِيَدِهِ ، فَقَالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ : أَخْبِرُوا رَسُولَ اللهَّ ﷺ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ ، فَقَالُوا : هُوَ ضَبٌّ يَا رَسُولَ اللهَّ ، فَرَفَعَ يَدَهُ ، فَقُلْتُ : أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ فَقَالَ : لاَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي ، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ ، قَالَ خَالِدٌ : فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ ، وَرَسُولُ اللهَّ ﷺ يَنْظُرُ » . . متفق عليه[1] .

فأكل الضب حلال ، ومن كرهه فلا يأكله .

• **ما جاء في أنه لا فرع ولا عتيرة في الإسلام :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لَا فَرَعَ وَلَا عَتِيرَةَ » . . متفق عليه[2].

والفرع هو أول نتاج الناقة ، كانوا يذبحونه لطواغيتهم وآلهتهم في الجاهلية .

والعتيرة ذبيحة تسمى الرجبية يذبحونها في رجب تعظيمًا له ، لأنه أول الأشهر الحُرُم ، والنهي يفيد التحريم .

• **ما جاء من النهي عن تعذيب الذبيحة :**

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « مرَّ رسول الله ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ ، ويحد شفرته ، وهي تلحظ إليه ببصرها ، فقال : أَفَلا قَبْلَ هَذَا ، أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ » . أخرجه الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٧)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٣/ ١٩٤٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٧٣)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٨/ ١٩٧٦).

• **ما جاء من النهي عن ذبح الشاة الحلوب ذات الدر واللبن :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِيَّاكَ وَالحْلُوبَ » . . أخرجه مسلم[٢] .

• **ما جاء من الزجر عن تتبع الصيد :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ سكَنَ البَادِيَةَ جَفَا ، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَيْدَ غَفَلْ ، وَمَنْ أَتَى السُلْطَانَ افْتَتَنْ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[٣] .

• **ما جاء في ما لا يجوز أكله من صيد الكلاب :**

عن عدي بن حاتم ﷺ قال : « سألت رسول الله ﷺ ، قلت : إِنَّا قَوْمٌ نَصِيدُ بِهَذِهِ الكِلاَبِ ، قال : إِذَا أَرْسَلْتَ كِلاَبَكَ المُعَلَّمَةَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهَّ فَكُلْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكَ ، وَإِنْ قَتَلْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْكُلَ الْكَلْبُ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَه عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنْ خَالَطَهَا كَلْابٌ مِنْ غَيْرِهَا فَلاَ تَأْكُلْ » . متفق عليه[٤].

وعن عدي بن حاتم « قلت : يا رسول الله ، إني أُرسل كلبي واُسمي ، فقال النبي ﷺ : إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَسَمَّيْتَ فَأَخَذَ فَقَتَلَ فَأَكُلْ ، فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ قُلْتُ : إِنِّي أُرْسِلُ كَلْبِي ، أَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَر ، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَ ، فقال : لَا تَأْكُلْ ، فَإِنَّكَ سَمَّيْتَ عَلَى كَلبِك ، وَلَمْ تُسَمِّي عَلَى

---

(١) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم: (١١٩١٦)، والبيهقي برقم: (١٩١٤١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٠/ ٢٠٣٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٨٥٩)، والترمذي برقم: (٢٢٥٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٨٣) ، ومسلم برقم: (٢/ ١٩٢٩)، واللفظ له.

غَيْرِه وَسَأَلْتُ عَنْ صَيْدِ المِعْرَاض ، فَقَالَ : إِذَا أَصَبْتَ بِحَدِه فَكُل ، وإِذَا أَصَبْتَ بِعَرْضِه فَقَتَلْ فَإِنَّه وَقِيذٌ ، فَلَا تَأْكُلْ » . . متفق عليه[1] .

والصيد بالمعراض هو الذي قُتِل بغير محُدَّد من عصا أو حجر ونحوهما .

وعن أبي ثعلبة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِذَّا رَمَيْتَ بِسَهْمِكَ فَغَابَ عَنْكَ ، فَأَدْرَكْتَهُ ، فَكُلْه ، مَا لَمْ يُنْتِنْ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء من الزجر عن تصبير البهائم واتخاذها غرضًا :**

عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال : « دَخَلْتُ مَعَ جَدِّي أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ دَارَ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ ، فَإِذَا قَوْمٌ قَدْ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا ، فقال أنس : نهى رسول الله ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ » . . متفق عليه[3] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « لا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا » . . أخرجه مسلم[4] .

وعن سعيد بن جبير قال : « مرَّ ابن عمر بِنَفَرٍ ، نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا » . . متفق عليه[5] .

وعن جابر بن عبد الله قال : « نهى رسول الله ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا » . . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٨٤)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣/ ١٩٢٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩/ ١٩٣١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥١٣)، ومسلم برقم: (٥٨/ ١٩٥٦)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥١٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥٨/ ١٩٥٦).

وصبر البهائم حبسها وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه ، وذلك محرم .

- **ما جاء من النهي على من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو يريد الأضحية أن يأخذ من شعره وأظافره شيئًا :**

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النبي ﷺ قال : « إذا دَخَلَتْ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أحدكم أَنْ يُضَحِّيَ فلا يَمَسَّ من شَعَرِهِ وَبَشَرِهِ شيئًا » . . أخرجه مسلم[٢] .

- **ما جاء من الزجر عن أن يضحي المسلم بالأضحية المعيبة .**

عن الْبَرَاءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يُضَحّى بالْعَرْجاءِ بَيّنٌ ظَلْعُهَا ، ولا بالْعَوْراءِ بَيّنٌ عَوَرُهَا ، ولا بالمَرِيضَةِ بَيّنٌ مَرَضُهَا ، ولا بالْعَجْفَاءِ التي لا تُنْقى » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[٣] .

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ فَلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وَفِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ المُقْبِلُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، نَفْعَلُ كَمَا فَعَلْنَا الْعَامَ المُاضِي ؟ قَالَ : كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ ، فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا » . . متفقٌ عليه[٤] .

- **ما جاء من النهي عن التنفس في الإناء :**

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٠/ ١٩٥٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٩/ ١٩٧٧).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٨٠٢)، والترمذي برقم: (١٤٩٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٦٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٤/ ١٩٧٤).

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ » . . متفقٌ عليه[1] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ : « أنه قال رجلٌ للنبي ﷺ : يا رسول الله إِنِّي لَا أُرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ ، فقال له رَسُولَ الله ﷺ : فَأَبِنْ الْقَدَحَ عَنْ فِيكَ ثُمَّ تَنَفَّسْ، قَالَ: إِنِّي أَرَى الْقَذَى فِيهِ، قَالَ: فَأَهْرِقْهُ ». أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[3] .

ويجوز الشراب بنفس واحد ، والسُنَّة أن يشرب بثلاثة أنفاس .

عن أنس بن مالك ﷺ قال : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاثًا ، وَيَقُولُ : إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ » . . أخرجه مسلم[4] .

- **ما جاء من النهي عن الشرب من فم السقاء :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ اخْتِنَاثِ الْأَسْقِيَةِ » . . متفقٌ عليه[5] .

والاختناث أن يقلب رأس السقاء حتى يشرب منه ، وهو المتخذ من جلد .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٠)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٣/ ٢٦٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٧٢٨)، والترمذي برقم: (١٨٨٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١١٥٥٨)، والترمذي برقم: (١٨٨٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٢٣/ ٢٠٢٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٢٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١٠/ ٢٠٢٣).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : « نَهَى النبي ﷺ عَنْ الشُّرْبِ مِنْ فِي السِّقَاءِ » . . أخرجه البخاري[1] .

والنهي عن الشرب من فم السقاء ؛ لئلا ينتنه ، ولأن ذلك يغير رائحة الماء أو القربة فتعاف النفوس الشرب منه .

ويجوز في حال الضرورة الشرب من في القربة المعلقة .

عن أم ثابت كبشة بنت ثابت رضي الله عنها قالت : « دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللهﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَقَةٍ قائِماً فَقُمْتُ إِلى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ » . . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ صحيح[2] .

- **ما جاء من النهي عن الشرب من ثلمة القدح :**

عَنْ أَبِيُ سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رضي الله عنه أنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الشُّربِ من ثُلْمةِ القدَحِ ، وأن يُنفَخَ في الشَّرابِ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ حسن[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نهى ﷺ أن يشرب مِنْ كَسْرِ الْقَدَحِ » . . أخرجه الطبراني في الأوسط بسندٍ صحيح[4] .

وإنما نُهي عن الشرب من ثلمة القدح ؛ لأنه إذا شرب منها تصبب الماء وسال قطره على وجهه وثوبه .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٢٩).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٨٩٢) ، وابن ماجة برقم: (٣٤٢٣).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١١٧٧٧) ، وأبو داود برقم: (٣٧٢٢).

(٤) صحيح/ أخرجه الطبراني برقم: (٦٨٣٣).

وموضع الثلمة من القدح غالبًا لا يناله التنظيف التام إذا غُسل الإناء والله أعلم .

- **ما جاء من النهي عن الشرب قائمًا :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ : « عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا » . أخرجه مسلم[1].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ : « لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا ، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً يَشْرَبُ قَائِمًا فَقَالَ لَهُ : « قِه » ، قَالَ : لِمَهْ ؟ قَالَ :« أَيَسُرُّكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الْهِرُّ ؟ » . ، قَالَ : لاَ . قَالَ :« فَإِنَّهُ قَدْ شَرِبَ مَعَكَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، الشَّيْطَانُ » . أخرجه أحمد والدارمي بسندٍ صحيح[4].

ويجوز الشرب قائمًا لعذرٍ أو حاجة ، وقد ثبت أن النبي ﷺ شرب من ماء زمزم قائمًا ، فيجوز الشرب قائمًا لعذر ، كضيق المكان أو كون القربة معلقة ونحو ذلك من الأعذار .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٣/ ٢٠٢٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٤/ ٢٠٢٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٦/ ٢٠٢٦).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٧٩٩٠) ، والدارمي برقم: (٢١٢٨).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٥٢-خزائن المناهي الشرعية

القسم الثالث

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٥٢-خزائن المناهي الشرعية

١- الخزانة الأولى

مناهي الأطعمة والأشربة

• **ما جاء في تحريم الخمر ، وبيان عقوبة شاربها :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الآخِرَة » . . متفقٌ عليه[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ ؛ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ ، وَجَيْشَانُ مِنْ الْيَمَنِ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنْ الذُّرَةِ يُقَالُ لَهُ المِزْرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوَ مُسْكِرٌ هُوَ ، قَالَ : نَعَمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٧٥)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٦/ ٢٠٠٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٣/ ٢٠٠٣).

الْخَبَالِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ » . . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . . متفقٌ عليه[2] .

- **ما جاء في أنواع الخمر المحرمة :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سُئِلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنِ الْبِتْعِ وَهْوَ نَبِيذُ الْعَسَلِ ، وَكَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَشْرَبُونَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهْوَ حَرَامٌ » . . متفقٌ عليه[3] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ الْعِنَبِ وَالتَّمْرِ وَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْعَسَلِ وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ » . . متفقٌ عليه[4] .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : « لمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لهُمَا : يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا ، قَالَ أَبُو مُوسَى : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّا بِأَرْضٍ يُصْنَعُ فِيهَا شَرَابٌ مِنْ الْعَسَلِ يُقَالُ لَهُ الْبِتْعُ ، وَشَرَابٌ مِنْ الشَّعِيرِ يُقَالُ لَهُ المِزْرُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » . . متفقٌ عليه[5] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٢/ ٢٠٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٧٨)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٥٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٨٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٧/ ٢٠٠١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٨٨)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٣٢/ ٣٠٣٢).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٢٤)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧/ ١٧٣٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الْخَمْرُ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ النَّخْلَةِ وَالْعِنَبَةِ » . . أخرجه مسلم[1] .

الخمر كل ما خامر العقل وأذهبه ، وهو المسكر من أي مادة ، فإن الإسكار علة تحريم الخمر .

وتخصيص هذه الأنواع بالذكر ، لكونها معهودةً في ذلك الزمان ، وعلى هذا فكل ما خامر العقل وأذهبه فهو مسكر ، وكل مسكرٍ حرام .

- **ما جاء في تحريم قليل ما أسكر كثيره :**

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلّ مُسْكِرٍ حَرامٌ ، وَمَا أَسْكَرَ مِنْهُ الْفَرْقُ فَمِلءُ الكَفّ مِنْهُ حَرامٌ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[3] .

- **ما جاء في تحريم تسمية الخمر بغير اسمها :**

عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ وَ يَأْتِيهِمْ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا : ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمْ اللهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه البخاري موصولا وصورته معلقاً بصيغة الجزم[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣/ ١٩٨٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٨١)، والترمذي برقم: (١٨٦٥).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٨٧)، والترمذي برقم: (١٨٦٦).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً برقم: (٥٥٩٠).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ –وفي رواية يسمونها بغير اسمها » . . أخرجه أحمد وابن ماجة بسندٍ صحيح[1] .

- **ما جاء في تحريم انتباذ التمر والزبيب مخلوطين :**

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما : « أن النبي ﷺ نَهَى أَنْ يُخْلَطَ الزَّبِيبُ وَالتَّمْرُ ، وَالْبُسْرُ وَالتَّمْرُ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ : « أن النبي ﷺ نَهَى عَنِ التَّمْرِ وَالزَّبِيبِ أَنْ يُخْلَطَ بَيْنَهُمَا ، وَعَنِ التَّمْرِ وَالْبُسْرِ أَنْ يُخْلَطَ بَيْنَهُمَا » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن أبي قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لاَ تَنْتبِذُوا الزَّهْوَ وَالرُّطَبَ جَمِيعًا وَلاَ تَنْتبِذُوا الزَّبِيبَ وَالتَّمْرِ جَمِيعًا وَانْتبِذُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى حِدَتِهِ » . . متفقٌ عليه[4] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الزَّبِيبِ وَالتَّمْرِ ، وَالْبُسْرِ وَالتَّمْرِ ، وَقَالَ : يُنْبَذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى حِدَتِهِ » . . أخرجه البخاري[5] .

ويجوز شرب نبيذ التمر والعنب والزبيب والبسر إذا كان فردًا .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَرِبَ النَّبِيذَ مِنْكُمْ فَلْيَشْرَبْهُ زَبِيبًا فَرْدًا أَوْ تمَرًا فَرْدًا أَوْ بُسْرًا فَرْدًا » . . أخرجه مسلم[6] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٩٥١)، وابن ماجة برقم: (٤٠٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٥٦٠١ ، ومسلم برقم: (١٦/ ١٩٨٦)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٠/ ١٩٨٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٠٢)، ومسلم برقم: (٢٤/ ١٩٨٨)، واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٠١).

(٦) أخرجه مسلم برقم: (٢٢/ ١٩٨٧).

- **ما جاء في تحريم التداوي بالخمر :**

عَنْ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الجُعْفِيَّ ﷺ : « سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الخَبِيثِ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

- **ما جاء في تحريم التداوي بالمحرمات :**

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً ، فَتَدَاوَوْا وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ » .أخرجه أبو داود بسندٍ حسن[3] .

فلا يجوز للمسلم التداوي بالمحرمات ؛ لأن الله ﷻ إنما حرمها لخبثها وضررها .

وتحريمه على المسلمين حميةً لهم ، وصيانةً من الأمراض ، فلا يُناسب أن يُطلب به الشفاء من الأسقام وهو محرمٌ شرعًا .

والاستشفاء بالمحرمات من طعامٍ أو شرابٍ أو غيره لا ينفع ، لأن القلب لا يتلقاه بالقبول ، ولا يعتقد منفعته ولا بركته ، لأن الله ﷻ حرمه ، وأنفع الأشياء أبركها مما أحل الله من الطيبات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٢/ ١٩٨٤).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٧٠)، والترمذي برقم: (٢٠٤٥).

(٣) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٧٤).

• **ما جاء من النهي عن الكي :**

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ فِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ وَأَنْهَى أُمَّتِى عَنِ الْكَي » . أخرجه البخاري[1] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنْ كَانَ فِي شيءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِى شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أَوْ لَذْعَةٍ مِنْ نَارٍ ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِىَ » . . متفقٌ عليه[2] .

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنِ اكْتَوَى أَوِ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[3] .

ويكره الكي ، لمِا فيه من التعذيب بالنار ، ومنافاة كمال التوكل ؛ ولذلك كان من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم لا يكتوون كما في الصحيحين .

آخر الدواء الكي ، فيُستعمل حيث لا ينفع الدواء المشروب .

• **ما جاء من النهي عن الغمز من العذرة :**

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ وَقَالَ : لَا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِالْغَمْزِ مِنْ الْعُذْرَةِ وَعَلَيْكُمْ بِالْقُسْطِ » . أخرجه البخاري[4] .

والغمز هو غمز اللهاة بالأصبع ، والعذرة وجع الحلق ، وهو ما يسمى سقوط اللهاة ، والقسط البحري هو العود الهندي ، وهو نوعان :

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨٣) ، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٢٠٥)، واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٢٤٦)، والترمذي برقم: (٢٠٥٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٩٦).

أحدهما : يستعمل في الأدوية وهو القِسط أو القَسط .

الثاني : يستعمل في الطيب وهو الألوة .

- **ما جاء في تغليظ الزجر من الفرار من الطاعون** :

عن أسامة بن زيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ ، فَلاَ تَخْرُجُوا ، فِرَارًا مِنْهُ ». متفقٌ عليه[1] .

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا ، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . . متفقٌ عليه[2] .

- **ما جاء من النهي عن سب الحمى** :

عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ فَقَالَ : مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ المُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ ؟ قَالَتِ : الحُمَّى ، لاَ بَارَكَ اللهُ فِيهَا ، فَقَالَ : لاَ تَسُبِّى الحُمَّى ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الْحُمَّى حَظُّ المُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». أخرجه الطيالسي .[4] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ » . متفقٌ عليه[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٧٣)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٢/ ٢٢١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٢٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٢/ ٢٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٣/ ٢٥٧٥).

(٤) أخرجه الطيالسي برقم: (٧٥٤٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٣)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٨/ ٢٢٠٩).

٢- الخزانة الثانية

مناهي اللباس

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن التعري :**

عن المِسْوَرِ بن مخْرَمَةَ قال : « أَقْبَلْتُ بِحَجَرٍ أَحمِلُهُ ثَقِيلٍ ، وَعَلَيَّ إِزَارٌ خَفِيفٌ ، قال : فَانْحَلَّ إِزَارِي وَمَعِيَ الحَجَرُ لم أَسْتَطِعْ أَنْ أَضَعَهُ حتى بَلَغْتُ بِهِ إلى مَوْضِعِهِ ، فقال رسول الله ﷺ : « ارْجِعْ إلى ثَوْبِكَ فَخُذْهُ ، ولا تمَشُوا عُرَاةً » . . أخرجه مسلم[١] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ : « لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلاَ تُفْضِي المَرْأَةُ إِلَى المَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ » . . أخرجه مسلم[٢] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ . وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ المَائِلَةِ . لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلَا يجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » . . أخرجه مسلم[٣] .

فيحرم التعري وكشف العورات ، أما الرجل فعورته ما بين السرة والركبة ، والمرأة كلها عورة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٨/ ٣٤١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٤/ ٣٣٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٢٥/ ٢١٢٨).

والعورة عورتان :

مخففة .. مغلظة .

فالمغلظة السوءتان ، والمخففة الفخذان .

- **ما جاء في تحريم التزوير في اللباس وغيره :**

عَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها : « أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّ لِي ضَرَّةً ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » . . متفقٌ عليه[1] .

فالمتزين بما ليس عنده من لباس أو قول أو علم أو غيره ، يتزين بالباطل ، ويضيف كذبًا على كذب .

ويدخل في هذا الرجل يلبس لباس الزُهاد أو العلماء أو المجاهدين مُوهم أنه منهم وليس كذلك .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن تشبه النساء بالرجال ، والرجال بالنساء :**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : « لَعَنَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » . . أخرجه البخاري[2] .

وعنه قال : « لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالمُتَرَجِّلَاتِ مِنْ النِّسَاءِ ، وَقَالَ : أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ ، قَالَ : فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فُلَانًا وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا » . . أخرجه البخاري[3] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ وَالمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢١٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢٧/ ٢١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٦).

• **ما جاء في تحريم نزع المرأة ملابسها في غير بيت زوجها :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « ما من امرأةٍ تخلعُ ثيابَهَا في غيرِ بيتِها إلا هَتَكَتْ ما بينها وبينَ اللهِ تعالى » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[٢] .

وَعَنْ أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها تَقُولُ : « خَرَجْتُ مِنَ الْحَمَّامِ فَلَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ ؟ قَالَتْ : مِنَ الْحَمَّامِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّهَاتِهَا ، إِلَّا وَهِيَ هَاتِكَةٌ كُلَّ سِتْرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّحْمَنِ » . . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[٣] .

• **ما جاء في تحريم لباس الحرير على الرجال ، وجلوسهم عليه :**

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لاَ يُلْبَسُ الحَرِيرُ فِى الدُّنْيَا إِلاَّ لَمْ يُلْبَسْ فِى الآخِرَةِ مِنْهُ » . . متفقٌ عليه[٤] .

وفي رواية : « إِنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ فِى الدُّنْيَا مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِى الآخِرَةِ » . . متفقٌ عليه[٥] .

وَعَنِ ابْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ : « كَانَ حُذَيْفَةُ بِالمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِمَاءٍ فِى إِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ وَقَالَ : إِنِّى لَمْ أَرْمِهِ إِلاَّ أَنِّى نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالحَرِيرُ وَالدِّيبَاجُ هِىَ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِى الآخِرَةِ » . . متفقٌ عليه[٦] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٩٨)، والنسائي برقم: (٩٢٠٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠١٠) ، والترمذي برقم: (٢٨٠٣).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٠٨٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٣٠)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢/ ٢٠٦٩).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦/ ٢٠٦٨).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٢)، واللفظ له: ومسلم برقم: (٤/ ٢٠٦٧).

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ أنه قَالَ : « أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرُّوجُ حَرِيرٍ فَلَبِسَهُ فَصَلَّى فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَزَعَهُ نَزْعًا شَدِيدًا كَالْكَارِهِ لَهُ وَقَالَ : لَا يَنْبَغِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ » . . متفقٌ عليه[1] .

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺقَالَ : « أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ ، أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ ، وَرَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ ، وَالْحَرِيرِ ، وَالدِّيبَاجِ ، وَالْقَسِّيِّ ، وَالْإِسْتَبْرَقِ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : « نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ ». أخرجه البخاري[3] .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : « أَنَّ عُمَرَ ﷺ رَأَى حُلَّةَ سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا للناس يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لا خَلاقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ ، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللهَّ ﷺ مِنْهَا حُلَلٌ فَأَعْطَى عُمَرَ حُلَّةً ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهَّ كَسَوْتَنِيهَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا » . متفقٌ عليه[4].

ويجوز لبس الحرير لمن كانت به علةً يخففها لبس الحرير فقد « رَخَّصَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحَكَّةٍ بِهِمَا ». متفقٌ عليه[5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٥)، واللفظ له: ومسلم برقم: (٢٣/ ٢٠٧٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢٣٩)، واللفظ له: ومسلم برقم: (٣/ ٢٠٦٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٣٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٨٦)، واللفظ له: ومسلم برقم: (٦/ ٢٠٦٨).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٣٩)، واللفظ له: ومسلم برقم: (٢٤/ ٢٠٧٦).

• **ما جاء في تحريم لبس اللون الأحمر الخالص للرجال :**

عَنْ عَلِيٍّ ﷺقَالَ : « نُهِيَ رسول الله ﷺ عَنْ مَيَاثِرِ الْأُرْجُوَانِ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[1] .

والأرجوان هو الأحمر الخالص ، فيحرم لبس الثوب الأحمر الخالص على الرجال ، وكذلك يحرم لبس الثوب المفدم وهو المشبع بحمرة .

• **ما جاء في تغليظ الزجر عن الإسبال :**

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِﷺ : إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ : « لَا يَنْظُرُ اللهُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا » . . متفقٌ عليه[3] .

وعنه أيضًا قال : قال النبي ﷺ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ الله بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . . متفقٌ عليه[4] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : « مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ » . . أخرجه البخاري[5] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٥٠)، والنسائي برقم: (٩٤٣٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٦٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٢/ ٢٠٨٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٨٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٨/ ٢٠٨٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٨٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٠٨٨).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٧٨٧).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : « مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهَّ ارْفَعْ إِزَارَكَ فَرَفَعْتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : زِدْ فَزِدْتُ فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالَ : أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ » . . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ » . . أخرجه مسلم[2] .

والإسبال ليس في الإزار فقط، وإنما في القميص فلا يتعدى الرسغ ، والعمامة فلا يطيل ذؤبتها حتى تصل إلى إليتيه .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[3] .

وتحريم الإسبال خاصٌ بالرجال دون النساء ، فالمرأة تجر ذيلها شبرًا أو ذراعًا ولا تزد .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : قال رَسُولَ اللهَّ ﷺ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ ؟ قَالَ : يُرْخِينَ شِبْرًا ، فَقَالَتْ : إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ ؟ قَالَ : فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٧/ ٢٠٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٩٤)، والنسائي برقم: (٥٣٣٤).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١١٩)، والترمذي برقم: (١٧٣١).

• **ما جاء من النهي عن اشتمال الصماء والاحتباء :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : « نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ لِبْسَتَيْنِ أَنْ يحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ بِالثَّوْبِ الْوَاحِدِ عَلَى أَحَدِ شِقَّيْهِ ، وعَنْ المُلَامَسَةِ وَالمُنَابَذَةِ » . . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ اشْتِمَالِ الصَّمَّاءِ وَ أَنْ يحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ » . . متفقٌ عليه[2] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ بِشِمَالِهِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ ، وَأَنْ يحْتَبِيَ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ كَاشِفًا عَنْ فَرْجِهِ » . . أخرجه مسلم[3] .

• **ما جاء في تحريم افتراش جلود النمار والسباع وركوبها :**

عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلَا النِّمَارَ » . . أخرجه أبو داود وابن ماجة بسندٍ صحيح[4] .

وَعَنْ أَبِي المُلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[5] .

وفي رواية : « نَهَى عن جُلُودِ السّبَاعِ أنْ تُفْتَرَشَ » . أخرجه الترمذي[6] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٢١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٢٢)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٢/ ٢٠٩٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٢٠٩٩).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١٢٩) ، وابن ماجة برقم: (٣٦٥٦).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١٣٢)، والنسائي برقم: (٤٢٥٣).

(٦) أخرجه الترمذي برقم: (١٧٧٠).

• **ما جاء في كراهة ما زاد عن الحاجة من الفراش واللباس :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال له : « فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ ، وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ » . . أخرجه مسلم[1] .

• **ما جاء من النهي عن ستر الجدران :**

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، قال : سمعت رسول اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : « لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تمَاثِيلُ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا يخْبِرُني ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تمَاثِيلُ ، فَهَلْ سَمِعْتِ رَسُولَ ﷺ ذَكَرَ ذَلِكَ ؟ ، فَقَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ مَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ ، رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِي غَزَاتِهِ ، فَأَخَذْتُ نَمَطًا ، فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ ، فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ ، فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ ، وَقَالَ : إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الحِجَارَةَ وَالطِّينَ ، قَالَتْ : فَقَطَعْنَا مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ ، وَحَشَوْتُهُمَا لِيفًا فَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ » . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء في تحريم اتخاذ الصور في البيوت :**

عن أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه قال : قال النَّبِيَّ ﷺ : « لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَصَاوِيرُ » . . متفقٌ عليه[3] .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : « وَعَدَ جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقِيَهُ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا وَجَدَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ » . . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤١/ ٢٠٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١٠٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٤٩)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٨٣/ ٢١٠٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : « لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ تمَاثِيلُ وَلاَ تَصَاوِيرُ » . . أخرجه مسلم[٢] .

- **ما جاء من النهي عن التزعفر والمعصفر للرجال :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : « نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ » . . متفقٌ عليه[٣] .

والتزعفر هو طيبٌ يُتخذ من الزعفران وغيره ، وحرم ذلك على الرجال سواءً كان في الثوب أو البدن ؛ لأن ذلك من طيب النساء وزينتهن .

وعَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: « رَأَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا ».أخرجه مسلم [٤].

وفي رواية : « أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا قُلْتُ : أَغْسِلُهُمَا ، قَالَ : بَلْ أَحْرِقْهُمَا » . . أخرجه مسلم[٥] .

- **ما جاء من النهي عن الترجل كل يوم :**

عن عَبْدِ الله بنِ مُغَفّلٍ ﷺ قالَ : « نَهَى رسولُ الله ﷺ عن التّرَجّلِ إلاّ غِبّا » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[٦] .

والترجل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه ، والغب يومًا بعد يوم .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ شَقِيقٍ ، قَالَ : « كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَامِلًا بِمِصْرَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَإِذَا هُوَ شَعِثُ الرَّأْسِ مُشْعَانٌّ ، قَالَ : مَا لِي أَرَاكَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢/ ٢١١٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٨٤٦)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢١٠١).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ٢٠٧٧).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٨/ ٢٠٧٧).

(٦) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١٥٩)، والترمذي برقم:١٧٥٦).

مُشْعَانًّا وَأَنْتَ أَمِيرٌ ، قَالَ : كَانَ نَبِيُّ اللهَّ ﷺ يَنْهَانَا عَنِ الإِرْفَاهِ . قُلْنَا : وَمَا الإِرْفَاهُ قَالَ التَّرَجُّلُ كُلَّ يَوْمٍ » . . أخرجه النسائي بسندٍ صحيح[1] .

فتُكره المداومة على الترجل ، والإفراط في التنعم من التدهين والتسريح ؛ لأنه من عادة المترفين ، وليس معناه ترك الطهارة والنظافة فإن النظافة من الدين ، وإنما المراد كراهة المداومة عليه والاشتغال به .

• ما جاء في تغليظ تحريم تغيير خلق الله بالوصل والنمص، والوشم والوشر:

قال الله تعالى عن الشيطان : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء:١١٧- ١١٩] .

وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنها : « أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فقالتْ : إِنِّي أَنْكَحْتُ ابْنَتِي ، ثُمَّ أَصَابَهَا شَكْوَى ، فَتَمَرَّقَ رَأْسُهَا ، وَزَوْجُهَا يَسْتَحِثُّنِي بِهَا ، أَفَأَصِلُ رَأْسَهَا ؟ فَسَبَّ رَسُولُ الله ﷺ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ » . . متفقٌ عليه[2] .

وعَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما : « إن رَسُولُ اللهَّ ﷺ لَعَنَ الْوَاصِلَةُ وَالمُسْتَوْصِلَةُ وَالْوَاشِمَةُ وَالمُسْتَوْشِمَةُ » . . متفقٌ عليه[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٩٢٦٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٣٥)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢١٢٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٤٧)، ومسلم برقم: (١١٩/ ٢١٢٤)، واللفظ له.

وعن عَبْدِ اللهَّ بن مسعود ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللهَّ الْوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهَّ تعالى مَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهَّ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] . » . . متفقٌ عليه[1] .

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : « أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ ﷺ عَامَ حَجَّ ، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ ، وَهُوَ يَقُولُ ، وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ كَانَتْ بِيَدِ حَرَسِيٍّ فَقَال يَا أَهْلَ المُدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ » . . متفقٌ عليه[2] .

فيحرم وصل الشعر ، ومن ذلك ما يُسمى بالباروكة ، ويحرم الوشم وهو غرز الإبرة أو المسلة أو نحوها في ظهر الكف أو المعصم أو الشفاه أو غير ذلك من بدن المرأة ، حتى يسيل الدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النيل فيخضر .

ويحرم النمص ، وهو إزالة الشعر ونتفه من الجسد مطلقًا إلا ما استثني بدليل كالإبط والعانة ، ولا يختص بالحاجب والوجه .

ويحرم التفلج أو الوشر وهو فرجةٌ بين الثنايا والرباعيات ، والمراد أن يفرج بين الأسنان المتلاصقة بالمبرد ونحوه .

والمعين على الحرام يشارك فاعله في الإثم؛ ولذلك استحق الفاعل والمفعول به اللعن وهما سواءٌ في الوزر، وعلة تحريم ذلك هو تغيير خلق الله ، وهو من أمر الشيطان ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾[النساء: ١١٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨٨٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢٠/ ٢١٢٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦٨)، ومسلم برقم: (١٢٢/ ٢١٢٧)، واللفظ له.

• **ما جاء في النهي عن القزع :**

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ نهَى عَنْ الْقَزَعِ » . متفقٌ عليه[1] .

والقزع حلق بعض الرأس، وترك بعضه ، والسُنَّة حلق الرأس كله أو تركه كله .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : « رَأَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضَ شَعَرِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : احْلِقُوا كُلَّهُ أَوْ اتْرُكُوا كُلَّهُ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[2] .

• **ما جاء في تحريم الوسم في الوجه :**

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال : « نَهَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ » . . أخرجه مسلم[3] .

وَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : لَعَنَ اللهَّ الَّذِي وَسَمَهُ » . . أخرجه مسلم[4] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : « رأى رسولُ الله ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الوَجْهِ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : والله لاَ أَسِمُهُ إِلا أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الوَجْهِ وأمَرَ بِحِمَارِهِ فَكُوِيَ في جَاعِرَتَيْهِ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَى الجَاعِرَتَيْنِ » . أخرجه مسلم[5] .

فيحرم وسم الوجه سواءً كان في الآدمي أم غير الآدمي ، وهو من الكبائر ؛ لأن فاعله استحق اللعن .

والجاعرتان : حرفا الورك .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٢١)،واللفظ له ، ومسلم برقم:١١٣/ ٢١٢٠.

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١٩٥) ، والنسائي برقم:٥٠٤٨.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ٢١١٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧/ ٢١١٧).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (١٠٨/ ٢١١٨).

• **ما جاء في تحريم نتف الشيب :**

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : « لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ حسن[1] .

فيحرم نتف الشيب من الرأس أو اللحية أو الشارب وغيرها .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : « يُكْرَهُ أَنْ يَنْتِفَ الرَّجُلُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلِحْيَتِهِ » . . أخرجه مسلم[2] .

• **ما جاء من الزجر عن إعفاء الشارب :**

عن زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنّا » . . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح[3] .

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : « وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَنَتْفِ الْإِبِطِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » . . أخرجه مسلم[4] .

• **ما جاء في كراهية كثرة الشعر :**

عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رضي الله عنه قَالَ : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَلِي شَعْرٌ طَوِيلٌ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ ﷺ قَالَ : ذُبَابٌ ذُبَابٌ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ فَجَزَزْتُهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ وَهَذَا أَحْسَنُ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[5] .

---

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٠٢) ، والترمذي برقم: (٣٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٤/ ٢٣٤١).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٦١) ، والنسائي برقم: (١٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥١/ ٢٥٨).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤١٩٠)، والنسائي برقم: (٥٠٥٢).

فيُكره تطويل الشعر؛ لأن الشعر إذا بلغ المنكبين فهو الجمة ، فإذا طال الأذن ولم يبلغ الكتفين فهو اللمة ، وإذا وصل شحمة الأذنين فهو الوفرة ، وكان شعر رسول الله ﷺ لمة بين أذنيه ومنكبيه دون الجمة وفوق الوفرة .

وهذا في حق الرجال أما النساء فإنهن يرسلن شعورهن ولا يتخذن جمة .

- **ما جاء في تحريم عقد اللحية :**

عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَا رُوَيْفِعُ بْنَ ثَابِتٍ ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولَ بِكَ بَعْدِي فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا ، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ ، أَوْ عَظْمٍ ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُ بَرِيءٌ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1] .

- **ما جاء في تحريم لبس الذهب على الرجال :**

عَنِ ابْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ : « كَانَ حُذَيْفَةُ بِالمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِمَاءٍ فِى إِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ وَقَالَ : إِنِّى لَمْ أَرْمِهِ إِلاَّ أَنِّى نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالحَرِيرُ وَالدِّيبَاجُ هِىَ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِى الآخِرَةِ » . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى خَاتمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ ، وَقَالَ : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : خُذْ خَاتمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَالَ : وَاللهِ لا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ » . . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦٩٩٥) ، وأبو داود برقم: (٣٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٣٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤/ ٢٠٦٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٢/ ٢٠٩٠).

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ : « أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نهَى عَنْ لُبْسِ الْقَسِّيِّ وَالمُعَصْفَرِ وَعَنْ تخَتُّمِ الذَّهَبِ وَعَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ » . أخرجه مسلم[1].

وعَنْ سَالِمِ بنِ أبِي الجَعْد ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَشْجَعَ قَالَ : « رأى رسول الله ﷺ عَلَيَّ خَاتمًا مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَطْرَحَهُ ، فَطَرَحْتُهُ إِلَى يَوْمِي هَذَا » . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[2] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٧٨/٢٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٢٩٠).

٣- الخزانة الثالثة

رسائل الآداب

- **ما جاء في تغليظ تحريم قطيعة الرحم والبغي :**

قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد:٢٢-٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥] .

وَعَنْ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ » . . متفقٌ عليه[١] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعم أَما تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ وَأَصِلُ مَنْ وَصَلَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد:٢٢] . » . . متفقٌ عليه[٢] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الرَّحِمُ شِجْنَةٌ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ » . . متفقٌ عليه[٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٤)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٨/ ٢٥٥٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٧)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٦/ ٢٥٥٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٩)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٥٥٥).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تعالى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح(١) .

والبغي يصرع أهله كما قال : سبحانه : ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس:٢٣] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم عقوق الوالدين :**

أول أمرٍ أمر الله به بعد عبادته هو الإحسان إلى الوالدين .

قال الله سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

وعن المُغيرةِ بنِ شُعبةَ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ . وَكَرِهَ لَكُمْ : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » . . مُتَّفَقٌ عليهِ(٢) .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ : لا يَسْكُتُ » . . متفقٌ عليه(٣) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٠٢) ، والترمذي برقم: (٢٥١١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٠٨)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٢/ ٥٩٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:« رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ» .أخرجه مسلم[1].

- **ما جاء من الزجر عن السب :**

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا ، قَال : فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلا عَبْدًا ، وَلا بَعِيرًا وَلا شَاةً ، وَقَال : وَلَا تحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَإِنْ تكلم أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ أَنْ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المُخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يحُبُّ المُخِيلَةَ ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ ، فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ » . .

أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ » . . متفقٌ عليه[3] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « المُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ ، مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومُ » . . أخرجه مسلم[4] .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن سب الرجل والديه :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩/ ٢٥٥١).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٨٤) ، والترمذي برقم: (٢٧٢١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٤)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١٦/ ٦٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦٨/ ٢٥٨٧).

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤] .

وعَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهَّ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبَّ أُمَّهُ » . متفقٌ عليه[١].

- **ما جاء في بئس مطية الرجل زعموا :**

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أو حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « بِئْسَ مَطِيَة الرَّجُل زَعَمُوا ». أخرجه أبو داود[٢] .

- **ما جاء من الزجر عن قول من يقول : هلك الناس :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ » أخرجه أحمد. [٣] .

وفي رواية : « فَهُوَ مِنْ أَهْلَكَهُمْ » . أخرجه مسلم[٤] .

- **ما جاء من الزجر عن قول خبثت نفسي :**

عن عائشة رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسي ، وَلكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسي » . . متفقٌ عليه[٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٣)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤٦/ ٩٠).

(٢) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٧٢).

(٣)صحيح / أخرجه أحمد برقم: (١٠٠٠٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٣٩/ ٢٦٢٣).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٧٩)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٦/ ٢٢٥٠).

• **ما جاء في تحريم قول ملك الملوك :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ » .متفقٌ عليه[1] .

فمن سمى نفسه ، أو سماه غيره بهذا الاسم ، كان من أذل الناس وأصغرهم وأحقرهم شأنًا عند الله ﷻ .

• **ما جاء من النهي عن مخاطبة الفاسق والمنافق ونحوهما بسيد :**

عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[2] .

• **ما جاء من النهي عن تسمية العنب كرماً :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَيَقُولُونَ الكَرْمُ ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ » . . متفقٌ عليه[3] .

وعَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال : « لا تَقُولُوا : الكَرْمُ ، وَلكِنْ قُولُوا : العِنَبُ والحَبَلَةُ » . . أخرجه مسلم[4] .

• **ما جاء من الزجر عن داء الأمم التدابر والتحاسد ، والتقاطع والتباغض والتجسس :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٠٥)، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢١٤٣)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢٩٨٩)، وأبو داود برقم: (٤٩٧٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٨٣)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠/ ٢٢٤٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (١٢/ ٢٢٤٨).

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ ». أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ حسن[1] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تحَسَّسُوا وَلَا تجَسَّسُوا وَلَا تحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إِخْوَانًا » . . متفقٌ عليه[2] .

وعن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهَّ إِخْوَانًا ، وَلَا يحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثة أيام » . . متفقٌ عليه[3] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا » . . أخرجه مسلم[4] .

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لا يحِلُّ لمُسْلِمٍ أَنْ يهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ » . . متفقٌ عليه[5] .

---

(١) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (١٤١٢)، والترمذي برقم: (٢٥١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٤)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٨/ ٢٥٦٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٥)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٢٤/ ٢٥٥٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٣٥/ ٢٥٦٥).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٦٢٣٧ ، ومسلم برقم: (٢٥/ ٢٥٦٠)، واللفظ له.

• **ما جاء في تحريم الفحش ، وبذاءة اللسان ، والسخرية ونحو ذلك :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: ١١] .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح(١) .

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ » . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ صحيح(٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْ يَاعَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ » . . أخرجه مسلم(٣) .

• **ما جاء من النهي عن الغضب :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : « أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوصِنِيْ ، قَال : لاَ تَغْضَبْ ، فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ : لاَ تَغْضَبْ » . . أخرجه البخاري(٤) .

ومن غضب فعليه أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٣٨٣٩)، والترمذي برقم: (١٩٧٧).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩٧٤) ، وابن ماجة برقم: (٤١٨٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٦١١٦).

قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾[الأعراف:٢٠٠] .

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ ﷺ قَالَ : « كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لو قَالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ » . . متفقٌ عليه[1] .

- **ما جاء من النهي عن الضحك من الضراط :**

عَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَمْعَة ﷺ: « أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ ﴾ [الشمس:١٢] . انْبَعَثَ لهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ، وَذَكَرَ النِّسَاءَ، فَقَالَ : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ، فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقَالَ: لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ » .متفقٌ عليه[2] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ يَأْخُذُ عَنّي هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِن أو يُعَلّمُ مَنْ يعْمَلُ بِهِنّ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فقُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ الله ، فَأَخَذَ بِيَدِي فعَدّ خَمْسًا ، فَقَالَ: اتّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النّاسِ، وَارْضَ بِما قَسَمَ الله لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبّ لِلنّاسِ ما تحُبّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلاَ تُكْثِرِ الضّحِكَ فَإِنّ كَثْرَةَ الضّحِكِ تمُيتُ القَلْبَ » . . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ صحيح[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٨٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٩/ ٢٦١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٤٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٨٥٥).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٠٥)، وابن ماجة برقم: (٤٢١٧).

وكان النبي ﷺ في معظم أحواله لا يزيد على التبسم ، وربما زاد على ذلك فضحك ، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار من الضحك ، أو الإفراط فيه ؛ لأنه يُذهب الوقار .

- **ما جاء من الزجر عن هجاء المرء القبيلة :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِرْيَةً لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا ، وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَزَنَّى أُمَّهُ » . .

أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجة بسندٍ صحيح[1] .

- **ما جاء من الزجر عن التمادح :**

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : « أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا محَالَةَ ، فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : « سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ ، وَيُطْرِيهِ فِي مِدْحَةٍ ، فَقَالَ: أَهْلَكْتُمْ وَقَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ ». متفقٌ عليه[3].

وَعَنِ المِقْدَادِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ المُدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٨٧٤)، وابن ماجة برقم: (٣٧٦١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦١)، ومسلم برقم: (٦٥/ ٣٠٠٠)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٦٣)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٧/ ٣٠٠١).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٣٠٠٢).

• **ما جاء في تغليظ الزجر عن الكذب :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وعن عَبْدِ اللهَّ بن مسعود ﷺ عَنْ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حتى يكتب عن الله صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهَّ كَذَّابًا » . . متفقٌ عليه[1] .

وَعَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُب ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : « رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ أتياني ، قَالا : الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ ، فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ ، تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٤)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٣/ ٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٠٦/ ٥٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٩٦).

والكذب وإن كان أصله محرمًا فإنه يحوز في بعض الأحوال ، فإن الكلام وسيلة للمقاصد فكل مقصودٍ محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب فإذا اختفى مسلمٌ من ظالمٍ يريد أن يقتله أو أخذ ماله وجب الكذب بإخفائه .

وَعَنْ أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رَسُولُ اللهَّ ﷺ يقول : « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فيُنمِي خَيْرًا أو يَقُولُ وَيَنْمِي خَيْرًا » . . متفقٌ عليه[1] .

وزاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : « وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الحَرْبُ ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا » . . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٢)، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢٦٠٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠١/ ٢٦٠٥).

٤ - الخزانة الرابعة

مناهي الآداب الشرعية

- **ما جاء في تحريم النميمية :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القلم:١٠-١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ [الهمزة: ١]

وَعَنْ هَمَّامٍ قَالَ : « كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ » . متفقٌ عليه[1] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : « مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، بَلَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال : « إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ : أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » . . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم الغيبة :**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٦٩/ ١٠٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٦)، واللفظ له ، ومسلم برقم: (١١/ ٢٩٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٢/ ٢٦٠٦).

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، قِيلَ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ » . . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قُلْتُ لِلنَّبِي ﷺ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ ، كَذَا وَكَذَا ، - تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ : لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لمزَجَتْهُ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[3] .

وعن أنسٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لمَّا عُرِجَ بي ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لهُمْ أَظَافِرُ مِنْ نُحَاسٍ يخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[4] .

والغيبة كما تحرم على المُغتاب كذلك يحرم على السامع استماعها وإقرارها ، وعليه ردها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٠/ ٢٥٨٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٤١)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤٧/ ١٢١٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٧٥)، والترمذي برقم: (٢٥٠٢).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٣٣٦٤)، وأبو داود برقم: (٤٨٧٨).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

- **ما جاء في ذم ذي الوجهين :**

قال الله تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[النساء: ١٠٨] .

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ ، و يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : « قَالَ أُنَاسٌ لابْنِ عُمَرَ : إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا ، فَنَقُولُ لَهُمْ خِلافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ ! قَالَ : كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا » . . أخرجه البخاري[3] .

- **ما جاء من الزجر في أن يجلس الإنسان بين الظل والشمس :**

عن رجلٍ من أصحاب النَّبِيُّ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يجْلَسَ بَيْنَ الضِّحِّ وَالظِّلِّ وَقَالَ : مجْلِسُ الشَّيْطَانِ » . . أخرجه أحمد بسندٍ صحيح[4] .

وعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُقْعَدَ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ » . . أخرجه ابن ماجة بإسنادٍ حسن[5] .

- **ما جاء من الزجر عن النوم على سطحٍ ليس له سترة :**

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٧٥٨٣)، والترمذي برقم: (١٩٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٣٤٩٤،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٨/ ٢٥٢٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٧١٧٨).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٤٢١).

(٥) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٣٧٢٢).

عن رجلٍ من أصحاب النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ بَاتَ فَوْقَ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ إِجَّارٌ فَوَقَعَ فَمَاتَ ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ ، وَمَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ عِنْدَ ارْتِجَاجِهِ فَمَاتَ ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ ». أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد بسندٍ صحيح[1].

- **ما جاء من النهي عن صدور المجالس :**

عَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « اتقوا هذه المَذَابِحَ ، يَعْنِي المَحَارِيبَ » . . أخرجه البيهقي بسندٍ حسن[2] .

والمحاريب هي صدور المجالس .

- **ما جاء من النهي عن سب الديك :**

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ : « لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ » . . أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح[3] .

- **ما جاء من الزجر عن سب الريح :**

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ : « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي بسندٍ صحيح[4] .

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (١١٩٢)، وأحمد برقم: (٢٠٧٤٨).

(٢) حسن/ أخرجه البيهقي برقم: (٤١٠٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥١٠١).

(٤) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (١٠٦) ، والترمذي برقم: (٢٢٥٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهَّ ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلا تَسُبُّوهَا ، وَسَلُوا اللهَّ مِنْ خَيْرِهَا ، وَاسْتَعِيذُوا بالله مِنْ شَرِّهَا » ..أخرجه أبو داود وابن ماجة بسندٍ صحيح[1] .

وعن ابْن عَبَّاسٍ ﷺ : « أَنَّ رَجُلا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعَنَهَا فَقَالَ : لاَ تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ » . . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[2] .

فلا يجوز لأحدٍ أن يسب الرياح ، فإنه خلقٌ لله تعالى مطيع ، وجندٌ من جنوده ، يجعلها رحمة ونقمةً إذا شاء .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا عَصِفَتِ الرِّيح قالَ : اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وخَيْر ما أُرسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بك مِنْ شَرِّهِا ، وَشَرِّ ما فِيها ، وَشَرِّ ما أُرسِلَت بِهِ » . . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء من النهي عن سب الشيطان :**

عَنْ أَبِي المُلِيحِ ، عَنْ رَجُلٍ قَالَ : « كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ ، فَقُلْتُ : تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فَقَالَ : لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ ، وَيَقُولُ : بِقُوَّتِي ، وَلَكِنْ قُلْ : بِسْمِ اللهَّ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح[4] .

ويذهب كيد الشيطان بقولك بسم الله أو الاستعاذة بالله من شره .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٠٩٧)، وابن ماجة برقم: (٣٧٢٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٠٨) ، والترمذي برقم: (١٩٧٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٥/ ٨٩٩).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٨٢)، والنسائي برقم: (١٧٠٥٥).

كما قال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

- **ما جاء من الزجر عن احتقار المعروف :**

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : « قَالَ لِي النَّبِيِّ ﷺ لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِق » . . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ » . . متفقٌ عليه[2] .

- **ما جاء في تحريم لعب النرد :**

عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيب ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ » . . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء من الزجر عن تزكية النفس :**

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠ ﴾ [النساء:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢ ﴾ [النجم:٣٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : « أَنَّ زَيْنَبَ كَانَ اسْمُهَا بَرَّةَ ، فَقِيلَ : تُزَكِّي نَفْسَهَا ، فَسَمَّاهَا رَسُولُ ﷺ زَيْنَبَ » . . متفقٌ عليه[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤٤/ ٢٦٢٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٧)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٩٠/ ١٠٣٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠/ ٢٢٦٠).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٩٢)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٧/ ٢١٤١).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ : « سَمَّيْتُ ابْنَتِي بَرَّةَ ، فَقَالَتْ لِي زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ ، وَسُمِّيتُ بَرَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ فَقَالُوا : بِمَ نُسَمِّيهَا ؟ قَالَ : سَمُّوهَا زَيْنَبَ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من تغليظ عقوبة من خالف قوله فعله :**

قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[البقرة:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود:٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الصف:٢-٣] .

وعن أسامة ﷺ أنه سَمِعْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْت تَأْمُرُنا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانا عَنْ المُنْكَرِ ؟ قَالَ كُنْت آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ المُنْكَرِ وَآتِيهِ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُّ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩/ ٢١٤٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٧)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٥١/ ٢٩٨٩).

يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن ترك التحدث بنعم الله :**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١]

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ الله شُكْرٌ ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ ، وَالجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ » . . أخرجه أحمد والبيهقي بسندٍ حسن[2] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ عَنْ النَّبِيَّ ﷺ : « مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » . . أخرجه أبو داود وأبو نعيم بإسنادٍ صحيح[3] .

- **ما جاء في الزجر عن سوء الجوار :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « وَاللهَّ لَا يُؤْمِنُ وَاللهَّ لَا يُؤْمِنُ وَاللهَّ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ » . متفقٌ عليه[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٠/ ٥٠).

(٢) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٤٤٩)، والبيهقي برقم: (٩١١٩).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨١٤)، وأبو نعيم برقم: (٣٠٠١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٦)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٣٤٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » . . متفقٌ عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّ جَارِ الْمُقَامِ ، فَإِنَّ جَارَ الْمُسَافِرِ إِذَا شَاءَ أَنْ يُزَايِلَ زَايَلَ » . . أخرجه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح[2] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « قِيلَ يَا رَسُولَ الله : إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ ، وَتَفْعَلُ ، وَتَصَّدَّقُ ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لاَ خَيْرَ فِيهَا ، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، قَالُوا : وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي المَكْتُوبَةَ ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ-وهي قطعٌ من الإقط- وَلاَ تُؤْذِي أَحَدًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : هِيَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد بسندٍ صحيح[3] .

ومن له جارٌ يؤذيه يحق له أن يشكوه ، ويجهر بمظلمته .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ جَارًا يُؤْذِينِي ، فَقَالَ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ ، فَانْطَلَقَ ، فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَالُوا : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : لِي جَارٌ يُؤْذِينِي ، فَذَكَرْتُ ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ ، فَبَلَغَهُ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ ، فَوَاللهِ لا أُؤْذِيكَ » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود بسندٍ حسن[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٧٥٤٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم:٨٥٣٤ ، والحاكم برقم: (١٩٥٢).

(٣) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (١١٩)، وأحمد برقم: (٩٦٧٣).

(٤) حسن/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (١٢٤)، وأبو داود برقم: (٥١٥٣).

• **ما جاء من النهي عن إرسال الفواشي والصبيان بعد المغرب :**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ : « لَا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ وَصِبْيَانَكُمْ إِذَا غَابَتْ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَتْ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ » . . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٨/ ٢٠١٣).

٥- الخزانة الخامسة

مناهي الآداب الشرعية

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن قتل الولد خشية أن يأكل معه :**

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[الإسراء:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام:١٥١] .

وعن عَبْدِ اللهَّ بن مسعود ﷺ قَالَ : « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ للهَّ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ قَالَ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ : أَنْ تُزَانيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ وَأَنْزَلَ اللهُّ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨] . » . . متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٤٧٧)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (١٤١/ ٨٦).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهَّ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهَّ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُّ فَهُوَ إِلَى اللهَّ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِك » . . أخرجه البخاري[1] .

- **باب لا يلدغ مؤمن من جحرٍ مرتين :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيَّ ﷺ أنه قَالَ : « لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ » . . متفقٌ عليه[2] .

وفي هذا تحذيرٌ من الغفلة وتنبيهٌ إلى استعمال الفطنة .

- **ما جاء من الزجر عن التنابز بالألقاب ومساوئ الأخلاق :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات:١١] .

وَعَنْ أَبُي جَبِيرَةَ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : « فِينَا نَزَلَتْ وَفِي بَنِي سَلِمَةَ ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾[الحجرات:١١] .قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ المَدِينَةَ وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ فَجَعَلَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُول يَا فُلَان ، فَيَقُولُونَ : يَا رَسُول اللهَّ ، إِنَّهُ يَغْضَب » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود بسندٍ صحيح[3] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٢١٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٣)،واللفظ له ، ومسلم برقم: (٦٣/ ٢٩٩٨).

(٣) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٣٣٠)، وأبو داود برقم: (٤٩٦٢).

- **ما جاء في كراهة التثاؤب :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيَّ ﷺ أنه قَالَ : « إِنَّ اللهَّ يحُبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَّ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِذَا قَالَ هَا ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ » . . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ : « إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء فيمن لا يُشمت إذا عطس :**

عَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَّ فَشَمِّتُوهُ ، فَإِذا لَمْ يحَمْدَ اللهَّ فَلَا تُشَمِّتُوهُ » . أخرجه مسلم[3] .

وعن أنسٍ ﷺ قال : « عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ : عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتهُ وَعطستُ فَلَم تُشَمتني ؟ فَقَالَ : هَذَا حمِدَ الله ، وإنَك لَمْ تحَمْدِ الله » . . متفقٌ عَلَيْهِ[4] .

وَعَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : « كَانَ الْيَهودُ يَتعَاطَسُونَ عِنْدَ النَبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقول لهَُمْ : يَرْحمَُكُمُ الله ، فيَقولُ : يَهْديكُمُ الله وُيصْلحُ بَالَكُمْ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ حسن[5] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٧/ ٢٩٩٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٥٤/ ٢٩٩٢).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٢٥)، ومسلم برقم: (٥٣/ ٢٩٩١)، واللفظ له.

(٥) حسن/ أخرجه أحمد برقم: (١٩٦٠١)، وأبو داود برقم: (٥٠٣٨).

فالمسلم لا يشمت في حالتين :

الأولى : إذا لم يحمد الله .

الثانية : إذا زاد عن ثلاث ، فإنه يكون مريضًا وليس ممن يشمت .

أما الكافر فلا يُشمت ، بل يُدعى له بالهداية ؛ وذلك لأنه أحوج ما يحتاج إليه الهداية ، وهي أعظم رحمةٍ من الله له .

- **ما جاء من النهي عن التسمية بالأسماء المكروهة :**

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ : « نَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيقَنَا بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ : أَفْلَحَ وَرَبَاحٍ وَيَسَارٍ وَنَافِعٍ » . . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ ﷺ : « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى الله أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ الله ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ، وَلاَ تُسَمِّيَنَّ غُلاَمَكَ يَسَارًا وَلاَ رَبَاحًا وَلاَ نَجِيحًا وَلاَ أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَثَمَّ هُوَ، فَلاَ يَكُونُ فَيَقُولُ: لاَ إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ، فَلاَ تَزِيدُنَّ عَلَيَّ » . أخرجه مسلم[2] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال : « أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَنْهَى عَنْ أَنْ يُسَمَّى بِيَعْلَى وَبِبَرَكَةَ وَبِأَفْلَحَ وَبِيَسَارٍ وَبِنَافِعٍ وَبِنَحْوِ ذَلِكَ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ سَكَتَ بَعْدُ عَنْهَا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَرَكَهُ » . . أخرجه مسلم[3] .

- **ما جاء من النهي عن التقعر في الكلام :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠/ ٢١٣٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٢/ ٢١٣٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٣/ ٢١٣٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٧/ ٢٦٧٠).

• **ما جاء في تغليظ تحريم الكِبر والعُجب والفخر :**

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾[الإسراء:٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[لقمان:١٨] .

وقال جل جلاله : ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[القصص:٧٦-٧٧] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يحُبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللهَّ جَمِيلٌ يحُبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » . . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « قَالَ اللهُ ﷻ : الْعِزُّ إِزَارِي ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ يُنَازِعَنِي عَذَّبْتُهُ » . . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » . . أخرجه مسلم[3] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٤٧/ ٩١).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٣٦/ ٢٦٢٠).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٧٢/ ١٠٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ فِي بُرْدَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ خَسَفَ اللهُّ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . . متفقٌ عليه[1] .

وعن حارثة بن وهبٍ ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَلا أُخْبِرُكُم بِأَهْلِ الجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهَّ لأَبَرَّهُ ، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ » . . متفقٌ عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « احْتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ فقالتِ النَّارُ : فيَّ الجبَّارُونَ والمُتكَبِّرُونَ وقالتِ الجَنَّةُ : فيَّ ضُعفَاءُ النَّاسِ ومسَاكِينُهُم، فَقَضَى اللهُّ بَيْنَهُما: إِنَّك الجنَّةُ رحمْتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذابِي أُعذِّب بِكِ مَنْ أَشَاءُ، ولِكِلَيكُمَا عَليَّ مِلؤُها » . أخرجه مسلم[3] .

عَنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عَمْرِو ﷺ عَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يحُشَرُ المتَكَبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجالِ يغشاهمُ الذُّلُّ من كلِّ مَكانٍ ، يُساقونَ إلى سجنٍ في جَهَنَّمَ يسمَّى بولُسَ تعلوهُم نارُ الأَنْيارِ يَسقونَ من عُصارةِ أَهْلِ النَّارِ طينةَ الخبالِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسندٍ حسن[4] .

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « إِنَّ اللهَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » . . أخرجه مسلم[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٨٥)، ومسلم برقم: (٥٠/ ٢٠٨٨) واللفظ له.

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩١٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٦/ ٢٨٥٣).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ٢٨٤٦).

(٤)حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٩٢)، وأخرجه وأبو داود برقم: (٣٦٨٠).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ٢٨٦٥).

• **ما جاء في تغليظ تحريم المجاهرة بالمعصية وإشاعة الفاحشة :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[النور:١٩] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنْ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ ، فَيَقُولَ : يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهَّ عَنْهُ » . . متفقٌ عليه[1] .

• **ما جاء فيما يُكره من الأسماء :**

عَنِ سَعِيد بْنِ المُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ : « أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : حَزْنٌ ، قَالَ : أَنْتَ سَهْلٌ قَالَ : لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِى قَالَ ابْنُ المُسَيَّبِ : فَمَا زَالَتِ الحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ » . . أخرجه البخاري[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ ، وَقَالَ : أَنْتِ جَمِيلَةُ » . . أخرجه مسلم[3] .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : « كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ اسْمُهَا بَرَّةُ ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ اسْمَهَا جُوَيْرِيَةَ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ خَرَجَ مِنْ عِنْدَ بَرَّةَ ». أخرجه مسلم[4].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٦٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٢/ ٢٩٩٠).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٦١٩٠).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ٢١٣٩).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ٢١٤٠).

وَعَنِ أُسَامَةَ بْنِ أَخْدَرِيٍّ ﷺ : « أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَصْرَمُ كَانَ فِي النَّفَرِ الَّذِينَ أتوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اسْمُكَ ؟ ، قَالَ : أَصْرَمُ ، قَالَ : بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ » . . أخرجه أبو داود بإسنادٍ صحيح(١) .

وَعَنِ أَبِي شُرَيْحٍ الحَارِثِيُّ ﷺ : « لمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكْنُونَهُ بِأَبِي الحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الحَكَمِ ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي ، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟ قَالَ: لِي شُرَيْحٌ ، وَمُسْلِمٌ ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ : فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ ». أخرجه أبو داود والنسائي بسندٍ صحيح(٢).

- **ما جاء في الزجر عن قول المرء : قبح الله وجهك :**

عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكُ ، وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد بسند صحيح(٣) .

فإذا شتم المسلم أخاه وقال له : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ، شمل الشتم آدم عليه الصلاة والسلام ؛ لأن الله خلق آدم في هذه الصورة التي نشاهدها في أنفسنا .

- **ما جاء من الزجر أن يستعمل الرجل في كلامه لو :**

عن ابي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٥٤).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٥٥)، وأخرجه النسائي برقم: (٥٣٨٧).

(٣)أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٧٥٣/ ٩٧٨)، وأخرجه أحمد برقم: (٧٣١٩).

بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن قول المرء لما حرث زرعته :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يقولن أحدُكم : زرعته ، ولكن ليقُل : حرثته ، قال أبو هريرة : ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤] »

أخرجه ابن جرير الطبري والبزار بسند صحيح .

- **ما جاء فيما يكره من كثرة الشعر :**

قال الله تعالى ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٤٧] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « لأَنْ يَمْتَلِئ جَوْفُ أَحَدِكُم قَيْحاً خَيْرٌ لهُ مِنْ أَنْ يَمتَلِئَ شِعْرَا » . . أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا » . . متفق عليه[3] .

وعن سعد ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤/ ٢٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦١٥٤).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٥٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ٢٢٥٧).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٧/ ٢٢٥٧).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال النبي ﷺ : « خُذُوا الشّيْطَانَ ، أَوْ أَمْسِكُوا الشّيْطَانَ ، لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أحدكم قَيْحاً ، خَيْرٌ من أن يمتلئ شِعرًا » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء في كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ ؛ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ! وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[2] .

وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ ، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله إلا كان عليه ترة » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند حسن[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[4] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم الغناء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ [لقمان : ٦ – ٧] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٩/ ٢٢٥٩).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٥٥)، وأخرجه النسائي برقم: (١٠١٦٩).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٥٦)، وأخرجه النسائي برقم: (١٠١٦٤).

(٤)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٨٠)، وأخرجه أحمد برقم: (٩٨٤٣).

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الفرقان:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[النجم:٥٩-٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الإسراء:٦٤] .

وعن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَّ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ ، يَأْتِيهِمْ رَجُلُ الحَاجَةِ ، فَيَقُولُونَ : ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا ، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ ، وَيَضَعُ الْعَلَمَ ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . . أخرجه البخاري معلقًا ووصله ابن حبان[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخل علي رسول الله ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ ، فَاضْطَجَعَ في الْفِرَاشِ ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ : مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ فقال : دَعْهُمَا ، فلمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا » . . متفق عليه[2] .

وعَن أبي أمامة الباهلي ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَبِيعُوا القَيْنَاتِ وَلَا تَشْتَرُوهُنَّ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ ، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ ، في مثل هذا أنزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ

---

(١)أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٥٥٩٠)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٦٧٥٤).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٩٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦/ ٨٩٢).

ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾[لقمان:٦] . فقال : هو الغناء والذي لا إله إلا هو يرددها ثلاثاً » . . أخرجه الترمذي بسند حسن[١] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « في هذهِ الأُمَّةِ خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ إذا ظهَرت القَيْنات والمعازف وشُرِبَت الخمُور » . أخرجه الترمذي[٢] .

فليحذر المسلم من الغناء وسماع الأغاني ، والتجارة في الغناء ونحو ذلك : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

---

(١)حسن/ أخرجه الترمذي: (٣١٩٥).

(٢)حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٣١٩٥).

٦- الخزانة السادسة

رسائل الاستئذان

- **ما جاء من النهي عن النجوى دون إذن :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المجادلة:١٠] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا كَانُوا ثَلاثَةٌ ، فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَالِث » . . متفق عليه[1] .

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه : قَالَ : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً ، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، من أَجْلَ أَنْ ذلك يُحْزِنَه ». متفق عليه[2] .

والنجوى بالإثم والعدوان حرام مطلقًا .

كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المجادلة:٨-٩] .

وتناجي الاثنان دون الثالث حرام ؛ لأن ذلك يؤدي إلى إيذائه وحزنه ، وذلك محرمٌ .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٦/ ٢١٨٣).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٩٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٧/ ٢١٨٤).

كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨] .

وإذا زاد العدد عن الثلاثة ، جاز تناجي الاثنين بشرط ألا يكون ذلك في الإثم والعدوان : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾[المائدة: ٢] .

- **ما جاء من النهي في أن يقام الرجل من مجلسه :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : « لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَقْعَدِهِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا ، وَتَوَسَّعُوا ». أخرجه أحمد (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ لِيُخَالِفُ إِلَى مَقْعَدِهِ فَيَقْعُدُ فِيهِ ولكن يقول : تفسحوا » . . أخرجه مسلم(٢) .

ومن قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أولى به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » . . أخرجه مسلم(٣) .

- **ما جاء من النهي عن انصراف الزائر قبل الاستئذان :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ فَلا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ » . . أخرجه النسائي بسند صحيح(٤) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٥٧٨٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢٧/ ٢١٧٧).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٣١/ ٢١٧٩).

(٤)صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٧٨٧).

• **ما جاء من النهي عن الجلوس في الطرقات إلا بحق :**

عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، مَا لَنَا مِنْ مجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا ، قَالَ : فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا المُجْلِسَ ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ، قَالُوا : ومَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلامِ ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ » . . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهَى عَنِ المُجَالِسِ بِالصُّعُدَاتِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، لَيَشُقُّ عَلَيْنَا الجُلُوسُ فِي بُيُوتِنَا ؟ قَالَ : « فَإِنْ جَلَسْتُمْ فَأَعْطُوا المُجَالِسَ حَقَّهَا » . . ، قَالُوا : وَمَا حَقُّهَا يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : « إِدْلَالُ السَّائِلِ ، وَرَدُّ السَّلَامِ ، وَغَضُّ الْأَبْصَارِ ، وَالْأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ » .أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود بسند صحيح[2] .

وعن البراء ﷺ قال : مر النبي ﷺ على مجلس الأنصار وقال : « إِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تجْلِسُوا ، فَاهْدُوا السَّبِيلَ ، وَرُدُّوا السَّلَامَ ، وَأَغِيثُوا المَلْهُوفَ » . . أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح[3] .

• **ما جاء في زجر النساء عن وسط الطريق :**

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ لِلنِّسَاءِ وَسَطُ الطَّرِيقِ » . . أخرجه ابن حبان وابن وهب بسند حسن[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٤/ ٢١٢١).

(٢)صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (١١٤٩) ، وأبو داود برقم: (٤٨١٥).

(٣)صحيح/ أخرجه ابن حبان برقم: (٥٩٧)، وأخرجه أحمد برقم: (١٨٤٨٤).

(٤)حسن/ أخرجه ابن حبان برقم: (٥٦٠١)، وأخرجه ابن وهب برقم: (٧٨٢٣).

وعن أبي أسيد الأنصاري ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ المُسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ لِلنِّسَاء : اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ فَكَانَتْ المَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ » . .

أخرجه أبو داود والبيهقي بسند حسن[1] .

- **ما جاء في تحريم النظر في بيت غيره :**

عن سهل بن سعد ﷺ ، أن رجلًا اضطلع من جحر في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدري وهو حديدة أو خشبة يحك بها رأسه ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « لوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُني ، لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ ، إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ » . . متفق عليه[2] .

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن رجلًا إطلع من بين بعض حجر النبي ﷺ ، فقام إليه بمشقص أو مشاقص ، فكان ينظر إلى رسول الله ﷺ يختله ليطعنه متفق عليه .

وعن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لهَُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ » . . متفق عليه[3] .

- **ما جاء في زنا الجوارح دون الفرج :**

عن أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا ، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ محَالَةَ ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنَا اللِّسَانِ النطقُ ، وَالنَّفْسُ تمَنَّى وَتَشْتَهِي ، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ » . . متفق عليه[4] .

---

(١)حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٧٢)، وأخرجه البيهقي برقم: (٦٦٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٢٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٠/ ٢١٥٦).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٨٨)، ومسلم برقم: (٤٣/ ٢١٥٨)، واللفظ له.

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٤٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢٦٥٧).

وسميت هذه المعاصي زنا ؛ لأنها وسيلة إلى الزنا الحقيقي ، لهذا ما أفضى إلى المحرم فهو محرم وله حكمه .

- **ما جاء من النهي عن إفشاء السر :**

عن ثابت ، عن أنس قال : « أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ : فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي ، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ قُلْتُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهَّ ﷺ لِحَاجَةٍ . قَالَتْ : مَا حَاجَتُهُ ؟ قُلْتُ : إِنَّهَا سِرٌّ . قَالَتْ : لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهَّ ﷺ أَحَدًا ، قال أنس : والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك يا ثابت » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من النهي عن الكلام قبل السلام :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « السَّلَامُ قَبْلَ السُّؤَالِ ، فَمَنْ بَدَأَكُمْ بِالسُّؤَالِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ » أخرجه الألباني[2] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تَأْذَنُوا لِمَنْ لَمْ يَبْدَأْ بِالسَّلَامِ » أخرجه الألباني.[3] .

ومن استأذن قبل السلام ، فلا يؤذن له ، وينبغي أن يعلم .

عن رجل من بني عامر ، أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت ، فقال أألج ؟ ، فقال النبي ﷺ : « اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الِاسْتِئْذَانَ ، فَقُلْ لَهُ قُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَأَدْخُلُ ؟ ، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَأَدْخُلُ ؟ ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَدَخَلَ » . أخرجه أبو داود وأحمد بسند صحيح[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٤٥/ ٢٤٨٢).

(٢)صحيح/ أخرجه الألباني برقم: (٣٦٩٩).

(٣)صحيح/ أخرجه الألباني برقم: (٧١٩٠).

(٤)صحيح/ أخرجه أخرجه أحمد برقم: (٢٣١٧٦)، وأخرجه أبو داود برقم: (٥١٧٧).

• **ما جاء من النهي عن تحية الموتى :**

عن أبي جرير جابر بن سليم ﷺ قال : « رأيت رجلًا يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه ، قلت : من هذا ؟ قالوا : رسول الله ﷺ ، قلت : عليك السلام يا رسول الله مرتين ، قال : لَا تَقُلْ عَلَيْك السَّلَام ؛ فَإِنَّ عَلَيْك السَّلَام تحَيَّة المُوْتَى قُلْ : السلام عليكم ، قُلْ السَّلَامُ عَلَيْكَ » . .

أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

وتحية الأموات لا تختلف عن تحية الأحياء وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة ، فقال : السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين فقدم الدعاء على اسم المدعو له ، كما هو في تحية الأحياء، وإنما قال ذلك القول منه إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات؛ إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء .

• **ما جاء في تحريم ابتداء الكافر بالسلام :**

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن أبي بصرة الغفاري ، أن النبي ﷺ قال : « إِنِّي رَاكِبٌ غَدًا إِلَى يَهُودَ ، فَلَا تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلَامِ ، فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ ، فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد والنسائي بإسناد صحيح[3] .

وإذا كان المجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ، يسلم عليهم بغرض التعميم ، ويقصد المسلمين .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٧٢١)، وأخرجه أبو داود برقم: (٤٠٧٥).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٣/ ٢١٦٧).

(٣)صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (١١٠٢)، وأخرجه النسائي برقم: (١٠١٤٨).

عن أسامة ﷺ ، « أن النبي ﷺ مَرَّ على مجَلْسٍ وَفِيهِ أَخْلَاطٌ مِنْ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ النبي ﷺ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من الزجر عن التسليم بالأكف والأصابع :**

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ مِنَّا مِنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَإِنَّ تَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكُفِّ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسند حسن[2] .

- **ما جاء في الزجر عن سلام المعرفة :**

عن طارق بن شهاب قال: « كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله ، جُلُوسًا ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ : قَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ. فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا دَخَلْنَا المَسْجِدَ، رَأَيْنَا النَّاسَ رُكُوعًا فِي مُقَدَّمِ المَسْجِدِ، فَكَبَّرَ وَرَكَعَ، وَرَكَعْنَا ثُمَّ مَشَيْنَا، وَصَنَعْنَا مِثْلَ الَّذِي صَنَعَ، فَمَرَّ رَجُلٌ يُسْرِعُ، فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا وَرَجَعْنَا، دَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، جَلَسْنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَمَا سَمِعْتُمْ رَدَّهُ عَلَى الرَّجُلِ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَتْ رُسُلُهُ، أَيُّكُمْ يَسْأَلُهُ ؟ فَقَالَ طَارِقٌ: أَنَا أَسْأَلُهُ، فَسَأَلَهُ حِينَ خَرَجَ، فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :" أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ ، حَتَّى تُعِينَ المَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الحَقِّ ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ » . . أخرجه أحمد بإسناد صحيح[3] .

والسنة إفشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ١٧٩٨).

(٢)حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٩٥)، وأخرجه النسائي برقم: (٣٤٠).

(٣)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٣٨٧٠).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، « أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء في كراهة قول المستأذن أنا :**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي ، فَدَقَقْتُ البَابَ ، فَقَالَ : « مَنْ ذَا » . . فَقُلْتُ : أَنَا ، فَقَالَ : « أَنَا أَنَا » . . كَأَنَّهُ كَرِهَهَا » . . متفق عليه[2] .

والسنة عند الاستئذان ذكر الاسم .

عن ابن عباس قال : استأذن عمر على النبي ﷺ ، فقال : « السلام على رسول الله، السلام عليكم ، أيدخل عمر ؟ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[3] .

- **ما جاء من الزجر عن ترك النار في البيت عند النوم :**

عن ابن عمر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ » . . متفق عليه[4] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل وحدث بشأنه النبي ﷺ ، فقال : « إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ » . . متفق عليه[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٣/ ٣٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: ٣٩/ ٢١٥٥).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٥٢٠١)، وأخرجه النسائي برقم: (١٠٠٨١).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٩٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢٠١٥).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢٠١٦).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : « غَطُّوا الْإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يحُلُّ سِقَاءً ، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا ، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهَّ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ ». متفق عليه[1].

- **ما جاء في إثم من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا :**

عن أبي مجلس ، قال : إن معاوية خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير قعود ، فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير وكان أرزنهما ، فقال معاوية ، قال النبي ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ عِبَادُ اللهَّ قِيَامًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا مِنَ النَّارِ » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود بسند صحيح[2] .

وعن أنس ﷺ قال : « مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ رُؤْيَةً مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ ، لمِا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ » . أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي بسند صحيح[3] .

- **ما جاء في النهي عن اللغو والباطل :**

عن عطاء بن أبي رباح قال : « رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَنْصَارِيَّيْنِ يَرْمِيَانِ ، فَمَلَّ أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ فَقَالَ الْآخَرُ : « كَسِلْتَ ؟ » . . سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : " كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله فَهُوَ لَغْوٌ وَلَهْوٌ إِلَّا أَرْبَعَةَ خِصَالٍ : مَشْيٌ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ ، وَتَعْلِيمُ السَّبَّاحَةِ » . . أخرجه النسائي بسند صحيح[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣١٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٦/ ٢٠١٢).
(٢)صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٩٧٧)، وأخرجه أبو داود برقم: (٥٢٢٩).
(٣)صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٩٤٦)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٧٥٤).
(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٨٨٩١).

• **ما جاء في الزجر عن ترك الدعاء :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللهَ ، يَغْضَبْ عَلَيْهِ » . . أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي بسند حسن[1] .

وعن النعمان البشير ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « الدُّعاءُ هو العِبادةُ ، قال ربُّكم : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .». أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[2] .

وسر الدعاء هو إظهار الافتقار للعزيز الغفار جل جلاله وتلك سمة العبودية التي خلقنا من أجلها رب البرية ، وليس من باب إعلام العبد ربه بحاجته فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل من البلاء ؛ فهو يرفع البلاء الذي نزل ، ويدفع البلاء الذي لم ينزل .

• **ما جاء من الزجر عن الاعتداء في الدعاء :**

عن عبدَ الله بنَ مُغفَّل أنه سمع ابنَه يقول : « اللهم إنِّي أسألُكَ القَصرَ الأبيَضَ عن يمينِ الجنَّة إذا دخلتُها ، فقال : أيْ بُنَيَّ ، سَلِ اللهَ الجنَّةَ ، وتعوَّذ به مِنَ النَّار ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ ويقول : إنَّه سيكونُ في هذه الأمَّةِ قومٌ يَعتَدونَ في الطُّهور والدُّعاء » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح[3] .

---

(١)حسن/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٦٥٨)، وأخرجه الترمذي برقم: (٣٣٧٣).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩٦٩)، وأخرجه أبو داود برقم: (١٤٧٩).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٩٦)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٦٧٦٤).

وعن ابنٍ لسعد قال : « سمعني أبي وأنا أقول : اللهُمَ إني أسألُكَ الجَنَةَ ونعيمَها وبهجَتها ، وكذا وكذا ، وأعوذُ بكَ من النَارِ وسلاسِلها وأغلالها ، وكذا وكذا ، فقال : يا بُنيَّ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : سيكونُ قوم يَعتَدونَ في الدُّعاء" فإياكَ أن تكونَ منهم إنَّك إن أعطيتَ الجنة ، أُعطيتَها وما فيها من الخير ، وإن أُعِذْتَ من النار ، أُعِذْتَ منها وما فيها مِنَ الشَّرِّ ». أخرجه أبو داود بسند صحيح[1].

- **ومن صور الاعتداء :**

الأول : طلب ما منعه الله وحرمه على عباده في الحياة الدنيا : كما سأل بنو إسرائيل موسى ﷺ ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .

الثاني : رفع الصوت بالدعاء : كما قال سبحانه : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأعراف:٥٥] .

ثالثًا : التنطع في سؤال تفاصيل الأمور .

رابعًا : طلب الولد من غير أن يتزوج : ونحو ذلك مما فيه اعتداء في الدعاء .

- **ما جاء في الزجر عن قول إن شئت عند الدعاء :**

عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ ، وَلَا يَقُلْ : اللهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي ، فَإِنَّ اللهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ » . . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١٤٨٠).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ٢٦٧٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٣٩) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ٢٦٧٩).

فإذا دعا العبد ربه فليجزم في الطلب ، وليعزم المسألة ؛ لما في ذلك من إحسان الظن بالله في الإجابة ، فالله لا يتعاظمه شيء .

عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ : اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء في الزجر عن الاستعجال في الدعاء :**

عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، يَقُولُ : دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي » . . متفق عليه[2] .

فالاستعجال محبط للدعاء ، والمستعجل كالمان في دعائه ، والمغرور في عمله وكأنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة ، والاستعجال لا يعني الدعاء بتعجيل الإجابة ، فالانقطاع عن الدعاء ؛ لأنك تستبطئ الإجابة .

- **ما جاء في الزجر عن الدعاء بالإثم أو قطيعة رحم :**

عن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ ؟ قَالَ : يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي ، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ » . . أخرجه مسلم[3] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٨/ ٢٦٧٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٠/ ٢٧٣٥).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٩٢/ ٢٧٣٥).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٣٠٠٩).

٧- الخزانة السابعة

مناهي الأدعية الشرعية

- **ما جاء من الزجر عن ترك الصلاة على النبي ﷺ :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[١] .

وَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » . . أخرجه الترمذي والنسائي بسند صحيح[٢] .

- **ما جاء من الزجر عن تمني البلاء :**

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ ، وَتَسْأَلُهُ إِيَّاه ؟ ، قَالَ : نَعَمْ ، كُنْتُ أَقُولُ : اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : سُبْحَانَ اللهِ ! لَا تُطِيقُهُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ ، أَفَلَا قُلْتَ : اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، قَالَ : فَدَعَا اللهَ لَهُ فَشَفَاهُ » . . أخرجه مسلم[٣] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٤٥)، وأخرجه أحمد برقم: (٧٤٥١).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٤٦)، وأخرجه النسائي برقم: (٨٠٤٦).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٢٣/ ٢٦٨٨).

وَعَنْ عُبَادَةٍ بِنِ الْصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : « مَا عَلَىَ وَجْهِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَّ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُّ إِيَّاهَا ، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَومِ إِذَاً نُكْثِرَ ، قَالَ اللهُ أَكْثَر » . . . أخرجه الترمذي بسند صحيح[1] .

- **ما جاء من الزجر عن الدعاء بظهور الأكف :**

عَنْ مَالِكِ بِنِ يَسَارٍ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ : « إِذَا سَأَلْتُمْ اللهَّ فَاسْأَلُوهُ بِباطنِ أَكُفِّكُمْ وَلا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا » . . أخرجه أبو داود بإسناد صحيح[2] .

فالدعاء المشروع يكون بباطن الأكف ، وهي هيئة الطالب الفقير المتذلل ، المنتظر أن يُعطَى ، أما السؤال بظهور الأكف فهو عكس ذلك ، فلا ينبغي للمسلم فعله .

- **ما جاء من النهي عن السجع في الدعاء :**

عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ : حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، وَلاَ تمُلَّ النَّاسَ هَذَا القُرْآنَ ، وَلاَ أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي القَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ ، فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ ، فَتَقْطَعُ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْإِجْتِنَابِ » . . أخرجه البخاري[3] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٧٣).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (١٤٨٦).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٦٣٣٧).

• **ما جاء في تحريم اللعن :**

عَنْ ثَابِتِ بْن الضَّحَّاكِ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ عَلَى رَجُل نَذْرٌ فِيمَا لا يَمْلِكُ ، ولَعْنُ المُؤْمِن كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ ادَّعَى دَعَوَىً كَاذِبَةٌ لِيَتَكَثَّرُ بهَا ، لَمْ يَزِدْهُ اللهَ إِلَّا قِلَّةً ، و مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَة » . . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَال: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا ». أخرجه مسلم[2].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : «أَنَّ عَبْدَ المُلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ المُلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». أخرجه مسلم[3] .

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا ، فَسَمِعَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ » . . قَالَ عِمْرَانُ : فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لهَا أَحَدٌ » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٧٦)، ومسلم برقم: (١١٠)، واللفظ له.

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٨٤/ ٢٥٩٧).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٨٥/ ٢٥٩٨).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٨٠/ ٢٥٩٥).

وعن أَبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ : « بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ . إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الجَبَلُ ، فَقَالَتْ : صَلْ ، اللَّهُمَّ أَلْعَنْهَا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ » . . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولُ اللهَّ ادْعُ عَلَى المُشْرِكِينَ ، قَالَ : إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً » . . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اَللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[3] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : « خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاء ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، فَقُلْنَ : وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهَّ ، قَالَ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحَدَاكُنَّ » . . متفق عليه[4] .

- **ما جاء من الزجر عن كثرة الكلام :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه سَمِعَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ». متفق عليه[5].

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٨٢/ ٢٥٩٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٨٧/ ٢٥٩٩).

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٩٧٧)، وأخرجه أحمد برقم: (٣٨٣٩).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٢/ ٧٩).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٩/ ٢٩٨٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لَا يُلْقِي لهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لَا يُلْقِي لهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ » . . أخرجه البخاري[1] .

•ما جاء من الزجر عن إرضاء الناس بسخط الله :

قال الله ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة:٦٢] .

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ » . . أخرجه الترمذي بسند صحيح[2] .

• ما جاء في النهي عن التنعم :

عَنْ معَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ : « إياكَ والتنعُّمَ ، فإن عِبَادَ الله ليسُوا بالمتنعِّمينَ ». أخرجه أحمد بسند صحيح[3] .

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللهِ يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٦٤٧٨).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤١٤).

(٣) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٢١٠٥).

هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » . . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن فتنة المال ، والاستكثار منه ، والنهي عن إضاعته :**

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ [المنافقون: ٩] .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ المُكثِرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يومَ القِيَامَةِ ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا ، فَنَفَحَ فِيْهِ يَمِينَهُ ، وَشِمَالَهُ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ ، وَوَرَاءَهُ » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » . . أخرجه مسلم[3] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمِ ، وَالْقَطِيْفَةِ ، وَالخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَى لَمْ يَرْضَى » . . أخرجه البخاري[4] .

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[5] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٨٠٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٤٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٣/ ٩٤).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٩/ ٢٩٦٣).

(٤)أخرجه البخاري برقم: (٢٨٨٦).

(٥)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٣٦)، وأخرجه أحمد برقم: (١٧٤٧١).

وَعَنْ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ ، بِأَفْسَدَ لهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح(١) .

- **ما جاء في تحريم طلب الرزق في معصية الله :**

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ عَن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال : « إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ ، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوُا اللهَ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىَ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِطَاعَتِهِ ». أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح(٢) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون:٥١].، وَقَالَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة:١٧٢] . ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ » . . أخرجه مسلم(٣) .

- **ما جاء من الزجر عن التنافس في الدنيا ، والاشتغال بها :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٧٦)، وأخرجه أحمد برقم: (١٥٧٨٤).

(٢)صحيح/ أخرجه ابن أبي شيبة برقم: (٣٤٣٣٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٦٥/ ١٠١٥).

وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس:٢٤] .

و قال الله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف:٤٥-٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر:٥].

و قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجرَّاحِ ﷺ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا ، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بقُدومِ أبي عُبَيْدَةَ ، فَوَافَوْا صَلاةَ الفَجْرِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَلمَّا صَلىَّ رسولُ الله ﷺ انصَرَفَ ، فَتَعَرَّضُوْا لَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ حينَ رَءَاهُمْ ثُمَّ قَالَ : « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنّ أبا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بشيءٍ مِنَ البحرينِ ؟ فقالُوا : أَجَلْ يا رَسُولَ الله ، فقالَ : أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوْا مَا يَسُرُّكُمْ ، فوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عليكُمْ ، ولكنِّي

أَخْشَى أن تُبْسَطَ الدُّنْيا عليكُمْ كما بُسِطَتْ عَلَىَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم ، فَتَنافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، فتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم » . . . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : « جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَىَ المِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، فَقَالَ : « إِنَّ ممَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا ، وَزِينَتِهَا » . . متفق عليه[2] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللهَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » . أخرجه مسلم[3] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلَّا ذِكْرُ اللهَّ وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا » . . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسند صحيح[4] .

- **ما جاء فيما يُكره من البنيان :**

عَنْ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِ قَالَ : « إِنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيءٍ يُنْفِقُهُ ، إِلَّا فِي شَيءٍ يجْعَلَهُ فِي هَذَا الْتُّرَابِ » . . أخرجه البخاري موقوفًا[5] .

وَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلُ الطَّوِيلُ فِي أَشْرَاطِ الْسَّاعَة : « وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ ، الْعُرَاةَ ، الْعَالَةَ ، رِعَاءَ الشَّاءِ ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ » . . أخرجه مسلم[6] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم : (٣١٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ٢٩٦١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٣/ ١٠٥٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ٢٧٤٢).

(٤)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٣٢٢)، وأخرجه وابن ماجة برقم: (٤١١٢).

(٥)أخرجه البخاري موقوف برقم: (٥٦٧٢).

(٦)أخرجه مسلم برقم: (٧/ ١٠).

٨- الخزانة الثامنة

مناهي الأيمان والنذور

- **ما جاء في تغليظ تحريم اليمين الغموس :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[آل عمران:٧٧] .

و قال الله تعالى : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾[الحج:٣٠] .

وَعَن عَبدِ الله بِن مَسعودٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ » . متفق عليه[١] .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ إِيَّاسِ بِنِ ثَعْلَبَةٍ ﷺ أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ : « مَن اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِم بيَمينِهِ ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيهِ الجَنَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسيرًا يَا رَسُول الله ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضيبًا مِنْ أَرَاكٍ » . أخرجه مسلم[٢] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الكَبَائِرُ : الإِشْرَاكُ باللهَ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْس ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ » . أخرجه البخاري[٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٠/)١٣٨.

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٢١٨/ ١٣٧).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٠).

وَعَنْ عِمْرَانِ بِنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةٍ كَاذِباً مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[1] .

واليمين الغموس هي اليمين الكاذبة ، التي يقتطع بها حق امرئ مسلم ، ولو كان قليلًا ، وهي التي تغمس صاحبها في الإثم ، ثم في نار جهنم .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَا يَحْلِفَ عِنْدَ هَذَا المِنْبَرِ عَبْدًا أَوْ أَمَةً عَلَى يَمِينٍ آثِمَةٍ ، وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ رَطْبٍ ، إِلَّا وَجَبَت لَهُ النَّارِ ».

أخرجه أحمد وابن ماجة بسند صحيح[2] .

وكفارة اليمين الغموس ، إرجاع الحقوق إلى أهلها ، والندم والتوبة إلى الله عز وجل .

- **ما جاء من النهي عن الحلف في قطيعة الرحم أو فيما لا يصلح :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾[البقرة:٢٢٤] .

وعَنْ عَدِيٍّ بنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، ثُمَّ رَأَى أَتْقَى للهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى » . . . أخرجه مسلم[3] .

وعَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بِنِ سَمَرَةٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ ». متفق عليه[4].

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٢٤٢)، وأخرجه أحمد برقم: (١٩٩١٢).

(٢)صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٣٢٦)، وأخرجه أحمد برقم: (٨٣٦٢).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (١٥/ ١٦٥١).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٢٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩/ ١٦٥٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ إِسْتُلِجَّ فِي أَهْلِهِ بِيَمِينٍ فَهُوَ أَعْظَمُ إِثْمًا لِيَبُرَ -يَعْنِيَّ الكَفَّارَة- » . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ : « إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ ، ثُمَّ أَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، إِلا كَفَّرْتُ يَمِينِي ، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . متفق عليه[2] .

- **ما جاء في النهي عن النذر :**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : « نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ النَّذْرِ وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ » . . . متفق عليه[3] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيِّ ﷺ : « لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ ، فَيَسْتَخْرِجُ اللهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ ، فَيُؤْتَى عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتَى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ » . . متفق عليه[4] .

- **ما جاء في أنه لا نذر في معصية :**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتَ : قَالَ رَسُولَ الله ﷺ : « لاَ نَذرَ فِي مَعْصِيَةٍ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ » . . . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[5] .

والنذر نوعان :

نذرٌ لله ، وهو الطاعة ، فيجب الوفاء به .

ونذرٌ للشيطان ، وهو معصية ، فلا وفاء فيه ، وكفارته كفارة يمين .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٦٦٢٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣٨٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ١٦٤٩).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢/ ١٦٣٩).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ١٦٤٠).

(٥)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٥٢٤)، وأخرجه أبو داود برقم: (٣٢٩٠).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلا يَعْصِهِ » . . . أخرجه البخاري[1] .

وَعَنِ عَبْدِالله بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْنَّذْرُ نَذْرَانِ ، فَمَا كَانَ لله فَكَفَّارَتُهُ الْوَفَاءِ ، وَمَا كَانَ لِلشَّيِّطَانِ فَلَا وَفَاءَ فِيهِ ، وَعَلَيهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ » .أخرجه ابن الجارود بسند صحيح[2] .

- **ما جاء في إثم من لا يفي بالنذر :**

عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : عَنِ النبيَّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُكُمْ قَرْني ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، لَا أَدْرِي ذَكَرَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا بَعْدَ قَرْنِهِ ، ثُمَّ يجِيءُ قَوْمٌ يَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ ، وَيخُونُونَ وَلَا يُؤْتمَنُونَ ، ويَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ » . متفق عليه[3] .

وقد مدح الله المؤمنين بالوفاء بالنذر، فقال : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج:٢٩] .

فمن وَفىَ بنذره فهو محمود مأجور ، ومن لم يفي به فهو مذموم معاقب .

- **ما جاء في أنه لا نذر ولا يمين فيما لا يملك الإنسان :**

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لا يَمْلِكُ » . . . متفق عليه[4] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٦).

(٢)صحيح/ أخرجه ابن الجارود برقم: (٩٣٥).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١٤/ ٢٥٣٥).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٧)، ومسلم برقم: (١٧٦/ ١١٠)، واللفظ له.

وَعَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ ، وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ العَبْدُ » . . أخرجه مسلم[1] .

فمن نذر أن يعتق عبد فلان ، أو حلف على ذلك ، لا يلزمه ، لأنه تَصَرَّفَ فيما لا يملك .

•ما جاء في تغليظ تحريم الزنى :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢] .

و قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩] .

و قال الله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور:٢-٣] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » . . أخرجه مسلم[2] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٨/ ١٦٤١).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٧٢/ ١٠٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . . متفق عليه[1] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ وَكَانَ كَالظُّلَّةِ ، فَإِذَا انْقَلَعَ مِنْهُ رَجِعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ » . أخرجه أبو داود بسند صحيح[2] .

والزنا هو وطء المرأة الأجنبية ، وللزنا فروعه :

كزنا العينيين .. وزنا اللسان .. وزنا الجوارح .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَتَبَ اللهَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا ، أَدْرِكَ ذَلِكَ لَا محَالَةَ ، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانُ النُّطْقَ، وَالْنَّفْسُ تَتَمَنَّى ذَلِكَ وَتَشْتَهِيهِ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ » . . متفق عليه[3] .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن السرقة وغيرها من المحرمات :**

قال الله تعالى : ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾** ﴾: [المائدة:٣٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال : « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . . متفق عليه[4] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعَ يَدُهُ ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعَ يَدُهُ » . . . متفق عليه[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٤/ ٥٧).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٦٩٠).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٤٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١/ ٢٦٥٧).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٥٧).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧/ ١٦٨٧).

• **ما جاء فيما لا قطع فيه :**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : عَنْ رَسُولَ الله ﷺ قال : « لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا » . . أخرجه مسلم[1] .

وعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَلَا كَثَرٍ » . . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[2] .

والكثر هو جُمَّار النخل ، والثمر هو الرطب ما دام في رأس النخلة .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ عَلَى مُنْتَهِبٍ ، وَلا مخْتَلِسٍ ، وَلا خَائِنٍ قَطْعٌ ». أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3] .

وَعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِى أُمَيَّةَ قَالَ : كُنَّا مَعَ بُسْرِ بْنِ أَرْطَأَةَ فِى الْبَحْرِ ، فَأُتِيَّ بِسَارِقٍ يُقَالُ لَهُ مِصْدَرٌ ، قَدْ سَرَقَ بُخْتِيَّةً ، فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : لاَ تُقْطَعُ الأَيْدِى في السَّفَرِ . وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَقَطَعْتُهُ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[4].

والسرقة هي أخذ مال الغير مستسرًا ، ومختفيًا من حرز ، فإن لم يكن في حرز وأخذه ظاهرًا فهو مختلسٌ ، ومنتهبٌ ، وخائن ، ولا قطع عليه ، لكن يعزر بما يردعه .

• **ما جاء في تغليظ تحريم قذف المحصنات المؤمنات :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور:٤] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢/ ١٦٨٤).

(٢)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٤٤٩) ، وأخرجه أحمد برقم: (١٥٨٠٤).

(٣)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٤٤٨)، وأخرجه أبو داود برقم: (٤٣٩١).

(٤)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٤٥٠)، وأخرجه أبو داود برقم: (٤٤٠٨).

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٣-٢٥] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهَّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من تغليظ الزجر عن عمل قوم لوط :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف:٨٠- ٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل:٥٤-٥٨] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

وقال الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٨ – ٢٩].

وعَنِ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : أَنّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللهُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، لَعَنَ اللهُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمَ لُوطٍ ، لَعَنَ اللهُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ » . . . أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح(١) .

وحَدُّ مَن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط هو القتل .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « مَنْ وَجَدْتمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ » . . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح(٢) .

(١)صحيح/ أخرجه أبي أحمد برقم: (٢٩١٣)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٤٤١٧).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٤٦٢)، وأخرجه النسائي برقم: (٧٢٩٧).

٩- الخزانة التاسعة

مناهي الحدود

- **ما جاء في تحريم إتيان البهيمة ، وبيان حد من فعل ذلك :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : « مَنْ وَجَدْتمُوهُ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ ، فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ ، فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : مَا شَأْنُ الْبَهِيمَةِ ؟ قَالَ : مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ، وَلَكِنْ أَرَى رَسُولَ اللهِ كَرِهَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْ لَحْمِهَا أَوْ يُنْتَفَعَ بِهَا وَقَدْ عُمِلَ بِهَا ذَلِكَ الْعَمَلُ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[1] .

المحرمات كلما تغلظت تغلظت عقوباتها ؛ لأن وطء من لا يباح بحال كالحيوان أعظم جرمًا من وطء من يباح في بعض الأحوال كالنساء فيكون حده أغلظ .

- **ما جاء في الزجر عن سب من حُد أو عزر .**

عَنْ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا كَانَ على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ، وكان يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضحك رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأُتي به يومًا فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ، فَقَالَ النبي ﷺ : لَا تَلْعَنُوهُ ؛ فوالله ما علمت أنهُ يحُبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ » . . أخرجه البخاري[2] .

---

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٤٥٥)، وأخرجه أبو داود برقم: (٤٤٦٤).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٦٧٨٠) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : « أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ . فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ : مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ » . أخرجه البخاري[1] .

وعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قال : « أنَّ امرأةً من جُهينةَ اعترفت عندَ النَّبيِّ ﷺ بالزِّنا فقالت إنِّي حبلى. فدعا النَّبيُّ ﷺ وليَّها فقالَ: أحسن إليْها فإذا وضعت حملَها فأخبرني. ففعلَ فأمرَ بِها فشدَّت عليْها ثيابُها ثمَّ أمرَ برجمِها فرجمت ثمَّ صلَّى عليْها فقالَ لَهُ عمرُ بنُ الخطَّابِ يا رسولَ اللهِ رجمتَها ثمَّ تصلِّي عليْها. فقالَ: لقد تابت توبةً لو قسمت بينَ سبعينَ من أَهلِ المدينةِ لوسعتْهم وَهل وجدتَ شيئًا أفضلَ من أن جادت بنفسِها للهِ » . أخرجه مسلم.[2] .

- **ما جاء من الزجر عن الشفاعة في حدود الله .**

قال الله تعالى : ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء:٨٥] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ فَقَدْ ضَادَّ اللهَ في أمره ، ومن مات وعليه دين فليس ثم دينار ولا درهم ولكن الحسنات والسيئات ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ حُبس في رَدْغَةَ الْخَبَالِ حتى يأتي بالمخرج مِمَّا قَالَ » .

أخرجه أبو داود والحاكم بسندٍ صحيح[3] .

---

(١)أخرجه البخاري برقم: ٦٧٨١ .

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٦٩٦).

(٣)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٥٩٧)، وأخرجه والحاكم برقم: (٨٣).

وقال النبي ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما شفع في المرأة المخزومية : « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من الزجر عن إقامة الحدود على الضعفاء دون الشرفاء .**

عن عائشة رضي الله عنها « أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهَّ ﷺ ؟ وَمَنْ يجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حِبُّ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : فقال : أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ ؟ ! ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، و قَالَ : إِنَّمَا ضل من كان قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وَأَيْمُ اللهَّ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ محُمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْ محمد يَدَهَا » . . متفق عليه[2] .

- **ما جاء في انه لا يقام الحد على المجنون أو المجنونة .**

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَال : « أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهَّ ﷺ وَهُوَ فِي المُسْجِدِ فَنَادَاهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنِّي زَنَيْتُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ أَبِكَ جُنُونٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَهَلْ أَحْصَنْتَ قَالَ : نَعَمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ١٦٨٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨/ ١٦٨٨).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٦٨١٥).

وعن علي ﷺ أن النبي ﷺ قال : « رفع القلم عن ثلاثة ؛ عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » . أخرجه البخاري [1] .

- **ما جاء من الزجر في أن يُجلد في غير حدٍ من حدود الله عشرة أسواط**

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ﷺ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُول : « لا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إِلا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ » . . متفق عليه[2] .

فالتعذير بالجلد لا ينبغي ان يتجاوز عشرة أسواط .

- **ما جاء في أنه لا يؤخذ أحد بجريرة أحد :**

قال الله تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ** ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ﴾[الأنعام:١٦٤] .

وعن طارق بن المحارب ﷺ قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ رَافِعًا يَدَيْهِ ، حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَلا لا تَجْنِي أُمٌّ وَلَدٍ عَلَى وَلَدِ ، أَلا لا تَجْنِي أُمٌّ وَلَدٍ عَلَى وَلَدِ » . . أخرجه النسائي وابن ماجه بسند صحيح[3] .

وعن أبي قال : انطلقت نحو النبي ﷺ ثم إن رسول الله ﷺ قال لأبي « ابْنُكَ هَذَا ؟ قَالَ : إِي ، وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، قَالَ : حَقًّا قَالَ : أَشْهَدُ بِهِ ، قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ ضَاحِكًا مِنْ ثَبَتِ شَبَهِي بِأَبِي وَمِنْ حَلِفِ أَبِي عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ لا يَجْنِي عَلَيْكَ ، وَلا تَجْنِي عَلَيْهِ ، وقَرَأَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :

---

(١) صحيح/ أخرجه ابن خزيمة برقم: (٣٠٤٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٠/ ١٧٠٨).

(٣)صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٦٧٠)، وأخرجه النسائي برقم: (١٨٥١).

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام:١٦٤] . » . . أخرجه داود والنسائي بسند صحيح[١] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم طلب امرأ بغير حق :**

عن عبد الله بن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه » . .[٢] .

- **ما جاء في تغليظ الزجر عن الانتحار :**

عن ثابت بن الضحاك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَن حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ ، كاذِبًا مُتَعَمِّدًا ، فَهُوَ كما قَالَ ، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بحديدة ، عُذِّبَ بِهِا في نار جهنم » . متفق عليه[٣] .

وعن جندب ﷺعن النبي ﷺ قال : « كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ اللهُ : بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ الجَنَّةُ » متفق عليه[٤] .

وعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال : « مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مخُلَّدًا فِيهَا أَبَدًا » متفق عليه[٥] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم: (٧٠٠٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٦٦٨١).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٦/ ١١٠).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٠/ ١١٣).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٥/ ١٠٩).

فمن قتل نفسه فقد ارتكب جرمًا عظيماً ، لكنه مسلم وهو تحت المشيئة ، وينبغي لأهل العلم والفضل ، أن يتركوا الصلاة على من قتل نفسه .

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قال : « أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ » أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء عن الزجر عن منع أولياء المقتول من القاتل العمد :**

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قُتِلَ فِي عِمِّيَّا رِمِّيَّا بِحَجَرٍ ، أَوْ ضَرْبًا بِعَصًا ، أَوْ سَوْطٍ فَعَقْلُهُ عَقْلُ الْخَطَأِ ، وَمَنْ قَتَلَ اعْتِبَاطًا فَهُوَ قَوَدٌ فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَه ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ ، وَالْمَلائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ » أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[2] .

- **ما جاء في أنه لا يقتل مسلم بكافر :**

عن أبي جحيفة ﷺ قال : سَأَلْتُ عَلِيّاً ﷺ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مَا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ ؟ وَقَالَ مَرَّةً : مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ ؟ ، فَقَالَ : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ ، قُلْتُ : وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ ؟ قَالَ : الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ » أخرجه البخاري[3] .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٠٧/ ٩٧٨).

(٢)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٥٩١) ، وأخرجه النسائي برقم: (٦٩٦٥).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٦٩٠٣) .

سِوَاهُمْ يرد مشدهم على مضعفهم ومسرعهم على قاعدهم و لَا يُقْتَلُ مؤمن بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِه » أخرجه أبو داود وابن ماجة [1] .

- **ما جاء في إثم من بدل دينه وعقوبته :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة:٢١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥-٨٨] .

وعَنْ عِكْرِمَةَ ، قَالَ : أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ ، لِنَهْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ وَلَقَتَلْتُهُمْ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ». أخرجه البخاري [2] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٢٧٥١)، وأخرجه وابن ماجة برقم: (٢٦٨٣).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٦٩٢٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحِلُّ دَمُ مُسْلِمٍ إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » . متفق عليه[1] .

فحكم المرتد أنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل

- **ما جاء في تحريم قتل من اسلم على أي دين كان ، وعلى أي حال كان :**

عن المِقْدَادَ بْنَ الأسود ﷺقال : قلت لِرَسُولِ اللهَّ ﷺ : « أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ : أَسْلَمْتُ للهَّ ، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهَّ بَعْدَ أَنْ قَالهَا ؟ فَقَالَ : لَا تَقْتُلْهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا ، فَقَالَ : لَا تَقْتُلْهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ ». متفق عليه[2] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « بَعَثَنَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَصَبَّحْنَا القوم على مياههم ، ولحقت أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ ، قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللهُّ ، فَكَفَّ عنه الأَنْصَارِيُّ ، وطعنته برمح حتى قتلته ، فَلَمَّا قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ فَقَالَ لي : يَا أُسَامَةُ ، أَقَتَلْتَه بعد ما قال : لا إِلَهَ إِلا اللهُّ ؟ قَلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا ، فقال : أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله . فَمَا زَالَ يُكَرِّرُ ذَلِكَ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلك اليوم » . . متفق عليه[3] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥/ ١٦٧٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٠١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٥/ ٩٥).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٦٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩/ ٩٦).

• **ما جاء من الزجر على الإكراه على الزنا :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[النور:٣٣] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : « كَانَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ لجَارِيَةٍ لَهُ : اذْهَبِي فَابْغِينَا شَيْئًا ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ ﴾ [النور:٣٣] .لهُنَّ ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] » . . أخرجه مسلم[١] .

وفي رواية : « أن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمه فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[النور:٣٣] .

• **ما جاء في تغليظ تحريم الكذب بالحلم :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ تحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ » . . أخرجه البخاري[٢] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ « أفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ الرجُلُ عيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيا » . . أخرجه البخاري[٣] .

يحرم الكذب في الحلم ، وهو من أكبر الكبائر ؛ لأنه كذب على الله ، أما الكذب في اليقظة فهو كذب على المخلوقين .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٢٦/ ٣٠٢٩).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٢).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٣).

• **ما جاء في أنه لا يخبر المرء برؤيا يكرهها :**

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا المُؤْمِنِ أَنْ تَكْذِبَ أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا المُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلاثٌ ؛ فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بُشْرَى مِنَ اللهِ ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ المَرْءُ نَفْسَهُ ، فَإِن رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُ فليقم فليصل ولا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي سلمه قال : « لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي ، حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ : وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللهِ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ ، وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثًا ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ » . . متفق عليه[2] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا مِنَ اللهِ ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ » . . أخرجه البخاري[3] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأعرابي جاءه فقال : « إِنِّي حَلَمْتُ أَنَّ رَأْسِي قُطِعَ فَأَنَا أَتْبَعُهُ ، فَزَجَرَهُ النبي ﷺ وقال : لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام » . . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠١٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ٢٢٦٣).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤/ ٢٢٦١).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٦٩٨٥).

(٤)أخرجه مسلم برقم (١٤/ ٢٢٦٨).

• **من رأى رؤيا يكرهها فعليه بخمسة أشياء ثبتت في السنة وهي :**

١- أن ينفث عن يساره .

٢- وأن يستعيذ بالله من الشيطان .

٣- وأن لا يخبر بها أحداً .

٤- وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه .

٥- وأن يقوم يصلي

وعن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ كان يقول : « لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ » . . أخرجه الترمذي والدارمي [1].

وينبغي على من سئل عن رؤيا أن يعبرها بخير ويبشر صاحبها بقوله : خيرًا رأيت ، وشرًا وقيت ، أو خيرًا لنا ولأحبابنا وشرًا لأعدائنا وغير ذلك من العبارات التي تبشر ولا تنفر ولا تروع .

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٢٨٠) ، وأخرجه الدارمي برقم: (٢١٩٣).

١٠- الخزانة العاشرة

مناهي الفتن

- **ما جاء في الزجر عن مفارقة الجماعة ونقد البيعة :**

عن ابن عباس ﷺ قال ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةً جَاهِلِيَّةً » . متفق عليه[١] .

وعن عبيدة بن الصامت ﷺ قال : « بايعنا رسول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا ، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ » . . متفق عليه[٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ كانَ يقول : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ » . . أخرجه مسلم[٣] .

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » . . أخرجه مسلم[٤] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٥/ ١٨٤٩).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٢/ ١٧٠٩).

(٣)أخرجه مسلم برقم: (٥٣/ ١٨٤٨).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (٥٨/ ١٨٥١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ قَالُوا : أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ قَالَ لَا مَا صَلَّوْا » . . أخرجه مسلم[1] .

وعن عوف بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُ مْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُ مْ قَالُوا قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهَّ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهَّ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهَّ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ » . . أخرجه مسلم[2] .

وعن معاوية ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ ، مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّة » . . أخرجه أحمد وابن حبان بسند حسن[3] .

وبهذا نعلم أنه لا يجوز الخروج على الأئمة وإن جاروا وظلموا ، أما أمراء الجور فيكره عملهم وما هم عليه ويؤمروا بالمعروف ، وينهون عن المنكر ولا يطاعون في معصية ، والعبد المسلم يؤدي ما لهم ويسأل الله حقه ولا يسل السيف ، ففيه فتنة وهدر دماء واستباحه أعراض.

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٦٢/ ١٨٥٤).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٦٥/ ١٨٥٥).

(٣)حسن/ أخرجه أحمد برقم: (٥٣٨٦)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٤٥٧٣).

- **ما جاء من الزجر عن التحريش بين المسلمين**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ » . . أخرجه مسلم[1] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ » . . أخرجه مسلم[2] .

- **ما جاء في تحريم قتال المسلمين**

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجرات:٩] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . . متفق عليه[3] .

وعن جرير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : « استنصت الناس فقال: لا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » . متفق عليه[4].

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٦٥/ ٢٨١٢).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (٦٧/ ٢٨١٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ٦٤).

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٨٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٩/ ١٦٧٩).

وعن أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ ، هَذَا الْقَاتِلُ ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء من الزجر عن الإشارة على مسلم بسلاح :**

عن عبد الله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ ، فَلَيْسَ مِنَّا » . . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ كان يقول : « لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ » . . متفق عليه[3] .

وعن أبي هريرةﷺ قال أبو القاسم ﷺ : « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ » . . أخرجه مسلم[4] .

- **ما جاء من الزجر عن النصح للسلطان المسلم علانية أو إهانته :**

عن عياض بن غنم ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فَلا يُبْدِهِ عَلانِيَةً ، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَخْلُوا بِهِ ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ ، وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ » . . أخرجه أحمد وابن أبي عاصم بسند صحيح[5] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥/ ٢٨٨٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦١/ ٩٨).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٦/ ٢٦١٧).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٢٥/ ٢٦١٦).

(٥)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٥٣٣٣)، وأخرجه ابن أبي عاصم برقم: (١٠٩٦).

فلا ينبغي للمسلم الناصح النصح للسلطان علانية ؛ لأن ذلك من التشهير بعيوب السلطان أمام العامة ، وذلك يؤدي إلى تهييج العامة ، ثم وقوع الفتن ، وإنما الواجب على من أراد أن ينصح للسلطان أن يأتي السلطان في بيته أو يأخذ بيده فيأمره وينهاه ، فإن قبل منه فهذا من فضل الله ، وإن لم يسمع فقد أعذر إلى الله ، ولذلك لما أنكر الخوارج على عثمان ﷺ جهرة تمت الفتنة والقتال حصل فساد فكانوا مفاتيح شر ، مغاليق خير ، نعوذ بالله من شرهم وفتنتهم ، لهذا ينبغي توقير ذوي الهيئات من الأمراء والخلفاء والعلماء ، لتصبح لهم مهابة في النفوس ، فيسمع لهم ويطاع أمرهم ، ولا يجترئ عليهم من يريد الفتنه ، أو شق عصا جماعة المسلمين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء:٥٩] .

ويجب على العلماء وذوي الأمر مناصحة الخلفاء والأمراء بالحكمة .

عن تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لمِنْ ؟ قَالَ: للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِم ». أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء من الزجر عن التعرب بعد الهجرة :**

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الحَجَّاجِ ، فَقَالَ : « يَا ابْنَ الأَكْوَعِ ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ تَعَرَّبْتَ ؟ قَالَ : لا ، وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْو » . . متفق عليه[2] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٩٥/ ٥٥).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٢/ ١٨٦٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « آكِلَ الرِّبَا ، وَمُؤْكِلَهُ ، وَشَاهِدَيْهِ ، وَكَاتِبَهُ إذا علموا ذلك ، وَالْوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ ، وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ ، والمرتد عربيًا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة » . . أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح[1] .

فينبغي للمهاجر أن يلزم مهاجرة ، ليلزم دين الله ويكون مع جماعة المسلمين ، ويجوز التعرب في الفتنة .

عن أبي سعيد الخدري ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ » . . أخرجه البخاري[2] .

- **ما جاء في تغليظ تحريم الحكم بغير ما أنزل الله :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ ﴾ [النساء:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ ﴾ [المائدة:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ ﴾ [المائدة:٤٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧ ﴾ [المائدة:٤٧] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٨٤٤)، وأخرجه النسائي برقم: (٩٣٣٥).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٧٠٨٨)

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾ [ص:٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ [المائدة:٤٩] .

- **ما جاء عن الزجر عن طلب الإمارة :**

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : « دَخَلْتُ على النبي ﷺ أنا وَرَجُلَانِ من قَوْمِي ، فقال أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ : أَمِّرْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ ، وقال الْآخَرُ مثله ، فقال : إِنَّا لَا نُوَلِّي هذا من سَأَلَهُ ، ولا من حَرَصَ عليه » . . متفق عليه(١) .

وعَنْ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ سُمرةَ ﷺ قَالَ : قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ : « يَا عَبْدَ الرَّحْمنِ بنَ سمرةَ لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا » . . متفق عليه(٢) .

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ ، وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ » . . أخرجه البخاري(٣) .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : « قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي ، قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ ، قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » . . أخرجه مسلم(٤) .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤/ ١٧٣٣).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩/ ١٦٥٢).

(٣)أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٨).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٦/ ١٨٢٥).

وعن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيْفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، ولا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيْمٍ » . . أخرجه مسلم[1] .

- **ما جاء في تغليظ زجر الحكام عن غش الرعية وظلمها :**

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال رسول الله ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ : وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » . . أخرجه مسلم[2] .

وَعَنْ معقل بن يسار ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللهُ رَعِيَّة ، يَموتُ يَوْمَ يَمُوتُ وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ ». متفق عليه[3].

وعن عمرو بن مرة قال : قلت لمعاوية بن أبي سفيان إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ إِمَامٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الحَاجَةِ ، وَالخَلَّةِ ، وَالمَسْكَنَةِ إِلَّا أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ ، وَحَاجَتِهِ ، وَمَسْكَنَتِهِ ، قال : فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ » . . أخرجه أحمد والترمذي[4].

- **ما جاء في زجر السلطان عن تتبع عورات الرعية :**

عن معاوية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمُ » . . أخرجه أبو داود بسند صحيح[5] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (١٧/ ١٨٢٦).

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٧/ ١٤٢).

(٤)صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٣٣٢)، وأخرجه أحمد برقم: (١٨٠٣٣).

(٥)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٤٨٨٨).

وعن أبي همامة المقدام بن معدي كرب ، وكثير بن مرة ، وعمر بن الأسود رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ » . . أخرجه أحمد وأبو داود بسند صحيح[1] .

- **ما جاء من الزجر عن إدخال الناس في الضرر والمشقة :**

عن طريف أبي تميمة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، قَالَ : وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقِ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ " ، فَقَالُوا : أَوْصِنَا ، فَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يحُالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ » . . أخرجه البخاري[2] .

وعن أبي صرمة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ ضَارَّ ضَارَّ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ » . . أخرجه أبو داود وابن حبان بسند حسن[3] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اللهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فاشقق عليه ». أخرجه مسلم[4] .

- **ما جاء من الزجر عن الفجور في الخصومة**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الخَصِمُ » . . أخرجه مسلم[5] .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٨١٥)، وأخرجه أحمد برقم: (٤٨٨٩).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٧١٥٢).

(٣)حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٣٥)، وأخرجه ابن حبان برقم: (٤٥٦).

(٤)أخرجه مسلم برقم: (١٩/ ١٨٢٨).

(٥)أخرجه مسلم برقم: (٥/ ٢٦٦٨).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أَرْبَعَةٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ الْأَرْبَعِ ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر » . . متفق عليه[1] .

- **ما جاء فيما يكره للقاضي عند القضاء :**

عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ : « كَتَبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى ابْنِهِ ، وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ ، بِأَنْ لاَ تَقْضِيَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ » . . متفق عليه[2] .

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ : « عَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ ، قَالَ : فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا ، أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ » . . أخرجه أبو داود والنسائي[3] .

- **ما جاء في تحريم الرشوة في الحكم وغيرة :**

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[البقرة:١٨٨] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم : (١٠٦/ ٥٨).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦/ ١٧١٧).

(٣)صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٣٥٨٢)، وأخرجه النسائي برقم: (٨٣٦٦).

وقال الله تعالى : ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالمُرْتَشِيَ » . . أخرجه أحمد والترمذي [١].

- **ما جاء في الزجر عن استعمال النساء في الحكم :**

عن أبي بكر ﷺ عنه قال : « لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الجَمَلِ لمَّا بَلَغَ النبي ﷺ أن فَارِسَ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ : لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً » . أخرجه البخاري[٢] .

وبهذا نعلم أنه لا يجوز توليه المرأة شيئًا من أمور الحكم أو القضاء .

---

(١)حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (١٣٣٧)، وأخرجه أحمد برقم: (٦٥٣٢).

(٢)أخرجه البخاري برقم: (٧٠٩٩).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الجزء الثامن ٥

٤٨-خزائن الدنيا والآخرة، وتشتمل على ما يلي: ٧

القسم الأول: ويشتمل على: ٨

١.الخزانة الأولى..... ٩

٢.الخزانة الثانية..... ٢١

٣.الخزانة الثالثة..... ٢٨

٤.الخزانة الرابعة..... ٣٩

٥.الخزانة الخامسة..... ٤٩

٦.الخزانة السادسة..... ٥٩

٧.الخزانة السابعة..... ٧٠

٧.الخزانة الثامنة ٨١

٧.الخزانة التاسعة..... ٩٦

١٠. الخزانة العاشرة ١٠٤

القسم الثاني: ويشتمل على:..... ١١٥

١.الخزانة الأولى..... ١١٦

٢.الخزانة الثانية..... ١٢٧

٣.الخزانة الثالثة..... ١٤٠

٤.الخزانة الرابعة..... ١٤٩

٥.الخزانة الخامسة..... ١٦١

٦.الخزانة السادسة..... ١٧٣

٧.الخزانة السابعة..... ١٨٢

٧.الخزانة الثامنة ١٩١

٧.الخزانة التاسعة..... ٢٠١

١٠. الخزانة العاشرة ٢١٤

٤٩- خزائن الطاعات والمعاصي، وتشتمل على ما يلي:٢٣٥

١.الخزانة الأولى..... ٢٣٦

٢.الخزانة الثانية..... ٢٤٧

٣.الخزانة الثالثة..... ٢٥٨

٤.الخزانة الرابعة..... ٢٦٧

٥.الخزانة الخامسة..... ٢٧٧
٦.الخزانة السادسة..... ٢٨٦
٧.الخزانة السابعة..... ٢٩٥
٧.الخزانة الثامنة ٣٠٧
٧.الخزانة التاسعة..... ٣١٨
١٠. الخزانة العاشرة ٣٢٦
٥٠- خزائن الكبائر والصغائر:..... ٣٣٧
وتشتمل على ما يلي: ٣٣٨
١.الخزانة الأولى..... ٣٣٩
٢.الخزانة الثانية..... ٣٤٧
٣.الخزانة الثالثة..... ٣٥٥
٤.الخزانة الرابعة..... ٣٦٨
٥.الخزانة الخامسة..... ٣٧٩
٦.الخزانة السادسة..... ٣٨٨
٧.الخزانة السابعة..... ٤٠٣
٧.الخزانة الثامنة ٤١٢

٧.الخزانة التاسعة..... ٤٢١
١٠. الخزانة العاشرة ٤٣٢
٥١- خزائن الربح والخسارة، وتشتمل على: ٤٤١
١.الخزانة الأولى..... ٤٤٢
٢.الخزانة الثانية..... ٤٤٩
٣.الخزانة الثالثة..... ٤٦٣
٥٢- خزائن الحسنات والطاعات، وتشتمل على:..... ٤٧١
١.الخزانة الأولى..... ٤٧٢
٢.الخزانة الثانية..... ٤٧٨
٣.الخزانة الثالثة..... ٤٨٥
٤.الخزانة الرابعة..... ٤٩١
٥٣- خزائن السعادة والشقاوة، وتشتمل على: ٤٩٩
١.الخزانة الأولى..... ٥٠٠
٢.الخزانة الثانية..... ٥٠٧
٣.الخزانة الثالثة..... ٥١٤
٤.الخزانة الرابعة..... ٥٢٢

٥.الخزانة الخامسة..... ٥٣١
٦.الخزانة السادسة..... ٥٣٩
٥٤- خزائن الحياة والموت ، وتشتمل على:..... ٥٤٧
١.الخزانة الأولى..... ٥٤٨
٢.الخزانة الثانية..... ٥٥٥
٣.الخزانة الثالثة..... ٥٦٢
٤.الخزانة الرابعة..... ٥٧٠
٥.الخزانة الخامسة..... ٥٧٩
٦.الخزانة السادسة..... ٥٨٩
٥٥- خزائن الثواب والعقاب، وتشتمل على: ٥٩٧
١.الخزانة الأولى..... ٥٩٨
٢.الخزانة الثانية..... ٦٠٣
٣.الخزانة الثالثة..... ٦١٤
٤.الخزانة الرابعة..... ٦٢١
٥.الخزانة الخامسة..... ٦٢٨
٦.الخزانة السادسة..... ٦٣٥

٧.الخزانة السابعة ٦٤٢
٧.الخزانة الثامنة ٦٤٩
٧.الخزانة التاسعة ٦٥٩
١٠. الخزانة العاشرة ٦٦٥
٥٦-خزائن المناهي الشرعية : ٦٧٤
القسم الأول: ويشتمل على: ٦٧٤
١.الخزانة الأولى..... ٦٧٥
٢.الخزانة الثانية..... ٦٨٧
٣.الخزانة الثالثة..... ٧٠٠
٤.الخزانة الرابعة..... ٧١٤
٥.الخزانة الخامسة..... ٧٢٧
٦.الخزانة السادسة..... ٧٣٧
٧.الخزانة السابعة..... ٧٤٧
٧.الخزانة الثامنة ٧٦١
٧.الخزانة التاسعة..... ٧٧٢
١٠. الخزانة العاشرة ٧٨٠

القسم الثاني: ويشتمل على: ٧٨٩

١. الخزانة الأولى ٧٩٠

٢. الخزانة الثانية ٧٩٨

٣. الخزانة الثالثة ٨٠٨

٤. الخزانة الرابعة ٨٢٣

٥. الخزانة الخامسة ٨٤٠

٦. الخزانة السادسة ٨٥٤

٧. الخزانة السابعة ٨٦٦

٧. الخزانة الثامنة ٨٧٨

٧. الخزانة التاسعة ٨٨٥

١٠. الخزانة العاشرة ٩٠٥

القسم الثالث: ويشتمل على: ٩٢١

١. الخزانة الأولى ٩٢٢

٢. الخزانة الثانية ٩٢٩

٣. الخزانة الثالثة ٩٤٤

٤. الخزانة الرابعة ٩٥٥

٥.الخزانة الخامسة..... ٩٦٥
٦.الخزانة السادسة..... ٩٧٧
٧.الخزانة السابعة..... ٩٨٩
٧.الخزانة الثامنة ٩٩٨
٧.الخزانة التاسعة..... ١٠٠٧
١٠. الخزانة العاشرة ١٠١٨
فهرس الموضوعات ١٠٢٩